الجزء الرابع — المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



محرم الحرام ١٤٠٥ هـ
تشرين الاول ١٩٨٤ م

الفهرست

الصـفحة

مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

★ ★ ★

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٢)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٤

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٢٠٠٠ / ١٩٨٤

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 35
Part (4)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1984

الوصف بالجملة

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري
(عضـو المجمع)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مجال القول في الوصف مجال ذو سعة ، يستحق من الافاضة والتفصيل شيئاً غير قليل . وذلك أن الوصف بمعناه الشامل الرحيب يشتمل على الركن المهم والجزء المتمم لفائدة الكلام . وذلك هو المسند من خبر المبتدأ، أو فعل للفاعل او مشتق من الفعل . هذا فضلاً عن الوصف المبيّن لحقيقة الموصوف وهو ما يعرف بالنعت ، أو المقصود به وصف هيئة الموصوف وهو الحال .

إن الوصف الإسنادي (١) هو في الحق أحق جزئي التركيب باستفاضة القول فيه ، لأنه هو الذي يتصرف بتصرف المعنى، ويختلف باختلاف ما يقصد إليه ، يكون تارة لمعنى الحدوث والتجدد وتارة لمعنى الثبوت واللزوم ، يقترن تارة بمعنى الزمن ، وينفك منه تارة أخرى ، يؤكّد أو يُنفى ، يطلقُ أو يُقيّد .. الى غير ذلك من المعاني وصور التعبير .

ولقد سلف القول في الوصف بعامة ، ماذا يراد به وما موقعه من الكلام في التركيب ، ثم جاء بعده القول في الوصف بالمصدر وهو اسلوب يُستفاد

---

(١) لعل من المفيد الرجوع الى مقال «الوصف» في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي .

منه في الاتساع والشمول ، بحيث يُستفاد من الوصف به كل المعاني المحتمل اشتقاقها من صفات وغيرها مما يشتق من المصدر ، أو تكون دلالته موجودة في المصدر بالقوة لا بالفعل .

والوصف في علم العربية معنى مفهوم معلوم ، وهو على وجه العموم يراد به معنى الحدث حين يقترن بمعنى الذات ، أو حين لا يقترن به نصاً وإنما يسبق إليه ذلك المعنى من سياق ما يوضع له في الكلام ، أو يفهم معنى ما يقترن به مما حوله من أجزاء التركيب .

الأول هو الوصف أو الصفة اسماً مشتقاً من لفظ الحدث المجرد ، اي ما يعرف بالمصدر ، أو مما يدل على الحدث قابلاً للاقتران بالزمن سابقاً اليه معناه وهو الفعل — على اختلاف مذاهب أهل العربية في أصل الاشتقاق .

أما الثاني فهو لفظ المصدر نفسه حين يؤتى به وصفاً للذات على سبيل الاتساع والشمول ، فيراد به حينئذٍ معنى ما يدل عليه المصدر بالقوة — كما سلف — ، من أصناف ما يشتق من المصدر أفعالاً وأوصافاً ؛ ما يراد منها لمعنى الحدوث وما يراد منها لمعنى الثبوت .

الجملة وصفاً :

ونحن الآن بصدد صورة أخرى من صور الوصف ، تكون بالجملة المؤلفة من مسند إليه ومسند ، يوصف بها اسم الذات أو اسم المعنى على طريقة يراد بها الانتفاع من معنى التركيب بجملته وبكل ما يشتمل عليه من أجزاء معناه . فيكون الوصف به متضمناً لمعنى الزمن إن كان منصوصاً عليه في المسند ، أو يكون متضمناً لمعنى الحدوث والتجدد تارة ، أو لمعنى الثبوت واللزوم تارة اخرى .

وحكم هذه الجملة أن تكون مما يصلح للتأويل بالمفرد ، او أن يحكم عليها بذلك ليحق لها أن تكون مؤدية وظيفة ذلك المفرد : نعتاً أو خبراً أو حالاً .

الدكتور احمد عبدالستار الجواري

ومن أخص خصائصها وأهم شرائطها أن تكون مشتملة على ضمير الموصوف بهـا ، أو أي رابط آخر كتكرار الموصوف ظاهراً ، أو أن تتصدرها الواو المسماة واو الابتداء في الجملة التي تقع حالاً ، وهي الواو التي يسميها النحاة واو الحال .

وللجملة في اللسان العربي حالتان رئيسيتان : الأولى كونها تركيباً يقصد لذاته من غير تأويل ولاسبك بمفرد، على صورة من صور الاستقلال والشخوص ؟ وهذه هي التي يبدأ بها الكلام أو التي تستأنف بها بدايته فيكون لهـا حكم الابتدائية .

والثانية كونها مما يصح تأويله بمفرد ، ويلزم أن يتابع مفرداً واقعاً قبله ، اسماً او فعلاً .

أما الأولى فأمرها واضح معروف فهي التي يبدأ بها الكلام — كما أسلفنا — أو يستأنف بها بعد بدئه ، أو يجمع بينها وبين ما قبلها أداة من أدوات الجمع وضم أجزاء الكلام بعضها الى بعض كحروف العطف وما يشبهها .

وأما الثانية فهي التي تقع موضحة لمفرد قبلها ، اسماً أو فعلاً ، أو تكون مبنية له . وهي — كمـا يحكم عليها علماء العربية — التي تصلـح للتأويل بمفرد في أغلب الأحيان .

والنوع الأول من الجمل واضح السمات بيّن القسمات ، لا يحتاج الى تقليب النظر فيه إلا من حيث علاقـة أجزائه بعضها ببعض ، والا من حيث دلالته في النسبة والإسناد إخباراً أو إنشاء ، إثباتاً أو نفياً ، ثبوتاً ولزوماً أو حدوثاً واستمراراً، ونحو ذلك من المعاني كالتقديم والتأخير والقصر والحذف والذكر . وهذا هو الأصل في الجمل كما يقول ابن هشام (٢) .

(٢) مغني اللبيب ج ٢ ص ٤١ .

ولكن النوع الثاني من الجمل يحتاج الى ذلك كله ، ويحتاج بعد الى البحث في موقعه من الكلام وعلاقته بما يصف أو يبيّن ، وكيف يؤتى به لغرض الوصف أو التبيين ، ومتى يفضّل أن يحل محل المفرد ، وما الفرق في ذلك بينه وبين المفرد .

الجملة والكلام :

وإن من المفيد أن نعرض هنا لأمر اصطلاحي يتعلق بتسمية الجملة وتحديد المراد بها والتفريق بينها وبين ما يسمّى عند أهل العربية كلاماً .

فإن منهم من جعل الجملة والكلام لفظين مترادفين كأبي القاسم الزمخشري ، فإنه بعد أن فرغ من حدّ الكلام (في كتابه المفصل) قال : ويسمى جملة . (٣)

أما ابن هشام فهو يميّز بين الجملة والكلام ، وهو يرى — بحق — أن الجملة إسناد لا تشترط فيه الإفادة كجملة الشرط بلا جواب نحو إن حضر زيدٌ ؛ أما الكلام فشرطه الإفادة . ويقول : والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها (٤) . وهذا مذهب سديد وقول وجيه وهو الذي يفهم من الدلالة اللغوية للتسميتين ، ذلك أن المقصود بالجملة ما يقابل اللفظ المفرد فإنه لفظ واحد — أو في حكمه — وهي جملة ألفاظ . ولكن شرط الافادة المراد من الكلام ليس شرطاً في الجملة . وفي ذلك يقول ابن هشام : ولهذا « تسمعهم يقولون : جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة . وكل ذلك ليس مفيداً فليس كلاماً » (٥) .

(٣) شرح المفصل ج ١ ص ١٨ .
(٤) مغني اللبيب ج ٢ ص ٣٤ .
(٥) المغني ج ٢ ص ٣٤ .

وإذن فالجملة كل إسناد ، سواء أفاد فائدة يحسن السكوت عليها أم لم يُفد . وهي أعم من الكلام كما يقول الصبان : « الجملة أعم من الكلام لأنه لا يشترط أن يكون إسنادها مقصوداً لذاته بخلاف الكلام. » (٦) ومعنى أن يكون الإسناد مقصوداً لذاته أن يكون قائماً بنفسه غير متعلق بغيره تعلق تبعة ، وأن معنى الإسناد على جانب من الاستقلال يمكن أن يُدَلّ عليه ، وأن يكتفي به من يتلقاه غير منتظر ممن يلقيه إليه ما يكمله أو يتم فائدته .

أقسام الجملة :

وقد قسموا الجملة باعتبارات متعددة فقالوا : الجملة اسمية أو فعلية أو ظرفية ذلك بحسب المسند فيها ، وقالوا الجملة إما صغرى وإما كبرى بحسب استقلالها أو تبعيتها لجملة يكون عليها عماد الكلام .

الجملة إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا يكون وقد ذكروا في الجمل التي لها محل من الإعراب أنواعاً منها ما يقع موقع المفعول أو موقع المضاف إليه أو المجزوم بوقوعه شرطاً أو جواباً لشرط .

وذهب بعضهم الى أنها الجملة قد تقع فاعلا . وذلك في نحو قوله تعالى (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين) (٧) .

وهذا مذهب لم يرتضه جمهور علماء العربية . وقد قال فيه ابن هشام : « إن الصواب خلاف ذلك » . (٨)

وذلك لأنهم لا يجيزون وقوع الفاعل إلا اسماً صريحاً أو مصدراً مؤوّلا فهو في حكم الاسم الصريح ، لأن الفاعل عندهم كالجزء من فعله ، ودليلهم

---

(٦) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج ١ ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .
(٧) يوسف الآية ٣٥ .
(٨) المغني ج ٢ ص ٦٧ .

على ذلك ضمير الرفع الذي يتصل بالفعل مثل حضرتُ وحضروا . وهذا مذهب لا يخلو من اعتساف وتحكّم واقحام لأمور لا علاقة لها بنظم الكلام وتركيبه (٩) .

جمـلة الوصــف

ومن الجمل التي لها محل من الإعراب التابعة لمفرد . وهي في الغالب صالحة للتأويل بمفرد ، وهي التي نحن بصدد تفصيل القول فيها .

وهي تقع وصفاً بالمعنى الواسع للوصف ، وسيأتي بيان ذلك . وتقع بياناً بالمعنى الواسع للبيان أيضاً ، وتلك هي الجملة الواقعة في زعمهم بدلاً من جملة أو من مفرد .

والمقصود بالوصف ـ بمعناه الواسع كل ما يتلبس باسم ذات يوضح غموضاً قد يعتريه ، أو يحدد معناه ويخصصه ، أو يجعل من لفظين مفردين متصفٍ ووصف عبارة ذات معنى ، وتركيباً ذا دلالة ، ذلك هو الخبر ، وكذلك النعت والحال .

فمن أمثلة وقوع الجملة نعتاً قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (١٠) وقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (١١) .

وقوله جل شأنه (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا) (١٢) .

(٩) لعل من المفيد الرجوع الى بحث الفاعل في كتاب «نحو القرآن» ومسالة وقوع الفعل او الجملة فاعلاً ص ٣٠ .
(١٠) النور الآية (٣٧) .
(١١) التوبة الآية (١٠٣) .
(١٢) المائدة الآية (١١٤) .

الجملة نعتاً :

والجملة تقع نعتاً للأسماء النكرات لأنها تحتاج الى التخصيص والتوضيح إن لم يكن المراد بها هو العموم المطلق والإبهام المقصود .

يقول ابن مالك :

ونعتوا بجملة منكّرا   فأعطيت ما أعطيته خبرا

واشترطوا في جملة النعت أن تكون جملة خبرية أي أن تكون مما يحتمل الصدق والكذب ، فلا يجوز عندهم أن ينعت بالجملة الإنشائية . ولقد اتفق أهل العربية على ذلك في جملة النعت ، ولكنّ فيهم من أجاز في الجملة الواقعة خبراً (للمبتدأ أو لما يحتاج الى الخبر) أن تكون إنشائية وسيأتي تفصيل ذلك .

ولقد عللوا ذلك بأن الصفة — أي النعت — يؤتى بها لإيضاح نعوت وبيان صفته بذكر حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب وهو قادر على أن يصل الى معرفتها ، لأن لها في خارج الكلام وجودا .

أما الإنشاء كالأمر والنهي والاستفهام فهي ليست بأحوال ثابتة للموصوف وإنما هي طلب واستعلام لا يختص به شخص بعينه (١٣) .

وقد يكون معنى هذا بعبارة اخرى أن الإنشاء مما ليس له في خارج الكلام نسبة تصدقه أو لا تصدقه ، وأنه لا يمكن أن يصل إليه من يتلقى الكلام إلا إذا أنشأه المتكلم ، فهو إذن لا يصح أن يوصف به أو ينعت ، لأن أساس المسألة في النعت أن يختص بما ينعته فيخصصه ويوضحه ، وذلك مشروط بإمكان الوصول إليه حتى لو لم ينشئه المتكلم .

على أنهم وجدوا في كلام العرب أنهم نعتوا بالجملة الإنشائية . من ذلك قول الراجز :

(١٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٣ ص ٥٢ .

حتى إذا جنّ الظـلام واختلـط

جاءوا بمذقٍ هـل رأيت الذئب قط

فوقعت جملة الاستفهام « هل رأيت الذئب قط » نعتاً لـ « مذق » هذا ظاهر الكلام . إلا أنهم يؤوّلون فيزعمون أن في الجملة قولاً مقدراً ، فكأنه قيل « جاءوا بمذق مقول فيه هل رأيت الذئب قط » ، فهو استفهام على الحكاية . ومثله قول أبي الدرداء « وجدت الناس أخبر تقلَه » . وهو أيضاً مقدر فيه قول محذوف (١٤) كأن التأويل وجدت الناس يقال فيهم أو مقولاً فيهم « اخبر تقله » أي جرّب تهجر . وللصبان في ذلك قول هو أدنى الى طبيعة الكلام العربي وأعمق في فهم هذه الظاهرة وأولى بالقبول . يقول الصبـان : « إن الغرض من النعت تميـيز المنعوت للمخاطب ، ولا يتميّز له إلا بما هو معلوم عنده قبل الخطاب ، والانشائية ليست كذلك لأن مدلولها لا يحصل إلا بها . » (١٥)

الجملة خـبراً

وتقع الجملة خبراً والخبر وصف ، ولكنه وصف إسنادي فهو عمدة ، وهو المسند في الكلام .

ولقد أجازوا الإخبار بالجملة مطلقاً سواء كانت الجملة مما يحتمل الصدق والكذب أم لم تكن كذلك . أي سواء في جواز الإخبار الجملة الخبرية والجملة الإنشائية . ذلك مذهب الأكثرين . وكأنهم يلحظون أن الجملة حين تقع خبراً إنما هي عمدة بما أنها في موقع المسند ، وهي إذن تكاد تقوم بنفسها وتستقل بموقعها وتؤدي معنى الوصف الإسنادي في شيء من الاستقلال والامتياز ، بخلاف جملة النعت فإنها تحتاج الى ما يصدق وجود معناها

(١٤) شرح ابن يعيش على المفصل ج ٣ ص ٥٣ .
(١٥) حاشية الصبـان على الاشموني ج ٢ ص ٢٠٤ .

في خارج الكلام لأنها في موقع التبعية فهي تابعة ملحقة بمتبوع هو المنعوت . والنعت لا يقوم ولا يفيد إلا بما هو معلوم فعلاً لدى المخاطب أو ما يصح أن يكون معلوماً عنده .

والجملة يصح أن تكون خبراً إذا قام معناها في نفس المتكلم ، سواء كان قيام ذلك المعنى بالخبرية وهي وجود النسبة في خارج الكلام أم كان قيامه في ما ينشئه المتكلم ويكشف عنه بالطلب وما يجري مجراه من أساليب الإنشاء كالاستفهام ونحو ذلك .

يقول الصبان وهو يتحدث عن الخبر حين يكون جملة موازناً بينها وبين جملة النعت : « ولا فرق بين أن تكون خبرية أو إنشائية على الصحيح ، بخلاف النعت فلا يصح بالإنشائية . » . وهـــو يوضح ذلك ويشرح أسبابه قائلا : « والفرق أن الغرض من النعت تمييز المنعوت للمخاطب ، ولا يتميّز له إلا بما هو معلوم عنده قبل الخطاب ، والإنشائية ليست كذلك لأن مدلولها لا يحصل إلا بها » . (١٦) .

وقد نقل الدماميني عن بعض المتأخرين مزيداً من الإيضاح لهذا المذهب في جواز الإخبار بالجملة الإنشائية ، وهذا الذي نقله قريب من تأويلهم جملة الإنشاء حين تقع موقع النعت ، فيقدرون لهـــا ما يقرّبها من الخبر أو يسلكها في نظامه ، كتقدير القول وما يشتق منه في قول القائل :

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقدرون جاءوا بمذق مقول فيه هل رأيت الذئب قط . كذلك الأمر في في جملة الإنشاء حين تقع خبراً طلباً أو غير طلب ، فإنها ليست خبراً باعتبار كونها طلباً أمراً أو نهياً أو غير ذلك . لأن ذلك قائم في نفس المتكلم فلا وجود له إلا إذا تكلّم به ، ولكن خبريّتها تكون باعتبار تعلق هذا المعنى بالمبتدأ .

(١٦) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج ١ ص ٢٠٤ .

فإذا قيل « زيد . أكرمه » فكأنما قيل : « زيد مطلوب إكرامه » أو « زيد مستحق للاكرام » . وإذا قيل : « زيد هل حضر ؟ » فكأن المراد : « زيد مسؤول عن حضوره » ، أو « يُسأل عن حضوره » . (١٧)

وهذا كما نرى ليس ببعيد عن تأويل جملة الإنشاء الواقعة وقع النعت بما بما يقرّبها من الخبرية .

على أن وقوع الإنشاء موقع الخبر ، وقيام الخبر مقام الإنشاء ليس بدعاً في أساليب العربية . فحين يراد معنى الطلب على صورة من صور التلطف ولطف المدخل الى نفس المخاطب يجاء به على هيئة الخبر ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ...) (١٨) وباب أفعل به في التعجب صورة من صور هذا التعارض بين الإنشاء والخبر . فهو صيغة أمر جيْ بها لا لتدل على معنى الأمر ، وإنما لتدل على معنى يشبه أن يكون خبراً أو قريباً من الخبر . ففي نحو قوله تعالى : (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) (١٩) كأن المراد بذلك والله أعلم — إنهم سميعون بصيرون أشد ما يكون السماع وأقوى ما يكون الإبصار .

ولنلاحظ قول النحاة في هذه الصيغة — صيغة أفعل به — انه فعل ماض جاء على صورة الأمر .

ولابد في الجملة الواقعة خبراً عن مبتدأ من رابط يربطها بالمبتدأ ، اما ضمير المبتدأ نحو زيد يقوم ، أو نحو زيد أبوه قائم ، وإما رابط يقوم مقام الضمير كأل في نحو قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن

---

(١٧) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج ١ ص ٢٠٤ .
(١٨) سورة الصف الآيتان (١٠) و (١١) .
(١٩) سورة مريم الآية (٣٨) .

الهوى فإن الجنة هي المأوى) (٢٠) ، قالوا إن أل قامت مقام الضمير أي « فإن الجنة مأواه » ، تقديراً . وإما إشارة الى المبتدأ تكون في جملة الخبر نحو قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) (٢١) .

وإما أن تكون الجملة هي نفس الخبر في المعنى نحو قوله تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (٢٢) وقوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) .

الجملة حالاً

وإن مما تقع فيه الجملة موقع الوصف ما يعرف ما يعرف بجملة الحال . وهذه هي الجملة التي تأتي وصفاً لاسم معرفة . وهي عند علماء العربية تزول منكرة فيكون بينها وبين ما وصف بها خلاف كالخلاف الذي يكون بين الاسم المعرفة ووصفه باسم نكرة . فينصب ويعرب حالاً .

وهو على كل حال وصف ، إنه أدنى مرتبة من الخبر ولو رقي الى رتبته لبلغ مرتبة الإسناد ولارتفع بذلك كما يرتفع الخبر . وهو أعلى من الوصف التابع وهو النعت ، فارتفع عن التبعية واستحق المرتبة الوسطى من الإعراب وهي النصب .

ومثال جملة الحال قوله تعالى (حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هـذا الاساطير الاولين) (٢٣) ، فجملة يجادلونك حال من فاعل جاءوك وهو واو الجماعة . وكذلك جملة يقول وما بعدها . وكلتا الجملتين صالحة للتأويل باسم مفرد وصف منصوباً على الحال . كأن يقال : مجادلين ، قائلين .

(٢٠) سورة النازعات الآيتان (٤٠ ، ٤١) .
(٢١) سورة الاعراف الآية (٢٦) .
(٢٢) سورة يونس الآية (١٠) .
(٢٣) الانعام الآية (٢٥) .

ولكن من جملة الحال ما يتصدرها الواو التي تسمى واو الحال . قال تعالى (وإذا جاء وكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) (٢٤) .

والمعربون يؤوّلون الجملة بمفرد وصف على نحو داخلين بالكفر وخارجين منه .

ونحو قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) (٢٥) .

وقوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة) (٢٦) وهذه الواو في رأي علماء العربية لا يعمل ما قبلها في ما بعدها إلا على سبيل التشريك في الحكم .

ومذهب الزجاج أن الفعل لا يعمل في المفعول وبينهما الواو (٢٧) ، والفعل أقل قدرة على العمل في الحال . إذن فهذه « الواو » أشبه ما تكون بواو المصاحبة التي تسمى واو المعية .

فلو أننا احتكمنا الى أصولهم لما جاز لنا أن نعدّ الجملة المصدرة بالواو حالاً ، لأن هذه الواو تحول بين العامل قبلها العمل في ما بعدها الا على سبيل التشريك في الحكم ، وهو غير المراد ، في هذه التراكيب . وهذه الواو لا تخلو — في الحق — من معنى المصاحبة أو المعية .

ويذكر ابن هشام أن سيبويه والأقدمين يقدرون هذه الواو بـ « إذ » (٢٨) . ويسميها بعضهم واو الابتداء ، ولا ندري ماذا يعني بذلك ، فهي إن كانت ابتداء الجملة لم يصح أن تعد الجملة بعدها حالاً .

(٢٤) سورة المائدة الآية (٦١) .
(٢٥) سورة الانعام الآية (١٠٠) .
(٢٦) سورة آل عمران الآية (١٢٣) .
(٢٧) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ج ١ ص ١٥٥ .
(٢٨) المغني ج ٢ ص ٢٢ .

يقول ابن هشام : ويقدّرها سيبويه والأقدمون بـ « إذ » ، لا يريدون أنها بمعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم ، بل انها وما بعدها قيد للفعل السابق كما أن إذ كذلك . (٢٩) .

على أن معنى المصاحبة في هذه التراكيب لا يخلو من معنى الحال ، وهو وصف الهيئة . ففي نحو قوله تعالى : (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون) (٣٠) وقوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)(٣) ما يشعر بالمعنيين معاً ، ولكن معنى المصاحبة هو الأوضح .

ثم إن جملة الحال في العادة يمكن تأويلها بمفرد أو احلال اسم مفرد محلها ، ولكن هذه الجملة المصدرة بالواو لا يمكن على الدوام تأويلها باسم مفرد أو احلال المفرد محلها . بل الأصح أنها لا تستوي هي والجملة غير المصدّرة بالواو من حيث إحلال اسم المفرد محلها . فإن المثال الذي ضربه ابن مالك في قوله :

وموضع الحال تجيء جملة كجاء زيد وهو ناو رحلة

لا تستوي فيه هذه الجملة وقول القائل جاء زيد ينوي رحلة ، أو جاء زيد قد نوى رحلة من حيث صحة تأويل هاتين الجملتين بمفرد من غير اختلاف بين المعنيين كبير .

إذن فإن للجملة المصدّرة بالواو خصوصية لابد أن يلحظها من ينعم النظر في معاني النحو وأساليب الكلام .

ولنعد الى تأمل ذلك في قوله تعالى (وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا الكفر وهم قد خرجوا به) فإن معنى الواو فيها معا لا يجوز أن يستغنى عنه بحال .

---

(٢٩) سورة يوسف الاية (١٤) .
(٣٠) سورة آل عمران الاية (١٢٣) .

جملة الصلة

ويقتضينا استكمال البحث في الوصف بالجملة أن نعرض بجملة لم يونّها النحاة ، أو ما بين أيدينا من كتبهم ، حقّها من البحث والدرس . تلك هي جملة الصلة التي تقع بعد الاسم الموصول فتكشف حقيقة وتزيل ما فيه من إبهام وهو يُفتقر إليها افتقاراً أصيلاً كما يقول النحاة .

وإذن فإن فيها من المعنى ما في جملة الوصف وزيادة . والنحاة ينظرون فيها من جهة الإعراب ، كما هو شأنهم في كثير من قضايا التراكيب بل في أكثرها . وكأنهم يرونها جزءاً من الموصول ، لشدة افتقاره إليها ، أليست تسمى صلة الموصول ؟ والموصول بلا صلة لا قوام له ولا معنى ولا كيان .

ومن جهة الإعراب فقد ذهب جمهور النحاة الى أن الإعراب يقع على اسم الموصول نفسه ، وأن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب ، وإلى ذلك ذهب ابن هشام .

ويبدو أن بعض النحاة في زمنه كان يرى أن الموصول وصلته معاً لهما موضع الإعراب . وهو يتهكم بمن كان يلقن أصحابه أن يقولوا إن الموصول وصلته في موضع كذا محتجاً بأنهما ككلمة واحدة (٣١) .

وهو يرد على هذا القول ردا يوحي ويدل دلالة ضمنية على أن لجملة الصلة مكانها من التركيب فهي إذن تستحق أن يكون لها شيء من الإعراب ، أي أن تكون من الاسم الموصول بمثابة الوصف ، أو شيئاً أزيد من الوصف . وهو يقول في بيان ذلك : « إن الإعراب يظهر في نفس الموصول نحو ليقم أيّهم في الدار ، ولألزمنّ أيّهم عندك ، وامرر بأيّهم هو أفضل.. وفي التنزيل (ربنا أرنا اللذين أضلانا) (٣٢) وقرئ « أيّهم أشد » بالنصب .. ذلك في قوله تعالى (ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) (٣٣)

(٣١) المغني ج ٢ ص ٦٥ .
(٣٢) سورة فصلت الاية (٢٩) .
(٣٣) سورة مريم الاية (٦٩) .

ثم إن الإعراب يظهر في صلة (ال) وهي عندهم اسم موصول إذا اتصلت بوصف اسم فاعل أو اسم مفعول كما في قوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ... والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) (٣٤) .

وإذا كانت الصلة حين تكون اسماً مفرداً مستحقة للاعراب فإن هذا يعضد ويقوي ما ذهب إليه الدماميني – في ما نقله عنه المرزوقي – من أنه ينبغي أن يكون لجملة الصلة محلّ من الإعراب لوقوعها موضع المفرد (٣٥) .

ان هذا يعني من جهة المعنى أن الصلة جملة تابعة للموصول وتبعيتها – كما هو واضح – تبعية وصف بالمعنى الواسع له . فهي اشبه بالنعت واكثر منه وأقوى موقعاً في الكلام . بل هي – إن صح التعبير – في منزلة بين الخبر والنعت، لأن الاسم الموصول مقتصر إليها في دلالته محتاج إليها في تمام معناه.

فائدة الوصف بالجملة :

إن في الوصف بالجملة فائدة التفصيل ، وبسط معنى الوصفية ، بحيث ينص فيها على المعاني المستفادة من الإسناد : إما معنى الزمن على اختلاف صوره ماضياً او حالاً أو استقبالاً إن كانت جملة الوصف فعلية . أو ينصّ فيها على معنى الاتصاف المستمر الثابت كما في الجملة الاسمية ، أو ينصّ فيها على أجزاء معنى الوصف ولواحقه ومكمّلاته كالذي يستفاد من الظرف والجار والمجرور ونحو ذلك .

إن في ذلك زيادة واضحة على معنى الوصف بالاسم المشتق المفرد ، أو بالمصدر الذي يراد به كل ما يمكن أن يدل عليه أو يشتق منه . والله أعلم .

---

(٣٤) سورة الاحزاب الآية (٣٥) .

(٣٥) حاشية المرزوقي على مغني اللبيب ج ٢ ص ٦٥ .

بلاد الروم

قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه

ـ ٢ ـ

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

ا ـ القوات البرية :

أولا التنظيم :

تطور جيش الروم بالتدريج أسوة بالجيوش العالمية الاخرى ، فقد كان الناس في أوائل أدوار تمدنهم قبائل يدافع عنها القادرون على حمل السلاح من رجالها ، فاذا هدد القبيلة خطر عسكري ، اجتمع رجالها بلا ترتيب ولا نظام، وبعد المعركة ينال كل فرد من أفراد القبيلة من الغنيمة ما يستطيع الحصول عليه بنسبة شجاعته وقوة شكيمته ونفاذ شخصيته . ولما تحضر الناس وتقاسموا الأعمال ونشأت الدول ، كان من أقدم المهن عندهم الكهانة والجندية .

وأول دولة نظمت الجند على أسس تنظيمية ثابتة هي الدولة الفرعونية في مصر ، فقد جندت جنداً من الزنوج والأحباش حوالي القرن العشرين قبل الميلاد ، أخضعت بهم سكان سواحل البحر الأحمر ، ثم انتشر أمر التجنيد في الدول القديمة : الآشورية ، والبابلية والفينيقية واليونانية والرومانية والفارسية ... الخ ...

وكان نظام جيش الفراعنة هو نظام الصفوف المتعاقبة المتراصة ، والمشهور

أن رمسيس الثاني هو منظم الجيش المصري على هذا النظام المعروف .

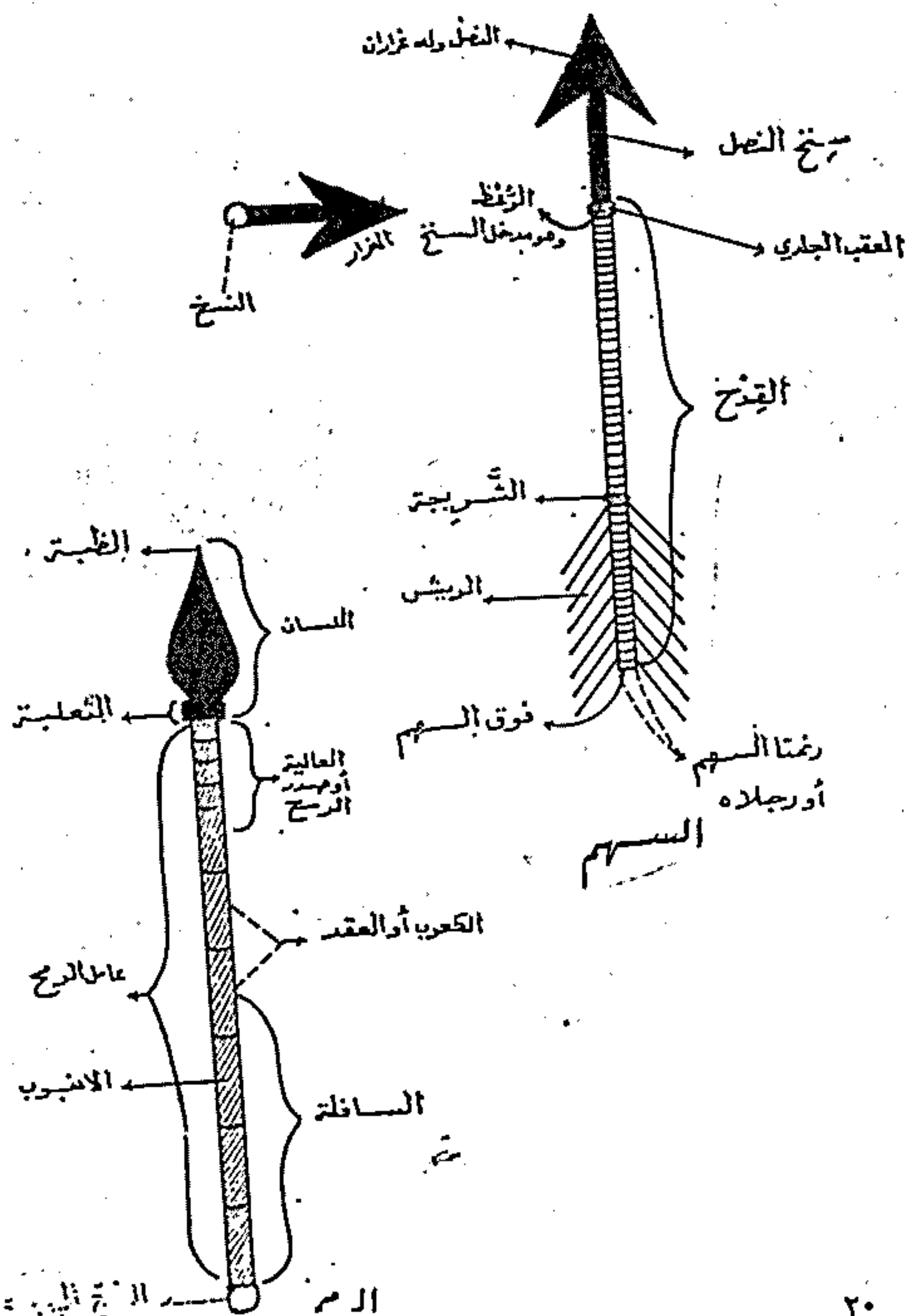
واقتبس اليونان نظام الجند المصري ونوّعوه ، فأنشأوا نظام الفرق ، حيث تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة ، وكانت الفرقة مؤلفة من أربعة آلاف رجل ، يصطف رجالها الواحد بجانب الآخر على بضعة أقدام في صفوف متعاقبة الواحد وراء الآخر ، فجعلها فيليب المقدوني ضعفي ذلك ، ثم جعلها ابنه الاسكندر أربعة أضعاف ، وقارب مابين الرجال حتى كادت تتماس أكتافهم وتترابط تروسهم ، ثم اصطنع لهم رماحاً طول بعضها أربعة وعشرون قدماً . وفي هذا النظام تكون رماح الصف الأمامي قصيرة ، ورماح الصف الذي وراء الصف الأول أطول فأطول ، حتى تبرز رماح الصف الخامس ثلاثة أقدام نحو الأمام . وكان فيليب قد نظم فرقة من الفرسان ، فأضاف اليها ابنه الاسكندر آلات الحرب ومن جملتها المنجنيق ، وبهذا التنظيم تغلب الاسكندر على كثير من الجيوش في كثير من المعارك قبل الميلاد بأربعة قرون .

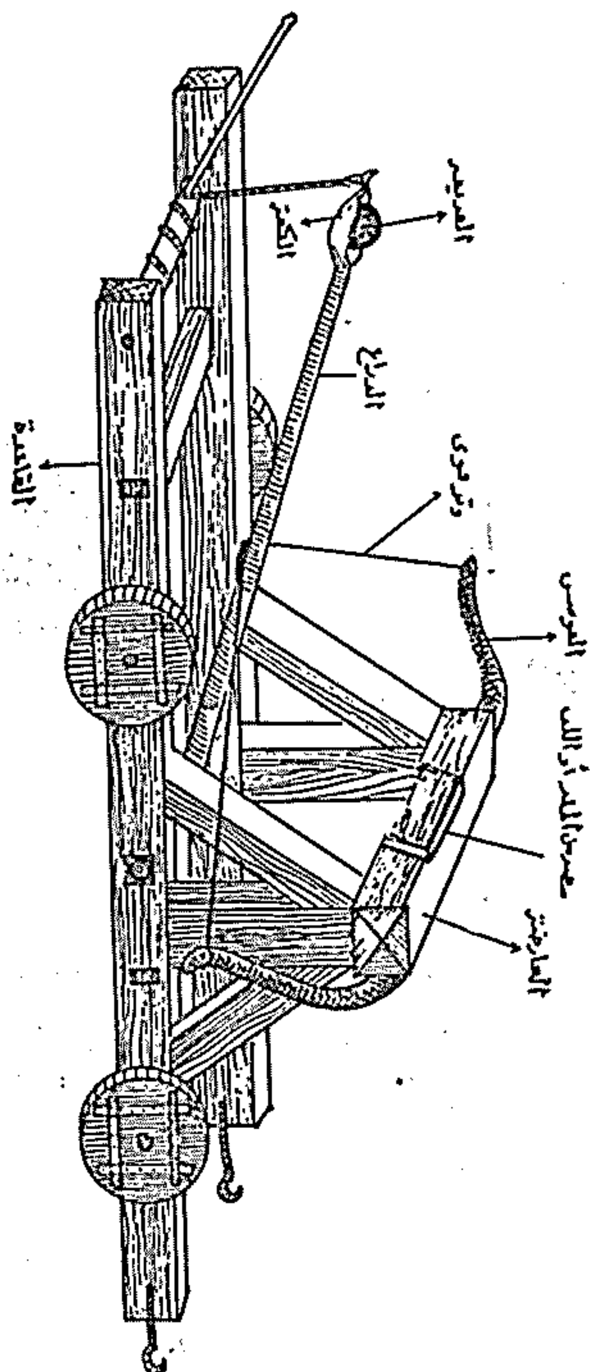
فلما نشأت دولة الروم ، اقتبست نظام الفرق من اليونان ، وأدخلته في تنظيم جيشها البري .

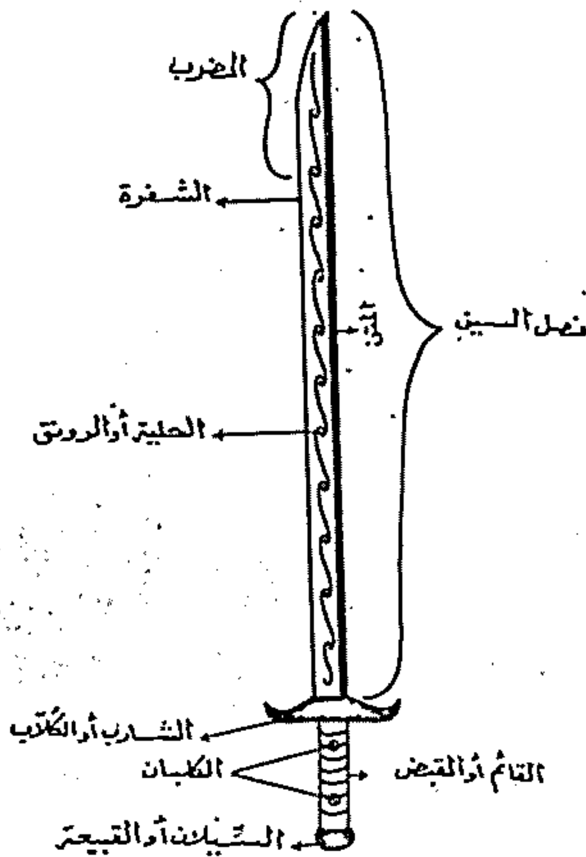
كان الجيش البيزنطي منظماً في فرق ، تعداد كل فرقة عشرة آلاف جندي[1] ، تتألف الفرقة من ثلاث طبقات من المقاتلين : الشباب ومنهم يتألف الصف الأول في الحرب ، والكهول في الصف الثاني ، وأهل الدربة والحنكة في الصف الثالث والصفوف المتعاقبة الأخرى ، وكان يلحق بكل فرقة من المشاة كتيبة من الفرسان تتسلح بالسهام والمقاليق والمزاريق [2] لمشاغلة الأعداء في

(1) في رواية ، ان تعداد الفرقة ستة آلاف جندي ، ويبدو ان التنظيم مرن ، فهو بين العشرة آلاف والستة آلاف .

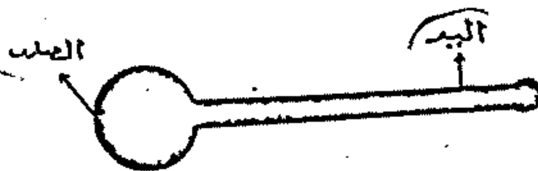
(2) المزاريق : جمع مزراق . والمزراق : الرمح القصير .

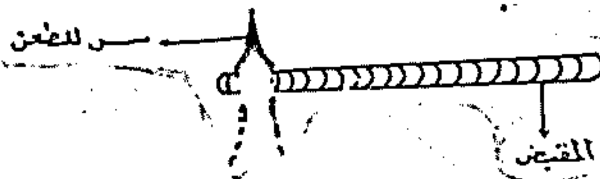

السّهم والرُّمح
النصل وله غزان
مرنخ النصل
الرُّعظ
وهو مدخل السنخ
العقب الجلدي
الغزار
السنخ
القِدْح
الشَّريجة
الريش
فوق السهم
رمتا السهم
أو رجلاه
السهم
الظبة
اللسان
الثعلبة
العالية
أو صدر
الرمح
الكعوب أو العقد
عامل الرمح
الانبوب
السافلة


الذراع
القوس


المضرب
الشفرة
نصل السيف
الحلية أو الرونق
الشارب أو الكلاب
الكلبان
القائم أو المقبض
السيلان أو القبيعة

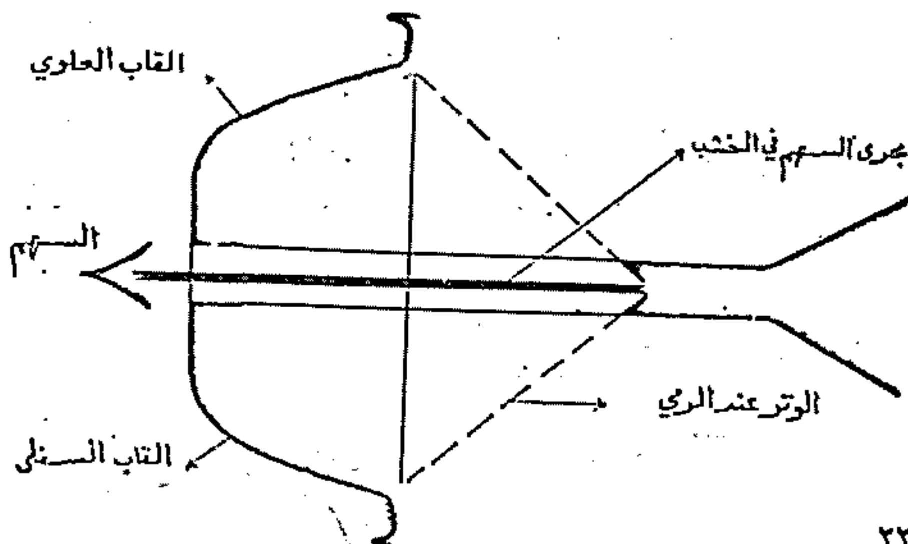
السيف


اليد
الدبوس


سن للطعن
المقبض

القوس

الظفر العلوي
الفرضة أو معقد الوتر
اليد أو السية العليا
القاب العلوي
الوتر عند النزع
المقبض
السهم
وضع الوتر بعد الرمي
القاب السفلى
الرجل أو السية السفلى
الظفر السفلى



حرب المشاة ، ولاجراء الاستطلاع قبل الاصطدام بالقوات المعادية ، ولحماية المشاة قبل الاصطدام بالعدو وأثناءه ، وللقيام بالمطاردة السريعة بعد هزيمة الأعداء .

وكانت كل فرقة من فرق المشاة تضم عشرة آلاف رجل بقيادة بطريق[٣]، وقد قسم الروم الفرقة الى قسمين : كل قسم مؤلف من خمسة آلاف رجل بقيادة (طومرخان[٤] Turmarch) ، وهو ما يشابه تنظيم اللواء في العصر الحديث ، أي أن كل فرقة بيزنطية مؤلفة من لواءين ، تعداد كل لواء خمسة آلاف مقاتل .

وقسموا كل لواء الى خمسة كراديس[٥] ، تعداد كل كردوس ألف رجل، بقيادة قائد اللواء (طرنجارية[٦] Drungairs)

وقسموا كل كردوس الى خمس سرايا ، كل سرية مؤلفة من مائتي رجل[٧] ، بقيادة (قومس)[٨] .

وقسموا كل سرية الى خمس فصائل ، كل فصيلة مؤلفة من أربعين

---

(٣) البطريق : من اشراف الروم يحمل رتبة عسكرية هي رتبة قائد فرقة ، ويشابه في التنظيم الحديث قائد فرقة برتبة لواء .
(٤) طومرخان : قائد لواء يحمل رتبة عسكرية ، تشابه رتبة قائد لواء في الوقت الحاضر برتبة عميد أو عقيد .
(٥) الكراديس : جمع كردوس ، وهي كلمة يونانية معربة استعملها العرب ، ومعناها : الف جندي . والكردوس يشابه تنظيم الوحدة او الفوج في المشاة والكتيبة في الخيالة بالنسبة للتنظيم الحديث .
(٦) طرنجارية : يشابه قائد وحدة ، فوج أو كتيبة في التنظيم الحديث ، الذي يكون برتبة مقدم .
(٧) يشابه تنظيم السرية في الوقت الحاضر .
(٨) قومس : يشابه قائد سرية في الوقت الحاضر الذي يكون برتبة نقيب او رائد .

رجلاً [٩] بقيادة (قمرطخ)[١٠] .

وقسموا كل فصيلة الى أربع حضائر ، كل حضيرة مؤلفة من عشرة جنود بقيادة (الدمرداغ) وهو ضابط صف (انظر المخططات المرفقة) .

هذا هو مجمل تنظيم جيش الروم البري حين ظهر الاسلام وفي أيام الفتح الاسلامي على عهد الخلفاء الراشدين وبنى أمية ، لذلك قسم خالد بن الوليد رضى الله عنه جيشه الى كراديس في معركة اليرموك الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٣٤م) ، وهي تعبية لم تعبّها العرب من قبل [١١] ، وقسم الكردوس الى عشرة أقسام ، على كل قسم (نقيب) ، وقسم كل قسم من تلك الأقسام الى عشرة أقسام فرعية ، على كل قسم منها (عريف) .

ولو لم يطوّر المسلمون تنظيم جيشهم في معركة اليرموك ، لكان من المشكوك فيه أن ينتصروا ، لأن الروم كانوا متفوقين عليهم فواقاً ساحقا .

ثانيا . التسليح :

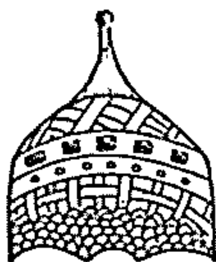
كان الفرسان والمشاة في جيش الروم، يقسمون الى فرق خفيفة السلاح، وفرق ثقيلة السلاح .

وكان الفارس ذو السلاح الثقيل يلبس الخوذة الفولاذية ودرعاًمن الزرد يكسوه من رقبته الى فخذيه وقفازاً من الحديد وأحذية من الفولاذ . وكان يحمل عباءة خفيفة يرتديها فوق سلاحه صيفاً وعباءة فضفاضة من الصوف يتدثر بها شتاء . وكان سلاحه سيفاً عريضاً وخنجراً ورمحاً وقوساً للرماية

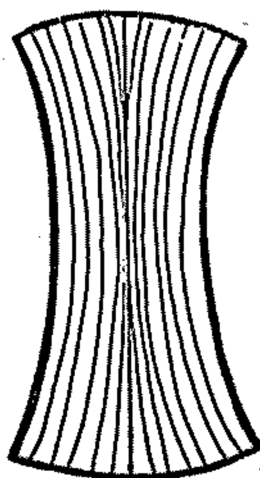
(٩) يشابه تنظيم الفصيلة في الوقت الحاضر التي تكون بقيادة ملازم .
(١٠) قمرطخ : رتبة عسكرية لقائد الفصيلة ، تشابه رتبة الملازم في الجيوش الحديثة .
(١١) الطبري (٣٩٦/٢) وابن الأثير (٤١١/٢) .



الدرع حلقات منسوجة ـ الدرع البتراء



الخوذة



الترس المستطيل



الترس المقبب

وجَعْبَة [١٢] للسّهام .

واذا كان الفارس ممن يقفون في الصفوف الأمامية ويقوم بالهجوم ، وضعت دروع فولاذية على صدر حصانه وعصابات فولاذية على جبهته .

وكان الفارس ذو الأسلحة الخفيفة عادة من الرماة ، ويرتدى سترة من الزرد .

أما الجنود المشاة المسلحون بالأسلحة الثقيلة ، فيرتدون دروعاً من الزرد تغطى انصاف أجسادهم العليا وخوذاً فولاذية . وكانت أسلحتهم السيف والرمح وفأساً لها نصل قاطع من ناحية وسن مدببة من ناحية أخرى .

وكان الجنود المشاة المسلحون بالأسلحة الخفيفة ، من الرماة بالقوس ، أو من الذين يطعنون بالحراب ، ويلبسون قمصاناً طويلة من الزرد تصل الى الركب أو دروعاً خفيفة في بعض الأحيان ، ويحملون جعباً للسّهام فيها أربعون سهماً ، ويحملون فؤوساً في أحزمتهم ، وكانوا يعلقون على ظهورهم تروساً صغيرة مستديرة .

وكان للروم آلات ثقيلة كالبرج والعَرّادَة [١٣] والدبابة والكبش ، تحمل بجانب متاع الجيش على الحيوانات أو العجلات .

ويغلب أن كلمة : (برج) مشتقة من اليونانية ، وقد وضعت لبرج متحرك شُيِّد من الخشب ومغطى بالجلد والحديد ، وكان يُستعمل للاقتراب من الحصون والمدن المنيعة لاقتحامها ولقذف السهام أو الاحجار أو أية مقذوفات أخرى . وفي معظم الأحيان يُجرّ البرج على العجلات الخشبية أو الحديدية

(١٢) الجعبة : وعاء السهام والنبال .
(١٣) العرادة : آلة من آلات الحرب القديمة ، وهي منجنيق صغير .

أو يدفع على اسطوانات ، ويتألف البرج من عدة أدوار فوق بعضها يوصل اليها بدرجات من الداخل ، وينتهي البرج بقنطرة خشبية يمكن القاؤها على الحصن أو السور ليرقى عليها الجنود في هجومهم على العدو •

والعرادة آلة أصغر من المنجنيق ، تُلقى بها الحجارة على أبعاد كبيرة ، وقدعرفها الفرس وعرفها كثير من الأقوام الأخرى أيضاً •

والدبابة آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال ، فيدبّون بها الأسوار ليثقبوها ، وهي برج متحرك له أحيانا أربعة أدوار : أولها من الخشب، وثانيها من الرصاص ، وثالثها من الحديد ، ورابعها من النحاس الأصفر • وتصعد الى طبقات الدبابة الجنود لثقب الحصون وتسلق الأسوار ، وكانت الدبابات تسبق المشاة حتى تقترب الى مسافات قصيرة من مواقع العدد أو حصونه ، وهناك تعمل عملها في قذف الحجارة أو كرات النار المشتعلة أو النبال • وكان القادة يخصصون عددا من الجنود للسير خلف الدبابة ، حتى يسوّوا طريقها ويزيلوا الموانع التي يضعها العدو في طريقها •

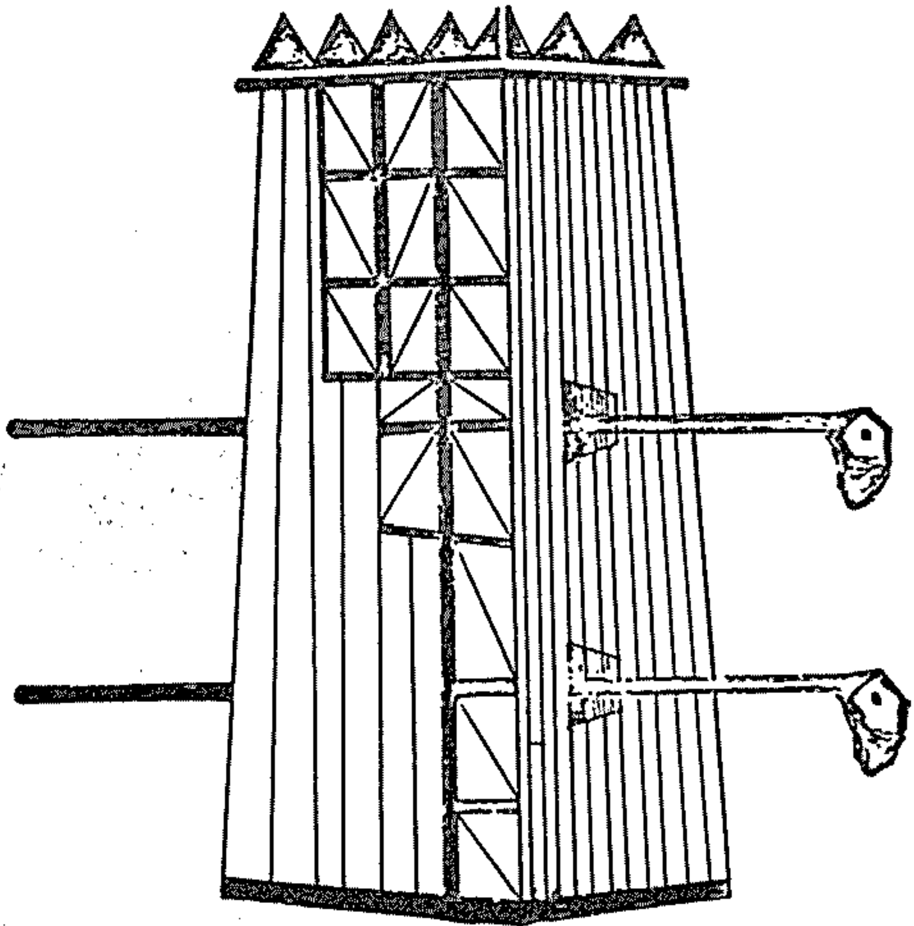
والضّبر [١٤] ، وجمعه : ضبور ، مثل رؤوس الاسفاط ، يتقى بها في الحرب ، وهي جلد يغشى خشبا ، يكمن تحته الرجال عند الهجوم أو الانسحاب ، ويحتمون به في تقدمهم الى الحصون لدق جدرانها أو نقبها •

والعيار[١٥] قطعة من الجلد أو القماش قوية قليلة العرض مطوية ، تمسك من طرفيها ، ويوضع الحجر أو الحصاة أو قطع الحديد أو الرصاص المصوب نحو الهدف في وسطها •

---

(١٤) الضبر : الدبابة كانت تتخذ من الخشب يغشى بالجلد ، يحتمي به الرجال ويتقدمون الى الحصون لدق جدرانها ونقبها .

(١٥) العيار : ماخوذة منها كلمة : العيار الناري ، وهي قذيفة تطلق من المسدس ونحوه .



الكبش



والمقلاع [١٦] مكون من كفة توضع فيها القذيفة مربوطة بثلاثة حبال أو سيور متينة ، تمسك من أطرافها ، وبعد تدويرها مرارا باليد يفلت طرف واحد من الحبال أو السيور المذكورة ، فيقذف ما في الكفة الى بعد شاسع بقوة واندفاع .

والكبش [١٧] آلة من خشب وحديد ، تجر بنوع من الحبال ، فتدق الحائط فينهدم . وأصل الكبش دبابة ولكن له رأس في مقدمه مثل رأس الكبش ، يتصل داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال ، تجرى على بكرة معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرها . ويتعاون الجنود الذين يتحصنون داخل الكبش مع آخرين استتروا بدروعه ووقفوا خلفه ، على ضرب السور حتى يخرقوه .

والمنجنيق آلة قديمة من آلات الحصار ، كانت ترمى بها حجارة ثقيلة أو حديد أو نار على الأسوار فتهدمها أو تحرقها .

ومن المجانيق أنواع لرمي السهام التي توضع في المنجنيق ، وترمى عنها بالأقواس الى مسافات بعيدة وقوة خارقة . وأخرى لرمي الحجارة حتى تهدم الحصون ، وثالثة لرمي قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النيران الاغريقية.

والنفاطة أداة يرمى بها النفط ، لاحراق ما يمكن احراقه من خيام العدو ومعسكراته وأبنيته وحصونه وملاجئه .

ثالثا . الأسلحة [١٨] :

المشاة : وهم الذين يسيرون على أقدامهم ، ويكون أكثر الجيش البري

(١٦) المقلاع : ما يرمى به الحجر .
(١٧) الكبش : آلة من آلات الحرب ، كانت تستعمل في الحصار ، لقذف الحصون .
(١٨) أسلحة الجيش : المصطلح العسكري الذي يراد به : صنوف الجيش .

مؤلفا من سلاح المشاة ، وقديما قالوا : «المشاة سيد الاسلحة» .

والفرسان أو الخيالة ، هم الذين يمتطون الخيول ويتدربون على الفروسية ، والقتال على الخيول كرا وفرا ، ويتعلمون حماية المشاة في مسير الاقتراب ، والهجوم بالخيل ، والاستطلاع قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، وحماية المشاة في الانسحاب ، والقيام بالمطاردة . ويعتمد هذا السلاح على سرعة الحركة ، وعلى المباغتة ، وعلى التأثير المعنوي على العدو .

والمهندسون ، وهم الفنيون الذين يشرفون على آلات الحصار ، ويرافقون الجيش لتمهيد الطرق واستطلاع المعابر واقامة القناطر والجسور ، وانشاء الاستحكامات ، وتدمير حصون واستحكامات الأعداء .

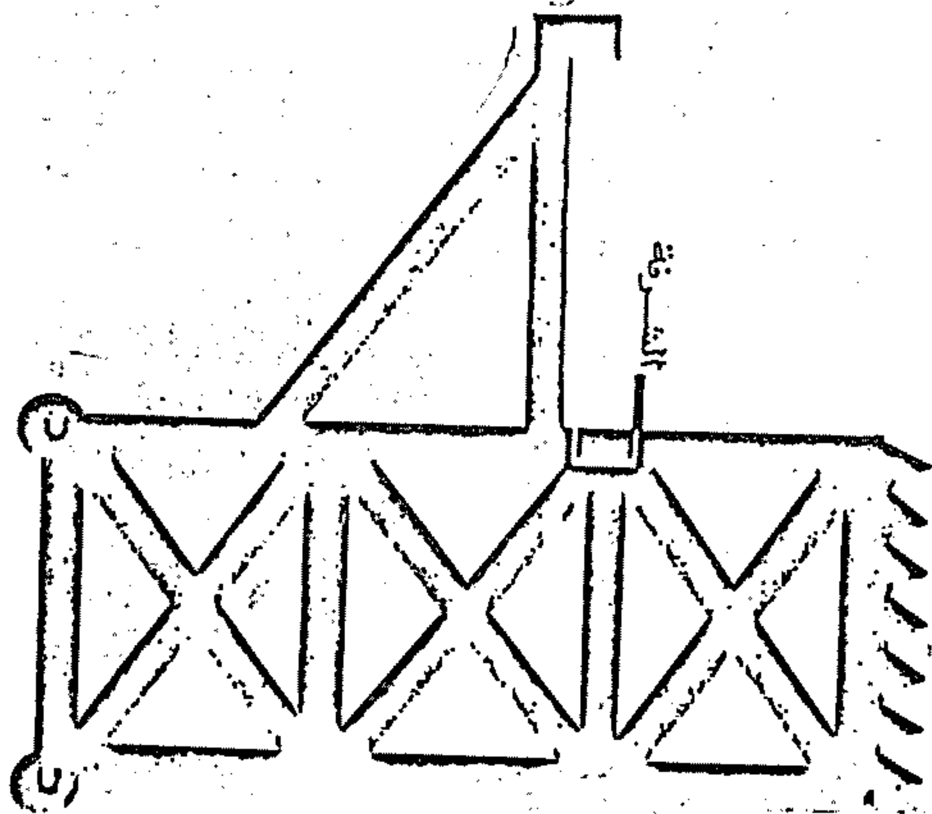
والنفّاطة ، وهم الذين يقذفون النفط على العدو ، ويعدّون وسائله للقذف ، وللنفاط ثوب خاص يرتديه كي لايصاب بأذى من النفط .

والسيّافة ، وهم المدربون على استعمال السيوف راكبا وراجلا في قتال العدو ، والماهرون منهم في استعمال السيف ، هم الذين يبادرون بالخروج الى المبارزة .

والرمّاحة ، وهم المسلحون بالرماح، الذين يتقنون استخدامها في القتال.

والنشّابة ، وهم المدربون على رمي السهام . والماهرون في اصابة أهدافهم اصابات دقيقة هم الرماة ، ويستعان بهم في الرصد وقتل قادة العدو ورجالاته ، وفي اصابة حراس الأسوار والحصون ، ولهم ميزة خاصة وحظوة دون سائر أقرانهم عند قادتهم .

والمنجنيقيون ، وهم المدربون على تشغيل المنجنيق واستخدامه ، وتشغيل أشباهه واستخدامه في ميادين القتال .



الدبابـة

وسلاح الاشارة ، وهم الذين يؤمنون الاتصال بين القائد وقواته داخليا، وبين تلك القوات ومقراتها العليا خارجيا •

وسلاح النقل ، وهم الذين ينقلون السلاح والذخيرة والتموين ومواد العينة والقضايا الاخرى من قواعد الجيش الى ساحات القتال ، وينقلونها من ساحات القتال الى قواعدها ، ويخلون الخسائر من الخطوط الامامية الى المستشفيات •

والأطباء، وهم المسؤولون عن معالجةالمرضى والجرحى من أفراد الجيش، ويشرفون على اخلائهم الى الخلف •

والمرّضون ، وهم الذين يعاونون الاطباء في حمل رسالتهم الطبية ، وينوبون عنهم في معالجة المرضى والجرحى عند غيابهم أو عدم تيسرهم •

والبياطرة ، وهم المسؤولون عن علاج الخيل والبغال وحيوانات النقل الاخرى •

ورجال الدين ، وهم المسؤولون عن غرس العقيدة وشحذها والتحريض على القتال ورفع المعنويات بين المحاربين من رجالهم •

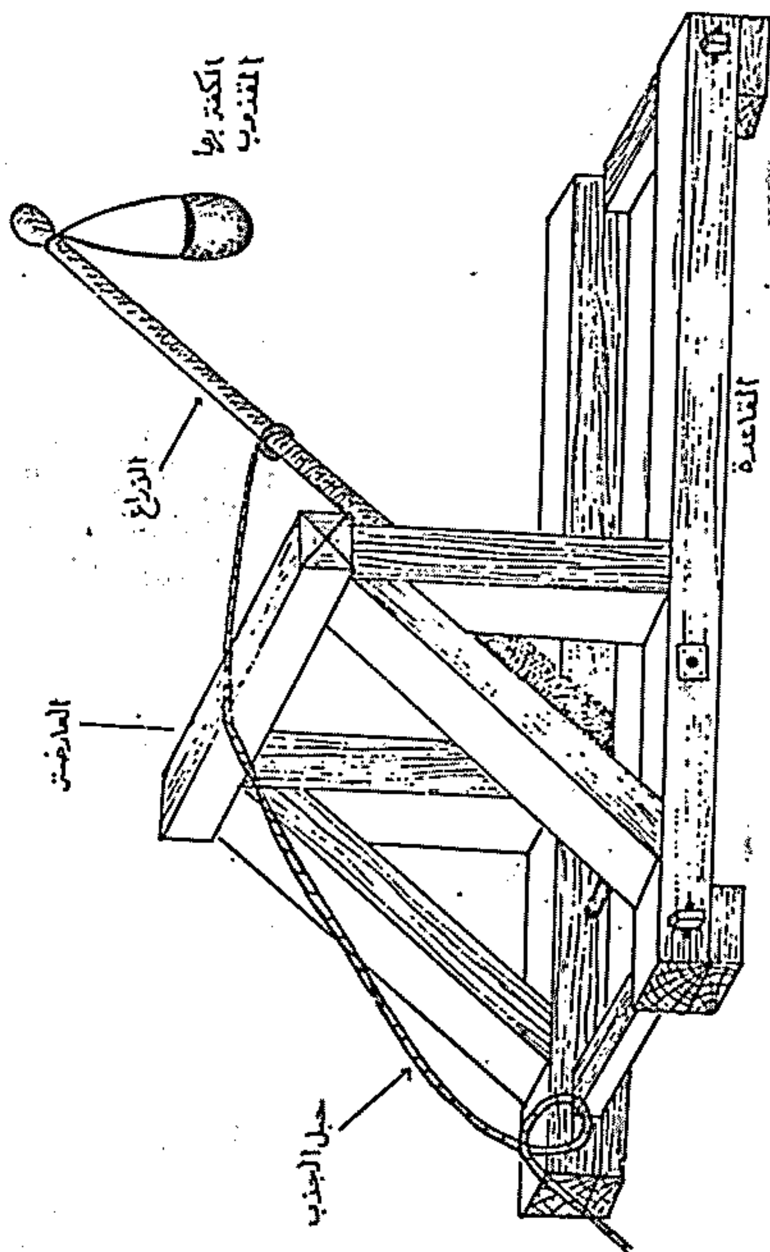
وسلاح الميرة والتموين، وهم المسؤولون عنالتموين للمقاتلين وحيوانات نقلهم ، وتزويدهم بما يطعمون ويشربون •

وسلاح العينة ، وهم المسؤولون عن السلاح والذخيرة والتجهيزات والمواد الاخرى •

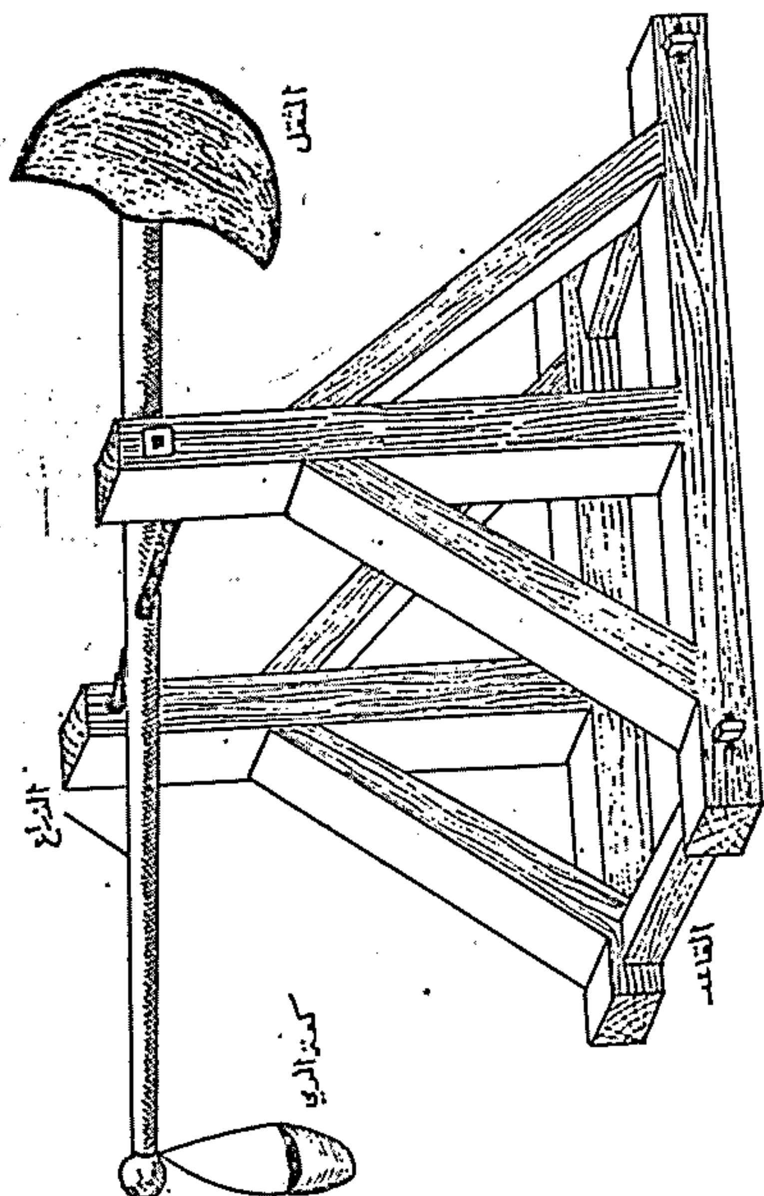
رابعا • التعبئة :

كان الروم يعتمدون الحذر والحيطة في قتالهم ، وقلما يبادرون الى

المنجنيق



المنجنيق



اتخاذ الأساليب الخطرة في الحرب وممارسة المجازفة في القتال •

وكان شعارهم الحربي : أقصى المكاسب ، بأقل الخسائر •

وكان على القائد أن يستوثق من الظروف الملائمة للعمليات العسكرية قبل المشاركة في أي اشتباك حربي ، فالهرب المصطنع ، والمباغتة ، والهجوم الليلي ، والكمائن ، والتظاهر بحضور المدد الكبير ، وابراز أعداد مبالغ بها في حماية الأسوار عند محاصرة المدن والحصون ، والمفاوضات الطويلة لكسب الوقت ، كل هذه الاساليب وأشباهها وسائل مقبولة في الجيش البيزنطي ، ويجري التدريب عليها نظريا وعمليا وممارستها •

وكان الجندي الذي يعتمد على القوة حيث يغني الدهاء في كسب النصر، يعتبر أبله وجنديا لا كفاية له ، ولا بأس بارسال خطابات مريبة لقادة العدو ، لبذر الشقاق بينهم وبين قادتهم ، كما أنه لا بأس باخبار الجند بانتصارات وهمية لرفع معنوياتهم •

وكانت قوة الروم في أجهزة مخابراتهم ، فقد جعلوا شغلهم الشاغل دراسة سبل عدوهم في الحرب ، ومواجهتها بأفضل الطرق واستحصال أدق تفاصيل المعلومات عن عدوهم •

وكان للروم مقدرة عالية في الحصار ، ولهم قواعد خاصة تختلف تبعا لنوع البرج المحاصر والبيئة المحيطة به ، وكانت هذه القواعد تطبق ، ولكنها لم تكن جامدة ، بل تتسم بالمرونة •

وكانت قوة جيش الروم في خيالته الثقيلة ، وكان نظامه العسكري محكما ، وخدماته الادارية جيدة وذات كفاية •

وكانت له فرق طبية خاصة ، وكان الفرسان التابعون للخدمات الطبية ،

يحملون الجرحى من ميدان المعركة الى أطباء الجيش في المؤخرة •

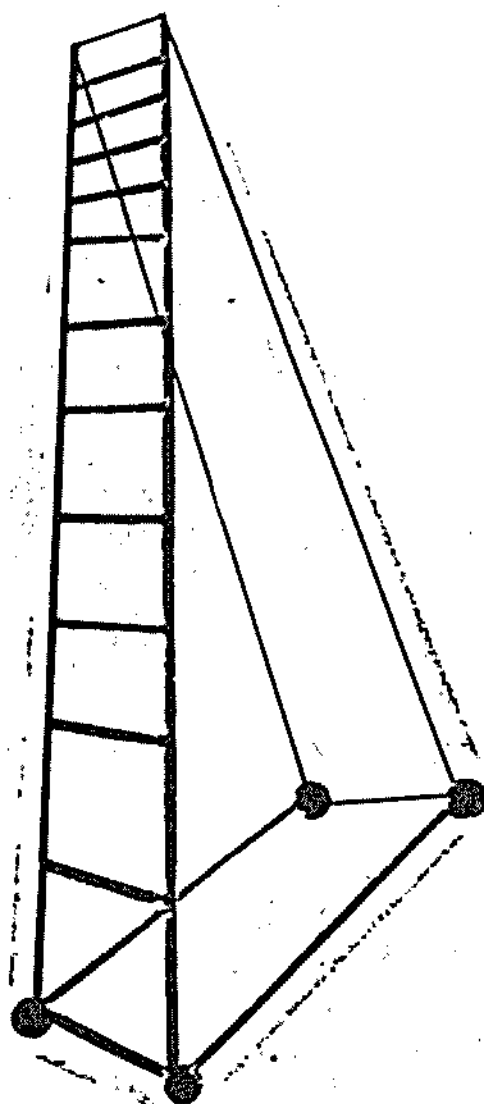
كما أن سلاح هندسة الروم متمرس على ازالة العقبات الطبيعية ، له خبرة جيدة بازالتها ، قادر على اقامة المعابر والقناطر والجسور ، وترميم الأسوار والحصون وادامتها اذا أصابها العطب •

وكانت له أساليب معلومة في اختيار المعسكرات وحمايتها ، وتعاليم خاصة في مسير الاقتراب وفي الدفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، وفي زرع الكمائن والربايا في الحروب الجبلية •

وكان يهتم كثيرا بتطبيق مبدأ : (الأمن) لقواته المحاربة ، كما يهتم بمبدأ : (حشد القوى) و (رفع المعنويات) و (تأمين القضايا الادارية) •

وكان للروم مؤلفات فنية عسكرية ، يتعلمون ماجاء فيها ، ويتدربون تدريبا عسكريا على العمل بموجب مبادئها وتفاصيلها ، ويطبقون محتوياتها بحرص وكفاية •

لقد كانت للروم فنون تعبوية معروفة من الناحيتين النظرية والعملية ، وكان مجموع الجيوش البرية النظامية في القرن التاسع الميلادي مائة وعشرين ألفا ، ويقدر في زمن جستنيان بمائة وخمسين ألفا • وكان سكان الولايات الثغرية المختلفة يتحملون نفقات الجيوش العاملة فيها ، ومعلوماتنا عن الجيوش المحلية في الولايات قليلة لاتكفي لاعطاء صورة وافية عن تعدادها وتنظيمها ، ولكن الجيوش المحلية كانت أقل تدريبا وكفاية من الجيوش النظامية ، وكان نظام منح الارض نظير الخدمة العسكرية الذي طبق في القرن الميلادي على حرس الحدود ، قد ظهر ثانية واتسع نطاقه في الولايات الثغرية ، وكان لايجوز انتقال هذه المنح ، لان منحها كان يتضمن الزاما بالخدمة في الجيش يرثه الابن عن أبيه ، فكانت الجندية من المهد الى اللحد ، يرثها الخلف عن السلف • لقد كانت القوى العسكرية مصدر قوة الدولة الحقيقية دون منازع •

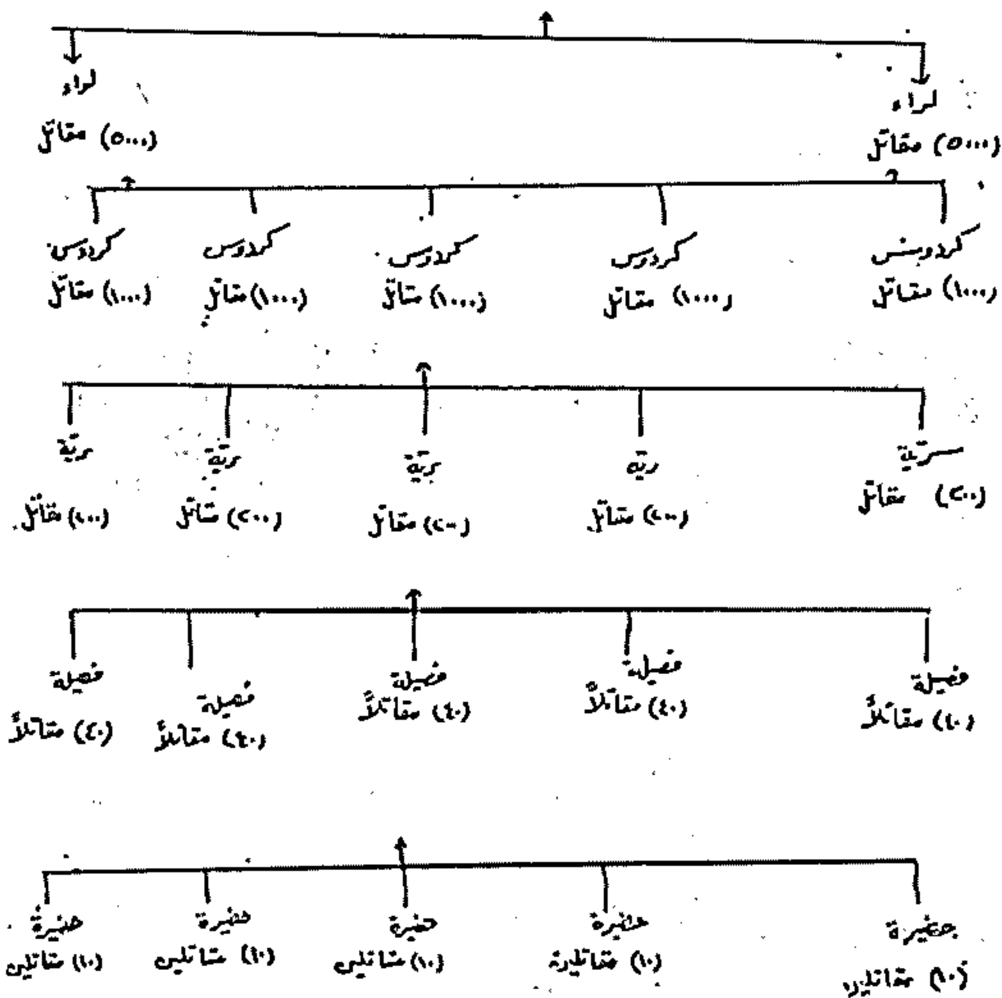


السـلم

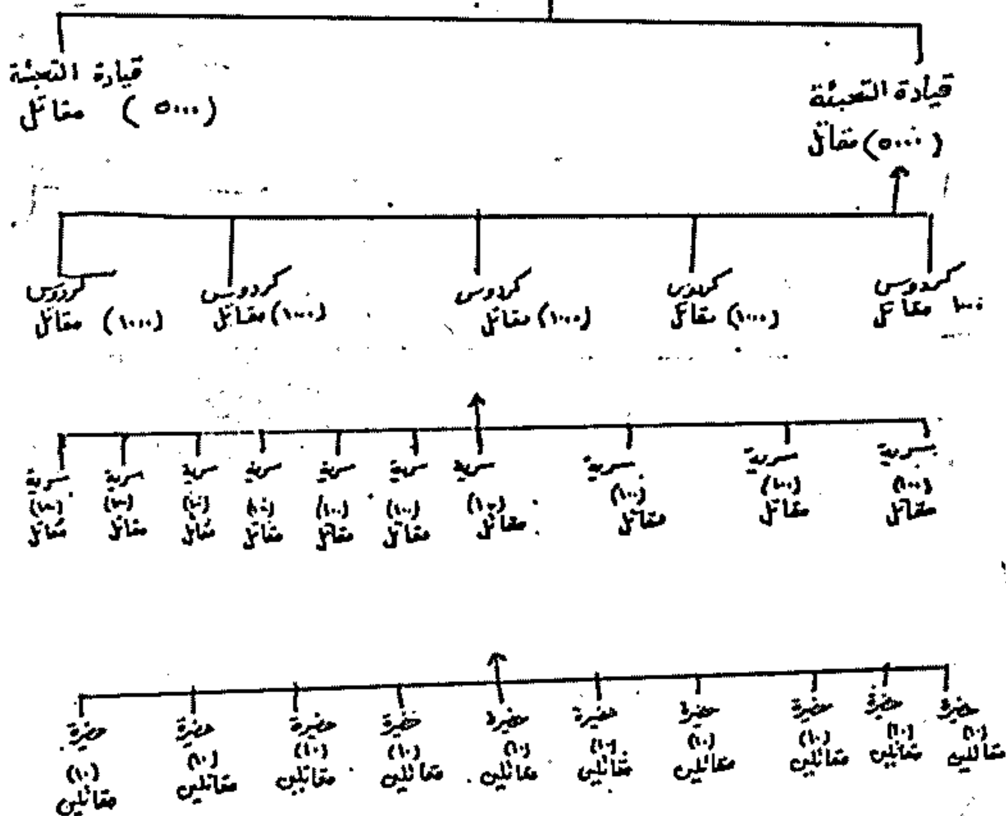
تنظيم قوات الروم البرية

الفرقــة

(١٠٠٠٠) مقاتل



تنظيم قوات المسلمين البرية



ملاحظة

لم يكن اسم الحضيرة يطلق على الوحدة التعبوية الصغيرة المؤلفة من عشرة مقاتلين في العصر الإسلامي الأول، ولقد وضعناها للإيضاح فقط، لهذا اقتضى التنويه.

قيادات قوات الروم البرية ومقارنتها
بقيادات قوات المسلمين البرية على عهد الخلفاء الراشدين
وعهد الدولة الأموية ، وقيادات قوات الجيوش البرية الحديثة

التسلسل	عدد المقاتلين	قيادة الروم	قيادة المسلمين	الرتب العسكرية حاليًا
١	١٠٠٠٠	بطريق	أمير الجيش	لواء
٢	٥٠٠٠	طومرخان	أمير التعبئة	عميد أو عقيد
٣	١٠٠٠	طرنجارية	أمير الكردوس	مقدم
٤	٥٠٠	القومس	قائد السرية	رائد أو نقيب
٥	١٠٠	—	نقيب	—
٦	٤٠	القرطخ	—	ملازم
٧	١٠	الدمرداخ	عريف	رقيب

ب ـ القوة البحريــة :

اعتبر الروم القوة البحرية أقل أهمية من الجيوش البرية ، وقد اتجهت رومة الجمهورية الى البحر مكرهة ، ويصدق الحكم نفسه على الامبراطورية البيزنطية ، فقد بنى الأسطول الروماني تحت ضغط الحروب البونية ، وأبقي عليه ليقوم بمراقبة البحار ، ولقهر القراصنة ، وحماية واردات الحبوب المنقولة لرومة والقسطنطينية •

وقد اعتمد حكام القسطنطينية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين في الدفاع البري عن ممتلكاتهم على التحصينات الضخمة والمراكز القوية التي أقاموها على حدودهم وفي داخل أراضيهم جريا على سياسة الروم التقليدية ، ولكن البيزنطيين وسعوا مجال التحصينات وزودوهــا بحاميات نظامية ، مع الاستعانة بقوات من الجنود المحليين أو المعاهدين من مستوطني الريف المجاور•

وهكذا كانت المنظومة الدفاعية في مناطق البحر الأبيض المتوسط حتى فتوح المسلمين تقتصر على الاكتفاء بقوات صغيرة من الجنود المحترفين ، تشد أزر قوات الدفاع المحلية في مناطق الخطر •

ولكنه كان للروم في القرن السابع الميلادي قواعد بحرية ودور للصناعة في قرطاجنة وعكا والاسكندرية والقسطنطينية ، حيث تم بناء كثير من السفن الحربية الخفيفة السريعة بجانب قواعد أخرى في سرقوسة بصقلية وفي سبتة وجزر البليار • اذ بدأت الدولة ببناء أسطولها حين ظهرت على المسرح قــوة العرب البحرية ، واضطرت بسبب نشاط معاوية بن أبي سفيان البحري الى الشروع في بناء أسطول بكل ما لديها من جد وعزيمة ، فظهرت خلال القرن السابع الميلادي قيادة بحرية واحدة عليا ، وهي قيادة أميرال (أمير البحر) ، وتخضع لقيادته منطقتان لكل منهما أسطول يقوده نائب أميرال (نائب أميرال

(نائب أمير البحر) ، كما كانت ولايات أخرى تجهز القوى العسكرية اللازمة للأسطول ، ولكن ليو الثالث بعد حصار المسلمين للقسطنطينية ، اعتمد في قوته على جيش آسيا الصغرى البري ، وكذلك فعل خلفه قسطنطين الخامس •

وكان سبب الغاء القيادة العليا الموحدة للأسطول ، هو أن الاسطول نادى بنائب الأميرال امبراطوراً سنة (٦٩٧م) وأسقط الأمبراطور سنة (٧١٣م) وسنة (٧١٦م) ، مما أدى الى اضعاف الأسطول البيزنطي خوفاً على العرش من قادة الأسطول •

والراجح أنه كان للدولة أساطيل اقليمية تشبه أساطيل الامبراطورية • وفي الحرب كانت الدولة تعزّز أسطولها بعدد من السفن التجارية ، لنقل الجنود والامدادات والأسلحة والذخيرة والمواد •

ولم تواجه البحرية البيزنطية عدواً خطراً حتى ظهور الأسطول الاسلامي، فتغيرت تنظيمات البحرية البيزنطية على أثر ضغط الهجمات الاسلامية في القرنين السابع والثامن ، فوضع على رأس كل اقليم قائد حربي له السلطة الحربية والمدنية معاً ، فأتاح ذلك وسائل فعالة للدفاع ، وقد طبق هذا التنظيم في البحرية والجيش البري معاً •

كان تنظيم القوة البحرية البيزنطية في صورته الأخيرة أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلاديين عبارة عن أسطول حربي ، قوامه أسطول مركزي امبراطوري في القسطنطينية بقيادة القائد الأعلى للبحرية مباشرة أو عن طريق نائب للقائد الأعلى • وهناك أسطولان اقليميان في الشرق هما أسطول بحر ايجة وأسطول جنوب آسيا الصغرى ، ويخضع كل منهما لقيادة نائب أمير البحر (عميد بحري) ، والى جانبهما قطع بحرية صغيرة في بلاد الشرق • وفي الجانب الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، رابط الأسطولان

الاقليان الرئيسان في صقيلة وفي رافنا ، ويحتمل وجود أسطول اقليمي ثالث في افريقية حتى الفتح الاسلامي لهذه البلاد . وقد احتفظ الأسطول البحري الامبراطوري وكل أسطول اقليمي بمستلزماته الخاصة من سفن الحرب والتجارة ودور الصناعة وأحواض البناء والمعدات البحرية الأخرى على نفقة الأقاليم التي تقيم فيها الأساطيل [١٩] .

مما تقدم ، يظهر أن بحرية الروم كانت تتألف من بحرية تابعة للامبراطورية ، وهي جاهزة لدعم البحرية الاقليمية ، تتحرك لنجدتها عند الحاجة ، وهي بسيطرة مركزية بقيادة قائد أعلى بحري ، يتسلم أوامره من الامبراطورية مباشرة . لذلك فان هذه البحرية تكون بحرية سوقية ، وتكون احتياطاً عاماً للبحرية الاقليمية ، تتدخل في الحروب التي لا تستطيع البحرية الاقليمية معالجتها كما ينبغي .

أما الخط الأول من البحرية البيزنطية ، فهي البحرية الاقليمية التي تكون مسؤولة عن المناطق النائية عن العاصمة القسطنطينية ، وهذه البحرية مسؤولة عن احباط الاعتداءات الخارجية باتخاذ الاجراءات الفورية لدرئها ، فاذا استطاعت التغلب عليها فانها لا تطلب سند بحرية الامبراطورية ، والا فانها تستمد عونها وتطالب بسندها .

وهذه البحريةالاقليمية، تتبع الحكام المحليين من الناحية العملية ، ولكنها مسؤولة أمام مرجعها الأعلى في القيادة العليا للبحرية التي مقرها القسطنطينية من الناحية الفنية . لذلك كانت هذه البحرية ــ بسيطرة غير مركزية ــ تتلقى أوامرها من الحكام المحليين ، لمعالجة الحروب المحلية ، وقد تتجه من منطقتها لنجدة المناطق المهددة الأخرى بأوامر من القيادة العليا للبحرية البيزنطية . لذلك

(١٩) الحدود الاسلامية البيزنطية ــ فتحي عثمان (٢٢٧/١ ــ ٢٣٠) .

كانت البحرية الاقليمية بحرية تعبوية ، أو هي الخط الأول الأمامي للبحرية البيزنطية الامبراطورية •

وحين كانت البحرية البيزنطية أقوى من بحرية الأمم الأخرى في حوض البحر الابيض المتوسط ، جعلت من هذا البحر بحيرة بيزنطية وسيطرت تلك البحرية على الشرق الأوسط •

وحين أصبحت بحرية المسلمين أقوى من بحرية البيزنطيين في البحر الأبيض المتوسط خسر الروم أرض الشام ومصر وشمال افريقية وخسروا الجزيرة وأصبحوا مهددين بعقر دارهم من الفاتحين المسلمين •

ان السيطرة بالبحرية على البحر الابيض المتوسط ، تؤدى الى احراز النصر والسيطرة على منطقة هذا البحر ، كما حدث للفينيقيين واليونان والرومان والروم والعرب في الأزمنة الغابرة وكما هو مسجل في صفحات التاريخ ، وكما حدث في العصور المتأخرة بالنسبة للبرتغال والاسبان وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية •

لا عجب اذاً ، من تنافس الدول الكبرى في العصور المتعاقبة القديمة والوسطى والحديثة على السيطرة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، لأن ذلك يؤدي الى السيطرة العالمية •

وليس في مقدورنا أن نقدر بالتأكيد القوة التي كان عليها أسطول بيزنطة عادة ، وتدل التفاصيل التي بين أيدينا عن الحملة البحرية البيزنطية الوحيدة ــ التي نملك عنها تفاصيل ــ على أن عدد السفن كان مائة سفينة من الأسطول الامبراطوري ، وسبعاً وسبعين من أسطول الولايات ، بينما كان عدد التجارة (٢٣٠٠٠ ــ ٢٤٠٠٠) من تجارة الامبراطورية و (١٧٥٠٠) من تجارة الولايات •

ويظهر أن عدد سفن الأسطول التي أمكن جمعها لحملة بحرية أيام ميخائيل الثالث (٨٥٨م ــ ٨٥٩م) بلغ عددها ثلاثمائة مركب • وكان رجال الشغن يتكونون من رعايا الامبراطورية ومن المتبربرين المستقرين في أرض الدولة مثل : (المردائيين Mardates)[٢٠] ومن المرتزقة الأجانب مثل الروس الذين استخدموا أول مرة في الأسطول ، كما يظهر ، زمن الاسرة المقدونية • ويبدو من كتاب : (Tactica) أي الفنون الحربية الذي كتبه ليو السادس ، أن رجال الأسطول كانوا بحارة وجنودا • ولكننا نلحظ في حملة سنة (٩٠٢م) أن جنود الأسطول كانوا شيئاً آخر غير المجدفين ، وكانت السفن المسماة (درموند spuowoɹᗡ) وهي السفن الكبيرة في العصور الوسطى ، واللفظ مشتق من الكلمة اليونانية : (dromos)أي السفينة ، كانت هذه السفن تبنى في الغالب بصفين من المجاديف [٢١] ، وتحمل فوق المائة رجل في الغالب وفيها سبعون من جنود البحر ، والباقون من المجدفين والملاحين •

وبجانب ذلك ، كان هناك سفن ذات طراز مختلف ، منها ما هو أكثر سرعة يسمى : (Pamphylus, Pamphylis) ، وهي ذات صفين من المجاديف ، ومن هذا النوع كانت سفينة القيادة التي تحمل العلم ، وهذا النوع من السفن يستعمل في القتال والمطاردة •

(٢٠) المارداثيون : هم جماعة جبلية كانت تسكن نواحي لبنان من قديم الزمان، وكانت الدولة البيزنطية تستخدمهم في الدفاع عن حدودها الشرقية . فلما فتح المسلمون بلاد الشام تراجعوا الى آسيا الصغرى ، وهناك اقاموا يحاربون في صفوف الدولة البيزنطية ، وظلوا يسببون لخلفاء المسلمين متاعب جمة . وظل الامر على ذلك حتى عقد عبدالملك بن مروان مع الامبراطور جستنيان الثاني صلحا اشترط فيه أن تنقل الدولة البيزنطية جماعات المارداثيين الى ولايات الدولة الداخلية ، فانقطع بذلك شرهم عن المسلمين . انظر : Vasiliev : op. cit. 1, p. 185,

(٢١) الامبراطورية البيزنطية (١٩٣ ــ ١٩٤) .

وكانت هناك سفن بصف واحد من المجاديف : (Galleys) تستخدم للاستطلاع ونقل الرسائل ، كما كان الأسطول الامبراطوري والأسطول الاقليمي أو المحلي يستعين بالسفن التجارية عند الحاجة •

وتوضع في مقدمة السفن آلات" تقذف النيران الاغريقية المخيفة ، وكان التجارة يجهزون بقنابل يدوية تحتوي على نفس المادة القاتلة التي كانت تنفجر بقوة ، على الرغم من أنها كانت لا تأتي بالنتائج التدميرية المرجوة ، ولكنها على كل حال تؤثر في المعنويات تأثيراً عظيما ، أو ترسل تلك النيران بأوعية خلال الهواء بالمنجنيقات ، وربما استخدمت قذائف في دفع مواد سريعة الالتهاب خلال أنابيب باتجاه أهداف بعيدة • وقد حفظ تركيب النار الاغريقية سراً مصوناً ، وكانت لها مخازن ومستودعات في المدن البحرية الكبرى •

وتتسم سياسة الروم البحرية في القتال ، بنفس الحذر الذي كانت تتسم به خططهم العسكرية التعبوية منها والسوقية ، فقد كان أمير البحر في الدولة الشرقية لا يحارب الا اذا كانت جميع الظروف مواتية له ، أو اذا رأى أنه لابد من الحرب لحماية احدى مقاطعات الروم • غير أنه لا سبيل الى الشك في أن الملاحين لا يعتمد عليهم في الغالب ، وكان أهم ما يشغل بال أمير البحر هو أن يدبر أمره في حالة ما اذا هدده الجنود بالانقضاض من حوله (٢٢) •

وليس بين أيدينا سوى القليل من الكتابات عن الفن البحري عند الروم،

---

(٢٢) الامبراطورية البيزنطية (١٦٤) ، لان جنود السفن يتكونون من رعايا الامبراطورية ومن الفرنج والروم والافريقيين ومن المرتزقة الاجانب مثل الروس ، والروم الشرقيون وحدهم كانوا من الذين يعتمد على اخلاصهم وولائهم ، لالتزامهم بالدفاع عن وطنهم وممتلكاتهم ، أما غيرهم فلا التزام يشدهم الى الحرب غير الارتزاق ، وهذا يتبخر عند الخطر .

ولكن ما وصل الينا يدل على توجيههم نفس العناية الدقيقة التي كانوا يوجهونها الى علوم العمليات البرية في الجيوش البرية البيزنطية ، الى مبادىء الحرب البحرية وفنون القتال البحري • فقد درس أمراء البحر البيزنطيون الأوصاف الطبيعية للسواحل والبحار والجزر ، وخصائص الرياح بأنواعها والمد والجزر، وأتقنوا فن الخطط والعمليات البحرية ، وجهوا الى فنون الاستطلاع والحصول على المعلومات من مصادرها بشتى الوسائل والاتصالات والاشارات اهتماماً يعادل اهتمام المحاربين في البر • وعلى الرغم من تعدد فترات النشاط البحري، فقد ظل الأسطول مجالا للخدمة العسكرية أقل امتيازاً من غيره ، فكان الجندي البري يتقدم البحار دائماً ، ولم تكن رومة الجديدة في هذه الناحية بالذات كما رأينا ، الا محافظة على تقاليد العاصمة الغربية القديمة •

وكان رجال البحر ــ كما هو الحال في رجال البر ، يتكونون من أسلحة مختلفة : رماة ، ومنجنيقيون ، ونفاطة ، ومهندسون ، وأطباء ، وممرضون ، وأرباب حرف ، واداريون لتصليح السفن وادامتها ، ومجدفون مدربون على الجدف المتواصل الطويل ، الذين مارسوا واجباتهم ، ولهم قابلية على الاستمرار في عملهم مدة طويلة دون كلل أو ملل •

ولكن الأسطول البيزنطي أخذ يتداعى خلال القرن الحادي عشر الميلادي، ودليل ذلك أن السلاجقة وصلوا الى ساحل آسيا الصغرى الغربي خلال العقد السابع من هذا القرن ، وشاعت الفوضى في الولايات التي كان يجمع منها أكبر جانب من القوى البحرية البيزنطية ، لأنه ثبت للحكومة المركزية أن القيادة البحرية العليا كانت دافعاً قوياً لمن يحملها ويحوزها على التفكير في اغتصاب السلطان ، ومن المرجح أن هذا العامل كان له أثر كبير في الهبوط بالقوة البحرية •

ولو قدر للقسطنطينية أن يكون لها أسطول قادر ، لتوجهت الحملة الصليبية الى مصر لا الى القسطنطينية ، وبالرغم من أنه توفر للامبراطورية حينما انتعشت بعد ذلك ، في ظل باليولوجس (١٢٥٨م – ١٢٨٢ م) ، اسطول نشيط على صغره ، الا أن الأيام العظيمة ذهبت مع أمس الدابر الى غير رجعة (٢٣) •

٦ – الفكر البيزنطي :

أ – التعليم :

ربما كان الرهبان والقس البسطاء ، يرون في المعارف القديمة شراكاً من شراك الشيطان ، ولكن أبدى أباطرة متلاحقون رغبة في رعاية الجامعات وترقيتها ، وفي زيادة عدد المدرسين ، وفي انشاء المكتبات ، وجمع مخطوطات الآداب القديمة •

وفي القرن الرابع الميلادي ، كان يتدرج الشاب من الطبقة العليا في مراحل التعليم ، فيبدأ الصبي يتعلم القراءة والكتابة في الخامسة أو السادسة من عمره • وفي العاشرة أو الثانية عشرة كان ينصرف الى دراسة النحو ، ولا يقتصر النحو على تعريف الاسماء والافعال وقواعد تركيب الجمل ، بل كان يضم الى جانب ذلك دراسة الآداب القديمة • وحين كانت العبارة تقرأ ، كانت تعرب وتحلل ، وتفسر كلماتها الصعبة والغريبة ، وتدرس اشتقاقاتها الصرفية، ويبين المعنى المراد ، وتعرف قيمته الأدبية ، وكانت تستعمل لهذا المعجمات والشروح والكتب ذات الحواشي والتعليقات • وكانت الروايات المحزنة والمضحكة تقرأ كذلك ، ولم يعترض أي أب من الآباء على الفحش الكبير الذي يرد في روايات الهزليين •

(٢٣) الامبراطورية البيزنطية (١٩١ – ١٩٢) •

وفي سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، كان الولد يهجر النحو الى البلاغة ، وكان الطالب يدرس كتب عدة مؤلفين من كتّاب النثر بخاصة ، وكان الأستاذ يقرأ مثالا مختاراً من أسلوب انشائي معين بصوت مرتفع ، ويطلب الى التلاميذ أن ينشئوا موضوعاتهم على مثاله • وفي ذلك العصر الـذي كانت الثقافة فيه تتركز في المراسلات، كان لابد من دراسة مفصلة لفن كتابة الرسائل• وكانت الرسائل النموذجية تقرأ بصوت مرتفع في المدرسة ، اذ لابد للرسالة من أن تبرز شخصيةالكاتب ، وأن تكون قصيرة مصوغة بأسلوب بليغٍ صافٍ • وكان لابد من أن تكون اللغة فيها سهلة تتخللها الأمثـال الكثـيرة • وكان الاهتمام في الكتابة ينصب على المبنى أولا ، وأما المعنى فأهميته أقل من المبنى ومن هنا تبدو لنا مراسلات تلك المدة متكلفة خالية من العنصر الانساني ، وأنها قد تنحط في كثير من الأحيان الى عرضٍ يدل على اطلاع واسع ولكنه جامد لا حياة فيه •

وكانت السنة المدرسية تبدأ في الخريف ، وتدوم دون انقطاع حتى بداية الصيف ، ثم تتبع ذلك العطلة وتدوم أربعة أشـهر في فصل الحـر • وكانت الدروس تدرس في الصباح ، كما كان بعض الطلاب الكبـار يستمعون الى المحاضرات بعد الظهر • وفي أيام الأعياد وميلاد الملوك وغيرها ، كانت المدارس تقفل أبوابها ، وتقام مصارعات الوحوش والألعاب والروايات في دار التمثيل، وحتى الأساتذة المسيحيون لم يروا أدنى ضرر من أن يتردد الطلاب على دور التمثيل • وكانت تفرد أيام للخطابة بين حين وآخر ، يلقى فيها ذوو الكفايات الخطابية من الطلاب أو الأساتذة نماذج خطابية ، ويدعى لسماعها الأصدقاء والآباء • وكثيراً ما كان الطلاب يـتمرئون الكسـل ، كما كانت المشاجرات شائعة بينهم •

وكانت جامعة أثينا ماتزال في القرن الرابع الميلادي أشهر مركز لدراسات

البلاغة ، والى تلك الجامعة يعزى ما كان قد بقى لها من الأهمية • وكان الطلاب القادمون من نواحي الامبراطورية المختلفة يميلون بالطبيعة الى أن يدرسوا على أساتذة من بنى جلدتهم ، وكان أساتذة الفلسفة في الغالب غرباء • وكان الأساتذة أعداء بعضهم بعضاً في كل مكان ، حتى ان قساً منهم يرى واجباً على طلابهم أن يجعلوا عيش زملائهم منغصاً ما أمكن ذلك • وكان تلاميذ كل أستاذ للفلسفة في أثينا يكونون جماعة متماسكة ، وكانوا يرون أن الاستماع الى أستاذ غيره خيانة كبيرة • وقد بلغت المنافسة بين هذه الجماعات حداً أضحت المعارك معه تنشب بينهم في شوارع أثينا ، وتستعمل فيها الهراوات والحجارة والسيوف • وكثيراً ما كانت الدراسة تهمل ، لتحمس الطلاب يومئذ لألعاب الكرة كما هي الحال اليوم ، بينما كان يقع الكثيرون من الطلاب تحت عبء الدين لتبذيرهم النقود على النساء المنحرفات •

وكان الطلاب يأخذون في دراسة الفلسفة في سن الثامنة عشرة أو العشرين ، وكانت هذه الدراسة تاج التعليم في القرن الرابع الميلادي • وقد كانت الحكومة هي التي تقوم بالانفاق على المعلمين في مدن مثل الاسكندرية والقسطنطينية ، أما في أثينا فقد كانت موارد الجامعة تزداد بما يقدمه الطلاب المتخرجون من هبات ، فتكفى لسد حاجة الأساتذة ، وكان فهم مؤلفات أفلاطون يستلزم معرفة عامة بقواعد الرياضيات والهندسة والموسيقى والفلك • ومن الصحيح أن العصر كان ينظر الى العلم الطبيعي نظرة ملؤها الريبة ، فكان المسيحي يرى أن الكتاب المقدس قد كشف له عن سر الخليقة ونظامها دفعة واحدة ، وكانمن السهل أن ينزلق المرء ويؤخذ في تيار آراء منحرفة عن الدين• حتى الفلسفة اليونانية المتعلقة بما وراء الطبيعة كانت شيئاً مريبا ، والذي يتفرغ لدراسة أرسطوطاليس في القسطنطينية ، لا يسلم من الجمهور الذي كان ينبه السلطات دائماً الى ذلك المجرم ، فاذا كتب عن الاستدلال أو الطبيعيات ، فقد

استحق الموت بلا ريب ، وكانت تسود أهل الاسكندرية مثل تلك الروح التي دفعت احدى العالمات حياتها ثمناً لفلسفتها •

وانتزعت الاسكندرية قصب السبق من أثينا ، وقد ظلت مدرسة الاسكندرية الفلسفية قائمة حتى عشية الفتح الاسلامي • وانتشرت المدارس في جميع أنحاء الامبراطورية ، وظلت اللغة الاغريقية محتفظة بسكانتها في هذه المدارس ، وكان أعاظم الأساتذة ينظرون بازدراء الى اللغة اللاتينية (اللسان الغربى) ، ولم تكن تدرس اللاتينية بحماسة الا حيث كان يدرس القانون الروماني •

وحتى في القرن الرابع الميلادي نفسه ، كانت الثقافة القديمة تقف موقف المدافع عن نفسها ، لأن تسامح الأباطرة مع الفلسفة اليونانية أخذ يقل بالتدريج • وفي سنة (٥٢٩م) صادر جستنيان الموارد التي كان ينفق منها على تعليم الفلسفة في أثينا ، وأرسل أساتذة الفلسفة الى فارس منفيين ، وقرر أن تستقى ثقافة الروم الشرقيين من أصول مسيحية • وقد أغلق فوقاس (٦٠٢م — ٦١٠م) جامعة القسطنطينية ، وحلت محلها مدرسة دينية أيام هرقل ، وكان التعليم في العاصمة دائماً تحت اشراف البطريرك •

وقد شهد القرن التاسع الميلادي نهضة في تعلم الفلسفة والعلم اللذين كانا يلقيان عوناً صادقاً من الأباطرة ، وقد أعاد القيصر بارداس انشاء الجامعة القديمة في القسطنطينية ، وعين لها أساتذة في الهندسة والفلك وفقه اللغة ، ولم تنقطع الدراسات القديمة بعد ذلك الى سقوط القسطنطينية سنة (١٤٠٤م)، غير أن الكنيسة كانت تنظر اليها بعين الريبة •

ولا نسمع عن التعليم القانوني الا قليلا ، فلم يكن في القسطنطينية خلال القرن الحادي عشر الميلادي من الدراسة القانونية شيء يفي بالحاجة ، وقد

أنشئت مدرسة جديدة للقانون في القسطنطينية سنة (١٠٤٥م) ، ولكن لم تبق هذه المدرسة طويلا . وحينما أقبلت أيام الفوضى في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، كانت خزينة الدولة لا تستطيع أن تخصص للتعليم الا قليلا جداً من المال . ولا شك في أن الامبراطورية التي لم تكن لتستطيع أن تقوم بما يتطلبه أسطولها ، كانت تعد الجامعة نوعاً من الترف لا مفر من الاستغناء عنه[٢٤] .

ب ــ الأدب :

تغلبت رومة على الدول التي نشأت عن تفكك امبراطورية الاسكندر الكبير الآسيوية ، ولكنها لم تفلح في فرض الحضارة اللاتينية على البلاد التي تحيط بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت الثقافة الهيلينية واسعة الانتشار ثابتة الأساس فيها . وعلى الرغم من محاولة دقليديانوس وخلفائه تشجيع لغة الغرب (اللاتينية) ، فان اللسان الاغريقي ظل يحفظ مكانته . وقد اقتبس هذا اللسان عدة ألفاظ من اللاتينية في مادة الشريعة والادارة مع عدد كبير من الاصطلاحات العسكرية .

لقد كان أدب رومة الشرقية (القسطنطينية) أدباً يونانياً ، وكان أدباً تحصيلياً ، فقد ورث البيزنطيون منقولات الأساتذة الهيلينيين ، وهم رجال لم يحاولوا أن يصوروا حياة عصرهم بقدر ما حاولوا أن يستعيدوا أفكار الماضي المجيد وأعماله ، فصاغ الأدباء البيزنطيون أدبهم على هذا النوال في قوالب قديمة ، فنشأت الهوة التي لاتزال موجودة ، بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة في بلاد اليونان ، فكانت مؤلفاتهم تعوزها السلاسة التي تصدر عن الطبع ،

(٢٤) الامبراطورية البيزنطية (١٩٦ ــ ٢١٦) .

لأن الحركة الأدبية البيزنطية اتسمت بالتقليد والتكلف ، وهكذا وقف المؤلفون المسيحيون في ذلك العصر بعيدين عن عصرهم ، فهم يعيشون في مجتمعاتهم المسيحية ويؤلفون لها ، يتكلمون عن الطقوس المسيحية وأعيادها وكأنها أشياء غريبة مجهولة ، فيخيل الينا ونحن نقرؤهم أننا نسمع هيرودتس مرة أخرى يشرح لقرائه اليونان معتقدات المصريين وطقوس عبادتهم العجيبة ، وتتوارد على صفحات كتبهم أفكار الوثنيين عن الحظ والقدر باعتبارهما القوتين الدافعتين الفعالتين في عالم تزدهيه الخيلاء بأرثوذكسيته . وكان البيزنطي القح يعتبر الشكل لا الفحوى أهم شيء عنه ، وكان يحسب أنه لن يستطيع أن يهيء لنفسه مكاناً طيباً في محراب الأدب الا اذا اجتهد مخلصاً في متابعة التقاليد القديمة. وهكذا حافظت رومة الشرقية على تراثها ، وأنفقت جهدها في دراسته عن طريق التعليقات والشروح ، ولكن كان يعوزها التعمق في أسرار الطبيعة والوجود وروح البحث الحر الذي يبدو في مؤلفات المفكرين اليونانيين وكأنه نسيم الصباح العليل ، وتبدو أصالة الأدب البيزنطي في أكمل صورها في اللاهوت والشعر الديني والتاريخ . وقد ظلت القصائد اللاذعة موجودة ، والى تعشق البيزنطيين لهذا اللون من الفن الأدبي يرجع الفضل في بقاء مجموعة من مختاراته اليونانية .

وكان الشعر الكلاسيكي خاضعاً لقواعد أساسها الكم ، وكان تركيب عباراته يقوم على أساس من طول المقاطع . أما في لغة الكلام ، فكان النبر[٢٥] هو ميزان الكلمات ، وكانوا يجعلون الضغط على المقطع المنبور ، وعلى هذا قصرت المقاطع غير المنبورة مهما يبلغ طولها الطبيعي . ونظمت المدائح الدينية المسيحية في شعر ميزانه عدد النبرات ، واستحدث القوافي لتكون رباطاً بين الأبيات . ولما كانت البلاغة تميل الى ازالة الفوارق بين الشعر والنثر بما فيه

(٢٥) النبر في النطق : ابراز احد مقاطع الكلمة عند النطق .

في الموسيقى الايقاعية ، فقد تأثر النثر الفني بالتطور الجديد • ولما كان أدب رومة الجديدة محافظاً قبل كل شيء ، فان غلبة الشعر الذي يوزن بعدد المقاطع ظلت على ما هي عليه ، ولم تهددها النزعة الجديدة بخطر جسيم • وينبغي أن نضيف أن النبر ظل يؤثر في بناء الشعر بصورة متصلة ، وكان له أثر جديد في البحور الشعرية القديمة ، وهذا مثل واضح جداً لقوة التقليد الأدبي •

والمؤثرات الآسيوية بينة بوضوح في الأدب البيزنطي : في كثرة الأخيلة، والبديع ، تلك الكثرة التي قد تبهم العبارة ولا توضحها ، فكان نتاج آباء القرن الرابع الميلادي شديد الزخرف قليل النظام ، ومع ذلك كان خصباً في انسانيته • بيد أننا اذا حاولنا أن نجد هذه الانسانية في الكتابات اللاهوتية ، لم نظفر بغير الحسرة والأسى ، وسيظل المؤرخ واللاهوتي يدرسان هذه الكتابات ، أما القارىء العادي فانه سيطلب متعته في غيرها • وقد استخدمت الفلسفة اليونانية للدفاع عن المسيحية ، ويمكن أن يقال ان عيد الأرثوذكسية (٨٤٣) يرسم نهاية مدة الابداع في اللاهوت وتبدأ مدة التقليد ، اذ فقد تفكير رجال الكنيسة قدرته القديمة على الاستيعاب ، ولم يعد يسمح بأن تسرب اليه فكرة الفلسفة اليونانية ، وهكذا اصبح الانسانيون في الدولة الشرقية كالهراطقة متهمين في نظر رجال الدين ، وكان علم اللاهوت في الدولة الشرقية منصرفاً تمام الانصراف الى المساجلة العظيمة مع رومة •

أما في ميادين الشعر غير الديني ، فلم توفق بيزنطة ابدا الى شيء متميز من الطبقة الاولى ، فمات الشعر السداسي التفاعيل ، واستعمل من ثم الشعر ذو الاثني عشر مقطعا بانتظام ، غير أن الشعر البيزنطي غير الديني لم يستطع أن ينتج أعمالا ذات نفس طويل • وقد عالج بعض الشعراء القصيدة الصغيرة بنجاح ظاهر • أما الشعر الغنائي فقد مات ، واستبعدت مواضيع الحب المتبادل

بين المرأة والرجل ، وحل محلها شعر الملاحم الشعبية •

وقد نبع الادب البيزنطي من مصدرين ، الاول : أصحاب المثل العليا من بين الرهبان والراهبات وأفكارهم عن العالم الآخر ، وهم الذين كانوا لايعنيهم من شؤون هذه الدار العاجلة الا العثور على فرص يرفضونها ، ويؤكدون بهذا الرفض عزوفهم عن كل ما في هذه الدنيا • والثاني : الواقعيون من رجال البلاط ورجال الدولة والاباطرة ورجال الادارة ، وبذلك أصبح الادب البيزنطي اما أدب العاطفة المشبوبة والخيال المطلق ، واما آثما وغير لائق ، وكان الأدب المحافظ ينفر أن يعترف بالجمال حتى في أغنية ريفية •

وفي النهاية ، ينبغي أن نذكر الأدب الشعبي البيزنطي ، وهو يتألف على الأغلب من الاساطير الاغريقية التي أصابها التكبير والتحوير ، كقصة حصان طروادة ، وسيرة أعمال الاسكندر العظيم ، وقد أصبحتا نموذجا للبطل المسيحي • وفيها كذلك حكايات شرقية منقولة من بعيد ، وقد غلب عليها ثوبها المسيحي • ولعل أمتع عناصر هذا الأدب هي سير القديسين التي كتبها الرهبان المتواضعون للجمهور البسيط ، ومن هذا الادب الشعبي يستفاد الشيء الكثير (٢٦) •

ج ـ الفـن :

اضطرت الوثنية واليهودية أن يلجأ المستضعفون في الارض من المسيحيين الى سراديب الارض وكهوف الجبال خوفا من البطش ، وكانت النتيجة أن أصبح الفن المسيحي فنا رمزيا ، فتصاويره المرسومة على الجدران لم تحاول أبدا أن تمثل الحوادث التاريخية • ولكنه استطاع أن يوضح لنفسه رسالته التي تقوم على البشارة والرجاء ، وقد استعان في ذلك بالاشارات الصوفية

(٢٦) الامبراطورية البيزنطية (٢١٧ ــ ٢٣٢) •

التي ابتدعتها المدن اليونانية في الشرق الادنى الذي ظهرت المسيحية في أكنافه . وهكذا تحولت الطائفة المنبوذة من المسيحيين في ذلك العالم المعاصر لها الى عالم الروح سعيا وراء الثقة في النفس وحفز الهمة ، وأصبحت لشارات أهل الاسكندرية التي هي المرساة واليمامة معان أخرى جديدة ، وأصبحت صورة هرمز والكبش على كتفه رمزا للراعي الصالح يحمل الخراف الضالة ، بينما صورت صورة المصلين وهم يحلون بين أزهار الفردوس كأنها رمز للرجاء الوطيد المضمون في خلود الروح .

وعندما انتصر المسيحيون المضطهدون في القرن الرابع الميلادي ، طفر الفن طفرة ليتوج نصر المسيحية ، وظهرت الكنائس الى عالم الوجود بفضل عطف الملوك في كل مكان ، وبدا لمنشئيها أن الرمزية القديمة أكثر سطحية واضطرابا من أن تصلح لتجميل الكنائس . لقد انقضى شتاء المسيحية وأقبل ربيعها ، وكان لابد من رواء فخم يناسبه .

وأعادت رومة الجديدة سيادة الدولة الرومانية بعد اضمحلال مدينة رومة في القرن الثالث الميلادي ، فأضافت الالوان ومهارة الزخرفة التي تضفي على الفخامة الامبراطورية لباسا جديدا من الأبهة ، وأضاف الناس الى تصاوير الحيطان فن الفسيفساء الحائطية وتوسعوا فيه ، لانه كان أقدر على التأثير في النفس وأوسع مجالا وأدق خطوطا ، ولان رسومه ترى واضحة عن بعد : فن يحتاج الى مجال واسع ، ولابد له من عون المهندس المعماري حتى يرقى وينمو .

بيد ان العاصمة الجديدة قامت وسط بلاد تتكلم الأغريقية ، وكانت النزعات الانسانية الاغريقية ، والنماذج العظيمة للجمال الانساني التي ابتدعها الخيال الهليني ، لاتزال ذات أثر عظيم الى جانب فنون الزخرفة والتلوين الشرقية . فقد تجمعت في رومة الجديدة الى جانب المخلفات المقدسة للديانة

المسيحية روائع العالم الوثني ، وأصبحت القسطنطينية متحفا ومدرسة للفن لا تجارى • وكان للكنيسة اذ ذاك قصص عظيم تريد أن تحكيه • فقد أرادت أن تسجل بطولات الفدائيين ، وثبات الشهداء في وجه التعذيب والموت ؛ بل أرادت أن تصبح جدران هياكلها انجيلا مزينا بالرسوم للمتنصرين الأميين ، وتاريخا مصورا لقصة الفداء •

ورفضت الكنيسة أن تقنع بالزينة وحدها ، ففي الفن الجديد المعقد ، الذي سارت به رومة الجديدة للامام ، متسع في الحقيقة لكل شيء : كان فيه متسع للعناصر التصويرية لمدرسة الاسكندرية ، وكذلك للطبيعة وما فيها من أشجار الكروم والأشجار المختلفة الاخرى ، ولمشاهد الألعاب الوثنية ، والمناظر الريفية ، وللحيوانات وألعاب الاطفال العراة على شواطىء الأنهار ، ولكل صور الخيال المبدع ، ومشاهد المواكب الفخمة والقوة ، ومتسع للتلوين السابغ ، ولفخامة النقش الفارسي المتداخل الخطوط المعقد التفاصيل ، ومتسع أيضا لهذه النماذج النبيلة التي أبدعتها الروح اليونانية الانسانية ، بينما أخذت الامبراطورية ما استطاع الشرق تقديمه في فن العمارة ، ورفعته الى طبقة جديدة ، حتى بلغ أوجه في كنيسة القسطنطينية الكبرى • وكانت القسطنطينية في القرنين الرابع والخامس للميلاد واحدة من المراكز التي تؤثر في غيرها ، وكما أن القرن الخامس الميلادي شهد انتصار سياسة التركيز في المسائل الدينية، فقد أخذ تأثير القسطنطينية يتزايد بالتدريج في دائرة الفن لسببين : ان المراكز الاخرى كانت تسعى وراء هبات امبراطورية لكنائسها وأبنيتها المدنية ، والسبب الثاني هو أن الأباطرة كانوا يرغبون عامدين في نشر تأثير العاصمة • وعلى الرغم من أن البنائين كانوا ينتمون الى مراكز كثيرة ، فقد اتجهوا الى تحقيق غاية واحدة ، مادامو يخدمون سيدا واحدا • وفي زمن جستنيان لم تكن القسطنطينية تخشى أي منافس ، فقد نقل الغرب كنائس رومة الجديدة ، كما

كان يتبع سابقا الأنموذج الذي قرره بيت المقدس من قبل • واذا قلنا ان القسطنطينية قبست القبة وأسلوب الزخرفة القائم على الرخام الكثير الألوان من الشرق ، فاننا نلمس المهارة الاغريقية في الطريقة التي استعملت فيها القباب المعلقة ، حيث كان في الامكان اقامة القبة المستديرة على قاعدة مستطيلة ، برشاقة جعلتها تبدو كما لو كانت معلقة بالسماء • وكان هذا الفن جريئا الى حد عظيم مكنه من أن يدخل في العمارة موضوعات جديدة ، كآلام المسيح الذي تردد أهل العصور التي سبقته في تصويرها ، وتكونت في هذه المدة نماذج الصور المقدسة ، كصور المسيح والعذراء والأنبياء والرسل • بينما أحيا الفن الدنيوي الذي عفت آثاره لسوء الحظ ، انتصارات جستنيان الامبراطورية وقواده •

وبينما كان الطراز التاريخي الذي شاع في عصر جستنيان متجهاً الى الاضمحلال ، شجع الأباطرة فنا دنيوياً وطبيعياً ، ذلك الفن الذي رجع الى حد كبير الى الماضي يستوحيه ، فتحول الفنانون الى الريف والحياة الحيوانية ، والى المدن والملاعب ، والى الواقعية في تصوير الأشخاص •

وقد ضاعت معظم آثار الفن البيزنطي المدني ، ولكن كثيراً مما كان يميز الامبراطورية البيزنطية عن غيرها تمييزاً واضحاً ـ وهو فن الكنائس ـ لايزال باقيا • وقد بلغت القسطنطينية أعلى درجات تقدمها الفني في ميدان العمارة بما تميز به من ادراك مجيد للألوان في فسيفساء الحوائط والتلبيس بالرخام ، ويلي هذا ذلك الكمال الفني الذي يوفي على الغاية فيما ينبغي أن نسميه بالفنون (الصغرى) ، كالحفر على العاج ، ورسم المنمنمات ، والتزيين بالمينا ، وما ابتدعته من الرسوم على النسيج •

وكثيراً ما أزرى الناس بالفن البيزنطي ، بحجة أنه منحط وعديم الحياة ،

ولكن ظهر في السنين الأخيرة اتجاه متزايد لتقدير قيمته الباقية وأهميته (٢٧) •

د ـ القانون الروماني :

القانون الروماني هو أكثر أعمال الروم أصالة ، وأعظم ما أهدوه لمن أتى بعدهم من الناس • وكان من شأن روح النظام الروماني وروح المحافظة الرومانية ، أن ارتفعا بهذا الأثر المهم وحفظاه من الزوال على مر القرون • ونجد اسم جستنيان المشرع مألوفاً لدى الكثيرين ممن لا يعرفون شيئاً من التاريخ البيزنطي كاسم معروف متداول •

واذا أردنا أن نتتبع تطور ذلك القانون زمن الأباطرة الروم الشرقيين ، استطعنا أن نميز أربعة أدوار رئيسة :

(١) دور التقنين الذي بدأ زمن دقليديانوس وبلغ ذروته في عمل جستنيان•
(٢) دور تشريعات الأباطرة اللاايقونيين •
(٣) دور الرجوع الى قانون جستنيان زمن الحكام المقدونيين اللاايقونيين•
(٤) دور الرجوع الى قانون جستنيان زمن الحكام المقدونيين •
(٥) دور الاضمحلال •

وينبغي ألا يغيب عنا ، أن القانون في ذلك الحين ، كان تعبيراً عن ارادة الحاكم ، فقد كان الحاكم ينفرد برأيه ويختص نفسه بالتشريع •

عندما حل القرن الثالث الميلادي ، كان عصر البناء والانشاء ، بالنسبة للمشرعين الرومان قد أشرف على النهاية • وفي زمن دقليديانوس بدأ عصر التقنين في تاريخ القانون الروماني ، وقد جمعت حوالي هذا الوقت القوانين الأساسية التي أصدرها الأباطرة منذ هدريان حتى دقليديانوس• وتمت بُعَيْد هذا الوقت مجموعة أخرى للقوانين التي أصدرها دقليديانوس • ويظهر أن

(٢٧) الامبراطورية البيزنطية (٢٣١ ـ ٢٥٢) •

ثيودوسيوس الثاني من سنة (٤٢٩م) قد خطرت له فكرة عمل قانون عام ، ولكنه انصرف عن مشروعه ، ولكن مجموعة من القوانين الأساسية الامبراطورية صنفت على أيدي لجنة عينت سنة (٤٣٥م) ، ونشرت هذه المجموعة سنة (٤٣٨م) ، وأصبح قانون ثيودوسيوس نافذاً في الغرب والشرق في سنة (٤٣٩م) •

غير أن تصنيف هذا القانون الجديد لم يوقف تيار التشريع الامبراطوري، واستمر الاباطرة يصدرون القوانين • ومن هنا نجد أن الغموض والتناقض قد تسرب الى كيان القانون الروماني • وقد شكا جستنيان من ذلك ، وأخذت القضايا أمام المحاكم تؤجل الى ما لا نهاية له ، وأخذت الأحكام لا تعتمد على مواد ثابتة قدر اعتمادها على أهواء القضاة التعسفية •

وكان جستنيان يعتقد أن الامبراطور يحمل عبء واجب مزدوج ، فقد كان عليه أن يكون القائد الفاتح والمشرع الأعلى في الوقت ذاته ، فاذا كانت القسطنطينية قد اتسعت كثيراً عن طريق انتصارات جيوشها وعدل قوانينها ، فواجبه كوارث لماضي رومة أن يكون جديراً بهذا التراث المزدوج ، ولم يكن له مفر والحالة هذه ، من عمل حصرٍ كامل للقانون الروماني •

وقد وجد الامبراطور في وزير القضاء (اكوستر القصر) تريبونيان رجله المنشود ، فعهد اليه في رئاسة لجنة مهمتها جمع القوانين التي أصدرها أباطرة الرومان وتنسيقها وحذف المتشابه منها واستخلاص مجموعة قانونية واحدة منها • وقد وفقت اللجنة في عملها ، فصدرت في شهر نيسان (أبريل) من سنة (٥٢٩م) مجموعة جستنيان القانونية التي وضعت على أساس تشريعات جريجوريان وهيرموجيان وثيودوسيوس ، وضمت كذلك قوانين الأباطرة المتأخرين التي كانت ماتزال نافذة ، وقد نفذ العمل في أقصى سرعة ، ولم يكن المندوبون العشرة في حاجة لوقت يزيد كثيراً عن سنة لانجازه •

ولكن أصـالة جستنيان الحقيقية ظهرت في انشاء الموجز (الدايجست) ، فندب لذلك ستة عشر مندوباً جُدُداً ، وكلفهم في سنة (٥٣٠م) بأن يعملوا مجموعة مختارة من أعمال المشرعين العظام ، يستطيع المحترف وغير المحترف الاستفادة منها ، وقدر لاتمام هذا العمل عشر سنوات ، ولكنه تم في مــدى ثلاث سنين ، فقد نشر ذلك الموجز على الملأ في كانون الأول (ديسمبر) سنة (٥٣٣م) ، وهكذا أقيم في (١٥٠٫٠٠٠أ) سطر ــ على حد قول الامبراطور ــ « معبد للعدالة الرومانية » .

وقد فاق هذا المجموع المستخلص من أعمال المشرعين الرومان الأصول التي استخلص منها ، ومن الطبيعي أن تتوقع ان يكون هناك نقص كبــير في تأليفه ، نظراً لقصر الوقت الذي استلزمه تصنيفه ، وقد قيل الكثير في نواقصه، ولكن يجب ألا يغيب عن الناقد أن موهبة التشريع كانت قد اختفت في البلاد الرومانية ، حتى كان القضاة يكتفون بالاستفادة من مؤلفات قدماء المشرعين بعدّ عناوينها عداً حسابيا ، وأصبح مجرد ذكر عــدد المؤلفات التي استعان بها المحامي كافيا لكسبه القضـية .

وتبدو عظمة جستنيان في الواقع كمشرع في ادراكه أن قانون أية أمة هو تطور عضوي يوجز تاريخ تلك الامة ، وعلى الرغم من رغبته في تبسيط الاجراءات القانونية الرومانية ، وفي اضفاء انسانية أكبر على عــدالة الروم ، فانه لم ينشىء كتاباً موجزاً عملياً فحسب ، بل تعدى ذلك الى ما هو أعظم منه، وخلق عملاً لا نصفه بأحسن من وصفه هو له بقوله : ان قانونه «كالقلعة تحمي خلف جدرانها كنوز الماضي من عاديات الزمن الحسود ، وهــو يكشف لأمم الغرب البربرية في الوقت المناسب فكرة دولة تقوم على أساس من القانون » . وقد أصدر جستنيان في تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة (٥٣٣م) مقدمــة للقانون الروماني ــ سميت النُظُم ــ صيغت على نمط كتيب سابق للمشرع

جايوس ، ولكنها تضم التغييرات التي طرأت على القانون نتيجة لتشريعات امبراطورية تالية . وهكذا أحل القانون الجديد في سنة (٥٣٤م) محل قانون سنة (٥٣٠م) ، ولم يبق اليوم بين أيدينا الا هذه النسخة الاخيرة . ومايزال لدينا ما يقرب من ستمائة قانون من قوانين جستنيان الأساسية ، ونشاطه القانوني واضح في كل مجال ، وقد قرر الامبراطور أنه اتخذ لنفسه ثلاث قواعد سار عليها في تحقيق اصلاحاته وهي : (الانسانية) و (المنطق الطبيعي) و (المنفعة العامة) .

وبالرغم من أن أباطرة القرن السابع الميلادي كانوا يصدرون قوانين من وقت لآخر ، فقد كانت هذه تتعلق بصفة رئيسة بالادارة العامة ، أو بعلاقة الكنيسة بالدولة . ولم تحدث تغييرات واسعة النطاق في القانون الخاص الا في عصر الأباطرة اللاايقونيين . واذيعت (الاكلوجا Ecloga) في سنة (٧٣٩م) ، وهي مختارات من القانون أخذت من تشريع جستنيان بعد اجراء تعديلات « في اتجاه أكثر انسانية » ، ولكن باسيل المقدوني ألغى أو قلب أكثر هذه التطورات رأساً على عقب ، فقد رجع مرة أخرى الى قانون القرن السادس للميلاد .

وفي وقت مابين (٨٧٠م) و (٨٧٩م) ، أذيع كتيب جديد يسمى (بروخيرون Procheiron) ليحل محل (الاكلوجا) ، بينما عينت لجنة لتعد مجموعة قانونية أخرى كاملة ، بعد أن تستبعد من القوانين تلك الأجزاء الشاذة التي أدخلها محطمو الصور (اللاايقونيون) الهراطقة . وقد جمع بين سنة (٨٧٩م) و (٨٨٦م) كتيب آخر منقح ، ولكنه على ما يرجح لم يقدر له أن تقره الدولة . وانا لنشك فيما اذا كانت مجموعة باسيل التي تقع في أربعين جزءاً قد قدر لها أن تنشر ، ومن المؤكد أننا لا نملك الا القانون المسمى (البازيليكا) (الاوامر الامبراطورية) والذي يقع في ستين كتاباً ، وقد أذاعه ليو السادس الذي خلف

باسيل المقدوني ، وحتى هذا القانون لم يصل الينا كاملا • وكانت مؤلفـات جستنيان لاتزال تدرس حتى بعد ان صدرت البازيليكا ، وخصوصاً في القرن الحادي عشر للميلاد ، عندما أسس قسطنطين منوماخوص في سنة (١٠٤٥م) مدرسة للقانون في القسطنطينية ، ولكن كان نشاط هذه المدرسة قصير الأمد• وفي نهاية القرن الثاني عشر للميلاد ، أخذت وجهة النظر القائلة بأن البازيليكا وحدها التي كانت تمثل القانون المعمول به تلقى تأييداً • وحينما أخـذ علم القانون يضمحل ، توقف تطور القانون الروماني الخاص ، وكان ذلك بعد حكم ليو السادس • ثم جـاء بعـد ذلك دور الكتيبات والمختصـرات ، وأهملت البازيليكا ، وبلغ الاضمحلال أقصاه عند ظهور (الهيخابيلوس Hexabiblos) أي (الكتب الستة) التي ألفت سنة (١٣٤٥م) ، وقد وصفها بعضهم بقوله : انها موجز لموجزات الموجزات ، وأصبح القانون الروماني في أيامه الأخيرة : « خلط قريب من الكفر » •

وكانت المؤثرات الرئيسـة التي أثرت في تطور القـانون الروماني في عصوره المتأخرة التي سبقت دور الاضمحلال :

(١) أثر العاطفة المسيحية العامة •

(٢) تأثير الكنيسـة كهيئة كانت تعبر عن ارادتها في صورة قوانـين تصدرها المجالس والمجامع الدينية •

(٣) العادات الجارية وخصوصاً في الولايات الشرقية •

ومن الطبيعـي أن يتـزج بعض هـذه العوامـل ببعض بصـورة دائمة ، وقد يكون من الصعب في أية حالة خاصة أن نعين لأي منها كان التأثير الغالب في هذه الناحية أو تلك •

وعن طريق الدراسة الوثيقة لأوراق البردي ، نستطيع أن نتبين أن وحدة القانون الروماني وطابعه العالمي وسريان العمل به في أنحاء الامبراطورية كلها ،

انما كانت مثلاً عليا للأباطرة لم يقدر لها في حالة التطبيق أن تتحقق تحقيقاً كاملا .

وكل ما نستطيع أن نتبينه الآن ، هو أن قوى العادات الموروثة كان لها رد فعل ضد مجهودات الدولة المركزية ، التي أرادت من ورائها فرض قانون واحد على جميع الرعايا على السواء ، وكانت تلك هي غاية جميع الأباطرة الذين خلفوا قسطنطين (٢٨) .

هـ ـ الحضارة :

ما هو الطابع الأساس لهذه الحضارة البيزنطية ؟ طالما قيل : ان دولة رومة الشرقية « كانت امبراطورية شرقية على وجه التحديد » . والواقع أن رومة الشرقية تشربت عناصر شرقية كثيرة في الفن والقانون الجنائي وحتى في نظرتها الى الحكم . الا أن طابع الحضارة الاساس للقسطنطينية لم يقتصر على الشرق وحده ، بل يشمل امتزاج عنصرين موروثين : العنصر اليوناني الذي اتسمت به مدن شرق البحر الأبيض المتوسط الاغريقية ، والعنصر الروماني الذي تلقته رومة الجديدة من الامبراطورية الرومانية الأولى ، وقد كان امتزاج هذين العنصرين الموروثين تاماً الى حد لا نستطيع معه تمييز عناصر أحدهما عن عناصر الآخر .

على أننا يمكننا أن نقول بوجه عام : ان رومة الشرقية كانت يونانية في اللغة والأدب وعلم اللاهوت والديانة ، وان احساسها بذلك كان تاماً واعيا . أما فيما يتصل بقانونها وتقاليدها العسكرية وديلوماسيتها وسياستها المالية وتمسكها الدائم بسيادة الدولة ، فقد كانت رومانية .

ومع ذلك يبقى تأثير الشرق في الامبراطورية البيزنطية واضحاً للعيان ،

(٢٨) الامبراطورية البيزنطية (٢٥٣ ـ ٢٧٣) .

لا ينكره البيزنطيون أنفسهم ، ولا ينكره منصف من غيرهم ، ولكن ليس الشرق هو المؤثر الأول والأخير كما يزعم قسم من الباحثين ، لان تأثير الغرب فيها واضح للعيان أيضاً ، فالحضارة البيزنطية شرقية غربية ، مزيج بين الشرق والغرب : جديد الشرق ، وتليد الغرب (٢٩) .

ومن حق القارىء أن يعرف ، أن قسمي الزراعة والتجارة من بحث : الموارد الاقتصادية ، وبحث : تاريخ بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه، مقتبسة من كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٣٠) ، الذي ألفه نورمان بينز وعربه الدكتور حسين مؤنس والأستاذ محمود يوسف زايد ، وقد ذكرت هذا المصدر في هوامش هذه الدراسة ، الا أن الأمانة العلمية وواجب الشكر العميق للمؤلف والمعربين الأفاضل حملني على تفصيل هذا الشكر والاقتباس في هذا المكان .

وبعد هذا العرض التاريخي للموارد الاقتصادية البيزنطية ، وللتاريخ البيزنطي منذ قيام القسطنطينية الى سقوطها ، يتضح بجلاء وبشكل لاشك فيه ، أن الدولة البيزنطية كانت احدى الدولتين العظميين في العالم : الدولة البيزنطية ، والدولة الساسانية ، وأنها كانت أقوى الدولتين في أيام الفتح الاسلامي ، لان هرقل امبراطور الروم انتصر على الساسانيين انتصارات حاسمة واسترد البلاد التي كان الساسانيون قد اغتصبوها من الروم ، كما أن حضارة الروم كانت أرقى حضارة عالمية في وقتها ، وكان جيشها عريقاً في تنظيمه وتدريبه وتسليحه وقيادته ، كما كان يتحلى بالمعنويات العالية ، لانتصاره على الساسانيين ، وما كان العرب قبل الاسلام في ميزان القوى والحضارة ينافسون الروم ولا يحلمون بمنافستهم ، وما كان الروم ضعفاء قبل الفتح

(٢٩) الامبراطورية البيزنطية (٢١٤ — ٢١٥) .
(٣٠) Norman H. Baynes, The Byzantine Empire, London 1946.

الاسلامي وفي أيامه المجيدة •

أما بعد الاسلام ، فقد انتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين على الامبراطورية البيزنطية في : بلاد الشام والجزيرة ومصر وشمالي افريقية ، وهددوا الروم في عقر دارهم !!

كيف حدثت المعجزة ؟! ذلك ما نعالجه في فتح بلاد الروم وشيكا •

اباطرة الروم

من قسطنطين الاول الى قسطنطين الحادي عشر (٣١)

١ ـ أسرة قسطنطين

قسطنطين الاول الكبير توفي سنة ٣٣٧ •
قنسطنطيوس ٣٣٧ ـ ٣٦١ حكم منفردا بعد سنة ٣٥١ •
يوليان المرتد ٣٦١ ـ ٣٦٣ حكم منفرداً •
يوفيان Jovian ، ٢٦٣ ـ ٣٦٤ حكم منفردا •
فالنس ، ٣٦٤ ـ ٣٧٨ •

٢ ـ أسرة ثيودوسيوس

ثيودوسيوس الاول ، الكبير ٣٧٩ ـ ٣٩٥ حكم منفردا بعد سنة ٣٩٢ •
أركاديوس ٣٩٥ ـ ٤٠٨ •
ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨ ـ ٤٥٠ ، كان انثيميوس وصيا من سنة ٤٠٨ـ٤١٤•
مارقيان Marcian ٤٥٠ ـ ٤٥٧ •

(٣١) نقلا عن كتاب : الحضارة البيزنطية ـ ستيفن رونسمان ـ لندن ـ ١٩٤٨ ، انظر الامبراطورية البيزنطية (٣٩٩ ـ ٤٠٩) •
Steven Runciman : Byzantine Civilization, pp. 3.1 (London 1948).

٣ ـ أسرة ليو

ليو الاول ٤٥٧ ـ ٤٧٤ .
ليو الثـاني ٤٧٤ .
زينون ٤٧٤ ـ ٤٩١ ، باسيليكوس المغتصب ٤٧٥ ـ ٤٧٦ .
أناستاسيوس الاول ٤٩١ ـ ٥١٨ .

٤ ـ أسرة جستنيان

جستين الاول ٥١٨ ـ ٥٢٧ .
جستنيان الاول ٥٢٧ ـ ٥٦٥ .
جستين الثـاني ٥٦٥ ـ ٥٧٨ ، صوفيا وصية من ٥٧٣ الى ٥٧٤ ، وطيباريوس وصيا من ٥٧٤ الى ٥٧٨ .
طيباريوس الثاني ٥٧٨ ـ ٥٨٢ .
موريس ٥٨٢ ـ ٦٠٢ ، ثيودوس شريك في العرش ٥٠٩ ـ ٦٠٢ .
فوكاس Phocas ٦٠٢ ـ ٦١٠ .

٥ ـ أسرة هرقـل

هرقل الاول ٦١٠ ـ ٦٤١ ، قسطنطين الثالث ٦١٣ ـ ٦٤١ ، وهرقليوناس ٦٣٨ ـ ٦٤١ .
قسطنطين الثالث ٦٤١ مارتينة Martina وصية ٦٤١ .
قسطانز الثاني ٦٤١ ـ ٦٦٨ وهرقل وطيباريوس ٦٥٩ ـ ٦٨١ .
قسطنطين الرابع ٦٦٨ ـ ٦٨٥ .
جستنيان الثـاني ٦٨٥ ـ ٦٩٥ .
ليوتيوس ٦٩٥ ـ ٦٩٨ .

طيباريوس الثالث ٦٩٨ ــ ٧٠٥ .
جستنيان الثاني ٧٠٥ ــ ٧١١ ، للمرة الثانية طيباريوس ٧٠٦ ــ ٧١١ .
فليبكوس ٧١١ ــ ٧١٣ ، وباردانس Bardanes معه .
انستاسيوس الثاني ٧١٣ ــ ٧١٥ ، وأرتميوس Artemius
ثيودوسيوس الثالث ٧١٥ ــ ٧١٧ .

٦ ــ الأسرة الأيسورية

ليو الثالث الأيسوري ٧١٧ ــ ٧٤٠ ، وقسطنطين الخامس ٧٢٠ ــ ٧٤٠ .
قسطنطين الخامس ٧٤٠ ــ ٧٧٥ ، وليو الرابع ٧٥٠ ــ ٧٧٥ .
ليو الرابع ٧٧٥ ــ ٧٨٠ وقسطنطين السادس ٧٧٦ ــ ٧٨٠ .
قسطنطين السادس ٧٨٠ ــ ٧٩٧ ايريني وصية ٧٨٠ ــ ٧٩٠ ، ٧٩٢ ــ ٧٩٧ .
ايريني ٧٩٧ ــ ٨٠٢ .
نقفور الاول ٨٠٢ ــ ٨١١ .
ستوراكيوس ٨١١ .
ميخائيل الاول ٨١١ ــ ٨١٣ .
ليو الخامس ، الأرمني ٨١٣ ــ ٨٢٠ .

٧ ــ الأسرة العمورية (الفريجية)

ميخائيل الثاني ، العموري ٨٢٠ ــ ٨٢٩ ، وثيوفيلوس ٨٢١ ــ ٨٢٩ .
ثيوفيلوس ٨٢٩ ــ ٨٤٢ .
ميخائيل الثالث ، السكير ٨٤٢ ــ ٨٦٧ ، وثيودورا وصية ٨٤٢ ــ ٨٥٦ ، وباراس وصيا ٨٦٢ ــ ٨٦٦ ، وباسيل الاول ٨٦٦ ــ ٨٦٧ .

٨ ــ الأسرة المقدونية

باسيل الاول المقدوني ٨٦٧ ــ ٨٨٦ وقسطنطين ٨٦٩ ــ ٨٨٠ ، وليو السادس

٨٧٠ ـ ٨٨٦ ، والاسكندر ٨٧١ ـ ٩١٢ •
ليو السادس ، الحكيم ٨٨٦ ـ ٩١٢ ، وقسطنطين السابع ٩١١ ـ ٩١٣ •
الاسكندر ٩١٢ ـ ٩١٣ •
قسطنطين السابع ، الأرجواني ٩١٣ ـ ٩١٩ ، ومجلس وصاية ٩١٣
وصية ٩١٣ ـ ٩١٩ •
رومانوس الاول ٩١٩ ـ ٩٤٤ ، وقسطنطين السابع ٩١٩ ـ ٩٤٤
وكرستوفر ٩٢١ ـ ٩٣١ وستيفن ليكابينوس ٩٢٤ ـ ٩٤٥
وقسطنطين ليكابينوس ٩٢٤ ـ ٩٤٥ •
قسطنطين السابع ، ٩٤٤ ـ ٩٥٩ ورومانوس الثاني حوالي ٩٥٠ ـ ٩٥٩ •
بورفيروجينتوس
رومانوس الثاني ٩٥٩ ـ ٩٦٣ ، وباسيل الثاني ٩٦٠ ـ ٩٦٣
وقسطنطين الثامن ٩٦١ ـ ١٠٢٥ •
باسيل الثاني ، سفاح البلغار ٩٦٣ ، ثيوفانو وصية ٩٦٣ •
نقفور الثاني ، فوكاس ٩٦٣ ـ ٩٦٩ ، وباسيل الثاني ٩٦٣ ـ ٩٧٦ •
يوحنا الاول ٩٦٩ ـ ٩٧٦ •
باسيل الثاني ، سفاح البلغار ٩٧٦ ـ ١٠٢٥ •
قسطنطين الثامن ١٠٢٥ ـ ١٠٢٨ •
رومانوس الثالث ، أرجيروس ١٠٢٨ ـ ١٠٣٤ •
ميخائيل الرابع ١٠٣٤ ـ ١٠٤١ •
ميخائيل الخامس ، الشماع ١٠٤١ ـ ١٠٤٢ •
زوى وثيودورا ، الارجوانيتان ١٠٤٢ •
قسطنطين التاسع ١٠٤٢ ـ ١٠٥٥ •
ثيودورا ، الارجوانية ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦ •

ميخائيل السادس ١٠٥٦ ــ ١٠٥٧ ٠
اسحق الاول ، كومنينوس ١٠٥٧ ــ ١٠٥٩ ٠

٩ ــ أسرة دوكاس

قسطنطين العاشر ، دوكاس ١٠٥٩ ــ ١٠٦٧ ، وميخائيل السابع حوالي ١٠٦٠ ــ ١٠٦٧ ٠
ميخائيل السابع ١٠٦٧ ــ ١٠٦٨ ، وايدوفيا وصية ١٠٦٧ ــ ١٠٦٨ ٠
رومانوس الرابع ، ديوجينيس ١٠٦٨ ــ ١٠٧١ ، وميخائيل السابع ١٠٦٨ ــ ١٠٧١ ٠
ميخائيل السابع ١٠٧١ ــ ١٠٧٨ ٠
نقفور الثالث ١٠٧٨ ــ ١٠٨١ ٠

١٠ ــ أسرة كومنين

ألكسيوس الاول ، كومنينوس ١٠٨١ ــ ١١١٨ ، وقسطنطين دوكاس ١٠٨١ حوالي ١٠٩٠ ويوحنا الثاني ١٠٩٢ ــ ١١١٨ ٠
يوحنا الثاني ، كالوجوهانيز ١١١٨ ــ ١١٤٣ ، وألكسيوس ١١١٩ ــ ١١٤٢ ٠
مانويل الاول ١١٤٣ ــ ١١٨٠ ، وألكسيوس الثاني ١١٧٢ ــ ١١٨٠ ٠
ألكسيوس الثاني ١١٨٠ ــ ١١٨٣ ومارتة الانطاكية وصية ١١٨٠ ــ ١١٨٢ وأندرونيكوس الاول ١١٨٢ ــ ١١٨٣ ٠
أندرونيكوس الاول ١١٨٣ ــ ١١٨٥ ٠

١١ ــ أسرة أنجيل

اسحاق الثاني ، أنجيلوس ١١٨٥ ــ ١١٩٥ ٠
ألكسيوس الثالث ١١٩٥ ــ ١٢٠٣ ٠

ألكسيوس الرابع ١٢٠٣ ــ ١٢٠٤ واسحق الثاني ١٢٠٣ ــ ١٢٠٤ ٠
ألكسيوس الخامس ١٢٠٤ ٠

١٢ ــ أسرة الأشاكرة

(امبراطورية نيقية ، ١٢٠٤ ــ ١٢٦١)
ثيودور الاول الأشكري ١٢٠٤ ــ ١٢٢٢ ٠
يوحنا الثالث ، دوكاس فاتاتزيس ١٢٢٢ ــ ١٢٥٤ ٠
ثيودور الثاني الأشكري ١٢٥٤ ــ ١٢٥٨ ٠
يوحنا الرابع ، دوكاس فاتاتزيس ١٢٥٨ ٠

١٣ ــ أسرة باليولوجوس

ميخائيل الثامن ، باليولوجوس ١٢٥٨ ــ ١٢٨٢ ، وأندرونيكوس الثاني ١٢٧٢ ــ ١٢٨٢ ٠
أندرونيكوس الثاني ١٢٨٢ ــ ١٣٢٨ ، وميخائيل ١٢٩٥ ــ ١٣٢٠ واندرونيكوس الثالث ١٣٢٥ ــ ١٣٢٨ ٠
أندرونيكوس الثالث ١٣٢٨ ــ ١٣٤١ ٠
يوحنا الخامس ١٣٤١ ــ ١٣٤٧ ، وحنة أميرة سافوي وصية ١٣٤١ــ١٣٤٧ ٠
يوحنا السادس ، كاتاكوزيني ١٣٤٧ ــ ١٣٥٥ ، ويوحنا الخامس ١٣٤٧ ــ ١٣٥٥ وماتيو كاتاكوزيني ١٣٤٨ ــ ١٣٥٥ ٠
يوحنا الخامس ١٣٥٥ ــ ١٣٧٦ ٠
أندرونيكوس الرابع ١٣٧٦ ــ ١٣٧٩ ويوحنا السابع ١٣٧٦ ــ ١٣٩٠ ٠
يوحنا الخامس ١٣٧٩ ــ ١٣٩٠ ، وأندرونيكوس الرابع ١٣٧٩ ــ ١٣٨٥ ومانويل الثاني ١٣٧٦ ــ ١٣٩١ ٠
يوحنـا السابع ١٣٩٠ ٠

يوحنــا الخامس ١٣٩٠ــ ١٣٩١ •

مانويل الثاني ١٣٩١ ــ ١٤٢٥ ، ويوحنا السابع ١٣٩٩ ــ ١٤١٢

ويوحنا الثامن ١٤٢٣ ــ ١٤٢٥ •

يوحنــا الثامن ١٤٢٥ ــ ١٤٤٨ •

قسطنطين الحادي عشر ١٤٤٨ ــ ١٤٥٣ •

دراجاسيس •

ملاحظـة :

كان بعض اباطرة الدولة البيزنطية يشتركون في الحكم كشركاء للامبراطور القائم أو معاونين له قبل أن ينفردوا بالسلطان .

وقد وضعنا اسماءهم حين حكموا على هذه الصورة ازاء الأباطرة الذيــن شاركوهم في الحكم ، ثم عدنا فكتبنا اسماءهم في قائمـة الاباطرة الرئيســة عندما تولوا الحكم .

ارجو ملاحظة ذلك عند دراسة هذه القائمة .

فتح بلاد الروم

١ ــ الموقف العــام :

أ ــ كان العرب قبل الاسلام ، على صلة وثيقة بالروم حكومة وشعبا ، فقد كان سكان الجزيرة عربا ، وكانوا أغلب سكان هذا الاقليم الذي يقع بين النهرين : دجلة والفرات ، وكانت الجزيرة تحت حكم الروم ، كما ذكرنا ذلك في بحث : بلاد الجزيرة •

وكانت دولة الغساسنة العربية قبل الاسلام في جزء من بلاد الشــام ، وقد قامت هذه الدولة للروم مقام دولة المناذرة في العراق للفرس ، فكانت دولة حاجزة اتخذ الروم منها مجنا [٣٢] يقيهم شر هجمات البدو عليهم من أطراف الصحراء من جهة ، وليثيروهم ضــد الفرس ويستعينوا بهــم عليهم من جهة أخرى[٣٣] ، فكان عرب الجزيرة والغساسنة على صلة قوية وتعــاون مستمر بالروم وبعرب الجزيرة العربية وبخاصة تجار قريش •

وقد ذكرنا في الحديث عن طرق التجارة البيزنطية التي تصــل الشرق الاقصى ببلاد الروم وبالعكس ، أن أحــد تلك الطرق الثلاثة المهمة ، وهــو طريق الهند والصين البحري عبر البحر الاحمر ، يمر بمكة باعتبارها مركزا مهما للتجارة قبل الاسلام ، ويتصل بتجارته أهل مكة العاملون بالتجارة ، مما يؤدي الى التعارف والاتصال •

---

(٣٢) المجن : الترس •

(٣٣) كتاب : عصر ما قبل الاسلام ــ محمد مبروك نافع (١١١) ــ القاهرة ــ ١٩٥٢ ــ ط ٢ •

وفي سورة قريش المكية : (لايلاف قريش • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) (٣٤) ، وكانت رحلة تجار قريش الى اليمن شتاءا لانها دافئة ، ورحلتهم الى الشام صيفا لانها باردة ، فيمتارون ويتجرون (٣٥) ، وكانت بلاد الشام يومئذ من أملاك الروم ، مما أدى الى اتصال العرب بالروم مباشرة في هذه الرحلة وفي المعاملات التجارية ، فكان لقسم من تجار قريش من أهل مكة وتجار الأوس والخزرج من أهل المدينة معرفة شخصية بحكام الروم ومنهم الأمبراطور وبشعب الروم من التجار ورجال الدين المسيحي ، كما سيرد ذكره قريبا •

وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث مرتين الى بلاد الشام• مرة مع عمه أبي طالب في تجارته (٣٦) ، ومرة مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد بعد زواج النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة (٣٧) ، فعرف بلاد الشام وعرف الروم •

وقصة الشاعر الجاهلي أمرىء القيس الذي قصد قيصر الروم يستمده معروفة ، فلما صار امرؤ القيس الى ملك الروم أكرمه ونادمه ، واستمده فوعده ذلك ، وقد وصف أمير الشعراء الجاهليين سفره الى بلاد الروم ولقاءه بملك الروم في شعره الرائع ، ولاتزال كتب الأدب تحفل بهذا الشعر المتين (٣٨) ، وهذا يدل على عمق الصلة بين العرب في جاهليتهم وبين الروم •

---

(٣٤) الآيتان الكريمتان من سورة قريش (١٠٦ : ١ ــ ٢) •
(٣٥) انظر تفسيرها في : الكشاف (٣/٢٨٩ ــ ٢٩٠) وابن كثير (٩/٣٠٤ــ٣٠٧) والبغوي (٩/٣٠٤ــ٣٠٧) والجامع لاحكام القرآن (٢٠/٢٠٠ــ٢٠٩) وفي ظلال القرآن (٣٠/٢٦٠ــ٢٦١) •
(٣٦) سيرة ابن هشام (١/١٩٤) •
(٣٧) سيرة ابن هشام (١/٢٠٣) •
(٣٨) الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة (١/٦٠ ــ ٦٢) ــ لبنان ــ ١٩٦٤ •

ب ـ وجاء الاسلام ، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليه سراء ثم أصبحت الدعوة الى الاسلام علنية ، فاشتد عضد الاسلام والمسلمين باقبال الناس على اعتناقه ، حتى أصبح خطرا يتهدد مصير المشركين من قريش في مكة ، وكان مولد الاسلام في ١٧ رمضان الموافق ٦ آب (أغسطس) من سنة (٦١٠ م) [٣٩] .

وكانت الحرب مستعرة بين الروم والفرس ، بدأت سنة (٦١٠ م) وانتهت سنة (٦٢٨ م) ، وفي تلك الحرب انتصر الفرس على الروم في صفحتها الاولى ، فاحتلوا ارمينية والجزيرة وبلاد الشام والقدس واستولوا على العود المقدس للصليب ، واحتلوا مصر والعراق وهاجموا القسطنطينية واحتلوا مناطق شاسعة من آسيا الصغرى ، واستمرت انتصارات الفرس على الروم حتى سنة (٦٢٢ م) ، حيث أعاد الروم الكرة على الفرس ، فاستعاد الروم ارمينية ، وانتصروا على الفرس في معركة (نينوى) الحاسمة سنة (٦٢٧م) ، وفي سنة (٦٢٨م) كتب ملك الفرس الى هرقل ملك الروم يطلب الصلح ، فصالحه هرقل على شروط أهمها : العودة الى الحدود القديمة ، واطلاق الاسرى ، وارجاع الصليب المقدس ، فقبل شيرويه ملك الفرس هذه الشروط [٤٠] . واحتدم الجدل بين المسلمين الأولين السابقين الى الاسلام بمكة قبل الهجرة وبين المشركين ، ولما كان الروم أهل كتاب دينهم النصرانية ، وكان الفرس غير موحدين دياتنهم المجوسية ، فقد وجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد ، وقالا بانتصار ملة الكفر على ملة الايمان . ومن ثم نزلت الآيات الاولى من سورة الروم : (ألم . غُلِبَتِ الروم . في

(٣٩) سيرة خاتم النبيين (٤٢) ـ ابو الحسن علي الحسني الندوي ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ ـ ط ٢ .
(٤٠) الروم ـ أسد رستم (١/٢٢٢ ـ ٢٢٧) .

أدنى الارض ، وهم من بعد غَلَبِهم سيغلِبون • في بضع سنين ، لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم) (٤١) تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون ، الذين يودون انتصار ملة الايمان من كل دين (٤٢) • لقد كان المسلمون منحازين بعاطفتهم الى الروم ، أما كفار العرب فكانوا يميلون الى الفرس ، وشبيه الشيء منجذب اليه ، ولا أدل على ذلك من أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه راهن أبى بن خلف وهو من وجوه كفار قريش على مائة بعير أن الروم سينتصرون (٤٣) • ان احتدام الجدل بين المسلمين والمشركين حول الروم ، دليل على تطلع الجانبين على اخبارهم وتتبع الأخبار واقتناصها ، ولا يكون ذلك الا لأهمية الروم في نفوس العرب بالرغم من تناقض عقيدتهم •

ج ـ وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وهاجر معه من هاجر من المسلمين ، فازداد تماس المسلمين بالروم في السلام والحرب •

فقد أقبل دِحيَة بن خليفة الكلبي (٤٤) من عند قيصر الروم وقد أجازه وكساه ، وكان من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي طريق عودته الى المدينة المنورة لقيه الهُنَيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد في

---

(٤١) الآيات الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ١ ـ ٥) •
(٤٢) انظر تفسير الآيات الكريمة في : ظلال القرآن (٢١/٢٠ ـ ٢٢) وصفوة التفاسير (٦/١٢) •
(٤٣) الروم (٢٢٤/١) ، وابى بن خلف بن وهب بن جمح القرشي الجمحي ، قتل مشركا يوم احد ، انظر جمهرة انساب العرب (١٥٩) •
(٤٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم •

ناس من بني جُذام ب (حِسْمى) [٤٥] ، فقطعوا عليه الطريق ، ولم يتركوا عليه الا سَمَل ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضُبَيب ، فنفروا اليهم ، واستنقذوا لدحية متاعه .

وقدم دحية على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فبعث زيد ابن حارثة الكلبي[٤٦] في خمسمائة رجل، ورد معه دحية ، فأدبت سرية زيد بني جُذام وقتلت الهنيد وابنه [٤٧] ، وهذا يدل أن قسما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم علاقة بملك الروم ، كما أن بادية الشام التي تقع فيها (حِسمى) كانت تحت نفوذ الغساسنة حلفاء الروم ، ومهاجمة من فيها مهاجمة مباشرة للروم لأن جذام حلفاؤهم .

وكانت سرية حسمى في جمادى الآخرة من السنة السادسة الهجرية (٦٢٧ م) .

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى (مؤتة) [٤٨] في جمادي الأولى سنة ثمان الهجرية (٦٢٩م) زيد بن حارثة الكلبي في سرية مؤلفة من ثلاثة آلاف مجاهد . وكان سبب بعث هذه السرية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب الى ملك (بُصرى)[٤٩] بكتاب ،

---

(٤٥) حسمى : ارض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٣) .
(٤٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤٧) طبقات ابن سعد (٨٨/٢) ومغازي الواقدي (٥٥٥/٢ ــ ٥٦٠) .
(٤٨) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/٨) وهي بادنى البلقاء دون دمشق ، انظر طبقات ابن سعد (١٢٨/٢) ، والبلقاء : هي الاردن الحالية .
(٤٩) بصرى : مدينة من اعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٨/٢) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

فلما نزل مؤتة عرض له شُرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ، ولم يُقتَل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه ، وندب الناس ، فأسرعوا وعسكروا بالجرف [٥٠] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمير الناس زيد بن حارثة ، فان قُتل فجعفر بن أبي طالب ، فان قُتل فعبدالله بن رَواحة ، فان قُتل فليرتَضِ المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم » .

واستشهد القادة الثلاثة بالتعاقب ، واصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوات المسلمين من ميدان المعركة ، لانقاذهم من معركة خاسرة تجاه تفوق العدو العَدَدِي والعُدَدِي [٥١] .

وهكذا التقى المسلمون لأول مرة بقوات الغساسنة المتفوقة ، والغساسنة حلفاء الروم الأقربون ، ولقاؤهم كلقاء الروم لا فرق بينهما في شيء . ولم ينتصر المسلمون في هذه المعركة انتصاراً مادياً ، بل انتصروا انتصاراً معنوياً ، فأصبح لديهم خبرة بسكان المنطقة وأساليبهم القتالية وطبيعة أرضهم ، وهذا ما انتفع به المسلمون في معارك الفتوح .

وفي رجب من السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠م) كانت غزوة تبوك [٥٢] ، فقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأن هِرَقل امبراطور الروم قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه لَخْم وجُذام وعامِلة وغسان ، وقدموا مقدّماتهم الى البلقاء ، فسار عليه

---

(٥٠) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٦/٢) .
(٥١) طبقات ابن سعد (١٢٨/٢ ـ ١٣٠) ومغازي الواقدي (٧٥٥/٢ ـ ٧٦٩) .
(٥٢) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٦٥/٢) .

الصلاة والسلام على رأس ثلاثين ألف مجاهد الى تَبُوك منهم عشرة آلاف فارس ، وكان الروم قد أكملوا تحشد قواتهم المؤلفة من جنودهم النظاميين ومن القبائل العربية الموالية للروم في تبوك قبل وصول المسلمين اليهـا ، ولكن المعلومات التي وصلت اليهم عن ضخامة جيش المسلمين ومعنوياتهم العالية اضطرت الروم الى الانسحاب من تبوك شمالا . ويبدو أن الروم لم يقدروا خطورة هذه الغزوة وأهميتها ، وحسبوها غارة من غارت البدو التي تنقشع بسرعة دون أن تترك أثراً باقياً وتأثيراً كبيراً ، لذلك انسحبوا تلافياً لخسائر لا مسوغ لها . أما المسلمون ، فكان انتصارهم مادياً اذ صالحوا صاحب (أيلة)[٥٣] ومناطق أخرى من بلاد الشام ، وكان انتصارهم معنوياً ، اذ ارتفعت معنوياتهم ، فكانت هذه الغزوة فاتحة لفتح بلاد الروم [٥٤] .

د ـ وفي هذه الغزوة ، وهي غزوة تبوك التي كانت آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، تخلف ثلاثة من الصحابة دون عذر مشروع ، ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الذين كانوا معه من تبوك الى المدينة المنورة ، اعترف هؤلاء المتخلفون بذنبهم في تخلفهم . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم ، فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم ، حتى تنكرت لهم أنفسهم والارض ، فما هي بالارض التي كانوا يعرفون ، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة . وكان أحد المتخلفين الثلاثة وهو كعب بن مالك [٥٥] ، أشب

(٥٣) ايلة : مدينة على ساحل البحر الاحمر مما يلي الشام ، وهي آخر الحجاز واول الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٩١) .
(٥٤) الرسول القائد (٢٨٧ ــ ٢٩٤) .
(٥٥) كعب بن مالك : انظر سيرته في الاستيعاب (٣/١٣٢٣) واسد الغابة (٤/٢٤٧) والاصابة (٥/٣٠٨) . والاستبصار في نسب الصحابة من الانصار (١٦٠ ــ ١٦٢) .

القوم وأجلدهم، وكان يخرج ويشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق، ولا يكلمه أحد . قال : « ثم غدوت الى السوق ، فبينما أنا أمشي بالسوق ، واذا نبطي (٥٦) يسأل عني من نبط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون له اليّ ، حتى جاءني ، فدفع الي كتاباً من مَلِك غسان وكتب كتاباً في سَرَقة (٥٧) من حرير، فاذا فيه : أما بعد ! فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك ، فعمدت بها الى تنور فسجرته (٥٨) بها » .

وقصة اتصال النبطي بكعب بن مالك ، يدل على أن الغساسنة حلفاء الروم كانوا يترصدون حركات المسلمين وسكناتهم ، وأن مخابرات هؤلاء كانت يقظة أشد اليقظة ، تراقب المسلمين وتعرف تفاصيل أخبارهم، وأنهم كانوا يحاولون انتهاز الفرص لشق الصفوف واثارة الاحقاد والنعرات والاختلافات بين المسلمين .

ولكن المسلمين لم يكونوا يجهلون نشاط الغساسنة المعادي في اقتناص المعلومات عن أحوال المسلمين وعن قوة جبهتهم الداخلية وضعفها ، وعن آمال المسلمين وآلامهم ، فقد كانوا يراقبون هذا النشاط مراقبة دقيقة ، ولديهم

(٥٦) نبطي : نسبة الى النبط ، وهم الانباط . والانباط : شعب سامي ، كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية ، وعاصمتهم : سلع ، وتعرف اليوم بـ (البتراء) . والانباط : المشتغلون بالزراعة ، واستعمل اخيرا في اخلاط الناس من غير العرب .
(٥٧) سرقة : شقة من الحرير ، ويقال : السرق : احسن الحرير واجوده .
(٥٨) سجرته بها : اي احرقتها ، والهبت بها التنور .

وسائلهم الخاصة في مكافحة المخابرات المعادية من جهة في الداخل ، وتسرب مخابراتهم للحصول على المعلومات عن الروم وحلفائهم من جهة أخرى في الخارج ، فكانوا يحمون أنفسهم من مخابرات العدو داخلياً وخارجيا . ولعل ايمان المسلم الراسخ ــ كما هو الحال في قصة كعب ــ هو المعيل الواقي من محاذير المخابرات المعادية .

ومن الواضح ، أن الغساسنة كانوا يبلغون الروم بالمعلومات التي يحصلون عليها عن المسلمين ، وبخاصة اذا كان لتلك المعلومات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموقف العسكري الذي يؤثر في مصير الغساسنة والروم (٥٩).

هـ ــ وتصاعدت الاتصالات بين المسلمين والروم وحلفائهم في السنة السادسة الهجرية (٦٢٧م) ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي (٦٠) الى هرقل امبراطور الروم والى الأسقف الأعظم في الروم ، وبعث شجاع بن وهب الاسدي (٦١) الى الحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة في بلاد الشام ، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي (٦٢) الى المقوقس ملك

(٥٩) لبث المخلفون الثلاثة خمسين ليلة يقاطعهم المسلمون مقاطعة صارمة ويهجرهم أهلوهم حتى زوجاتهم ، ثم تاب الله عليهم ، بعد مانزل بهم ما نزل من عقاب نفسي صارم ، ليتوبوا ولا يعودوا الى التخلف مرة أخرى، فشرط التوبة النصوح الابتعاد عن الذنوب . وقد انزل الله في التوبة عليهم: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم ، وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم) ، التوبة (٩ : ١١٨) .

(٦٠) دحية بن خليفة الكلبي : انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ٩٠.

(٦١) شجاع بن وهب الأسدي : انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦٢) حاطب بن ابي بلتعة اللخمي : انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

الاسكندرية وهو قيرس بطريرك الاسكندرية الملكاني الذي جمع له هرقل ولاية الدين وجباية الخراج بأرض مصر ، بعثهم يدعو هؤلاء الملوك والرؤساء الى الاسلام ، وكانت بلاد الشام ومصر في حينه ضمن ممتلكات الامبراطورية البيزنطية ، اذ وصل هؤلاء الدعاة أو السفراء في هذه السفارات النبوية في السنة السابعة الهجرية (٦٢٨م) ، وكانت هذه البلاد قد عادت الى الروم بعد اندحار الساسانيين كما سبق ذكره •

وبارسال هؤلاء السفراء الى هؤلاء الملوك ، اتضحت الرؤية بالنسبة للروم وحلفائهم والمسلمين ، نعرف كل طرف منهم ما يريده صاحبه منه ، وما يستطيع أن يتقبله وما لا يستطيع ، فعرف النبي صلىالله عليه وسلم والمسلمون امبراطور الروم وملك الغساسنة ومقوقس مصر عن كثب ، وعرفوا حقيقة نواياهم تجاه الدين الجديد •

كما عرف امبراطور الروم وملك الغساسنة ومقوقس مصر ما يريد النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فتحقق ما كان يسمعونه بما رأوه عيانا •

وأراد قيصر الروم استقصاء أخبار النبي صلى الله عليه وسلم من أبناء جلدته العرب ، فاستدعى جماعة من تجار العرب ـ كما روى الامام البخاري في صحيحة من حديث ابن عباس رضىالله عنه ـ وكان بين الذين استدعاهم هرقل أبو سفيان بن حرب ، فسأل أبا سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أخباره ، وناقشه في أقواله مناقشة مستفيضة [٦٣] ، وقد كتب هرقل الى النبي صلى الله عليه وسلم جواباً على رسالته ، وبعث بكتابه الجوابي مع

(٦٣) التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح (١/٧ ـ ٨) وفتح البارى بشرح البخاري (١/٢٠ ـ ٢٨) ، وانظر البداية والنهاية (٤/٢٦٤ ـ ٢٦٥)•

دحية [٦٤] ، ويبدو أن قلب هرقل مال الى الاسلام ، ولكنه خاف من الروم على مصيره ان هو أعلن اسلامه [٦٥] .

أما الحارث بن شَمِر الغساني فلم يسلم ، وأراد أن يسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمنعه هرقل من المسير اليه ، وأمره بالتريث حتى يلقاه بالقدس وشيكا [٦٦] .

وأما المقوقس ، فقد أكرم سفير النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن نزله [٦٧] ، وبعث معه هدايا الى النبي صلى الله عليه وسلم [٦٨] .

لقد كان في هذه السفارات كسب معنوي لاشك فيه ، فقد ازداد اطلاع الروم وحلفائهم على الدين الجديد وعلى أخبار المسلمين ، واتجه تفكير الناس في بلاد الروم وبلاد الشام ومصر الى الاسلام والمسلمين . كما ازداد اطلاع المسلمين على نظام الحكم في تلك الاصقاع ، واحوال سكانها ومصدر قوتهم وضعفهم ، وطبيعة أرضهم ، مما كان له أثر في الفتح لا يمكن تجاهله ولا التقليل من قيمته وأهميته .

ونستطيع أن نلخص الموقف العام قبل الفتح الاسلامي للبلاد التي كانت تحكم من الروم ولبلاد الروم الأصلية ، بالنسبة للعلاقة بين العرب والروم قبل الاسلام ، وبالنسبة للعلاقة بين المسلمين والروم بعد الاسلام على عهد النبي

(٦٤) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) .
(٦٥) الطبري (٦٤٩/٢ — ٦٥٠) وابن الاثير (٢١١/٢) .
(٦٦) طبقات ابن سعد (٢٦١/١) ، وانظر ابن الاثير (٢١٣/٢) والبداية والنهاية (٢٦٨/٤) وتاريخ خليفة بن خياط (٦٣/١) .
(٦٧) فتوح المغرب (٦٧) .
(٦٨) الطبري (٦٤٥/٢) وابن الاثير (٢١١/٢) .

صلى الله عليه وسلم ، بان العرب كانوا على صلة وثيقة بالروم ومعرفة تامة بأحوالهم ، وكان نشاطا الجانبين معروفين لكل جانب منهما ، فالغساسنة العرب حلفاء الروم المقربون ، والتجارة متبادلة بين الجانبين ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد سافر الى بلاد الشام مرتين في التجارة ، وقد حدثت مناوشات بين المسلمين وحلفاء الروم عدة مرات كان أهمها في سرية مُؤْتَة وفي غزوة تبوك، وكانت مخابرات الروم متغلغلة في المناطق الاسلامية ، ومخابرات المسلمين متغلغلة في بلاد الروم وبخاصة بلاد الشام ، وكانت هناك مغارات نبوية بين المسلمين والروم وحلفائهم لم تثمر نتائج مادية في نشر الاسلام ، بل أثمرت ثمرات معنوية يانعة كما ذكرنا ، وكان هذا الاتصال المستمر تمهيداً للفتح •

٢ ـ فتوح البلاد المحكومة من الروم :

فتح خالد بن الوليد مدينة بُصْرى وهو في طريقه من العراق الى الشام سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٣٤م) ، فكانت بصرى (بُصْرا Bothra) أو (البتراء) أول مدينة فُتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق [٦٩] • وفي هذه السنة انتصر المسلمون على جيش الروم في معركة اليرموك الحاسمة ، وفتحوا دمشق وساحل دمشق وبيسان وطبرية [٧٠] •

وفي سنة خمس عشرة الهجرية (٦٣٦م) فتح المسلمون حمص وبعلبك وقنسرين وحلب وانطاكية وقيسارية وبيسان [٧١] وبيت المقدس [٧٢] ، وبذلك استكمل المسلمون فتح بلاد الشام (سورية ، ولبنان ، والاردن ، وفلسطين) وأصبحت جزءاً من الدولة الاسلامية •

(٦٩) ابن الاثير (٢/٤٠٩) •
(٧٠) انظر ابن الاثير (٢/٤٠٠ و ٤٢٧ و ٤٣١) •
(٧١) الطبري (٣/٥٩٩ و ٦٠١ و ٦٠٣ و ٦٠٥) •
(٧٢) الطبري (٣/٦٠٧) وابن الاثير (٢/٤٩٩) •

وفي سنة سبع عشرة الهجرية (٦٣٨م) فتح المسلمون الجزيرة [٧٣] كما فتحوا ارمينية في تلك السنة أيضاً وسنة تسع عشرة الهجرية [٧٤] (٦٤٠م) وسنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢م) ، وسنة خمس وعشرين الهجرية [٧٥] (٦٤٥م) ، وكان فتحها بالتدريج لوعورة أرضها وبعدها عن قاعدة المسلمين في العراق وسعة مساحتها أيضاً • وفتح المسلمون أذربيجان سنة اثنتين وعشرين الهجرية [٧٦] (٦٤٢م) وصالحها المسلمون نهائياً سنة خمس وعشرين الهجرية [٧٧] (٦٤٥م) ، وبذلك طُوِّقت بلاد الروم الاصلية من الجنوب ومن الشرق تطويقاً كاملا •

وفي سنة عشرين الهجرية [٧٨] (٦٤٠م) فتح المسلمون مصر عدا الاسكندرية ، وفي سنة احدى وعشرين الهجرية (٦٤١م) فتح المسلمون الاسكندرية [٧٩] ، وتقدم المسلمون نحو ليبيا ففتحوها سنة اثنتين وعشرين (٦٤٢م) وسنة ثلاث وعشرين الهجرية [٨٠] (٦٤٣م) ، وباختصار لم تحل سنة تسع وعشرين الهجرية (٦٤٩م) حتى كان أكبر قسم من الولايات البيزنطية في شمالي افريقية شمولا بالفتح الاسلامي •

لقد كانت انتصارات المسلمين تبعث على الدهشة حقا [٨١] •

---

(٧٣) الطبري (٥٣/٤) وابن الاثير (٥٣٢/٢) •
(٧٤) الطبري (٥٣/٤) وابن الاثير (٥٣٣/٢) •
(٧٥) ابن الاثير (٨٣/٣) •
(٧٦) الطبري (١٥٣/٤) •
(٧٧) ابن الاثير (٨٣/٣) •
(٧٨) ابن الاثير (٥٦٤/٢) •
(٧٩) البلاذري (٣٠٤) •
(٨٠) ابن الاثير (٢٥/٣) •
(٨١) الامبراطورية البيزنطية (٣٦٠) •

٣ ـ فتح ابي عبيدة بن الجراح (٨٢) :

في سنة خمس عشرة الهجرية (٦٣٦م) بعد فتح حلب ، سار أبو عبيدة من حلب الى أنطاكية ، وقد تحصن بها كثير من الناس من قنسرين وغيرها . ولما فارق حلب لقيه جمع العدو ، فهزمهم والجأهم الى أنطاكية وحاصرها من جميع نواحيها . ثم ان أهل أنطاكية صالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فآمن الذين بقوا في المدينة. ولكن أهل أنطاكية نقضوا، فوجه أبو عبيدة اليهم عياض بن غَنْم[٨٣] وحبيب بن مسلمة [٨٤] ، فأعادا فتحها من جديد .

وكانت أنطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين ، فلما فتحت كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبي عبيدة : « أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء » [٨٥] .

٤ ـ فتح خالد بن الوليد :

في سنة خمس عشرة الهجرية (٦٣٦م) ، وجه أبو عبيدة بن الجراح خالداً وهو بـ (مَنْبِج) الى مَرْعَش ، ففتحها وأجلى أهلها وأخربها كما أنه فتح حصن الحَدَث [٨٦] .

(٨٢)ابو عبيدة بن الجراح : انظر سيرته المفصلة في كتاب قادة فتح الشام ومصر (٥٤/٨١) .
(٨٣) عياض بن غنم : انظر سيرته المفصلة في كتاب قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢٥ ـ ٤٣٥) .
(٨٤) حبيب بن مسلمة : انظر سيرته المفصلة في هذا الكتاب .
(٨٥) ابن الاثير (٤٩٥/٢) .
(٨٦) تاريخ أبي الفدا (١٦٠/١) .

٥ ـ فتح حبيب بن مسلمة :

أمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة ، فقدم على عياض بالجزيرة، فقاتل حبيب تحت لواء عياض وفتح شمشاط[٨٧] وملطية عنوةً ، ثم نقض أهلها الصلح ، فلما ولي معاوية الشام وجه اليها حبيب ابن مسلمة أيضاً ، ففتحها عنوة ورتب فيها جنداً من المسلمين مع عاملها[٨٨] .

وقد جرى فتح شمشاط وملطية سنة سبع عشرة الميلادية (٦٣٨م) .

وارتبكت أمور ارمينية في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان حبيب بن مسلمة يجاهد في تلك المناطق ، وكان على الكوفة الوليد بن عُقبة[٨٩] ، فكتب اليه عثمان : « ان معاوية بن أبي سفيان كتب الي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة ، وقد رأيت أن يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة ، فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه ، والسلام »[٩٠] .

وقام الوليد بن عقبة في الناس وأعلمهم الحال ، وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي ، فانتدب معه ثمانية آلاف ، ومضوا حتى دخلوا مع أهل الشام الى أرض الروم ، فشنوا الغارات على أرض الروم مع حبيب ، وأصاب الناس ما شاؤوا ، وافتتحوا حصونا كثيرة[٩١] .

---

(٨٧) شمشاط : مدينة في بلاد الروم على شاطىء الفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٩٣) ، وهي غير سميساط .
(٨٨) ابن الاثير (٢/٥٣٥) .
(٨٩) الوليد بن عقبة بن أبي معيط : انظر سيرته في كتاب قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٩ ـ ٤٦٨) .
(٩٠) ابن الاثير (٣/٨٣) .
(٩١) ابن الاثير (٣/٨٣ ـ ٨٤) .

وبلغ حبيب بن مسلمة أن بطريق (أرميناقس) (٩٢) وهي بلاد (ملطية) و (سيواس) وقونية وأقصرا وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم (٩٣) . وأجمع حبيب على تبييت الروم ، فبيتهم وقتل من وقف له ، وانتصر على الروم ، فعاد ادراجه الى مقره في ارمينية ، وقد جرت هذه المعركة سنة خمس وعشرين الهجرية (٦٤٥ م) .

٦ ـ فتح سلمان بن ربيعة الباهلي :

فتح سيواس وقونية وأقصرا وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية (البسفور) مع حبيب بن مسلمة ، فقد فتحا هذه المنطقة الشاسعة من بلاد الروم متعاونين على أفضل ما يكون التعاون ، وكان سلمان اليد اليمنى لحبيب في فتحه .

٧ ـ فتح محمد بن مروان بن الحكم :

في سنة ثلاث وسبعين الهجرية (٦٩٢ م) ، استعمل عبدالملك بن مروان أخاه محمدا على الجزيرة وارمينية ، فغزا منها وأثخن في العدو ، وهزم الروم ، وقتل وسبى وغلب على البلاد .

وفي سنة أربع وسبعين الهجرية (٦٩٣م) غزا الروم صيفا ، فبلغ أندولية وعاد منها منتصرا .

وفي سنة خمس وسبعين الهجرية (٦٩٤م) ، غزا الروم صيفا ، فخرجت

(٩٢) ارميناقس : هي بلاد ملطية وسيواس واقصرا وقونية وما والاها من البلاد ، والى خليج القسطنطينية ، انظر ابن الاثير (٨٤/٢) .
(٩٣) ابن خلدون (١٠٠١/٢) وزاد ابن الاثير (٨٤/٢) : ملطية وسيواس واقصرا ... الخ .

الروم في جمادي الاولى من هذه السنة من قبل مرعش ، فالتقى المسلمون بعمق مرعش بالروم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزمت الروم ، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون •

وفي سنة ست وسبعين الهجرية (٦٩٥م) ، غزا الروم من ناحية ملطية •

وفي سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، غزا ارمينية ، فهزمهم ، ولكنهم قتلوا وكيله عليها غدرا بعد أن صالحهم محمد •

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤م) ، غزا ارمينية ، فصاف فيها وشتى •

وهكذا قضى أكثر سني حكمه للجزيرة وارمينية بالغزو ومحاولة الروم وأهل ارمينية ، فاستعاد فتح ارمينية وشطرا من بلاد الروم •

٨ ـ فتح مسلمة بن عبدالملك :

في سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥م) ، غزا مسلمة أرض الروم • وفي سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٦م) ، غزا الروم فأثخن فيهم بناحية المصيصة ، وفتح حصونا كثيرة منها حصن بولق واخرام وبولس وقمقيم وقتل من المستعربة ألف مقاتل وسبى أهاليهم •

وفي سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٧م) غزا مسلمة والعباس بن الوليد بن عبدالملك بلاد الروم ، فاصطدم الطرفان فانهزم الروم ، ثم أعادوا الكرة فانهزم المسلمون • ولكن العباس بن الوليد بن عبدالملك ثبت على رأس الساقة ، وقام المسلمون بهجوم مضاد ، فانهزم الروم حتى دخل المسلمون (طوانة) بعد قتال وشتوا فيها • كما فتح مسلمة في هذه السنة حرثومة وثلاثة حصون : حصن قسطنطين وحصن غزالة وحصن الأخرم •

وقد تكرر فتح حصن الاخرم سنة سبع وثمانين وثمان ثمانين الهجرتين، ومن المحتمل أن الروم استعادوه ، فعاد اليه مسلمة وفتحه مرة بعد أخرى •

وفي سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٨م) ، غزا مسلمة والعباس بن الوليد الروم ، ففتحا عمورية وافتتح هرقلة وقمونية •

وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٩م) ، غزا مسلمة أرض الروم ، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية •

وفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١٠م) ، غزا أرض الروم ، ففتح حصونا ثلاثة ، وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم •

وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) ، غزا مسلمة الروم ، فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية ، وكان مسلمة قد فتح حصن الغزالة سنة ثمان وثمانين الهجرية كما ذكرنا ، والظاهر أن الروم استردوها من المسلمين ، فاستعادها مسلمة ثانية •

وفي سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، غزا مسلمة الروم ، فافتتح سندرة ، وهي حصن من حصون الروم التي أقامها البيزنطيون للدفاع عن عاصمتهم القسطنطينية ، ومن الغزو مباشرة عاد مسلمة الى الديار المقدسة ، فحج بالناس في هذه السنة •

وفي سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٤م) ، غزا مسلمة الصائفة في بلاد الروم •

وفي سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥م) ، غزا مسلمة أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح الذي كان من قادة مسلمة المؤوسين • وفيها أيضا غزا برجمة وحصن ابن عوف ، وافتتح أيضا من جديد حصن

الحديد وفتح سرورا ، وشتى بأرض الروم ، وكان مسلمة قد فتح حصن الحديد وبرجمة سنة ثلاث وتسعين الهجرية كما ذكرنا ، والظاهر أن هذين الحصنين انتقضا ، فأعادهما مسلمة للمسلمين سنة سبع وتسعين الهجرية .

وفي هذه السنة بدأ سليمان بن عبدالملك بتجهيز الجيوش لفتح القسطنطينية ، وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) فرض مسلمة الحصار على القسطنطينية ، وبعد قتال عنيف أخفق الحصار وانسحب مسلمة من القسطنطينية سنة تسع وتسعين الهجرية (٧١٧م) ، وتفاصيل الحصار في سيرة مسلمة مفصلة ، ويستطيع أن يتدارسها من يريد في هذا الكتاب : قادة فتح بلاد الروم .

٩ ـ فتح عبدالله بن عبدالملك بن مروان :

في سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، غزا عبدالله بلاد الروم ، ففتح حصن سنان من ناحية المصيصة .

وفي سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) ، غزا عبدالله الروم ، ففتح طُرندة .

وفي سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣م) ، فتح عبدالله المصيصة ، فبناها وبنى حصنها على اساسها القديم ، ووضع بها سكانا من المسلمين ، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن .

ووجه قواته في هذه السنة الى حصن سنان ، ففتحه ، ويبدو أنه فتح هذا الحصن ثانية ، لانه كان قد فتحه سنة اثنتين وثمانين الهجرية كما ذكرنا .

١٠ ـ فتح العباس بن الوليد بن عبدالملك :

في سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٧م) ، فتح العباس بالتعاون مع مسلمة ابن عبدالملك بعض بلاد الروم منها طوانـة •

وفي سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٨م) ، غزا مسلمة بن عبدالملك ومعه العباس أرض الروم ودخلاها جميعا ، ثم تفرقا ، فافتتح العباس (أذرولية) ، ووافق من الروم جمعا فهزمهم ، كما غزا العباس الصائفة من ناحية البُذندون•

وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٩م) غزا العباس الروم حتى بلغ الأرزن في رواية ، وحتى بلغ سورية في رواية أخرى ، والثانية أصح ، لأن ذلك يجمعه بقوات مسلمة •

وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) ، غزا العباس أرض الروم ، ففتح سمسطية (سبيطلة = سبسطية) ، والظاهر أنها مدينة سميساط • كما فتح في هذه السنة المرزبانين في منطقة طرسوس ، وفتح طولس (طرسوس) •

وفي سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، فتح العباس مدينة أنطاكية كما فتح قارطلة •

والمعروف أن أنطاكية فتحها أبو عبيدة بن الجراح لأول مرة سنة خمس عشرة الهجرية (٦٣٦م) كما ذكرنا ، ولكن الروم استعادوها لنشوب الاضطرابات الداخلية واضطراب أمور المسلمين ، فأعاد العباس فتحها من جديد •

وفي سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٣م) ، غزا العباس بلاد الروم ، ففتح طولس (طرسوس) والمرزبانين وهِرَقلة •

وقد تكرر فتح طولس والمرزبانين مرتين : مرة سنة ثلاث وتسعين الهجرية،

ومرة سنة خمس وتسعين الهجرية ، ولعل سبب ذلك هو في اختلاف المؤرخين بالتوقيت ، والاختلاف في هذه الحالة على كل حال طفيف •

وقد يكون سببه ، ان العباس فتحهما مرة سنة ثلاث وتسعين الهجرية ، فانتقضتا ، فأعاد فتحهما من جديد سنة خمس وتسعين الهجرية •

أما هرقلة ، فقد فتحها مسلمة بن عبدالملك سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٨م) ، فمن المحتمل أن الروم استعادوها من المسلمين ، فجدد فتحها العباس، وأعادها كرة أخرى الى حوزة المسلمين •

وفي سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) ، غزا العباس أرض الروم ، ففتح مدينة (رَسْلَة) أو (دلسة) أو (أواسي) •

١١ ــ فتح عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك :

في سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، غزا عبدالعزيز بلاد الروم ، فبلغ حصن غزالة في هذه الغزوة وفتحها •

ومن المعروف أن هذا الحصن كان قد فتحه مَسْلَمَة بن عبدالملك سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٧م) ، مما يدل على أن الروم استعادوه من المسلمين بعد فتحه ، فأعاده عبدالعزيز الى سيطرة المسلمين مرة أخرى •

١٢ ــ فتح داؤود بن سليمان بن عبدالملك :

في سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥م) ، جهز سليمان بن عبدالملك الجيوش لفتح القسطنطينية ، واستعمل ابنه داؤود على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة •

وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) ، غزا داؤود أرض الروم ، ففتح حصن المرأة ثانية ، كما فتح حصن الأجرب •

وقد تكرر فتح حصن المرأة في هذه السنة ، وسبق ذكره في فتوح سنة سبع وتسعين الهجرية ، مما يدل على أن الروم استعادوه في شتاء سنة سبع وتسعين الهجرية ، لقلة المدافعين عنه من المسلمين على مانرجحه •

وكان فتح هذين الحصنين في هذه السنة ، لتأمين خطوط مواصلات الجيوش الاسلامية الزاحفة لفتح القسطنطينية ، لأنها الشريان الرئيس لتقدم تلك الجيوش نحو هدفها ، وهي التي تصل قواعد المسلمين الأمامية بالقسطنطينية ، وعليها تتحرك الامدادات البشرية والادارية من تلك القواعد الى الجيوش الزاحفة ، وكل قائد لابد له من تأمين خطوط مواصلاته بالربايا في المناطق الجبلية والحصون •

وقد كان داؤود بأمرة عمه مسلمة قائدا مرؤسا في ملحمة حصار القسطنطينية ، والظاهر أنه استعاد فتح حصن المرأة وفتح حصن الأجرب ، وهو في طريقه الى القسطنطينية ، اذ كان يومئذ قائدا لأحد الأرتال المتقدمة لفتح عاصمة الروم • وبقي داؤود مع عمه من صيف سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦م) حتى تم انسحاب مسلمة عن حصار القسطنطينية بعد وفاة سليمان ابن عبدالملك سنة تسع وتسعين الهجرية (٧١٧م) ، بعد أن بقي المسلمون يحاصرون القسطنطينية ثلاثين شهرا •

١٣ ـ فتح معاوية بن هشام بن عبدالملك :

في سنة تسع ومئة الهجرية (٧٢٧م) ، غزا معاوية أرض الروم ، ففتح حصنا يقال له : حصن طيبة ، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية بخسائر في الأرواح •

وفي سنة عشر ومئة الهجرية (٧٢٨م) ، غزا معاوية أرض الروم ، ففتح حصنين كبيرين من حصونهم : حصن صِمَلَّة والبوة • وصملة هذه هي

صمالو التي تقع قرب المصيصة وطرسوس •

وفي سنة احدى عشرة ومئة الهجرية (٧٢٩م) ، غزا معاوية أرض الروم على الصائفة اليسرى ، وغزا أخوه سعيد بن هشام بن عبدالملك أرض الروم على الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية ، فوغل معاوية في بلاد الروم ، وانصرف ولم يلق كيدا •

وفي سنة اثنتى عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠م) ، غزا معاوية بلاد الروم ، فافتتح خَرشَنَة من ناحية ملطية وحرق فرندية من ناحية ملطية أيضا •

وفي سنة ثلاث عشرة ومئة الهجرية (٧٣١م) ، غزا معاوية بلاد الروم ، فرابط في ناحية مرعش ثم رجع •

وفي سنة أربع عشرة ومئة الهجرية (٧٣٢م) ، غزا معاوية أرض الروم على الصائفة اليسرى ، وغزا أخوه سليمان بن هشام أرض الروم على الصائفة اليمنى مما يلي الجزيرة ، فأصاب معاوية ربض أقرن ، وبلغ سليمان قيسارية • والظاهر أن أقرن تقع في ناحية ملطية ، استنادا الى اتجاه الصوائف اليسرى وسير الحوادث •

وفي سنة خمس عشرة الهجرية (٧٣٣م) ، غزا معاوية الروم على الصائفة حتى أتى على أفلاغونيا ، وجرت هذه الغزوة في شهر رمضان ، وافتتح حصوناه

وفي سنة ست عشرة ومئة الهجرية (٧٣٤م) ، غزا معاوية بلاد الروم على الصائفة ، كما غزا سنة سبع عشرة ومئة الهجرية (٧٣٥م) ، فبلغ في غزوته سبيرة وبلغت سراياه سردة •

وفي سنة ثماني عشرة ومئة الهجرية (٧٣٦م) ، غزا معاوية وأخوه سليمان أرض الروم •

١٤ ــ فتح مروان بن محمد بن مروان :

في سنة ست ومئة الهجرية (٧٢٤م) في خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان ، تولى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أول قيادة عسكرية له ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة •

فقد تولى الصائفة اليمنى ، فافتتح قونية من أرض الروم وكمخ التي تعد من أرض الجزيرة •

وكان مروان مع مسلمة بن عبدالملك من سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥م) حتى سنة أربع عشرة ومئة الهجرية (٧٣١م) في جهاده الذي امتد من الجزيرة الى بلاد الروم وأذربيجان وارمينية ، فعزل هشام بن عبدالملك أخاه مسلمة ، وولى مروان بن محمد على الجزيرة وأذربيجان وارمينية ، فكان نشاط مروان في الفتوح منصبا على ارمينية ، وبقي في قيادته مجاهدا حتى سنة احدى وعشرين ومئة ، ونشاطه في هذا الميدان في سجل فتح ارمينية نشاط متميز مرموق •

١٥ ــ فتح محمد الفاتح :

فتح محمد مدينة القسطنطينية عاصمة الروم ، وكانت خطة الفتح وتنفيذها وتوقيت عمليات الفتح ونتائج الفتح مهمة جدا ولاتزال وستبقى كذلك ، ولايمكن اختصار تلك الأعمال المجيدة بسطور أو كلمات ، فلابد من الرجوع اليها في كتاب : قادة فتح الروم ، لاستيعاب تفاصيلها كما ينبغي في سيرة : محمد الفاتح ، الذي كان آخر قادة فتح بلاد الروم تسلسلا ، وأهمهم انجازا وفتحا ، وحسبه أن يقال عنه : انه فاتح القسطنطينية ، وكفاه بذلك فخرا وذكرا •

ولم يقتصر فتح محمد الفاتح على القسطنطينية على أهميته ، بل شمل فتوحات كثيرة في آسيا الصغرى ، وفي أوروبا ، مما تجد تفاصيله في فتوح هذا القائد العظيم الذي أصبحت فتوحاته معروفة ومقدرة ليس على النطاق الاسلامي وحده ، بل على النطاق العالمي أيضا .

عبرة الفتح

استهان الروم بالعرب بعامة وعرب الجزيرة العربية بخاصة ، قبل الاسلام، وبعد الاسلام . واذا كان هناك ما يسوغ لهم هذه الاستهانة بالعرب قبل الاسلام ، لتفرّقهم وتناحرهم وضعف قوتهم وانصرافهم الى المنافع الشخصية المادية والمعنوية بحدود المكاسب الفردية لغاية نطاق العشيرة أو القبيلة ، دون أن يكون للمصلحة العربية العامة أهمية تذكر في ميزان العربي قبل الاسلام. كما أن العرب كانوا يؤمنون بعقائد شتى ، وكانوا في سوادهم الأعظم مشركين ، فكانت تلك العقائد المتخلفة تفرق ولا توحد ، وتهدم ولاتبنى ، وتؤخر ولاتقدم ، وتثير بين معتنقيها العداوة والبغضاء والحقد والتناحر ، ولعل : « أيام العرب في الجاهلية »[٩٤] في حرب البسوس وداحس والغبراء وغيرهما ، تحكى قصة الاقتتال المستمر بين الأشقاء العرب لأسباب تافهة ، فكان بأسهم بينهم شديدا ، حتى قال قائلهم :

(٩٤) انظر كتاب : ايام العرب في الجاهلية ــ محمد احمد جاد المولى بالاشتراك ــ القاهرة ــ ١٩٤٢ ، فقد سجل التاريخ للعرب (٨١) اقتتالا في مدة قصيرة ، وما لم يسجله اكثر عددا . والجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذي هو السفة والغضب والأنفة ، انظر فجر الاسلام (٨٦/١). والجاهلية : زمان الفترة بين رسولين . والجاهلية: ما كان عليه العرب من الجهالة والضلالة قبل الاسلام ، انظر معجمات اللغة .

ومَن تكن الحضارة أعجبتهُ
فأي رجال بادية ترانا

ومَن ربط الجحاش فأن فينا
قنا سُلبا [٩٥] وأفراسا حِسانا

وكُنَّ اذا أغَرْنَ على قَبيل
فأعوزهُنَّ نهبٌ حيث كانا [٩٦]

أغَرْنَ على الضِّباب على حلالٍ
وضبَّة انّه مَن حان حانا [٩٧]

وأحيانا على بَكرٍ أخينا
اذا مالم نجد الا أخانا [٩٨]

هؤلاء هم عرب الجزيرة العربية ، أنفسهم عليهم لا على أعدائهم ، فهي أشد ضررا عليهم لانها أعدى أعدائهم ، فلا وزن لهم في موازين القوى المتصارعة .

أما عرب العراق ، فحلفاء الفرس ، وهم المناذرة ، وأما عرب بلاد الشام ، فحلفاء الروم ، وهم الغساسنة ، وكثيرا ما تشبت الحرب بين الغساسنة والمناذرة لا لمصلحة العرب ، بل لمصلحة الفرس أو الروم ، أما المصلحة العربية فغائبة

(٩٥) قنا : جمع قناة ، والقناة : الرمح الاجوف . وسلبا : اي طوال .
(٩٦) القبيل : الجمع من الناس .
(٩٧) الضباب : اسم قبيلة . والحلال : المجاور ، يقال : حي‌حلال : اي مجاور مقيم بالقرب منه . يقول : اغرن على الحي المجاور لحيهم من قبيلتي ضباب وضبة . وقوله : من حان حانا : اي من جاء أجله فهو لابد هالك .
(٩٨) الشعر للقطامي الشاعر ، وهو شاعر جاهلي مشهور .

عن الميدان • أما عرب الجزيرة ، فهم تارة مع الفرس ، وتارة مع الروم ، ولم تقم لهم دولة بعد دولة الحضر التي قضى عليها سابور الاول (٢٤١م – ٢٧٢م)، ومن يومها كانوا مع القوي الذي استولى على بلادهم ، على الضعيف الذي غادر بلادهم ، وكانوا يكدون ليدفعوا الضرائب الفادحة للحكام ، ويعانون الاضطهاد الديني حتى من أبناء دينهم الروم ، لاختلاف المذاهب وما يجره اختلافها من ويلات •

وعرب الهلال الخصيب قبل الاسلام : العراق ، وبلاد الشام ، والجزيرة ، لا وزن لهم في موازين القوى المتصارعة ، لأنهم يعملون لمصلحة الفرس والروم لا لمصلحتهم ، فطاقاتهم مسخرة للأجنبي لا للعرب •

وجاء الاسلام ، فوحد عقائد العرب المتناقضة في عقيدة واحدة هي : الاسلام ، بعد أن ألغى تلك العقائد الفاسدة ، ووحد صفوفهم وألف بين قلوبهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة والنظام ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاماً مادياً ومعنوياً ، وعلمهم التضحية من أجل المبادىء لا من أجل الأهواء ومن أجل المصلحة العامة للمسلمين لا من أجل المصلحة الشخصية للأفراد أو الجماعات ، فأصبحت لذلك كله وبذلك كله قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام واحد ، وطاعة عالية ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ، وبذلك أصبح العرب قوة منظمة هائلة ، وجدت لها متنفساً في توحيد الجزيرة العربية أولا ، وفي الفتح الاسلامي ثانيا ، وأصبح العرب بعد الاسلام ، غير العرب قبل الاسلام قوة واقتداراً ومثلاً عليا •

ولكن الروم استهانوا بالعرب بعد الاسلام ، كما استهانوا بهم قبل الاسلام ، ولم يكتشفوا أثر الاسلام في العرب بالرغم من النذر المباشرة التي كشفها العرب المسلمون للروم وحلفائهم من الغساسنة والقبائل العربية الاخرى

على عهد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، فكانت تلك الاستهانة التي لا مسوغ لها هي الخطأ السوقي العظيم الذي وقع فيه الروم والذي لم يستطيعوا تلافيه ولا اصلاحه أبدا ، وأدى فيما أدى اليه الى فتح المسلمين لممتلكات الروم خارج بلادهم الأصلية ، وفتح جزء من بلادهم أيضا .

لقد كانت السرايا التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم للتعرض بحلفاء الروم من القبائل العربية على تخوم بلاد الشام الجنوبية ، انذاراً مباشراً للروم بصحوة العرب بعد الاسلام ، تلك السرايا التي كانت قبل سرية مؤتة مباشرة كما هو معروف .

والى جانب تبليغ الدعوة الاسلامية الى قادة العالم المعروفين في حينه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان قائداً لا يغض الطرف عن أي مظهر عدواني يحط من شأن دعوته أويعمل على النيل منها ، فلم يسكت ازاء استشهاد رسوله الحارث بن عُمَيْر الازدي[٩٩] الذي بعثه الى ملك الغساسنة في بصرى ، فأرسل في السنة الثامنة الهجرية (٦٢٩م) أحد قادته المقربين اليه ، وهو زيد بن حارثة الكلبي ، على رأس سرية تعدادها ثلاثة آلاف مجاهد الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب . وهناك عند مؤتة الواقعة على حدود البلقاء الى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، التقى المسلمون بقوات الروم .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها سرية مؤتة ، الا أن نتائجها وآثارها كانت

---

(٩٩) الحارث بن عمير الازدي : انظر سيرته في الاستيعاب (١/٢٩٧) واسد الغابة (١/٣٤١) والاصابة (١/٢٩٩) .

بعيدة المدى ، فبينما رأى الروم في تلك السرية غارة من الغارات التي اعتاد البدو على شنها للنهب والسلب ، كانت سرية زيد هذه في الحقيقة معركة من نوع جديد لم تقدر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظمة كانت لهـا مهمة خاصة ، جعلت العرب المسلمين يتطلعون جدياً لفتح بلاد الشام .

وفي السنة التالية ، أي في السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠م) ، قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة تبوك ، فأظهر قوة المسلمين للروم وحلفائهم بخاصة ، وللمشركين وغير المسلمين من أهل الكتاب بعامة ، ثم عاد أدراجه الى المدينة المنورة .

وفي السنة الحادية عشرة الهجرية (٦٣٢م) ، أعد النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة أسامة بن زيد[١٠٠] لمهاجمة الروم، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم التحق بالرفيق الأعلى في شهر ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ـ ديسمبر ـ ٦٣٢م) قبل حركة جيش أسامة الى هدفه ، فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولى وجوههم شطر هدف عينه لهم... وهكذا وقف الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بثاقب نظرة على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحل ببلاد العرب وتناوىء دعوته انما موطنها أرض الشام حيث الروم وحلفاؤهم الغساسنة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي في أرض الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا .

ولكن الروم بقدر اهتمام العرب المسلمين بهم ، واعداد العدة لهم ، واستكمال الاستحضارات لقتالهم ، كانوا لايزالون يتصورون أنه لا فرق بين

(١٠٠) انظر ترجمته المفصلة في كتاب : قادة فتح الشام ومصر (٢٣ ـ ٥١) .

العرب قبل الاسلام وبين العرب بعد الاسلام ، وأن الحرب التي يشنها العرب المسلمون كالحرب التي كان يشنها العرب قبل الاسلام ، فالحرب العربية غارات تلتهب بسرعة وتخمد بسرعة دون أن تترك أثراً ولا تأثيرا ، فكانت استهانة الروم بالعرب بقدر اهتمام العرب بالروم والاستعداد الكامل المفصل لحربهم •

ويبدو أن من أسباب استهانة الروم بالعرب ، خروج الروم من الحرب البيزنطية الفارسية (٦١٠م ـ ٦٢٨م) منتصرين على الفرس ، وبذلك أصبحوا أقوى دول العالم في حينه ، فمَنْ يكون العرب الضعفاء الى جانب الروم الأقوياء ! كما أن النصر ـ وبخاصة في حرب طويلة الأمد ـ على دولة قوية كالامبراطورية الساسانية ، يؤدي الى الغرور الذي من نتائجه الاستهانة بالأعداء ، ويؤدي الى الاسترخاء للتمتع بثمرات النصر اليانعة •

والحق أن العرب غير المسلمين ، استهولوا قتال الروم ، فقال قائلهم وهم يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : « أتَحْسَبون جِلادَ بني الأصفر (أي الروم) كقتال العرب بعضهم بعضا ؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال » ، ارجافاً وترهيباً للمؤمنين [١٠١] ، فما كان هؤلاء العرب الذين لم يسلموا يصدّقون بأن العرب المسلمين قادرون على حرب الروم ، ولكن العرب المسلمين كانوا واثقين بنصر الله ، فاذا كان العرب أنفسهم يستهينون ببعضهم الى هذا الحد ، فلا لوم على الروم في استهانتهم بالعرب أيضا •

والدرس الاول الذي نتعلمه ، هو أن الاستهانة بالعدو ، تؤدى الى أوخم

---

(١٠١) سيرة ابن هشام (١٨٠/٤) •

العواقب ، وأن القوى مهما يبلغ من القوة ، لا عذر له في الاستهانة بالضعيف مهما يبلغ من الضعف ، والحكمة كل الحكمة في المثل العربي القديم : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

وكان الأجدر بالروم وحلفائهم ألا يستهينوا بالعرب المسلمين وأن يتدبروا أثر الاسلام في العرب بجدية وحزم ، ويعدوا للعرب المسلمين ويستعدوا لهم من بعد سرية حسمى بقيادة زيد بن حارثة الكلبي التي كانت في شهر جمادى الآخرة من سنة ست الهجرية ، حيث انكشفت نيات العرب المسلمين في تصديهم للروم وحلفائهم العرب غير المسلمين ، أو بعد السفارة النبوية الى ملك الغساسنة وامبراطور الروم هرقل التي كانت في أواخر السنة السادسة الهجرية وأوائل السنة السابعة ، لأن تعاليم الاسلام في الجهاد : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، قد انكشفت أيضاً . الا أن الروم لم يعدوا ويستعدوا للمسلمين من العرب الا في سنة ثلاث عشرة الهجرية قبيل معركة اليرموك الحاسمة ، فخسروا خمس سنوات في سبات وغفلة ، وكان العرب المسلمون سنة ثلاث عشرة الهجرية غير العرب المسلمين سنة ست الهجرية ، اذ اصبحوا أكثر عدداً وعدَداً او أقوى ساعداً ومدداً ، وأكثر خبرة ورشداً ، وكان القطار بعد يقظة الروم من اغفاءتهم الطويلة قد فاتهم الى غير رجعة .

ومن تجارب الأمم المفيدة التي استخلصتها من تاريخ الحرب قديماً وحديثاً ، أن الاستهانة بالعدو تؤدي الى الاندحار في الحرب ، وان في تقدير الموقف للقضايا المصيرية ـ ومنها الحرب ـ يجب أن يضع أسوأ الاحتمالات في الحسبان ، فاذا كان هناك خطر يتهدد الأمة في مصيرها بمعدل واحد بالمئة ، فلابد من اعتبار ذلك الخطر مئة بالمئة ، والاعداد والاستعداد بالنسبة لمئة بالمئة

لدرء هذا الخطر ، اذ لا ضرر من المبالغة بالحذر واليقظة ، وانما الضرر بالغفلة والاسترخاء •

والدرس الثاني الذي تتعلمه ، هو أن الاختلافات المذهبيــة في الدين الواحد ، قد تجر الى عواقب وخيمة تضر بحاضر الأمة ومستقبلها وتفرق وحدة البلاد •

لقد كان من الطبيعي جداً أن يودي دخول الفُرس الى سورية ولبنان وفلسطين ومصر ، وبقاؤهم فيها خمس عشرة سنة ، الى اضطهاد أبناء الكنيسة الأم لعلاقتهم بالقسطنطينية وتمسكهم بعقائدها ، كما كان طبيعياً أن يؤدي ذلك الى تنشيط اليعاقبة وكل من قال بالطبيعة الواحدة • والواقع أنه لما عاد الروم الى هذه الأقطار ، وجدوا أن جميــع بطاركتها هم من أتباع الطبيعــة الواحدة ، فعادوا الى معالجة الانشقاق في الكنيسة لتوحيد الكلمة وجمــع الصفوف (١٠٢) ، وكان الامبراطور وأهل دولته يقولون : ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، أما رعيته في مصر والشام والجزيرة ، فكان أكثرهم يقول بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهم اليعاقبة ، ولتوحيد الكلمة وجمع الصفوف وافق هرقل بالقول : بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحــدة ، لغرض التوفيق بــين المسيحيين من رعايا الروم • ونشر الامبراطور منشوراً بهذا المعتقد ، فقبل به أكثر الأساقفة الشرقيين الا بطريرك القدس وغيره ، فشق ذلك على الامبراطور، وعمل على الانتقام من الذين لم يقبلوا بمنشوره وفيهم جانب عظيم من الروم• وأصبح الانقسام مزدوجاً : الامبراطور ومن والاه في ناحية ، واليعاقبة ومنهم الأقباط وأهل حوران وسائر أهل سورية ومصر في ناحية ، والنساطرة وهم أهل العراق والجزيرة في ناحية ثالثة ، فضلا عن طوائف أخرى منهم الخياليون

---

(١٠٢) الروم (١/٢٣٠ — ٢٣١) •

الذين يقولون بأن المسيح لم يُصلب حقيقة ، وانما صلب رجل آخر مكانه ، ومنهم القائلون بعدم الخضوع للرؤساء ، ثم ان اليعاقبة أيضاً كانوا أقساماً مما يطول شرحه .

وكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة ، لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، حتى آل الأمر أحياناً الى خروج أمم بأسرها من حوزة الروم الى حوزة الفُرس ، كما حصل بالارمن ، فانه لما حرم المجمع القسطنطيني القول بالطبيعة الواحدة ، جعل الامبراطور يشدد النكير على متبعيها والأرمن منهم ، فأفضت بهم الحال الى تسليم بلادهم الى الفُرس . وكذلك فعل القبط بمصر يوم جاءهم عمرو بن العاص ، فقد كانوا عوناً له في فتحها [١٠٣] ، لأنهم كانوا على الروم مذهبياً ، كما لم يقاتل أهل الجزيرة دفاعاً عن بلادهم كما ينبغي ، ولم يسندوا الروم بقوة وأمانة كما يجب ، « فكانت الجزيرة أسهل البلاد فتحاً » [١٠٤] ، لأنهم كانوا على الروم مذهبياً أيضاً .

ولكن التناقض المذهبي كان سبباً واحداً من أسباب فتح أرض الشام ومصر والجزيرة ، فهناك أسباب كثيرة لهذا الفتح ، لعل أهمها : الحرب العادلة التي خاضها المسلمون حينذاك ، فلا ظلم ولا عدوان ولا انتهاك للاعراض ، ولا انتهاب للأموال ، بعكس الروم الذين كانوا يظلمون ويعتدون وينتهكون الأعراض وينتهبون الأموال . ومن أسبابها العدل الذي أشاعه المسلمون في البلاد المفتوحة ، والتسامح الذي لمسه أهل تلك البلاد ، والمثل العليا التي كان المسلمون نماذج حية لها تمشي على الأرض : « وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي ، وقد ترك العربُ الناسَ أحراراً في أمور دينهم ، وأظل

---

(١٠٣) التمدن الاسلامي (١/٤٢) ـ جرجي زيدان ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٩١٤ .
(١٠٤) الطبري (٤/٥٤) وابن الاثير (٢/٥٣٢) .

العرب أساقفة الروم ومطارنة اللاتين بحمايتهم ، فنال هؤلاء مالم يعرفوه سابقاً من الدعة والطمأنينة » (١٠٥) ، « من ذلك أن عمر بن الخطاب لما دخل القدس ، أبدى من التسامح نحو أهلها ما أمنوا به على دينهم وأموالهم وعرفهم وعاداتهم ، ولم يفرض عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم »(١٠٦) ، « وللفتوح العربية طابع خاص لا تجد مثله في فتوح الأمم الأخرى ، ذلك أن العرب انشأوا بسرعة فائقة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، وتمكنوا بحسن سياستهم من اقناع أمم كثيرة على اعتناق دينهم ولغتهم وثقافتهم، ولم يشذ عن ذلك أقدم الشعوب كالمصريين والهنود والفرس الذين رضوا أيضاً بمعتقدات العرب وعاداتهم وفن عمارتهم »(١٠٧) . « والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب »(١٠٨) ، وقد ذكرت شهادة غير عربي ولا مسلم ، لأن فضل العرب المسلمين في هذا المجال كان واضحاً معروفاً لا يخفى على صديق وغير صديق فلا يمكن اخفاء الشمس في وضح النهار .

وقد ذاع خبر العدل والتسامح والمثل الاسلامية العليا التي يتحلى بها المسلمون في حربهم وسلامهم ، فسهلت تلك الأخبار الطيبة على المسلمين مهمة الفتح، وجعلت كفتهم ترجح على كفة الروم في ميزان الحق والعدل والانصاف.

لقد انتصر العرب المسلمون الأولون بسمعتهم الحسنة في العدل

---

(١٠٥) حضارة العرب ـ كوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ـ ص (١٦٩) .
(١٠٦) حضارة العرب (١٦٨) .
(١٠٧) حضارة العرب (١٥٣) .
(١٠٨) حضارة العرب (٢٢٥ ـ ٢٣٥) ، وانظر فصل : الفتوح الاسلامية ومعاملة العرب للأمم المغلوبة من كتاب : اصالة الحضارة العربية (٢٤٠ ـ ٢٤٣) ـ الدكتور ناجي معروف ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ـ ط ٣ .

والتسامح ومكارم الأخلاق على الروم والفرس وحلفائهم ، أكثر من انتصارهم بالقوة الضاربة ، والمثل العليا تبقى ، والقوة الضاربة لا تبقى .

واذا كنا قد تعلمنا من الروم درساً حيوياً يبرز محاذير التناحر المذهبي وأثرها المدمر في حاضر الأمة ومستقبلها ، فعلينا أن نتعلم من أجدادنا العرب المسلمين في الصدر الأول من أيام الفتح الاسلامي ، أنهم انتصروا بالجهاد الذي هو الحرب العادلة لتكون كلمة الله هي العليا ، ان (الفتح) سيف وكتاب ، والسيف يتبدد أثره ، والكتاب لا يتبدد أثره أبدا ، والفرق بين الفتح وبين الاستيلاء أو السيطرة ، هو أن الفتح قتال ومبادىء ، وغيره قتال بدون مبادىء ، وكل فتح تحرير ، ولكن ليس كل تحرير فتحاً ، فقد يكون التحرير بالقوة وحدها دون مبادىء ، وحين عاد النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة المكرمة وهي بلده الأمين منتصراً ، سميت عودته : فتح مكة ، وسماها الله في كتابه العزيز فتحاً ، فقال : (انا فتحنا لك فتحا مبينا)(١٠٩) ، وفي القرآن الكريم سورة الفتح ، وقد وردت مادة (فَتَحَ) في الكتاب العزيز بنحو ثمان وثلاثين آية ، منها سبع عشرة آية في معنى (الفتح) (١١٠) الذي هو الجهاد لاعلاء كلمة الله بالاقناع لا بالاكراه ، وبالحكمة والموعظة الحسنة لا بالتعسف والعنف ، اذ (لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي) (١١١) .

وقد كنت أعلم أن المسلمين تركوا الجهاد فذلوا ، وما كنت أعلم أنهم يريدون ترك حتى لفظة الجهاد وما يتبعها من كلمات ذات معانٍ اسلامية خاصة كالفتح، بحجة أن الجهاد يحمل معنى الاعتداء وأن الفتح يحمل معنى الاستيلاء،

---

(١٠٩) الآية الكريمة في سورة الفتح (٤٨ : ١) .
(١١٠) انظر التفاصيل في : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (٥١٠ — ٥١١) — القاهرة — ١٣٧٨ هـ .
(١١١) الآية الكريمة في سورة البقرة (٢/٢٥٦) .

والجهاد والفتح لا يحملان مثل هذين المعنيين الا في فكر أعداء الاسلام وحدهم، وما معنى التحرير الا نقطة في بحر معاني الفتح، فلا ينبغي أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير •

ولما ترك المسلمون فرض الجهاد ، ضعفوا وذلوا واستهانت بهم الأمم ، وتفرقت كلمتهم وتشتت شملهم ، وأخذوا يقتلون فيما بينهم ، ونسوا أعداءهم الحقيقيين وشغلوا باخوانهم وأشقائهم ، حتى هانوا على أعدائهم ، وخسروا ما فتحوه بالتدريج •

لقد استعاد نقفور امبراطور الروم (نيقيفوريوس فوقاس ٩٦٣م — ٩٦٩م) المصيصة وطرسوس من المسلمين سنة أربع وخمسين وثلاثمائة الهجرية [١١٢] (٩٦٥م) ، فذكر ياقوت الحموي في كتابه : (معجم البلدان) وصفاً لاحتلال نقفور لمدينة طرسوس فقال : « •••• فان نقفور ملك الروم استولى على الثغور ، فاستولى على المصيصة ثم رحل عنها ونزل على طرسوس ، وكان بها من قِبَل سيف الدولة رجل يقال له : ابن الزيات ورشيق النسيمي مولاه ، فسلما اليه المدينة على الأمان والصلح على أن مَنْ خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله مهما قدر عليه لا يعترض من عين ووَرِق أو خرثي [١١٣] ، ومالم يطق حمله فهو لهم مع الدور والضياع • واشترط تخريب الجامع والمساجد ، وأنه من أراد المقام في البلد على الذمة وأداء الجزية فعل ، وان تنصر فله الحباء والكرامة وتقر عليه نعمته ••••••• وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام وتفرقوا فيها ، وملك نقفور البلد ، فأحرق المصاحف وخرب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جُمع من أيام بني أُمَيَّة الى هذه

(١١٢) ابن الأثير (٥٦٠/٨) .
(١١٣) الخرثي : أثاث البيت .

الغاية .... ودخل الروم الى طرسوس ، فأخذ كل واحد من الروم دار رجل من المسلمين بما فيها ، ثم يتوكل ببابها ، ولا يطلق لصاحبها الا حمل الخِف [114] ، فان تجاوز منعه ، حتى اذا خرج منها صاحبها دخلها النصراني فاحتوى على ما فيها .... هذا والملوك كل واحد مشغول بمحاربة جاره من المسلمين ، وعطلوا هذا الفرض (يريد فرض الجهاد) ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان ، ونسأله الكفاية من عنده »[115] ، وهكذا أصبح الطالب مطلوباً والسيد عبداً والعزيز ذليلا ، لأن المسلمين تركوا دينهم الذي قادهم الى النصر، والى الوحدة والتوحيد ، وتخلوا عن فريضة الجهاد ، فتداعت عليهم الأمم .

أما في القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) ، فقد خسر المسلمون ما فتحوه وأصبحت بلادهم مستعمرات للأجنبي ، واقتطع الصهاينة الأرض المقدسة من البلاد العربية .

واستمر العد التنازلي ، حتى كانت سنة اثنتين وأربعمائة وألف الهجرية (١٩٨٢ م) سنة مذابح مخيمات صبرا وشاتيلا في بيروت ومذابح الأشقاء اللبنانيين من المسلمين بأيدي الصهاينة وعملائهم .

أما في سنة ثلاث وأربعمائة وألف الهجرية (١٩٨٣م) ، فقد كانت سنة اقتتال الأشقاء الفلسطينيين مع بعضهم في طرابلس اللبنانية ، مما أثلج قلوب الصهاينة وأعداء العرب والمسلمين .

---

(١١٤) الخف : كل شيء خف محمله .
(١١٥) معجم البلدان (٦/٣٩ — ٤٠) .

وحين قرأت ما كتبه ياقوت في معجم البلدان ، قلت لنفسي : « ما أشبه الليلة بالبارحة » .

ان عبرة فتح بلاد الروم يمكن اجمالها في أربعة دروس رئيسة : درسان من الروم ، ودرسان من العرب .

الدرس الأول من الروم ، هو أن الاستهانة بالعدو تقود الى الهزيمة ، ولا عذر بضعف العدو وقلته ، فالفئة القليلة المنظمة المستعدة ، تتغلب على الفئة الكبيرة غير المنظمة وغير المستعدة . والدرس الثاني من الروم هو أن التناحر المذهبي ، يقود الى الاندحار ، لأنه يفتت الأمة ويمحق التعاون فيما بينها في السلم والحرب .

والدرس الأول من المسلمين ، هو العودة الى الجهاد الاسلامي الذي هو الحرب العادلة بما فيها من مُثُل عُليا ووحدة واتحاد ، فما ترك الجهاد قوم الا ذلوا وتفرقوا . والدرس الثاني من المسلمين ، هو اتحادهم ، فما اتحدوا الا انتصروا ، وما تفرقوا الا انخذلوا ، وفوائد الوحدة لا تحتاج الى بيان .

كما نتعلم من هذه الدراسة درسين حيوين آخرين من المسلمين والروم : الأول هو أن الهجوم أنجح وسائل الدفاع ، وهو من الدروس السوقية التي نتعلمها من تاريخ الحرب قديماً وحديثاً بعامة ومن حرب المسلمين على الروم وحرب الروم على المسلمين بخاصة .

فقد شحن المسلمون الثغور بالمجاهدين الذين يرابطون في تلك الثغور للدفاع عنها وصد هجوم الروم عليها شتاءاً وصيفاً . وجعلوا من هذه الثغور

قواعد متقدمة للمسلمين ، ينطلقون منها في الصوائف للهجوم على مدن الروم القريبة أو البعيدة ، بقصد اظهار قوة المسلمين ومنعتهم ويقظتهم ، وتفريق حشود الروم وضربها في عقردارها في حالة تحشدها للتعرض بالبلاد الاسلامية قبل أن تتعرض بالمسلمين ، وبذلك ينقلون ساحة المعارك من بلاد المسلمين الى بلاد الروم ، ويحملون الروم نتائج تلكِ المعارك مادياً ومعنويا ٠

وكانت صوائف المسلمين تغزو بلاد الروم سنوياً ، مادام المسلمون أقوياء متحدين ، يتقبلون الجهاد ويقبلون عليه بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والعناء ٠

أما في حالة ضعف المسلمين وتفرقهم ، فان الروم يغزونهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وكان الأسلوب التعرضي أنجح وسائل الدفاع بالنسبة للمسلمين والروم أيضا ٠

وقد كانت الثغور آمنة مطمئنة ، حين كانت عامرة بالمجاهدين والمرابطين للدفاع المحلي ، وبالصوائف التي تعبر الحدود سنوياً للدفاع السوقي عن الثغور وعن بلاد المسلمين ٠ ثم أصبحت تلك الثغور غير آمنة ولا مطمئنة بعد أن خلت من المدافعين عنها ، وتقاعس المسلمون عن غزواتهم الصيفية ، فأصبحت مكشوفة للروم ، واستطاعوا احتلال قسم منها ، وفعلوا بأهلها الأفاعيل ٠

أما الدرس الحيوي الثاني ، فهو أن الروم ، لم يكونوا ضعفاء في أيام الفتح الاسلامي ، ولم يكن جيشهم ضعيفاً ولا قيادتهم ضعيفة ، كما يدعى الأجانب من المؤرخين القدامى والمحدثين ٠

فقد كان الروم على جانب عظيم من الحضارة كما رأينا ، وكان جيشهم أقوى جيش في العالم ، وحسبه أنه دحر الجيش الساساني وانتصر عليه، حتى هدد عاصمة ملكه ، واستعاد البلاد التي احتلها الفُرس ، وأصبح القوة العالمية التي لا تنافس في حينه . كما كان هرقل امبراطور الروم المنتصر من ألمع قادة الروم وأكثرهم كفاية واقتدارا ، وقد أحرز بانتصاراته الباهرة على الفُرس سمعة في القيادة لا مثيل لها في أباطرة الروم . وهدف الذين يدعون أن الروم كانوا ضعفاء أيام الفتح الاسلامي واضح مفهوم ، فهم يريدون أن يسوغوا هزيمة الروم من ناحية ويهوّنوا من انتصار المسلمين من ناحية أخرى ، ولكن هدف الذين يرددون هذا الادعاء المتهافت غير واضح ولا مفهوم ، الا أن يكون تقليداً لكل أجنبي أو جهلا بالواقع والتاريخ ، أو عمالةً لأعداء العرب والمسلمين ، أو بكل تلك الأسباب مجتمعة كأنها ظلمات بعضها فوق بعض .

لقد انتصر الفاتحون لأنهم كانوا متفوقين على الروم بمعنوياتهم العالية التي غرسها الدين الحنيف في المسلمين الأولين ، وما أصدق خالد بن الوليد في قولته حين سمع رجلا يقول : «ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! » ، فأجابه فوراً : « بل ما أقل الروم ! وأكثر المسلمين !! انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان » .

وقد كان المسلمون يومئذ كثيرين بانتصاراتهم الباهرة ، وما أعظمها وأبقاها من انتصارات .

مجمل الفتوح

التسلسل	اسم المدينة	اسم القائد	الملحوظات
١	انطاكية	أبو عبيدة بن الجراح	
٢	مرعش	خالد بن الوليد	
١	شمشاط	حبيب بن مسلمة	من سيواس الى خليج القسطنطينية بالتعاون مع سلمان بن ربيعة
٢	ملطية		
٣	سيواس وقونية		
٤	اقصرا حتى خليج القسطنطينية		
١	سيواس	سلمان بن ربيعة	بالتعاون مع حبيب بن مسلمة
٢	قونية		
٣	اقصرا حتى خليج القسطنطينية		
١	مرعش	محمد بن مروان بن الحكم	استعادة فتح مناطق هاتين المدينتين
٢	ملطية		
١	حصن بولق	مسلمة بن عبدالملك بن مروان	
٢	حصن الأخرم		
٣	حصن بولس		
٤	طوانة		
٥	حرثومة		
٦	حصن قسطنطين		
٧	حصن غزالة		
٨	عمورية		
٩	هرقلة		

التسلسل	اسم المدينة	اسم القائد
١٠	قمونيــة	
١١	الحصون الخمسة بسورية	
١٢	ســوسنة	
١٣	ماسـة	
١٤	حصن الحديد	
١٥	برجمـة	
١٦	سندرة	
١٧	حصن الوضاح	
١٨	حصن ابن عوف	
١٩	سرورا	
٢٠	حصن الصقالبة	
٢١	حصار القسطنطينية	
١	حصن سنان	
١	طرنــدة	عبدالله بن عبدالملك بن مروان بن الحكم
٢	الصيصـة	
١	طوانــة	
٢	الدولية	
٣	سميساط	
٤	المرزبــانين	العباس بن الوليد بن عبدالملك بن مروان فتح طوانة مع مسلمة بن عبدالملك
٥	طرسوس (طولس)	
٦	قــارطة	
٧	رسلة = دلسة = أواسى	

التسلسل	اسم المدينة	اسم القائد	
١	حصن غزالة	عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك بن مروان	فتحه مسلمة واعاد عبدالعزيز فتحه
١	حصن المراة	داؤود بن سليمان بن عبدالملك بن مروان	بأمرة مسلمة بن عبدالملك
٢	حصن الاجرب		
٣	حصن القسطنطينية		
١	حصن طيبة		
٢	حصن صملة = صمالو		
٣	حصن البوة	معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان	
٤	خرشنة		
٥	ربض القرن		
١	قونية	مروان بن محمد بن مروان بن الحكم	اعاد فتح هذه المدينة وله فتوح كثيرة في مناطق أخرى .
١	القسطنطينية	محمد الفاتح	

هرقـل
ملك الروم

٦١٠م — ٦٤١م

تولى هرقل الحكم بعد فوكاس ، فقد بعث هرقل حاكم افريقيـــة للروم ابنه هرقل على رأس أسطول بيزنطي الى القسطنطينية ، فتوقفت السفن أثناء سيرها ببعض الجزر والموانيء البيزنطية ، ولقى هرقل الترحيب من جميع الناس • وفي ٣ تشرين الاول (أكتوبر) ٦١٠م ظهر أسطوله أمام أسوار القسطنطينية ، فتعالى الهتاف له ، على أنه مخلص البلاد ومنقذها • فعمل هرقل على التعجيل بانهاء حكم فوكاس • وفي ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ٦١٠م ، تلقى هرقل التاج من يد البطريرك ، ثم أمر باعدام فوكاس وتحطيم تمثالـه المقام في ميـــدان السباق •

وألف هرقل ومن جاء بعده مباشرة من الأباطرة أسرة حاكمة ترجع ترجيحاً الى أصل أرمني ، وحكم هرقل من سنة ٦١٠م حتى سنة ٦٤١م •

ويعتبر هرقل من أعظم الأباطرة في التاريخ البيزنطي ، فهو على حد قول أحد المؤرخين ، الذي أنشأ بيزنطة العصور الوسطى ، والذي اتخذ رومة مثالا له في الحكم ، واتخذ اللغة والثقافة اليونانية ، واتخذ المسيحية ديناً ومذهبا ، وأجرى في داخل الامبراطورية حركة تجديدية ناشطة ، وكانت بيزنطة قـد ادخرت في ذاتها من المواهب والموارد ما أسهمت بها في خلق نهضة اجتماعية سياسية ثقافية عسكرية •

وكان الصقالبة قد استولوا على معظم ممتلكات الامبراطورية ، وأصبح الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان ، لاسيما داخلها ، اقليماً صقلبياً •

أما الفرس ، فأخذوا يتوغلون في الشـــرق الأدنى منذ ســـنة ٦١١م ،

فاستولوا على أنطاكية التي تعتبر من أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للدولـة البيزنطية ، ولم يلبثوا أن استولوا على دمشق ، وشقوا طريقهم شمالا فاستولوا على حصن طرسوس وطردوا البيزنطيين من ارمينية • وجزعت نفوس المسيحيين وانهارت معنوياتهم حين استولى الفرس على بيت المقدس بعد حصار استمر ثلاثة أسابيع ، فجعلوا المدينة نهباً للحريق والمذابح ثلاثة أيام ، ودمر الحريق كنيسة القيامة التي شيدها قسطنطين الكبير ، وكان لهذا العمل رد فعل خطير في بيزنطة ، لاسيما أن الصليب المقدس (صليب الصلبوت) الـذي يعتبره المسيحيون أثمن المقدسات الدينية ، استولى عليه الفرس ونقلوه الى عاصمتهم المدائن •

ولم تقتصر غارة الفرس على الشام وفلسطين ، بل امتدت سنة ٦١٢م الى آسيا الصغرى حتى بلغت مضيق البسفور ، وعسكر الفرس تجاه القسطنطينية، وبذلك تعرضت العاصمة لزحف العدو من جهتين : اذ زحف عليها من الشمال الصقالبة والآفار •

وشرع الفرس بغزو مصر ، فسقطت في أيديهم الأسكندرية سنة ٦١٩م ، ولم تلبث مصر بأسرها أن أصبحت بأيدي الفرس •

وبدأ هرقل باجراء اصلاحات عسكرية وادارية شاملة ، وكان من نتائج هذه الاصلاحات تغلب الصفة العسكرية على ادارة الامبراطورية ، واعـادة تنظيم القوات المسلحة ، وكانت نتائج هذه الاصلاحات واضحة ملموسة ، فنهضت الامبراطورية من جديد ، وهُزم الفرس هزيمة ساحقة منكرة بفضل جهود هرقل التنظيمية وقيادته المتميزة •

كما أن الكنيسة البيزنطية أسهمت بقدر كبير فيما أحرزته الامبراطورية من الفوز والنجاح ، اذ جعلت كل ما لديها من ثروة تحت تصرف الحكومة ، وما كان في كنائس العاصمة والأقاليم من التحف المصنوعة من الذهب والفضة

جرى صهرها وسكها نقودا •

وقرر هرقل أن يقود بنفسه الحرب على الفرس ، وطغى على الحرب في مستهلها جو من الحماسة الدينية التي لم تكن معروفة في العصور الماضية ، فكانت حربا صليبية سابقة على الحروب الصليبية المعروفة •

وفي يوم الاثنين ٣ نيسان (ابريل) سنة ٦٢٢م ، غادر هرقل القائد العام للجيش البيزنطي العاصمة بعد أن أدى القداس ، وعبر البسفور الى آسيا الصغرى حيث لجأ الى جهات الثغور البيزنطية ، فاجتمع له عدد كبير من الجند، وأمضى شهور الصيف في تدريب الجند ، وعكف على دراسة الخطط العسكرية ، فابتكر أساليب جديدة منها ، فازدادت أهمية استخدام الفرسان في القتال ، وأبدى هرقل اهتماما كبيرا بالرماة من الفرسان •

وبدأ هرقل في الخريف حملته ، فشق طريقه الى ارمينية ، وتقابل الجيشان البيزنطي والفارسي على أرضها ، فانتصر الروم على الفرس هناك انتصارا حاسما ، وبذلك تحقق أول هدف من أهداف هرقل ، وهو تخليص آسيا الصغرى من العدو •

وفي سنة ٦٢٣م سار هرقل الى ارمينية ، فأحرز انتصارات على الفرس هناك ، ثم توجه نحو الجنوب ، فزحف على (جانزاك Ganzak) التي كانت عاصمة لأردشير ــ أول ملوك الساسانيين ــ وتعتبر من المراكز الدينية الرئيسة في فارس ، فلاذ كسرى بالفرار من المدينة التي لم تلبث أن سقطت بيد الروم ، فأشعلوا الحرائق في معبد زرادشت انتقاما لما أنزله الفرس من قبل ببيت المقدس من نهب وتخريب ، ووقع بيد هرقل عدد لاحصر له من الأسرى •

ودارت خلال سنتي ٦٢٤م و ٦٢٥م معارك طاحنة في ارمينية بين الروم والفرس ، كانت الكفة راجحة فيها للروم على الفرس •

وفي سنة ٦٢٦م تعرضت القسطنطينية لهجوم مزدوج من الفرس والآفار، ولكن لم ينجح الهجوم وانتصر الروم في نهاية المعارك •

وفي سنة ٦٢٧م ، شرع هرقل بزحفه الكبير نحو الجنوب متجها الى قلب بلاد الفرس ، وفي شهر كانون الاول (ديسمبر) من هذه السنة أحرز انتصارا حاسما على الفرس في معركة نينوى الحاسمة التي قررت مصير النزاع بين الفرس والروم نهائيا في مصلحة الروم ، اذ أحرز البيزنطيون انتصارا باهرا على الفرس • وحلت بالجيش الفارسي هزيمة ساحقة وخسائر فادحة •

وواصل هرقل زحفه المظفر ، وفي أول سنة ٦٢٨م استولى على داستاجرد مقر ملك فارس ، فأسرع الملك بالخروج منها ، مما أدى الى عزل كسرى وقتله، فتولى الحكم بعده ابنه ، وعقد الصلح مع هرقل •

وبمقتضى هذا الصلح ، استرد هرقل كل ما كان لبيزنطة من ممتلكات في الجزيرة وارمينية وسورية وفلسطين ومصر ، وأعلن كسرى (شيرويه) أثناء مرضه الذي مات فيه ، بأن يكون هرقل وصيا على ابنه ، وكان سلفه كسرى الثاني قد أعلن أن الامبراطور البيزنطي ليس الا عبدا له ؛ فتغير الزمن وانعكس الوضع ، فأعلن شيرويه أن ابنه ووريثه في الحكم عبد للامبراطور البيزنطي هرقل ، وهكذا غير هرقل موازين القوى من حال الى حال ، فأصبح المغلوب غالبا ، والعبد سيدا •

وعاد هرقل الى عاصمته ، بعد أن غاب عنها ست سنوات ، فاستقبله ابنه على شواطىء آسيا الصغرى ، واستقبله البطريرك سرجيوس ورجال الدين وأعضاء مجلس الشيوخ وجموع الشعب ، يحملون أغصان الزيتون والشموع الموقدة ، يرتلون المزامير ، ويهتفون باسمه فرحا وسرورا •

ولما تحررت الاقاليم البيزنطية من الفرس، ارتحل هرقل وبصحبته زوجته، سنة ٦٣٠م ، قاصدا بيت المقدس ، حيث أعاد في ٢١ آذار (مارس) سنة ٦٣٠م ،

وفي وسط مظاهر الفرح الغامر ، اقامة الصليب الذي كان قد غنمه الفرس في موضعه ، كما أعاد الى مواضعها كل ما جرى سلبه من الكنيسة ، واعتبر المؤرخون أن هذه الحرب أول حرب مقدسة شنها العالم المسيحي ضد غيرهم من غير المسيحيين •

وتعتبر الحرب الفارسية البيزنطية مرحلة مهمة من مراحل التاريخ البيزنطي والفارسي أيضا ، اذ أن معركة نينوى حطمت قوة الفرس ، ولم يعد لفارس ماكان لها من الأهمية • إما الآثار ، فان كبرياءهم هوت الى الحضيض بفضل ما أحرزه عليهم البيزنطيون من انتصارات في معركة القسطنطينية • وبلغت بيزنطة بما أحرزته من النصر ، ذروة القوة والمجد وذاع اسمها فيما وراء الحدود ، فأرسل ملك الهند الى هرقل يهنئه بالنصر ، وبعث له بهدية حافلة من الأحجار الكريمة ، وأنفذ دابوجرت ملك الفرنجة السفراء لعقد صلح دائم مع الامبراطورية البيزنطية ، وأرسلت بوران ملكة فارس مبعوثا خاصا الى هرقل ليبرم معاهدة الصلح •

ويعتبر عهد هرقل نقطة تحول في تاريخ الدولة البيزنطية من النواحي الحضارية والسياسية والعسكرية ، اذ انتهت المرحلة الرومانية من التاريخ ، وبدأ ما يصح اعتباره التاريخ البيزنطي ، وقد اتحد ظهور العنصر اليوناني وقوة المؤثر الكنسي ، فوهبا الامبراطورية مظهرا جديدا •

وحين بدأ الصراع بن العرب المسلمين من جهة والروم من جهة ، كان الروم أقوى دولة في العالم دون منازع ، يقودهم هرقل أعظم أباطرة الروم وقادتهم ، وكانت معنويات الروم قادة وجنودا عالية جدا بعد انتصارهم على الفرس والآثار ، وكانوا أكثر حضارة من العرب المسلمين القادمين من الصحراء وأعرف بأساليب القتال وأعظم تجربة عملية في الحرب ، وأكثر عددا وأغنى مددا ولكنهم اندحروا أمام العرب المسلمين بالرغم من قوة في جيوشهم وقيادتهم لا من ضعف بهما كما يزعم قسم من المستشرقين وقسم من المستغربين •

وقد حاولت أن أسجل سيرة حياة هرقل الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم رسولا يدعوه وقومه الى الاسلام . لكي أظهر تهافت ادعاء أولئك المستشرقين والمستغربين الذي يزعم أن انتصار العرب المسلمين كان لضعف الروم قيادة وجيشا ، ولم اعتمد على المصادر العربية والاسلامية في تسجيل هذه السيرة ، بل اعتمدت المصادر والمراجع الأجنبية ، حتى أبطل مزاعم المستشرقين والمستغربين ، وأبطل مايمكن أن يزعمه المقلدون لهم من انحياز المصادر العربية والاسلامية للعرب المسلمين على الروم وتحيزهم لبني جلدتهم وعقيدتهم على الروم ، وعلى كل فالحق ظاهر ولايمكن كتمانه ولو بعد حين .

وفي ١١ شباط (فبراير) ٦٤١م ، مات هرقل ، فارتجت القسطنطينية لموته ، وارتجت الامبراطورية البيزنطية خاصة والعالم المسيحي عامة لرحيله ، اذ فقدت المسيحية بموته بطلا من أبطالها المعدودين : منقذ القدس من الفرس .

المراجع

التي ورد ذكرها ـ باختصار ، أو باسهاب ـ

في :

كتب ، معجمات : بلغات اجنبية ، ومترجمة الى العربية

المقالات

ربيع الابرار ونصوص الاخبار :

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب :

(*) ما كتب باللغات الأجنبية ، شيء كثير جداً ، مبني على الدراسة والمشاهدة للاثار المنسوجة . والمختصون بشؤون المنسوجات قد ونوا هذا الموضوع في كتبهم ومجلاتهم المختصة .

صور من حضارة العراق في العصور السالفة : صناعة الحياكة والنسج :

الكوفية والعقال :

ملابس العراقيين وازياؤهم في العصور السالفة :

1. Baynes, N. H : The Byzantine Empire. London 1926.
2. Ostrogorowski, G : History of the Byzantine. Trans. Joan Hussey, Oxford 1956.
3. Vasiliev, A : The Byzantine Empire. Madison 1952.

في اشتراطهم كون المفعول له قلبيًا

الدكتور جميل الملائكة
(عضـــو المجمع)

[١] لم يُشر النحاة الاوائل الى شرط كون المفعول له قلبيا، واكتفوا بالاشارة الى انتصابه في حال كونه عُذرا وعلة لوقوع الفعل . يقول سيبويه(١) (ت : ٢٥٣ ﻫ) « . . هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر ، فانتصب لأنه موقوع له ولأنه تفسير لما قبله لِمَ كان ... وذلك قولك : فعلتُ ذلك حِذارَ الشرّ وفعلتُ ذلك مخافةَ فلان ... وقال الشاعر (وهو حاتم .. الطائي) :

وأغفِرُ عَوراءَ الكريم ادّخـارَه
وأصفَحُ عن شتم اللئيم تكرّمـا

... وقال الحرث بنُ هشام :

فصفحتُ عنهم والأحبةُ فيهـم
طَمَعاً لهم بعقاب يوم مُفسِـدِ

... وفعلت ذلك أجْلَ كذا وكذا ، فهذا كله ينتصب لأنه مفعول له كأنه قيل له : له : لِمَ فعلتَ كذا وكذا فقال لكذا وكذا ولكنه لمّا طَرَحَ اللامَ عَمِلَ فيه ما قبله .. »

[٢] وكذلك لم أجد لشرط القلبية ذكرا فيما تصفحته من آثار نحاة أخرين : من القرن الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، فلا يذكره ابن السراج(٢)

(١) الكتاب ، ١٨٤/١ – ١٨٦ ، طبعة بولاق
(٢) كتاب الاصول في النحو، ٢٤٩/١ – ٢٥٣، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، بغداد، ١٩٧٣ م

المتوفى سنة ٣١٦ هـ في باب المفعول له من كتـاب الاصول ، ولا ابو عليٍّ الفارسيُّ (٣) (ت : ٣٧٧) في الايضاح ، ولا يذكره في اللُّمَع ابنُ جني (٤) (ت : ٣٩٢ هـ) ؛ ولا الزمخشري (٥) (ت : ٥٣٨ هـ) في المفصل .
[٣] ومن نحاة القرن السابع لا يشترطه ابنُ يعيش (٦) (ت : ٦٤٣ هـ) في شرح المفصل ، ولا ابنُ الحاجب (٧) (ت : ٦٤٦ هـ) في الكافية ، ولا ابنُ مالك (٨) (ت : ٦٧٢ هـ) في ألفيته . ولكنّ الرضيّ (٩) المتوفى سنة ٦٨٦ هـ يقول في كلامه على المفعول له في شرحه الكافية ابن الحاجب « ... وشرّط بعضهم كونَه من أفعال القلب ... »

ويبدو ان أولى الاشارات الى شرط القلبية هذا جاءت في القرن السابع . فهذا ابن هشام (١٠) الذي عاش في القرن الثامن (ت : ٧٦١ هـ) يقول في اوضح المسالك « ... وجميع ما اشترطوا له خمسة امور ... » وفي اشارته الى الشرط الثاني يقول « .. وكونُه قلبيا كالرّغبة ، فلايجوز جئتك قراءةَ للعلم ، ولا ، قتلا للكافر ، قاله ابن الخباز وغيرُه .. » . وابن الخباز هذا هو النحوي الضرير شمس الدين احمد بن الحسين الإربلي الموصلي المتوفى سنة ٦٣٩ هـ ، له تصانيفُ منها شرح ألفية ابنِ معطي (١١) . ولعلّ في اشارة ابن هشام اليه بالاسم دلالةً على كونه أوّل من حدّد هذا الشرط .

(٣) الايضاح العضدي ، ١٩٧/١ ، تحقيق د . حسن شاذلي فرهود ، ١٩٦٩ م
(٤) اللمع في العربية ، ١٤٠ – ١٤١ ، تحقيق د. حسين محمد محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٧٩م
(٥) المفصل في علم العربية ، ٦٠ ، دار الجيل ، بيروت
(٦) شرح المفصل ، ٥٢/٢ – ٥٤ ، عالم الكتب ، بيروت
(٧) الكافية في النحو وشرحها للرضي الاستراباذي ١٩١/١ – ١٩٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
(٨) الفية ابن مالك في النحو والصرف ، ٣٠ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ م
(٩) شرح الكافية للرضي الاستراباذي ، ١٩٤/١
(١٠) اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢٩٥ ، دار الفكر
(١١) انظر : الأعلام ، للزركلي ، ١١٤/١ ، بيروت ، ١٩٦٩ م

[٤] وقد استمرّ خلافُ النحاة على شرط القلبية هذا منذ القرن السابع ، ومازال خلافهم قائما حتى يومنا هذا ، فمنهم من أوجبه ، ومنهم من لم يوجبه كابن يعيش وابن الحاجب وابن مالك ومن سبقهم كما مرّ ذكره ، ومنهم من أوجبه في حال ولم يوجبه في حال اخرى ، ومنهم من أنكره .

يقول الرضيّ (١٢) « ... وشرط بعضهم كونه من أفعال القلب قال لأنه الحامل على ايجاد الفعل ، والحامل على الشيء متقدم عليه وافعال الجوارح كالضرب والقتل تتلاشى ولا تبقى حتى تكونَ حاملة على الفعل واما أفعال الباطن كالعلم والخوف والارادة فانها تبقى . . » ثم يناقش ذلك فيقول « والجواب أنه ان اراد وجوب تقدم الحامل وجودا فممنوع ، وان اراد وجوب تقدمه اما وجودا او تصورا فمسلّم ، ولا ينفعه وينتقض ما قال بجواز نحو جئتك اصلاحا لأمرك ،و ضربته تأديبا ، اتفاقا ، فان قال هو بتقدير حذف مضاف ، اي ارادةَ اصلاح ، وارادةَ تأديب قلنا فجوّز ايضا جئتك اكرامك لي ، وجئتك اليوم اكراما لك غدا ، بتقدير المضاف المذكور ، بل جوّز جئتك سمّنا ولبنا ، فظهر أن المفعول له هو الظاهر لا المقدَّرُ المضاف . فنقول المفعول له على ضربين إما ان يتقدم وجوده على مضمون عامله ، نحوُ قعدت جبنا ، فهو من افعال القلوب كما قالوا ، وإما ان يتقدم على الفعل تصورا اي يكون غرضا ولا يلزم كونُه فعلَ القلب ، نحوُ ضربته تقويما وجئته إصلاحا .. » .

وهكذا يخالف الرضيّ في محاكمة منطقية اطلاق شرط القلبية في المفعول له ، فيوجبه في حال تقدم وجوده على مضمون فعله ، و لايرى لزومه في حال كونه الغرضَ من الفعل .

اما ابن هشام فهو ينقل انهم عدّوه شرطا يلزم توفره من بين خمسة

(١٢) شرح الكافية ، ١٩٤/١

كما سبقت الاشارة اليه . يقول (١٣) « .. وجميع ما اشترطوا له خمسةُ أمور ، كونهُ مصدراً .... وكونُه قلبيا كالرغبة ، فلا يجوز : جئتك قراءةً للعلم ، ولا ، قتلا للكافر ، قاله ابن الخباز وغيره ، واجاز الفارسي ، جئتك ضربَ زيد ، اي لتضربَ زيدا ... الخ » ثم يقــول « ... ومتى فَقَد المعلّل شرطا منها وجب — عند من اعتبر ذلك الشرط — ان يُجرَّ بحرف التعليل ... » ثم يمثل لفاقد شرط القلبية بقوله تعالى « ولا تقتلوا اولادكم من إملاق (١٤) » ويقول « ... بخلاف خَشْيةَ إملاق (١٥) ... الخ » .

ويبدو من كلام ابن هشام انه غير جازم كل الجزم بأصالة هذه الشروط ، فهو يقول « ... واشترطوا ... » ويقول « ... قاله بن الخباز وغيره ... » ، ثم يقول « ... وجب عند من اعتبرذلك الشرط ... الخ » .

ولا يخالف الأشمونيُّ (ت : ٩٠١ هـ) ابنَ هشامٍ القولَ بهذا الشرط ، الا في ايجابه له جازما غيرَ متردد . فهو يعقّب (١٦) على كلمة المصدر في بيت ابن مالك :

يُنصبُ مفعولا له المصدر إنْ أبان تعليلا كجُدْ شكراً ودِنْ

فيقول « اي القلبي » . وفي كلامه على الشروط يقول « ... فالشروط حينئذ خمسة » ثم يعيد الشرط الثاني كما ذكره ابن هشام حاذفا منه عبارةَ « قاله ابن الخباز وغيره » ، وعبارةَ « ... عند من اعتبر ذلك الشرط » .

ويقول السيوطي (١٧) (ت : ٩١١ هـ) في الهمع « ... وشرط بعض

(١٣) اوضح المسالك لابن هشام ، ٢٩٥ — ٢٩٦
(١٤) من الآية ١٠ من سورة الرحمن
(١٥) من الآية ٣١ من سورة الاسراء
(١٦) منهج السالك الى الفية ابن مالك ، للأشموني ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ١/٢١٥–٢١٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٥ م
(١٧) همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ، ١/١٩٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٠٩ م

المتأخرين فيه ان يكون من افعال النفس الباطنة ، نحو ، جاء زيد خوفاً ، ورغبةً ، بخلاف افعال الجوارح الظاهرة ، نحو ، جاء زيد قتالاً للكفار ، وقراءةً للعلم ، فلا يكون مفعولا له ...» . وبعد الكلام على بقية الشروط يقول « ... فمجموع الشروط باتفاق واختلاف ستة .... الخ » .

ومن هذا يتضح ان السيوطيّ ايضاً لا يجزم بأساسية هذا الشرط ، اذ هو ينصّ على انه مما شرطه بعض المتأخرين ، ويشير الى انه مختلَف عليه .

اما الصبّان (١٨) (ت : ١٢٠٦ هـ) فينقل في حاشيته عن خالد الازهري (ت : ٩٠٥ هـ) صاحب التصريح على التوضيح قولَه « .. وكونُه قلبيا ... لأن العلة هي الحاملة على ايجاد الفعل ، والحاملُ على الشيء متقدم عليه وأفعال الجوارح ليست كذلك » ، وبعد ان ينقل ردَّ الرضيّ اشتراط كونه قلبيا يقول « ... بقي أن التأديب هو الضرب كما صرح به الرضي فلا يصحّ ان يكون علة للضرب لأن الشيء لا يكون علة لنفسه ، (و) لا يقال يندفع هذا بتقدير ارادة ، لأنّا نقول يصير المعنى حينئذ أدّبت ابني لارادة التأديب او ضربته لارادة الضرب وفيه ركاكةٌ لا تخفي ، لأن الباعث على الشيء ليس مجردّ ارادته . » ثم يقول « والحاسم عندي لمادة الاعتراض مع قرب المسافة ان يُحمَلّ التأديبُ على التأدب الذي هو أثر التأديب بناء على عدم اشتراط الاتحاد وقتا وفاعلا ، او على ارادة التأدب الذي هو هذا الأثر بناء على الاشتراط فاحفظه » .

أقول : في كلام الصبان هذا تكلف كثير واغراق في المنطق ، فهو يستند الى قول للرضي (١٩) في تفسير الزجّاج والكوفيين لعدّهم المفعول له مفعولا مطلقا بان المعنى ادبته بالضرب تأديبا ، او أن التأديب هو الضرب ،

---

(١٨) حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك ، ١٢٢/٢

(١٩) شرح الكافية ، ١٩٢/١

ليَرُدّ بأن الشيء لا يكون علةً لنفسه ، فكأنه بذلك يُنكر : ضربته تأديبا له . والصواب هو ان التأديب هنا هو الغرض من الضرب وليس هو الضربَ ، فهو اذن علّتُه . ثم انه ما الداعي لتكلف حمل التأديب على التأدب الذي يكسر شرط الاتحاد مع الفاعل ؟ لو كان المرادُ التأدبَ لجاز ان يقال : ضربته تأدبا ، ولكن هذا ليس من مسموع الكلام . ومثل ذلك يقال في تكلف الحمل على الارادة . فأن المراد بعبارة ، ضربته تأديبا له ، هو ، ضربته لتأديبه ، لا ، ضربته لارادة تأدّبه .

[٥] ويستمرّ المُحدّثون في الخلاف على هذا الشرط ودلالته فيزيدون الدارسين والمتعلمين ابهاما وحيرة .

فبعد ان يمثل حفني ناصف وجماعته (٢٠) للمفعول له بأمثلة « ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق » و« زُيّنت المدرسةُ اكراما للقادم » و « تصدقتُ ابتغاء مرضاة الله ... » يكتفون بالقول بانه « ... لابد لجواز النصب ان يكون المصدر قلبيا متحدا مع الفعل في الوقت والفاعل . فأن فقد شرط من هذه الشروط وجب جرّه بحرف الجرّ نحو ذهب للمال وجلس للكتابة وسافر للعلم وحمدني لاشفاقي عليه » . وهذه العبارات المقتضبة وحدها لا تُغني ولا تكفي للتفريق بين معنى القلبي وغير القلبي .

اما الغلاييني (٢١) فيقول « المفعول له ... مصدرقلبي يُذكر علةً لحدث ... نحوُ ... اغتربتُ رغبةً في العلم ، فالرغبة مصدر قلبي بيّن العلة التي من أجلها اغتربت ، فانّ سببَ الاغتراب هو الرغبة في العلم ... والمراد بالمصدر

(٢٠) كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، لحفني ناصف ومحمد دياب ومصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، ٦٦ ، القاهرة (ألفوه ١٩٠٥ م)

(٢١) جامع الدروس العربية ، للشيخ مصطفى الغلاييني ، ٣/٤٠ — ٤٢ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط ١١ ، ١٩٧٢ (ألفه ١٩١٢ م)

القلبي ما كان مصدراً لفعل من الافعال التي منشؤها الحواسّ الباطنة ، كالتعظيم والاجلال والتحقير والخشية والخوف والجُرأة والرغبة والرهبة والحياء والوقاحة والشفقة والعلم والجهل ونحوها ، ويقابل أفعالَ الجوارح اي الحواسّ الظاهرة وما يتصل بها كالقراءة والكتابة والقعود والقيام والوقوف والجلوس والمشي والنوم واليقظة ونحوها .. » ثم يقول « .. فان كان المصدر غير قلبي لم يجز نصبه ، نحوُ جئت للقراءة .. »

ولعل الغلاييني بما اورده في كلامه هذا على القلبية من توكيد وتمثيل اكثر وضوحاً من سابقيه واقرب الى الواقع :

ويقول محيي الدين الناصري (٢٢) « ... المفعول له ... يُشترط في جواز نصبه ان يكون مصدرا ... للتعليل ... متحدا مع عامله في الزمان ... والفاعل ... وان يكون قلبيا . ومتى دلت الكلمة على التعليل وفُقِد منها شرط من الشروط الباقية لم تكن مفعولا له وحينئذ يجب ان تجرّ بالحرف ... ومثال ما لم يكن مصدراً قلبيا نحوُ جلست للكتابة .. »

غير انّ السيد احمد الهاشمي (٢٣) يتمسك برأي الرضي الاسترابادي فيقصرُ شرط القلبية على المصدر الذي يتقدم وجودُه على مضمون عامله ولا يرى لزومه في حال تأخره عنه وكونِه الغرضَ من الفعل . فهو يشترط لجواز نصبه « ان يكون مصدرا قلبيا .. نحو اجتهدت رغبةً في التقدم ... » ويقول « المراد بالمصدر القلبي ما كان مصدرا لفعل من افعال القلب وهي التي منشؤها الحواسّ الباطنة كالحب والبغض والخوف والحياء وما أشبه . ولا يُشترط في المصدر ان يكون قلبيا الاّ اذا كان حاصلا كما رأيتَ في المثال . اما اذا كان غير حاصل فيكون الباعثُ على وقوعه تحصيلُه كما في نحو ضربتهُ تأديبا له . وفي مثل هذه الحالة لا يلزم ان يكون قلبيا .... »

(٢٢) دروس في قواعد اللغة العربية ، ٢٠٤ — ٢٠٥ ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٨ م
(٢٣) القواعد الاساسية للغة العربية ، ٢٠٩ — ٢١٠ ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، (ألفه ١٩٣٥ م)

ولكنّ الانطاكي (٢٤) يعود الى أطلاق شرط القلبية فيقول فيه « ... ان يكون المصدر قلبيا اي من افعال النفس الباطنة ، مثل الرغبة والرهبة والحبّ والكره والحرص والعلم ، الخ . فان كان غير قلبي ، اي كان عِلاجيا يجري بالحواس الظاهرة ، مثل السير والركوب والأكل والجلوس ، الخ ، فلايجوز نصبه لبيان السبب ، فلا تقول ، ذهبت الى المطعم أكلا ، تريد من أجل الأكل ، بل تَجُرّ باللام قائلا ، ذهبت الى المطعم للأكل ... » .

وبعد كل هذا الخلاف يأتي عباس حسن (٢٥) بكتابه الحديث الكبير الواسع الانتشار فيتحال من كل هذه الآراء منكرا هذا الشرط جملة وتفصيلا . فهو بعد ان يشترط للمفعول له ان يكون « مصدرا ، يبين سبب ما قبله ، ويشارك عامله في الوقت ، وفي الفاعل » يُنكر الآراء التي تزيد بعض هذه الشروط او تَنقُصها ، ويقول « ... ومن الزيادة ان يكونَ المفعول لأجله قلبيا ، لأن هذا الشرط مفهوم من شرط أخر هو التعليل ، اذ التعليل غالبا يكون بأمور قلبية معنوية لا بأمور حسية من افعال الجوارح ، الخ » .

ولا يخفى التهافت الذي في هذا الكلام . فليس كل تعليل يكون بأمور قلبية معنوية ، لأننا قد نعلل بأمور حسية من أفعال الجوارح فنجرّ بحرف الجرّ ، فنقول خرجت للأكل ، وجلست للكتابة » .

[٦] وبعد ، فلعلّ من المناسب والمطلوب ، بعد هذا العرض للخلاف الكبير بين النحاة على شرط القلبية في المفعول له ، ودَلالته ، وحدوده ، التطرقّ الى

(٢٤) المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها ، لمحمد الانطاكي ، ٢/١١١ — ١١٢ ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢

(٢٥) النحو الــوافي ، ٢/٢٢٧ — ٢٢٨ ، دار المعارف ، ط ٥ ، القاهــرة ، ١٩٨٠ (ألفه ١٩٧٤)

علة هذا الخلاف ، وبيانّ رأي متواضع في هذا الشرط . ويظهر ان أصل الخلاف ناشئٌ من غموض بعض المصطلحات التي استعملوها مما يتصل بالمفعول له ،، كالقلبيّ ، والحواسّ الباطنة ، وافعال النفس الباطنة ، وأفعال القلب ، وافعال الباطن ، في جانب ، وافعال الجوارح ، والعلاجي ، والجاري بالحواسّ الظاهرة ، في الجانب الآخر ، وعدمِ تبيّن الاتصافِ الحقيقيّ للمفعول له بهذه الأوصاف. ولن ازعُم ان استبدال الفاظ أخرى مما نستعمله في هذه الأيام ، بهذه الالفاظ ، كالمعنويّ من ناحية ، والحسّيّ من الناحية الاخرى ، سيحلّ هذا الإشكال . فالظاهر أن توضيح المسألة لا يأتي الاّ من طريق وضوح ما يقدّم لها من الأمثلة .

وقد بدا لي أنّ مما ييسّر كل ذلك انيكون اختيارُ مثالَي المعنويّ والحسّيّ ، أو ما دعوه القلبيّ وغير القلبي ، من مصدر بعينه يستعمل مرة لغرض معنويّ واخرى لغرض حسّيّ .

وفيما يأتي بعض هذه الأمثلة :

المصدر	معنوي (قلبي) [يجوز نصبه وجرّه]	حسّي (غير قلبي) [يجب جرّه]
الأخذ	قتل غريمه اخذا للثأر	عاد الى الدار لأخذ مفتاح نسيه
الدفع	قل ما تعلم دفعا للشبهات	استعملّ المُخْل لدفع الحجر
الجلب	قرأت آيا من الذكر جلبا للخير والبركة	ذهبت الى المكتبة لجلب الكتاب
القعود	تمارض قعودا عن القتال	عاد الى داره للقعود فيها
الاستناد	تقرر تجريمه استنادا الى المادة كذا من القانون	قصد الى الجدار للاستناد اليه
السير	عليك بالزكاة سيرا على هدْي الاسلام	خرجت للسير الى بلدي
الغسل	قتلها غسلا للعار	ذهب لغسل ملابسه
البناء	أفرج عنه بناء على تحسّن سلوكه	أتى العامل لبناء الجدار

النظر	تركت الدار نظارا الى انك لم تعد	صعدت الى السطح للنظار الى كسوف الشمس
القتل	جلس في الحديقة قتلا للوقت	خرجوا الى الميدان لقتل المعتدين

فهذه كلها مصادر هي في حالاتها الاعتيادية حسّيّة فوجب جرّها بحرف الجرّ ، ولكنها هي نفسها عندما استعملت على المجاز لأغراض معنوية جاز نصبها ، وان تكن دلالتها سببيةً في كلتا حالتيها منصوبةً ومجرورة .

اقول لعله حريّ بنا بعد هذا ان نقرّر اشتراطَ كون المفعول له معنويا (قلبيا) لجواز نصبه ، سواءٌ أكان حصوله قبل وقوع فعله ام كان هو الغرضَ من الفعل .. والله اعلم .

★ ★ ★

شعر الحرب في العصر العباسي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من الطبيعي ان يتأثر الشعر الحربي في العصر العباسي بما تأثرت به بقية انواع الشعر من حيث التطور والتجديد في المعاني والاغراض بعد أن تغيرت أساليب القتال واختلفت وسائل الحرب ، واتسع نطاق استعمال الاسلحة ، وان هذا التطور صاحبته عوامل أخرى كان لها اثرها في توجيه الشعر الحربي توجهاً يتناسب مع ظهور العوامل من جهة وما يتحسس به الشعراء من جهة أخرى ففتور حركة الفتح وضيق دائرة البطولة وانحسارها ، وتسنم بعض الاعاجم مناصب القيادة واتساع قاعدة الشعراء من غير العرب حمل الشعراء العرب على الانصراف بحديثهم الى مدح الخلفاء باعتبارهم القادة الذين يتحملون اعباء الادارة العسكرية ، وان النزعة العربية التي تحكمت في توجيه الشعراء تؤكد هذه النزعة ولعل قصائد ابي تمام في مدح الافشين بعد قهره بابك الخرمي دليل على خلوها من الحماسة التي عودنا عليها الشاعر في مديحه لابي سعيد الثغري وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني والمعتصم وغيرهم ممن كانت تثير بطولتهم في نفس الشاعر أسباب الاعتزاز وعوامل التجاوب وتحدد مسار البطولة الذي اضفى على قصائده خلود التعبير ، وجعلها نماذج للاستشهاد الدائم حتى أصبح تاريخ هذه القصائد يؤكد ان الايدي التي حملت السيوف العربية المصلتة أطول في العزيمة وأن القلوب التي شدت عليها اكثر وعياً وأقوى عزيمة وقد تجلى هذا الاحساس المتمكن في حربيات ابي

تمام والبحتري والمتنبي وابي فراس . وكانت معظم المعاني التي يتحدثون عنها تلتقي في حدود الافكار المجمع عليها من حيث الاحكام . وان كثيراً من هذه المعاني كانت تتداول في القصيدة العربية التي توارثها الشعراء ، وان ظهرت بعض الافكار التي اغنت القصيدة بخصائص البطولة أو المبالغة في اعطاء صورة البطل او تحديد قدراته وامكاناته القتالية التي تصل الى حد الاعجاز احياناً . فالخلود يكمن في الاقدام وان النهاية غير المشرفة هي من نصيب المترددين المتخاذلين وان هؤلاء يكونون اكثر تعرضاً للموت من اولئك الذين يجابهون الاعداء بصدورهم . وان الإدبار والهزيمة تُهيئ الفرصة للوقوع في أيدي الخصوم قتلاً أو اساراً وظل السيف في قصيدة الحرب هو الحد الفاصل . والقوة هي المحور الذي ترتكز عليه حركة الوجدان البطولي ، والاقتدار والجرأة والتحكم في الموقف وخوض غمار الحرب واقتحام الردى ومطاردة الخصم كلها قيمٌ ثابتة في اسلوب المعركة حاول الشعراء أن يستخدموا براعتهم الشعرية في انتزاع الصورة المتحركة ، ووضع الألوان المناسبة ، واستخدام الصناعة اللفظية لأحكام ضبط العلاقة بين الفعل والحس ، وتوثيق أواصر التمكن بين الفكر والاقتدار ، والمزاوجة بين أحداث التاريخ ودور الامة ، واستلهام الحدث وقدرة استيعابه . فابو تمام يقدم لنا التاريخ مفصلاً ، والاحداث مجسدة في لوحة شعرية كاملة ، تتحدث بها الوقائع من خلال صور فنية ، واشكال بارعة تتداخل فيها ثقافته الواسعة وتشابك موروثه الذي تجلى في استخدام صور البديع مجسدة في اذلال الصخر والخشب والاذلان اللذان وجـد فيهما المتلمس صورة الخضوع والاذلال ، وربـع مية الذي يطوف به غيلان والدلاء والاوتاد والطنب التي توزعت في ثنايا قصيدته والايحاءات العربية الخاصة التي اغنت قصيدته بعناصرة جديدة وشدت بين أواصر المعاني ولونت الصور بقسمات تألقت فيها الروح العربية فاستقامت ألوانها (١)

(١) ينظر ديوان ابي تمام .

ويتجلى استمرار توجه الشعر الحربي في القنوات التي حُدّدت له وهو يقطع العصر الأموي ، فتظل معاني البطولة والشجاعة والفروسية هي النماذج التي استغرقت من الشعر اوسع صفحاته ، وقيم التضحية والفداء والمصاولة هي الصور التي استأثرت باهتمام الشعراء فالقادة ابطال يحفظون للملك صولته ، وشهب الموت حين تغشى الوغى ، يخوضونها بوجوه ضاحكة وثغور باسمة ، وهم كالآجال تسعى الى الاعداء فتستل ارواحهم حين تريد ، يطعمون الطير من جثث اعدائهم وهي — كما قال النابغة — تتبعهم في كل مكان يحاربون فيه لما تعودت عليه من طعام فهذا مسلم بن الوليد يجد في يزيد بن مزيد الشيباني كل الصفات المؤهلة لهذه البطولة فيقول (٢) :

سد الثغور يزيدٌ بعدما انفرجتْ
بقائم السيف لا بالخَتْل والحِيَل
كم قد أذاقَ حمام الموتِ من بَطلٍ
حامي الحقيقةِ لا يُؤتى من الزَّهل
يغشى الوغى وشهاب الموت في يده
يرمي الفوارسَ والابطال بالشُعَل
يفترّ عند افترار الحرب مبتسماً
إذا تغيّر وجه الفارس البطل
مُوفٍ على مُهجٍ في يوم ذي رَهجٍ
كأنه أجلٌ يسعى الى أملِ
ينال بالرفق ما يعيا الرجالُ به
كالموت مُستعجلاً يأتي على مَهل ..

(٢) مسلم بن الوليد / الديوان / ٨ — ٩ .

لولا دفاعُك يأسَ الروم إذ بكرت

عن عثرة الدين لم تأمن من الشكل .

انها صورة البطل المنتصر والقائد المتمكن والفارس المتحكم في اقتدار لايُبارى، وعزم ترك للشاعر فرصة التعبير ، وخيّره في انتقاء المواقف التي يراها من حيث الأداء وينتهي اليها من حيث التصور بما أملاه على ساحة المعركة وفرضه على الخصوم وسجّله من ملاحم الانتصار . والقصيدة نشيد متصل من المفاخر وسيلٌ جار من معاني البطولة ..

وتبقى قصيدته في مدح داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب لوحة تكاملت فيها عناصر البطولة واستذكرت بها معاني الجود والوفاء ويخلده بيت الشاعر الذي اصبح مثلاً لكل تضحية ونموذجاً لكل وفاء وصوتاً لكل رائد حيث يقول (٣) .

تجود بالنفس ان ضنّ الجـواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويظل داود القائد في لوحة الشاعر شجاعاً يتفرّد بهذا الضرب من ضرُوب البطولة ، ويبلي في القتال احسن البلاء ، ويمازج الشعر في حديثه عنه وعن غيره من الشعراء بين الجانب الخلقي والبطولي فيجمع بين كرَمه وسخائه وصولاته ووقائعه .. (٤)

وانت بالسند إذ هاج الصريخُ بها

واستنفدَتْ حربُها كيد المكايد (٥)

---

(٣) مسلم بن الوليد / الديوان / ١٦٤ .
(٤) مسلم بن الوليد / الديوان / ١٦٨ — ١٦٩ .
(٥) اي فرغت تلك الحرب بكيد كل مكياد حتى عجزوا عنها وانقطع كيدهم فيها .

واستغزر القوم كأساً من دمائهم
وأحدق الموتُ بالكُرار والحيد (٦)
كنت المُهلّب حتى شك عالمهُم
ثم انفردتَ ولم تُبقِ بتسويد (٧)
لم تقبلْ السّلم الإ بعد مقدرة
ولا تألّفتَ الإ بعد تبديد (٨)
حتى أجابُوك من مستأمِن حَذرٍ
راجٍ ومُنتظِر حتفاً ومشمود (٩)
وفي يديك بقايا من سَراتهمُ
وهُمْ لديك على وعدٍ وتوعيد (١٠)
ان تعفُ عنهم فأهلُ العفو انت وان
تمضِ العقابَ فأمرٌ غير مردود
اسمع فإنك قد هيّجت ملحمةً
وفدتَ منها بأرواح الصناديد

---

(٦) استغزر القوم : اي شرب بعضهم دماء بعض يريد قتل بعضهم بعضاً . الكرار : الذين يكرون فيها . الحيد : المنهزمون .

(٧) المهلب : جد الممدوح . يقول : قمت في تلك الحرب مقام المهلب حتى ظن عالمهم انك المهلب ثم انفردت بخصالك في هذه الحرب حتى تبينت للناس .

(٨) لم تقبل السلم من اهل السند الا بعد ما قدرت عليهم ولا جمعتهم الا بعد تبديد اي بعد ما بددتهم بالحرب والايقاع بهم والقتل .

(٩) يقول : بعضهم يطلب منك الأمان ويحذر سطوتك وبعضهم منتظر حتفا اي قتلا وبعضهم مشمود : اي لم يبق من اجله الا قليل يعني الجرحى .

(١٠) يقول : وفي يديك بقايا من سراتهم ، اي من اشرافهم يرجونك ويخافونك لانك اخذتهم على غير عهد .

ويواصل مسلم بن الوليد مديحه وهو يذكر زيد بن مسلم الحنفي من وائل (١١) :

فتى لا ترى كفاه للمال حرمة
إذا لم يكن في كل يوم يقسم
إذا حل أرضاً حلها البأس والندى
فأيسر ذو عسر وعز مهضم
ولم تر قوماً حاربوه فأدركوا
نجاة ولا قوماً رجوه فأعدموا
وما مر يوم قط إلا جرت به
على الناس من كفيه بؤس وأنعم

الى أن يقول :

سل الحرب عن زيد إذا هي أوقدت
ودب لها شرب من الموت مفعم
وصافح حد البيض بيض كماتها
وكان غناء الخيل فيها التحمحم
وذم كمي واستفز مبارز
وأرهب مرهوب وخاطر مقدم
يخبرك عن زيد بحسن بلائه
ظبات سيوف والوشيج المقوم

ولم ينس الشعراء إنسانية المقاتل العربي ، فهو الذي يعفو إذا قدر أن العفو طريق النجاة والحسم أما الأسرى فقد وجدوا في عطف القادة استجابة

(١١) مسلم بن الوليد . الديوان / ١٨٠ ــ ١٨٢ وينظر الديوان / ٢٥٤ .

لنداء الانسانية وفكاكاً من قيود الأسر فهذا مسلم بن الوليد يذكر زيد بن مسلم ويشير الى هذا العطف الانساني (١٢)

كم من أسير قد دعاك مُكبّل
فككتَ عنه القيدَ والأغـــــلالا

إن السيوف إذا الحروبُ تسعّرَتْ
بكَ توعدُ الفُرسان والأبطـالا

وكلتَ نفسكَ بالمحامدِ والعُلى
فجعلتَهــا لكَ دهْرها أشغـالا

وتأخذ الثغور في قصيدة الحرب بُعداً محسوباً لاهميتها في الدفاع والمقاومة والحماية وابعاد شبح الدمار والهلاك وقد استأثر اصحاب الثغور باهتمام الشعراء لما يتحملونه من اعباء ويضطلعون به من مسؤوليات ويلتزمون به من يقظة وحذر ويتابعون واجبات تفرضها طبيعة الموقع الحربي ، وخطورة الموضع الدفاعي حتى اصبح ذكرهم في مدائح الشعراء مبعث فخر ، والاشادة بهم من مراقع الاعتزاز في ابواب المديح واوشكنا ان نجد لغة الشعر في هذا الفن تتجه في تعبيرها وادائها وصورها اتجاهاً يختلف عن الصور التي عودنا الشعراء عليها في قصائد الحرب الاخرى وان هذه البواعث كانت حالة من حالة المقاتلين الذين يقفون صامدين بوجه الهجمات المتوالية ،ويخوضون في كل مرة قتالاً صعبا بعد أن اصبحوا على خطوط التماس مع الأعداء ، وعند المواجهة الاولى في الالتحام .. فأصبحنا نجد (سدّ الثغور) و (سدّ الخليفة اطرافَ الثغور) وفي بيت مسلم بن الوليد اشـارة لاستعارة لفظ الثغر للمعنى الحربي الذي وجد فيه قرينة واضحة فأحسن في استعماله وابدع فقال (١٣) :

(١٢) مسلم بن الوليد . الديوان / ٢٠٧ .
(١٣) مسلم بن الوليد / الديوان / ٢٦٧ .

إذا افترّتِ الثغرَ الخُطُوبُ انبرى لها

بعابسةٍ مُغْبَرُّها الأسْـــرُ والقَتْلُ

وتُصبح بطولة يزيد بن مزيد الشيباني نموذج الشعراء في التعبير ، ووجه الفروسية في الاقتدار ويظل دوره الرائد موضع اعتزازهم وتصديه لحركات التخريب موئل استشهاداتهم ، وهم يتناولون الحديث بالفخر ، ويتذكرون الرجال في مواقف البطولـــة حتى أوشكت أن تصبح الفاظ (الابطال) و(الفوارس) او (الفارس البطل) أو الكمي من الألفاظ المعتادة في حديثهم ، وربما يدخل عنصر الاحساس العربي المتمثل في هؤلاء القادة العرب وانزالهم الضربات الموجعة في جيوش المتمردين والخارجين على الدولة ، واحباط المحاولات التي ارادت أن تعصف بالدولة العربية في اندفاع هؤلاء الشعراء ، وتوثيب المشاعر الحادة التي تجد اسماء القادة في نفوسهم احساسا مشتركاً في التعبير واداءً صادقاً في الترافق .

ولابد أن يأخذ الشعر في تصوير المعركة لوحة اكثر وضوحاً وانصع الواناً واكثر دقةً لأن الشعر يجد في دقائق الاشياء وتفاصيلها باباً يظهر فيه براعته ، ويكشف عن الابداع الذي يمكن أن تعبر من خلاله العبارة وتوحيه الصورة الفنية ويولده الاحساس المباشر بجوّ المعركة وتثيره جلالة الأحداث وهي تقف عند بطولة المقاتل وهو يقتحم الموت ، أو جرأة المحارب وهو يخوض غمار المعركة وليس أمامه الا النصر أو الشهادة ، فمن شمائل النفس الأبية أن تعاف العار يوم المعركة وتؤمن بالالتزام ، او براعة القائد الذي يحكم القيادة التي لم تترك للخصم فرصة الا الموت او الفرار أو الاستسلام ، وهي أمرٌ ما تنتهي اليه المعارك بالنسبة للمخذولين او المنهزمين وقدم الشعراء في وصف هذه الصور الواحاً نادرة .

ويدخل المنجنيق والعرادات بوضوح في حصار المدن ويكثر استعمالها في الشعر لما تثيره من رعب ، وتحمله من دمار وتورده من هلاك . وكان

خطاب الشعراء يوجهالى صاحب المنجنيق الذي لم تُبق كفه ولا تذر احداً وهم يصوّبون رمياتهم غير مبالين ، ويوجهون قـذائفهم النفطية ونيرانهم الى الغادي والرائح . وتظهر قصائد الشعراء تأثير هذه الاسلحة بوضوح في حصار بغداد بعد المواجهة الحاسمة بين جيش المأمون واهل بغداد (١٤) ويمكن اعتبار قصيدة الخريمي في هذا الجانب أوضح قصيدة قيلت وأطول نفس شعري امتدّ ليصور مأساة الحصار وما تحمل الناس من جرّائه (١٥) .

ويأخذ المنجنيق دوراً خطيراً في حصار عمورية وفتحها والاساليب التي استخدمت في استعمالها بعد أن اصبح استعماله في الحصار وضرب القلاع جزءً من تدريب المقاتلين العرب وبدأ حجم حجر المنجنيق يتطور باتجاه التأثير المباشر ، وانزال اكبر الخسائر بمن يُصاب به . فأهل عمورية بعد أن ضرب سورهم بالمنجنيق وانفرج السور علقوا عليه الخشب الكبار كل واحدة بلزق الأخرى فكان حجر المنجنيق اذا وقع على الخشب تكسر ، فعلقوا خشباً غيره أو صيروا فوق الخشب البراذع ليترّسوا السور (١٦) .

ان تمرس المقاتلين باساليب الحرب واتخاذهم المواقف المناسبة كانت تفرض عليهم مواجهة المعارك بما تحتاج اليه من خطط وقد حققت لهم هذه المتابعة اسباب الانتصار والتفوق في كثير من المعارك . وتبقى ملاحم ابي تمام من اوضح قصائد الحرب قدرة في التعبير وتحديداً لمواضع المعارك واحاطة بالاجزاء التفصلية التي تلازم الاحداث فكان شعره صوتاً من اصوات التاريخ وتأكيداً لتحديد التفاصيل فأدى مهمة الاكتمال التي تلائم بين الحدث والتاريخ وتوفق بين المسافات التي تبقى بعض اطرافها غير واضحة المعالم وتسد الثغرات

(١٤) تاريخ الطبري ٨/٤٤٥ ــ ٤٧٠ وما بعدها .
(١٥) الخريمي . الديوان / ٢٧ ــ ٣٧ .
(١٦) الطبري . التاريخ ٩/٦٤ .

التي تكبر مساحاتها في حالات المفارقة المتميزة . واكتست بعض قصائده بجلال الملائكة التي تحارب مع المسلمين وهي استلهام من تراث الشعر العربي الذي وجدناه واضحاً في شعر الرسالة الاسلامية وبداية الدعوة عند حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة والشعراء الآخرين الذين خالدوا هذه المعاني وظلوا يؤيدونها لترسيخ ايمان المقاتلين وتثبيت اقدامهم فابو تمام حين يمدح المعتصم ويذكر وقعاته في الخرمية يقول (١٧):

وعشيّةُ التّلّ الذي نَعشَ الهُدى
أُصُلُ لما فَخَمٌ من الآصال

نَزَلتْ ملائكةُ السماء عليهمُ
لما تداعى المسلمون نَزالِ

لم يُكسَ شَخصٌ فَيأهُ حتى رَءى
وقتُ الزّوال نعيمهم بزوال

ولم تبتعد عن الشاعر ذكرى معارك المصير التي خاضها العرب قبل الاسلام مثل ذي قار وايام المسلمين في بدر وأحد والخندق فقد اصبحت وجهاً من وجوه استذكاره ، وصوتاً متميزاً من اصوات الاستلهام الذي استعاد به امجاد العرب وهم يقفون وجهاً لوجه أمام التحديات التي جابهها عصره (١٨) .

واستخدم الشاعر الألوان في قصيدة الحرب استخداماً مناسباً فالبطل الذي يسقط مضرجاً بدمه في ساحة المعركة يظل اللون الاحمر الذي تضمّخ به

---

(١٧) ابو تمام . الديوان ٣/١٤٠ .

(١٨) ينظر ديوان ابي تمام في يوم الهباءة ٣٨٢/١ وبعاث ٣٢١/١ وقضة ٤٤/٢ وكليب ١٩٢/٣ ونيف الريح ٢٠٠/٣ ويوم البشر ٢٠٥/٣ وبزاخة ٥٦٦/٤ وذي قار ١٧٧/١ ، ١٢٥ ، /٢١٧ ووقعة بدر ٦٩/٢ ، ١٣٩/٢ وحنين ٢٠٧/٣ واحد ٢٠/٢ .

جسده الطاهر هو اللون المتميز في النهار لأهل الدنيا ولكنها تصبح زاهية خضراً من سندس وهي لباس الشهداء من أهل الخلود (١٩) ..

تردّى ثيابَ الموت حمْراً فما أتى

لها الليلُ الا وهي من سُندسٍ خضرُ

ان قصائد ابي تمام في هذا الجانب تحدد كثيراً من الادوار الكبيرة التي حققها القادة العرب وهم يقاتلون اتباع بابك الخرمي (المحمّرة وعلى رأسهم المحمّر الزنديق) الذين فروا الى بلاد الروم ويقاتلون الروم الذين وجدوا في هؤلاء اتباعاً يناصرونهم العداء على المسلمين . ومع ان الاخبار المتباعدة التي تتناثر في كتب التاريخ لا تعطي الصورة التي كشفها ابو تمام فلابد ان تكون المصادر البيزنطية أوفى نصيباً في السرد واكثر تفصيلاً في الرواية ولعلها تقف عند هذه المعارك التي تولاها هذا القائد وهو يصل الى اماكن بعيدة مثل قسطنطين وهي غير القسطنطينية ومدينة فروق وعقرقس وخلجان البفور التي شهدت لهذا البطل بالاستبسال ومكنته من تحقيق الانتصارات الكبيرة من خلال المعارك الحاسمة والملاحم الخالدة .

ففي مدحه لابي سعيد محمد بن يوسف الثغري وهو يغزو بلاد الروم يحدد لنا الطريق والسلاح الذي حمله المحاربون ونوعه وصفته والضواحي التي التي وصلوا لها وهي (القَيذوق) و (الناطلوق) ليصل الى (الابيق) وهو عظيم الروم وينزل في (دَرَوْلِيَّةَ) وهي مدينة اخرى من مدن الروم فينزل سوقها ويغادره . وقد توزع الخصوم بين هارب من حريق السيف وواقع بين نار الحريق . ويبدو ان القتال تحول الى شوارع المدن واسواقها .. ويستمر الشاعر في هذه الاوصاف ليقول (٢٠) :

---

(١٩) ابو تمام . الديوان ٤/٨١ .
(٢٠) ابو تمام . الديوان ٢/٤٣٤ — ٤٣٦ .

وَقْعَةٌ زَعْزَعَتْ مدينةَ قسطنـ طين حتى ارتَجَتْ بُسُور فرُوق
وَرَحىً القنا عليه يمينـاً هي أمضى من الحسام الفتيق
أنْ لوَ ان الذراع شدّت قُواها عضُدٌ أو أُعينِ سهم بفوقِ
ما رأى قُفْلَها كما زعموا قُفْـ لاً ولا البحرِ دَونَها بعميقِ
غير ضَنْكِ الضُّلوع في ساعة الرّ وع ولا ضيّقٌ غداة المضيقِ
كم أسير من سَرهم وقتيل رادع الثوب من دم كالخلوقِ
يستغيثُ البطرّيقَ جهلاً وهل تطلب الا مُبْطرقَ البطريقِ

والقصيدة بتفاصيلها وأوصافها قصة متوالية الحلقات وملحمة محكمة النسج من حيث الاداء والمتابعة وتحديد المواضيع والتعبير عن حالات المقاتلين واحاسيسهم وما كانوا يرجونه منها ويتمنونه عليها ويُسعدون به والاصوات التي كان يميزها الشاعر وهي تعطي الحالة التي تراودهم من استغاثة أو استسلام أو انتشاء . وكأنه كان يرافق كل مقاتل ويصاحب كل عريف ويعيش مع كل حالة فأغنى القصيدة بصور البطش والفتك من جهة وصور الانسانية من جهة اخرى ويمضي الشاعر في استذكار أيام بكر بن وائل من يوم التحالق وهو يوم قضة ويقرنها بحديث يوم المحمرة من الزنادقة وانتهت القصيدة (*) الى بطولة الفارس ابي سعيد وهو يسجل الانتصار الرائع والظفر الحاسم .

وفي قصيدة أخرى يمدح هذا القائد ويشير الى حسن بلائه في الحرب

(*) الأبيات من ٤٦ – ٧٣ إشارات واضحة الى هذا الحديث .

ووقعه في جنود الاعداء (٢١) .

ومن كان بالبيض الكواعب مُغرَماً
فمازلتَ بالبيض القواضب مُغرَما
ومن تيَّمَتْ سُمْرُ الحسان وأُمُها
فمازلت بالسمر العوالي مُتَيَّما
جَدَّعت لهم أنفَ الضلال بوقعة
تَخَرَّمْتَ في غَمائها من تخرّما(٢٢)
لئن كان أمسى في عَقَرْقُس أجدعا
لمن قبلُ ما أمسى بميمذ أخرما (٢٣)

واذا كانت قصائد ابي تمام الحربية نشيداً قوميا رائعا فان تراتيل الوفاء البطولي لقادة المعارك ظلت بعد ابي تمام تعزف على الحان البحتري وهو يتحسس الوجدان الصادق للذات العربية والشعور المشترك الذي تعبر عنه الدلالة الشعرية وهي تتمثل في ابطال لهم صولاتهم في ميادين المعارك ومواقفهم في أيام المحن والمجابهة ، ويبقى النشيد الخالد الذي رتّلته قيثارة الشعر العربي لابي سعيد هو النشيد الذي يسجل لهذا البطل روائع الصفحات ولعلّ قصيدة البحتري التي يمدحه بها تمثل القدرة القتالية التي تفرد بها هذا القائد الذي اصبح اسمه علامة مرعبة يفزع منها صبيان الاعداء (٢٤) ..

---

(٢١) ابو تمام . الديوان ٣/٢٣٦ .
(٢٢) تخرمت واخرمت واحد اي قطعت راسه . وتخرم دخل في الخرمية يعني بابك واصحابه .
(٢٣) وعقرقس وميمذ اسماء مواضع اعجمية .
(٢٤) البحتري . الديوان ١/٢٨٠ — ٢٨١ .

قد ذمَمنا من دهرنا ما حَمدنا
وسَخطنا من عيشنا ما رضينا

تكرهُ العاجزَ الضعيفَ إذا جا
ء وكنتَ القوي فينا الامينَا

ثبت اللهُ وطأةً لك أمست
جبلاً راسياً على المشركينا

ربما وقعةٌ شمَلتَ بها الرو
مَ فباتوا اذلّة خاضعينا

قد أمنّا أن يأمنُوك على حا
ل ولو صيّروا النجوم حصونا

فزّعوا باسمك الصبيَّ فعادت
حركاتُ البكاء منه سكونا

وتوافت خيلاك من أرض طرسو
سَ وقاليقلا بأرْدِ نْدونا

ونفيرِ الى عقرقس انفتْ
تَ فكُنتَ المظفرَ الميمونا

فالصورة التي يقدمها الشاعر تذكرنا بالآثار المرعبة التي تركتها صولاته الجريئة وما انزله جنوده بالاعداء وهم يصولون صولات الأسود ويوزعون الموت اسنة وَرماحاً وسيوفاً وقد افرد له البحتري في ديوانه اثني عشرة قصيدة خلد فيها وقائعه ، وسجّل ماثره ، وحدّد كثيراً من الخطرات التي تحركها والمواقع الحربية التي خاضها ، واساليب القتال التي استخدمها وحقق من خلالها الانتصارات التي حفل التاريخ الادبى بها ، ووجد فيها الشعراء ينبوعاً من ينابيع العطاء التي أخصبت اغراض شعر الحماسة ، وهيأت لهم

الميادين الفسيحة لاختيار القادة البطولة والفداء ، ووضعت بين أيديهم روائع الانتصار الذي يترك لهم حرية التحرك في ميادين الفخر والاعتزاز .

إن الدراسة التحليلية لشعر الحرب والوقوف عند قصائد المديح أو الرثاء التي مدح بها القادة أو رُثوا بها ـ لأن قصائد المديح والرثاء في هذه الفترة لم تقف عند حدود المعاني التقليدية لهذين الغرضين بعد أن وجد الشعراء فيهما عرض الحديث المناسب لتخليد القائد البطل أو الفارس المنتصر من خلالهما ـ تضع الاطار العام لحركة التاريخ الحربي أو الأهمية المتميزة لأدب الحرب الذي ظل دوره في نطاق الاخبار التاريخية التي تقتصر على الافاضة في كثير من الأحداث وتستسلم للرد الذي يحدد المؤرخ في ضوئه موقفه ، وتبتعد عن المواقف التي تكشف عن قدرات فائقة ومواقف بطولية يسجل القادة فيها روائع التضحيات إيماناً بالقيم التي حملتهم على أن يكونوا في هذه المواقف ووفاء للمبادىء التي عاهدوا الله وانفسهم على الالتزام بها . وربما تسهم في تحديد مواقف المؤرخين خلال الاحداث التي يسجلونها واتساع الرقعة التي يؤرخون لها وتوفر الوثائق التي يعتمدون عليها والموقف السياسي الذي يتيح لهم التعبير في ضوء الواقع المناسب وحقائق الاحداث . وهي مسألة لا تقتصر على تاريخ العرب وحده وانما ظاهرة لازمت تواريخ الأمم وكتبت في ضوئها تواريخ بقيت اساساً لتحديد الأحكام ،وأدى هذا الاتجاه الى ضياع الوثائق الأخرى وأبعد الروايات التي لا تطابق هذا الاتجاه وهي مسألة ادركها المؤرخون ولكنها ظلت قائمة لا تتيح للمؤرخ الخروج عن الروايات المتوفرة لديه من المصادر المتداولة ... وهذه الاسباب مجتمعة لم تترك لهذا المؤرخ قدرة التفاصيل التي وقف عندها الشعراء وهي أقرب الى الحدث من المؤرخ ، وادق في التفاصيل منه واكثر قدرة على التعبير مما يتلمسونه من مشاعر ترتسم على وجوه المقاتلين أو تعيش في وجدانهم ، أو تساورهم وهم على طريق المواجهة الحاسمة

وأنها كانت اوضح في ابراز الدور البطولي والاشادة بالموقف الصائب والاعلام باخبار الانتصارات التي تسجل والعوامل الحقيقية التي تؤدي الى هذه الانتصارات وقد وجدت في هذه الاضاءات صورة اكثر اتساعاً في معرفة الزوايا التاريخية غير المنظورةفي هذا الضرب الفني من الشعر بعد أن بقينا نحكم على الاحداث في ضوء المعطيات التاريخية التي يقف عندها المؤرخون .. ان هذه الملاحظة لا تغمط حق المؤرخين ولا تقلل من الدور الخطير الذي اضطلعوا به والقدرة الثقافية التي عرفوا بهـــا ولكن الأسباب التي ذكرناها ربما تكون اسباباً مؤثرة في المنهج التاريخي الذي ارتضوه لأنفسهم ولعلّ وقوفنا على اخبار بعض الحوادث وقراءاتنا اتفاصيل المعارك التاريخية الحاسمة قد ترك لنا مجال هذا الحديث بعد أن وجدنا شـــاعرين كبيرين من شـــعراء القرن الثالث الهجري وهما ابو تمام المتوفى سنة ٢٣١ والبحتري المتوفى سنة ٢٨٤ وابنين بارين من من ابناء الأمة يقفان عند هؤلاء القادة الذين تصدوا لحملات الروم التي هدّدت الدولة وحركات الارتداد التي بذلت كل ما تستطيع لتهديد كيانها وحاول هؤلاء الاعداء — من الداخل او الخارج — بكل الوسائل التي امتلكوها ومَن وقف معها من قوى الردّة والحركات المضادة ان يوقفوا مسيرتها الحضارية ويضيّقوا عليها الحصار لخنق تطلعاتها الفكرية وحصر رسالتها السماوية . فكان الموقف القومي الذي وقفه هذان الشاعران . حافزاً لكل القوى الخيرة التي تحس بانتمائها وتشعر بصلتها ومصيرها لتأخذ دورها فيالتعبير عن الصوت الراعي والضمير الحي والموقف المطلوب لتحقق لنفسها ارادة المجابهة وتمنع تلك القوى من التأثير في التوجه الذي انطلقت فيه حركة الفكر العربي المبدع والخلاق .

فموقف الشاعرين من تصوير الحرب — بعد أن حضرا وقائعها — يحدد طريق المعالجة التي اتسمت بفنية وشاعرية فكان المديح والرثاء هو الحالة

المطلوبة التي تكرّم الرجال . في صورة المديح وتعبّر عن الذات في اعطائهم الثقة التي يستحقونها باعتبارهم الحماة الحقيقيين عن الدولة وان الصياغة الشعرية التي اصطبغت بها قصائد هؤلاء في حالتي المديح أو الرثاء تختلف من حيث الوفاء والصدق عن القصائد الاخرى التي قيلت في غيرهم .

فابو سعيد محمد بن يوسف الثغري بطل من ابطال الثغور الأسلامية امضى في حمايتها اكثر من سبع عشرة سنة وهو يدفع عنها هجمات البيزنطيين ويصد جحافلهم والثغور من اكثر الاقاليم خطراً واشدها عناداً ومكابرة منذ عهد المعتصم الى زمن المتوكل (٢٢٠ — ٢٣٧ هـ) وقد أهلته هذه الفترة لمعرفة غدر الأعداء ، واساليب تسللهم وطرق قتالهم حتى تمكن من التفرّد بهذا الفن القتالي الذي فرضته ظروف الدولة الجديدة على حماية الحدود الشمالية وان مهمة المقاتلين تفرض عليهم المرابطة على الحدود بعد ان اصبحت الثغور سلسلة من المواقع المحصنة في وجه الغزوات المتوالية التي تعرضت لها الدولة العباسية . فهذا القائد الذي اسندت اليه هذه المهام وخلّده الشعراء بملاحم خالدة يذكره البلاذري مرة واحدة وهي عبارته « وبنى محمد بن يوسف المروزي المعروف بابي سعيد حصناً بساحل انطاكية بعد غارة الروم على ساحلها في خلافة المعتصم رحمه الله (٢٥) ويقف الطبري على اخباره وقفة طويلة وهو بصحبة الافشين في قتال بابك الخرمي ويبرز دوره المتميز في الشجاعة والاقتدار وهو ينهي تمرد بابك (٢٦) إما دوره في الدفاع عن الثغور فلم اجد له ذكراً فيما عرض له . فالتاريخ أغفل ذكر هذا البطل أو لم يوفه حقّه أو يمنحه دوره الذي استحقه ولكن الشعراء عرفوا دوره وقدّروا بطولته

(٢٥) البلاذري . فتوح البلدان /٢٢٩ .
(٢٦) الطبري . تاريخ الطبري ١١/٩ — ١٤ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٨٥ .

فاستحق عندهم ما هو جدير به من ثناء وتمجيد وذكر وهي صورة لا تدخل في الاطار التاريخي وحده وانما تتجاوزه الى الحس المشترك الذي يشدهما بالقائد والايمان الذي يوحد بينهم جميعاً وهم يقاتلون على جهة واحدة وينتمون الى أمة واحدة ويتحسسون بالمخاطر التي تتعرض لها ، فكان حسُّهم الشعري يفرض عليهم ابراز اهميته ، والرفاء لشجاعته ، ووضع الشعر في الموضع الذي تُعلى به همم الرجال الاماجد ، وتكرّم بمآثره مناقب القادة الميامين فخلدوا في قصائدهم ما أغفل ، ووقفوا في شعرهم على ما أهمل فاستجابا لبطولة فريدة وطاقة حربية نادرة واستطاعا أن يرفعاه من غفلة التاريخ ، وينقذاه من وهدة الضياع التي اطبقت على كثير من القادة والمحاربين فغابت في غيابهم احداث كبيرة ونسيت بنسيانهم مواقف بطولية خالدة وضاعت انتصارات سجلت بدماء هؤلاء البواسل وقد احصيت عدد القصائد التي اشار فيها ابو تمام الى هذا البطل فكانت اكثر من خمس وعشرين قصيدة وقطعة وقد تحدث عنه باحساس يفيض بالبطولة التي عرف بها ويكبر بالانتصارات العظيمة التي انجزهـا على امتداد الثغور الاسلاميـة المتاخمة لبلاد الروم . وتعد مدائحه لوحة متكاملة لحركته وقدرته وانتصاراته وما وصف به وعرف عنه وان هذا التوجه في تحليل قصائد ابي تمام يعطي شعره لوناً جديداً وبعداً قومياً مضافاً لما عرف به هذا الشاعر وان هذا التحليل يتم في اطار الدراسة الدقيقة لقصائد المديح التي اوقفها الشاعر على هذا القائد أو على غيره من القادة العرب الذين خفقت بذكرهم تواريخ الامم واعترفت ببطولتهم اخبار الوقائع (٢٧) .

---

(٢٧) ينظر ديوان ابي تمام ١ / ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ و ٢ / ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٣٦ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٧٦ ، ٤٣٠ . و ٣/١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ .

وبقيت اصداء اولئك القادة في ثنايا الشعر العربي تملأ اسماع الاجيال بما اشادوه من صروح المجد الحربي بمعارك النصر فكان ابنه يوسف بن ابي سعيد الثغري بطلاً استعاد مجد والده وأخذ دوره في كبح جماح الروم وايقاف زحفهم ومطاردتهم وكانت بلاد الاناضول هي المسرح الفسيح الذي تحركت عليه قصائد البحتري وهو يواصل مدائحه لهذا الفتى الذي اخترق هضبة الاناضول ووصل الى مسافات موغلة في البعد وقد التقت في رحاب هذه الفروسية العبارة البلاغية لشاعر الرقة والزخرفة واللفظة الموحية لتتحول الى نشيد قومي آخر يذكرنا بمواقف الشعراء وهم يُنشدون قصائد الفخر ويسجلون أيام الانتصار ولم يكن البحتري بعيداً عن المعركة ، أو ناقلاً لاخبارها أو سامعاً احداثها وانما كان يعيش لحظاتها بالتفاصيل ، ويتابع وقائعها عن قرب ، ويسجل مشاعر المقاتلين وهواجسهم والخيل وحسنها ، سراها وغارتها . فيقول (٢٨) :

فلم أرَ مثلَ الخيل أبقى على السُّرى
ولامثلَنا أحنى عليه وأشفقا
ومـا الحسنُ الإ ان تراها مغيرةً
تُجاذبُنا حبلاً من الصبح أبرقا
فكم من عظيم أدركته صدُورُها
فبات غنياً ثم أصبح مُمْلِقا
وأوحشها من يوسُف حملُ يوسف
عليها المعَالي جامعاً ومُفرّقا
حوى كلّ ما دون الخليج ولم تدَعْ
فؤاداً بما دونَ الخليج مُعَلّقا

(٢٨) البحتري . الديوان ١/٢٩٨ — ٢٩٩ .

يرى الغزو حَجّاً فالمقصِّر ما لَه
كأجر الذي طاف الطواف مُحلّقا
إذا جاد كان الجود منه خليقة
وان ضنّ كان الضنُّ منه تخلّقا
فإن شهروا الماذيّ كيما يُرَهّبُوا
شهرت لهم بأساً عليهم مُحَقّقاً
وفي كل عالٍ من قُراهم وسافلٍ
لهيبُ كأنّ الوشيَ فيه مُشقّقَا
حريقٌ لو النعمان يوم أوارة
رآك تُزجّيه دعاكَ مُحَرِّقا (٢٩)
وفي يدكَ السيفَ الذي امتنعت به
صَفاةُ الهدى من أن تَرِقَ فتَخْرِقا

ومثل ما كانت تعقر عند قبر حاتم الطائي الجزور وفاء لكرمه الذي خلده فان البحتري كان يطلب من كل الفرسان الذين يمرون بقبر ابي سعيد أن يذكروا بطولته ويكسروا عنده رماحهم ويمزقوا راياتهم اكراماً لهذا الفارس الذي ظل رمزاً من رموز الشجاعة وفارساً من فرسان الثغور بعد أن اقضّ مضاجع الروم فلم تغمض لهم اجفان ما دام حياً .. ولكن الآن وبعد أن وافاه الأجل المقدر يحق لهم أن يناموا بأفواه الدروب .. فقد مات الكرّ الاقدام ... وهي الصورة القريبة من صوره حتى مات مضرب سيفه التي رثى بها ابو تمام حميد الطوسي .. (٣٠)

---

(٢٩) النعمان : اراد النعمان بن المنذر . يوم اوارة : يوم من ايامهم .
(٣٠) البحتري . الديوان ١/١٠١ . ـــ

لا يَهنىء الرومَ استراحتُهُمْ فقد
حدأوا بأفواه الدّروب وناموا
أمنوا وما أمنُوا الردى حتى انطوى
في التُّرب ذاك الكرُّ والاقدام
يا صاحب الجدث المُقيم بمنزلٍ
ما للأنيس بحُجرتيه مقامُ
قبر تُكسّرُ فوقه سُمرُ القنا
من لوعةٍ وتُشقّق الاعلام
كنتَ الحمامَ على العدو ولم أخَفْ
من أن يكون على الحمام حمامُ
ما كنتُ أحسبُ أنّ عزّك يرتقى
بالنائبات ولا حِماكَ يرامُ

وفي اطار فكرة ابتعاد المؤرخين عن التدقيق في وصف المعارك الحربية واغفال الكثير منها وهي تمثل الجانب العسكري أو القتالي من التاريخ السياسي فان المعارك البحرية كانت بعيدة عن اهتمامهم بما فيها الانتصارات التي تحققت في سجل الجيش بعد أن اصبحت من مهامه الأولى تقوية الاسطول البحري لامتلاك زمام المبادرة للوصول الى السواحل البيزنطية لمنع قواهم البحرية من التوغل الى الموانئ العربية وان أي تردد يساور هذه القوة أو يصيبها فان فرصة انقضاض العدو عليهم تصبح مواتية في الاوقات التي يجدونها، وان تهديدها يظل قائماً ما دامت الشواطئ العربية خالية من المقاومة البحرية من جهة ، وقاصرة عن تهيئة السفن الكفيلة باستمرار المطاردة والانقضاض من جهة اخرى . لأن سطوة البحر والتحكم في الموانئ كانت بيد البيزنطيين طوال الفترات السابقة ، وان كانت بعض الروايات والاخبار تقدم لنا صوراً من استخدام العرب للسفن ، ويُسهم الشعر العربي بذكر هذه الاخبار ويقف

عند الوسائل التي استخدموها وتركت بعض المعارك صداها في الشعر ، ولعلّ مفردات اجزاء السفينة واسماءها وكثرتها في المعجم العربي تؤيد هذه المقولة وتحدد لنا الاهتمام الذي عرفه العرب وتبقى محاولة العلاء الحضرمي صورة لهذا التطلع وتأتي محاولات العبور التي استخدمها العرب في تحرير العراق وبلاد فارس والمعارك الحاسمة التي خاضوها وجهاً من وجوه الاهتمام الذي حقق لهم النصر في كثير منها بسبب ايمانهم الراسخ واندفاعهم البطولي وحبهم لما نذروا له أنفسهم من تضحية ويمكن اعتبار اشارة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) ببعث علقمة بن مجزّز المُدلجي الى الحبشة في البحر من الاشارات الأولى (٣١) ، وتبقى صورة عمرو بن العاص التي قدمها للخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي) حين سأله عن وصف البحر بعد الحاح معاوية في غزوه من الصور التي كانت تحمل العرب على التهيُّب في المراحل الأولى تحوّطاً مما يصيبهم به، وحفاظاً على أرواح المسلمين .

ان قرب الروم من حمص وما حملته الرسالة من مخاوف كادت تأخذ بقلب عمرفكتب الىعمرو ابن العاص صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني اليه فجاءت الرسالة . اني رأيت خلقاً عظيماً يركبه خلق صغير ليس الإ السماء والماء، وانما هم كدود على عود . إن مال غرق وان نجا برق. وكان جواب عمر (رضي) فكيف احمل الجنود في هذا البحر ، تالله لمسلمٌ أحبُّ اليّ مما حوت الروم . وحذّره وذكره بما لقي العلاء الحضرمي (٣٢) . وقيل أول من غزا في البحر معاوية بن ابي سفيان زمان عثمان بن عفان بعد أن استأذن عمر فيه فلم يأذن له ،فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الجاسيّ حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب (٣٣)

(٣١) الطبري . تاريخ الطبري ١١٢/٤ .
(٣٢) الطبري . تاريخ الطبري ٢٥٨/٤ ــ ٢٥٩ .
(٣٣) الطبري . تاريخ الطبري ٢٦٠/٤٦ .

وكانوا يخرجون في قوارب طليقة (٣٤) .

وقيل : غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرص وغزاها أهل مصر وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وخرج قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بأفريقيا ، فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الاسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب، وربطوا السفن بعضها الى بعض حتى كانوا يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف وهم على السفن ، ووثب الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجأون (٣٥) ، بالخناجر حتى رجعت الدماء الى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جُثث الرجال رُكاماً (٣٦) وتركت هزيمة البيزنطيين في هذه المعركة التي عرفت بذات الصواري أثرها المؤلم في نفوس الروم في المعارك الحربية التي اعقبت هذه المعركة لما تجرعوه من مرارة ، وفوجئوا به من اقتدار عالٍ وهمة صادقة ، فقابلوا بين خيبتهم في اليرموك وهزيمتهم في ذات الصواري وكانت المعركة بداية حروب بحرية متابعة اتسعت من خلالها قاعدة الممارسة القتالية وقد دفعت هذه المعارك الاهتمام بصناعة السفن فشهدت صناعة السفن وأدواتها ووسائلها واسلحتها عناية خاصة لازدياد الحاجة اليها وخاصة بالنسبة للمدن الساحلية التي تعرضت لهجمات حادة وغزوات متتالية .

وفي سنة اثنتين وثلاثين كانت غزوة معاوية المضيق ، مضيق القسطنطينية . ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة (٣٧) وروى المقريزي أن أمير البحر عبدالله بن سعد كانت معه امرأته بسيسة ابنة حمزة بن يشرح ، وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب وكانت بسيسة تشارك في القتال وتعطي رأياً فيه (٣٨) .

---

(٣٤) الطبري . تاريخ الطبري ٤/٢٦١ .
(٣٥) الوجا : اللكز والضرب .
(٣٦) الطبري . تاريخ الطبري ٤/٢٩٠ .
(٣٧) الطبري . تاريخ الطبري ٤/٣٠٤ وينظر البلاذري /٢١٠ .
(٣٨) المقريزي : الخطط ١/٢٧٣ .

ولما غُزيت قبرص الغزوة الاولى ركبت أمْ حَرام بنت ملحان مع زوجها عُبادة بن الصامت ، فلما انتهوا الى قبرص خرجت من المركب وقُدمت اليها دابة لتركبها فعثرت بها فقتلتها فقبرها بقبرص يدعى قبر المرأة الصالحة(٣٩) .

لقد كان تحصين المدن الساحلية ضرورة لازمة تفرضها ظروف الدفاع ، وتؤكدها الحاجة التي اصبحت جزءً من خطة الحفاظ على سلامة هذه المدن وكانت استجابة العرب لهذا التوجه استجابة ايجابية دلت على عزمهم واصرارهم واكدت رسوخ ايمانهم وجرأتهم في مقاومة الاعداء ، وقد وفقوا لتجاوز حالة التردد ونجحوا في تخطي العقبات التي ظلت تحول دون هذا الاستقرار وتمنعهم من تحقيق الرغبة في بناء هذه المدن بناءً يتناسب مع المهمات التي تؤديها وتحصينها تحصيناً يمكنها من مقاومة الغزو الذي تتعرض له واحتفظوا بما وجدوه من حصون قائمة واستفادوا منها بعد أن وجدوها سليمة وصالحة وقادرة على ان تكون قاعدة للدفاع بسبب اسوارها المنيعة وابراجها المتحكمة في حركة القادمين اليها او القريبين منها واعادوا بناء ما تهدم منها او اهمل بعد ان ادركوا اهميتها الحربية وضرورة ترميمها وقد وفرت لهم هذه التحصينات اسباب الحماية ولم يقتصر الاهتمام على العناية بالحصون الساحلية وانما كانت خطوات معاوية واضحة في التوجه لمتابعة السياسة البحرية والدفاع عن السواحل العربية بتشجيع الناس على استيطان المناطق الساحلية وتشجيع الراغبين من اهالي المدن ليتعودوا على رؤية البحر وتزداد خبرتهم بركوبه وتعظم رغبتهم في ارتياده . وقد اعدّ معاوية خطة محكمة لاسكان الراغبين في المدن الساحلية فكتب الى عثمان يسأله أن يُشخص اليه من اهل الشام والجزيرة قوماً ممن يرغب في الجهاد والغنيمة فبعث اليه معاوية الفي رجل اسكنهم واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة

(٣٩) البلاذري . فتوح البلدان /٢٠٩ .

بها (٤٠) وقد أدّت هذه الخطوات الى ازدياد العمران وانتعاش الحياة وتوسيع آفاق التجارة وتعاظم حركة اقبال الناس ، وقد اثرت هذه الحركة في انماء شعور السكان ودفعت عن نفسهم المخاوف التي كانت تعتريهم في حالات الغزو او التعرض .

وبقي اسلوب المناوشات الحربية قائماً خلال الحكم الامويّ بعد ان استند الى خطة محكمة في احتلال الجزر القريبة ووضع الحاميات التي تقوم براجبات الرصد واستخدام الرسائل الكفيلة بالانذار ووضع الاسطول العربي المتجول بحالة تأهب دائم .

اما في العصر العباسي فقد اصبحت شواطئ الشام ومصر بالنسبة لمقر الدولة نهايات وحدوداً ينبغي حمايتها وليس ثغورا للانطلاق منها لأن مهمات الانتقال الى عالم اوسع اصبحت غاية لا تقتصر على البحر المتوسط وانما العناية بخليج البصرة وعمان والمحيط العربي . ولم تزد العمليات البحرية للاسطول العباسي فتوحات تستحق الذكر الا من باب تأكيد الوجود العباسي ويمكن اعتبار حملة المنصور سنة ١٥٧ اهم حملة بحرية نجحت في الهجوم على قبرص واسر حاكمها البيزنطي .

ويشهد عهد الرشيد والمعتصم والمتوكل حروباً بحرية طاحنة على جبهة الروم يسجل فيها المقاتلون مفاخر حربية متميزة على امتداد الجبهة او في هدم الحصون المنيعة أو حماية الثغور وإن استكمال عناصر الحرب استعدادا لمواجهة الخصوم وتهيئة لخوض المعارك التي أصبحت تواجههم في البحر كانت تفرض عليهم اعداد الرسائل الكفيلة بهذا السلاح ..

وقد ادّى هذا التهيؤ والاستعداد الى احكام السيطرة على الدولة البيزنطية . في عهد الرشيد وفي سنة ١٩١ اغارت بعض السفن الاسلامية على جزيرة

---

(٤٠) البلاذري . / فتوح البلدان / ٢٧٨ .

رودس وعادت شملة بالغنائم . وعرف الامين باهتمامه ببناء السفن ؛ وكان الخلفاء العباسيون قد وجدوا فيها وسيلة من وسائل النزهة وسبباً من اسباب الراحة وهم يمخرون عباب دجلة وينتقلون بواسطتها من قصر الى قصر أو من مكان الى مكان . ولكن بناء سفينة الامين (الدلفين) ووقوف الشعراء عند ذكرها واوصافها يؤكد تطور صناعتها التي كانت تصنع وفق اشكال الحيوانات كالأسد والعقاب (٤١) .

ويذكر الطبري في حوادث سنة عشرين ومائتين أن عُجيف بن عنبسة دخل بالزط الى بغداد بعد قهره اياهم حتى طلبوا الأمان فامنهم فخرجوا وكانت عدتهم سبعة وعشرين الفاً بلغت المقاتلة منهم اثنى عشر الفاً تحملهم السفن واقبل بهم حتى نزل الزعفرانية ثم عبأهم في زواريقهم على هيأتهم في الحرب والمعتصم في سفينته التي كان يقال لها الزو (٤٢) .

إن هذا الخبر يكشف عن استعداد المعتصم لتهيئة اعداد من السفن تكفي لاثني عشر الف مقاتل وان سفينته الكبيرة التي اتخذها منصة للعرض تؤكد اهتمامه بهذا الجانب وانصراف جانب من رعايته لهذا النوع من السلاح ..

وتشكل معركة دمياط تحولاً جديداً في القتال البحري الذي وقف عنده الطبري وقفة مقتضبة في احداث سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٤٣) . وتأتي قصيدة البحتري في مدح احمد بن دينار بن عبدالله ووصفه مركبه (الميمون) الذي اتخذه قاعدة في معركته المباركة وثيقة تاريخية دقيقة لوصف هذه المعركة وتفصيل اخبارها . وتقع القصيدة في اربعين بيتاً تحدث في القسم الاول منها عن فصل الربيع الذي كانت فيه الغزوة فمازج بين سبائب البرود وزرابي

(٤١) ابو نواس . الديوان /٤١٤ (نشر الغزالي) .
(٤٢) الطبري . تاريخ الطبري ١٠/٩ .
(٤٣) الطبري . تاريخ الطبري ١٩٣/٩ .

عبقر وسقوط القطر . وزين لوحته بسقوط المطر كاللؤلؤ المتحدر والنور الاحمر المشوب بجوهر متساقط ، حتى إذا قابلته الشمس ردّ ضياء ها مثل الاقحوان المنوّر انها لوحة تداخلت ألوانها بشكل فني وتشابكت فروعها بتنسيق رائع وانحدرت قطراتها المتلاصقة لتستكمل لوحة الاشراق الصباحي وهي تبتسم لكل وجه صبوح .. انها التمهيد الذي قدمه الشعر تيمناً بالنصر وتفاؤلاً بالظفر رثقة بقدرة المقاتلين بكل ما يجعل المعركة لصالح جيش القائد العربي ولم ينس البحتري وهو في طريق الغزو القناة علوة اغنية الصبا والجمال ، وانشودة العاشق الذي ترك قلبه وعاش كل كلمات الوداع التي ودعته بها بعد أن حاولت اخفاء شوقها ولم ينس البحتري نهره الخالد الذي احتفظ وهو يودعه بالقناة المتذكر ليتجه الى بلاد الشام ... انها وحدة الانتماء التي شدّت بين شوق الشاعر وحنينه ويستمر بالحديث عن احمد الذي تولى البحر والجود صنوه بسبعة ابيات ليغدو على الميمون صبحاً فيغدو الميمون تحته اما النوتي الذي يرتقي برج الصاري فيصبح عند الشاعر خطيباً يرتقي ذؤابة المنبر إذا عصفت ريح الجنوب اعتلى جناحي عُقاب . وحول هذا القائد ركّابون للهول تميل المنايا حيث تميل اكفهم واذا رشقوا بالنار كان رشقهم يشوي اجساد اعدائه فتتحول الى شواء مقتر .. بعد أن جابه بهم اصحاب اللحى . ان هؤلاء الركابين يسوقون اسطولاً تنوعت سفنه وضج البحر من وقع رماحهم ويواصل الشاعر حديثه عن هذه المعركة التي تضاءل صوت قتالها في اسفار التاريخ ، وخفتت انوار اللهيب الذي اشعلها هذا القائد في احاديث المؤرخين(٤٤).

لقد وجد شعر الحرب في العصر العباسي مادة تختلف في ادائها ومعانيها عن المادة التي استخدمها الشعراء قبل هذا العصر بعد أن تداخلت المعاني واستقرت الافكار واتسع باب المزاوجة في الألفاظ والتوليد في الافكار والتعابير وتقليب

(٤٤) البحتري . الديوان ١/٤٥٠ ــ ٤٥٢ .

المفردات وفق المعاني المتقاربة والمتضادة وهو ما أطلق عليه فن البديع وقد ادى استخدام هذا الفن الى براعة لغوية متميزة وابداع فني وتركيبي في خلق الصور وايجاد الوسائل التي نثرت في اناشيد المعارك اصواتاً من الموسيقى ووزعت الحاناً حماسية ارتفع فيها لهيب المعارك بضرامة اشد وتعالت في ابهائها قعقعة السيوف اللامعة واجتياح القلاع الحصينة وحصار الحصون المنيعة ؛ وقد أغنت اساليب الحرب الجديدة ووسائل القتال التي وفرتها طبيعة المعارك أدب الحرب بصياغات لفظية وبلاغية وأضفت عليه من عناصر الحدة والاحتدام ما جعله ادباً متحركاً في كثير من صُوره ومفرداته وهي خصيصة فرضتها شدة المعارك وألهبتها قوة المجابهة التي صاحبت الغزوات المتتالية بعد ان اصبحت الحرب سجالاً وكان الشعر فيها يأخذ مداه القومي من حيث التعبير والفني من حيث الاداء والشعوري من حيث الاحساس الذي يساور المقاتلين والتسجيلي لبطولاتهم الفريدة وقدراتهم المتميزة .. ويمكن اعتبار هذا النمط الحربي قاعدة ارتكز عليها الشعر الحربي الذي سجل بعد هذه الفترة حتى نهاية الغزو الصليبي .

وتكبر مساحة ادب الحرب في القرن الرابع الهجري بعد أن افرد المتنبي ديواناً خاصاً بالسيفيات بلغ تعدادها ثمانياً وسبعين قصيدة ومقطوعة ارختّ المعارك الحاسمة التي خاضها سيف الدولة ابتداءً من « فرشنة » و « مرعش » و « الحدث الحمراء » و« الدرب » والثغور التي سجل فيها المتنبي واقع شعره الحربي وصور حالات الانتصار التي خاضها سيف الدولة وكشف عن مهارته في فنون الحرب ووصف جيوشه التي ملأت الفضاء كثرة ومضاءها وهي تنزل بالاعداء الهزائم وتقتنص الأسرى . ووقف عند تصوير خيله والكماة من رجاله وهي اوصاف لا تقف عند الصورة الثابتة وانما تتجاوزها الى الحالة المتحركة وهم يجابهون الأعداء . ويكيلون الطعن لهم وغبار الوقائع

وهو يغطي سماء المعارك ولم يبعد عن ذهن الشاعر صور اولئك الأسرى المقيدين الذين لازمتهم الاغلال ووثقت ارجلهم القيود (٤٥) وهو ما ظل بعيداً عن وثائق المؤرخين المسلمين الذين اكتفوا بالاشارات الموجزة . وعبروا عن الحدث التريب وانصرفوا الى تدوين الأخبار التي اصبحت صلتها بمشاغل الخلافة وما تعرضت له من مداخلات اكثر من انصرافهم الى تسجيل الوقائع التي ابتعدت عن مركز الخلافة بسبب الأزمات الخانقة التي بدأت تعصف بهذا المركز . فالصور التي يتحدث عنها المتنبي بعد مجيء الدمستق الى (مرعش) بعد معركة (فرشنة) وما أنزله فيها من تهديم وفعله من تخريب . وشخوص سيف الدولة لطرد هذا الغازي فاعاد بناء السور وشيد القلعة واوقع بجيش الروم الهزيمة . لم تأخذ من حجم الحدث التاريخي ما اخذته في شعر المتنبي ولم تتناسب اشادة المؤرخين مع الفعل الكبير الذي فعله هذا الفارس وهي من غرر الشعر الذي يتداول على الالسنة وينشد في مواضع الاستشهاد ويستلهم من مواقع التلاحم والمنازلة ..

فديناك من ربـع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

ثم يشير الى اهل مرعش مهنئاً ...

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهـم
وأنك حزب الله صرت بهم حزبا

فيوماً بخيل تطرد الروم عنهـم
ويوماً بجود تطرد الفقر والجدبا

سراياك تترى والدمستق هـارب
واصحابه قتلى وأمواله نهبـى

(٤٥) ينظر ديوان المتنبي .

أتى (مرعشاً) يستقرب البعد مقبلاً

وأقبل إذ أدبرت يستبعد القربا

ولكنه ولّى وللطعن سورةٌ

إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا

واذا كان السيف يحمل في نظر الشاعر سمة خاصة تربطه بالقوة وتجعله قرين النصر والظفر (٤٦) ورفيقاً للشجاعة والصورة النموذجية للمجد فانه يُصبح نظيراً لسيف الدولة وكأنه اراد ان يقرن القوة المتناهية بقدرة البطل الممدوح ، واذ استوقف الرمح واجزاءه حربيات المتنبي وهو يغني المعارك بضروب السلاح (٤٧) . . فان الخيل كان لها مكانها البارز في معجمه الحربي بعد أن عرفنا ولعه بها ومعرفته بحقيقة خصائصها وجمالية اشكالها وعتقها وألوانها حتى اصبحت قرينة من قرائن القوة وسبباً من أسباب مطاردة الخصوم (٤٨) .

ومن يتابع صور هذه المفردات وغيرها من اسباب القوة يُدرك شدة تعلق الشاعر باستمرارية الحركة التي ظلت محوراً من محاور الشاعر بعد أن جعل الخيل تطرد الروم أو تغذ الركض أو براها أو ترفع أذنابها او تمطر الاعداء بالحديد وتظلهم بالسيوف .. (٤٩) .

(٤٦) استعمل المتنبي السيف اربعا وسبعين مرة وخمسة وعشرين لفظا تدل على السيف او على اجزائه كالحسام والصارم والمهند والنصل والغمد ويبلغ مجموع هذه الالفاظ مائتي مرة (ينظر سيفيات المتنبي. سعاد المانع/١١) .

(٤٧) استعمل المتنبي الرمح واجزاءه اربعا واربعين مرة (ينظر سيفيات المتنبي. سعاد المانع / ٣١) .

(٤٨) استعمل المتنبي لفظ الخيل ثمانيا وخمسين مرة والجياد عشرين مرة ينظر سيفيات المتنبي . سعاد المانع /٩٩) .

(٤٩) المتنبي / الديوان ٢٧٤/٢ .

رَمَى الدَّربَ بالجُردِ الجيادِ الى العدا
وما عَلِمُوا أن السِّهامَ خيُـــولُ

شوائل تشوالَ العقارب بالقنـــا
لهـــا مرَحٌ مـــن تحته وصهيل

وخيل براها الركض في كل بلدة
إذا عَرَّستْ فيهـــا فليس تقيـــلُ

فما شعروا حتى رأوها مُغيــرةً
قباحـــاً وامّا خلقُهـــا فجميـــلُ

سحائب يمطرن الحديد عليهـــم
فكـــلُّ مكانٍ بالسيوف غسيل

وعادت فظنّوهـــا بموزارَ قُفّلاً
وليس لهـــا الإ الدخولَ قُفُول

فخاضت نجيعَ الجمـــع خوضاً كأنّه
بكُلِّ نجيـــع لم تخُضْهُ كفيل

تسايرها النيران في كلِّ مسلكٍ
بـــه القوم صرعى والديارُ طلول

فالصورة التي يقدمها الشاعر توحي بحالة الفزع التي كانت تنتاب جيوش الروم وهم ينزلون عليهم كالسحائب لما فيها من بريق الاسلحة وصياح الابطال وجعل مطر هذه السحائب الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والاسنّة وتتعاظم الصورة في ذهن المتنبي لتجعل السيوف مطراً أو تجعل افناءها لهم بمنزلة غسل الارض منهم .. ويرسخ الشاعر صورة الخيل ثانية بعد ان اصبح الروم لا يُميزون بين عودتها الى ديارها او دخولها عليهم من شدة ذعرهم وهول فزعهم . وان النيران تساير الخيل اينما سارت وحيثما

اتجهت وفي هذه اللوحة تكبر صورة الجند وتعظم هيئة الخيل وهيبتها وهو ما كان المتنبي يسعى اليه من خلال استمراره لذكرها واضفاء كل الصفات التي تجعلها اكثر قوة واشد مقاومة .

وتظل معركة الحدث الصوت الحربي المتميز في حربيات المتنبي لما تركته من أثر وحفلت به من اهتمام على لسان المستشهدين بشعر المتنبي ولعل مطلع القصيدة الذي اصبح يُنشد على كلّ لسان . .

على قدر أهل العزم تأتي العزائـــم وتأتي على قدر الكرام المكارم . .

يمثل الشهرة التي اكتسبتها وهي تمنح سيف الدولة خصائص البطولة بعد أن يُصبح ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله لانه يريد ان يجعل من الناس اصحاب شجاعة واقدام ويستعيد في ذكره معاني الشعراء القدامى فهو يكفي الطير مؤونة طلب الاقوات لكثرة القتلى في وقائعه . ويكفيها ما تفتقر اليه من مخالب قوية مفترسة . بعد أن خلقت اسياف سيف الدولة التي تقوم بكفاية قوتها . وتبلغ الصورة حدتها بعد أن تصبح الجماجم التي اجرت عليها من الدماء قبل ما اجرت عليها من السحائب من الماء فهي لا تدري اي هذين الفريقين احق بأن يسمى بالغمائم لانهما استويا في السقيا (٥٠) وتظل صورة الجيش المدجج بالسلاح لكثرة ما عليهم من الحديد وعلى خيولهم صورة لها هيبتها حتى تبدو الخيول بلا قوائم لما علاها من الحديد كما يعبر عنها الشاعر .. ان اختيار النماذج القليلة أو الوقوف هذه الوقفة القصيرة عند هذه القصائد يمثل اختياراً من مجموعة كبيرة امتدّ بها الوصف التسجيلي لاحداث خطيرة ومواجهات بهتت ألوانها عند المؤرخين على الرغم من الاخطار التي كانت تترتب عليها والصراع السياسي الذي كان يؤججها والتحديات التي صاحبتها

(٥٠) تنظر القصيدة في الديوان ١٢٢/٤ .

وهي تتكرر على امتداد الحدود وتسجل من خلالها روائع البطولة ويكتب المقاتلون صفحات مشرقة من صفحات التضحية واذا كان التاريخ قد اغفل هذه الاحداث فان تاريخ الأدب ظل بعيدا عنها لاعتماده على الاحداث التاريخية بشكل تقليدي نأطقاً وهجاً آخر كانت أقباسه تنير ساحات المعارك وومضاته تضيء زوايا ادب الحرب في هذا العصر . بعد ان تهيأ للعصر ، الفارس الشاعر والشاعر الفارس فحملا روح الفروسية وقدرة التعبير وبطولة الأداء القتالي .

ويشوب صوت ابي فراس رنينَ الأسى وحسرة الأسر وهو يرسل قصائده أو (رومياته) وقد وضح فيها صوت الفخر وارتفعت روح التحدي وأخذ سياق القصيدة حالة الدعوة الى التساؤل او المباشرة (٥١) .

أتزعُمُ يا ضَخْمَ اللغاديد أننا
ونحن أُسودُ الحرب لا نعرفُ الحربا

فويلكَ من للحرب إن لم نكن لها
ومَن ذا الذي يُمسي ويُضحى لها تِرْبا

ووَيلك من أردى أخاك بمرْعَش
وجلّلَ ضرباً وجهَ والدك العَضْبا

ووَيلك من خلّى ابنَ أختك مُوثقاً
وخلاّك باللّقان تبتدرُ الشِّعبا

أتُوعِدُنا بالحرب حتى كأننا
وإيّاك لم يُعْصَبْ بها قَلْبُنا عِصْبا

ويواصل الشاعر الفارس :

فَسلْ بَرْدَ ساعتنا أخاكَ وصِهرَهُ
وسَلْ آل بَرْداليسَ اعظمكم خَطْبا

(٥١) ابو فراس . الديوان /٤٢ — ٤٣ .

وسَلْ قُرقُواسا والشَّميشَقَ صِهرَهُ
وسَلْ سبطَه البطريقَ أثبتكم قلبا
وسَلْ صيدكُمْ آل الملاين إنَّنا
نَهبْنا ببيض الهند عزَّهُمْ نهبا
ألم تُفنهمْ قتلاً وأسراً سيُوفُنا
وأسدَ الشرى الملأى وان جمدتْ رُعبا

انها وجه آخر من وجوه أدب الحرب الذي تقاسمه الشاعران وهما يخوضان معارك الثغور على اشدّها ويصولان صولات الابطال على حدتها وينافحان عن الارض والانسان والكرامة فكانت معاني الفخر تكتسب عندهما طعماً خاصاً وصور المباهاة تأخذ حجماً متميزاً ، وقوابس الاستلهام تمتد الى عمق تاريخي يجد فيه ابا فراس عمقاً اوغل من المتنبي وايحاء اشدّ صلة بتاريخه الحافل بمعاني البطولة .. انها وجوه ماتزال الدراسات الادبية غير قادرة على جلائه وبعيدة عن النفس القومي الذي امتدّ في ديوانيهما حساً مشتركاً وصوتاً بطولياً رائداً يعبر عن التاريخ السياسي المعاصر لهما ؛ ويلوّن الحياة بومضات الأحياء المباشر لروح المقاومة والبعث لأسباب المجابهة . . ان حرب الثغور كانت صوتاً له وقعه في كيان الدولة وله نفسه في تحقيق البقاء الثابت للفكر العربي الذي وجد في عروبة الدولة الحمدانية ما لم يألفه في بقية دول الطوائف فازدهر العصر فكراً وانطلق من ايمانه بحق الدفاع قوة ترد الخصوم ، وجيشاً ينازل الروم ورجالاً يحمون الثغور دفاعاً عن الشرف وصوناً للكرامة .. والثغر عند ابي فراس وتكرار الدفاع عنه وصد الغزوات اصبح داء لا يواسيه الا سيف الدولة بعد ان اعيا دواؤه .. (٥٢) .

(٥٢) ابو فراس . الديوان /١٠٨ .

أسا داء ثغرٍ كان أعيا دواؤه
وفي قَلْبِ مَلْكِ الروم داءٌ مخامرُ

بنى ثغرها الباقي على الدهر ذكره
نتائج فيها السابقات الضوامـــر

وسوف على رغم العدّو يُعيدُهـا
مُعَوّدُ ردّ الثغـر والثغر دائر ..

ويعاو في ذكر مفاخره باني الثغر (سيف الدولة) الذي شق الى نفس (الدمُستق) جيشه فسقى (ارسناساً) من دماء قتلاها واوردها (أعلى قلونية) (٥٣) وتتوالى اسماء المدن التي خرت لجيشه معاقلها سجداً مثل (جلباط) و(العمق) و(والبرج) و(اللقان) .. وهي لوحة متكاملة فيها مسيرة الجيش وأيام القتال واماكن الوقائع وحالات الانتصار . فيقول .(٥٤)

وأوقع في جُلباط بالروم وقعةً
بها العمقُ واللُّكام والبرج فاخرُ

وأوطأها بطن اللقّان وظهــرَه
يَطَـأنَ به القتلى خفاف خوادر

أخذتَ بأنفاس الدُمستُق وابنه
وعبّرنَ بالتيجانِ من هو عـابرُ

وجُبْنَ بـلادَ الروم ستين ليلةً
تغادر ملك الـروم فيمن تغـاور

تخِرّ لنا تلكَ المعاقلُ سُجّداً
وترمي لنا بالأهـل تلك المطامرُ

(٥٣) تنظر ابيات القصيدة نفسها / ١١٣ .
(٥٤) ابو فراس . الديوان /١١٤ .

ومازال منا جارَ خرشنة امْرؤٌ
يُراوحُها في غارة ويُباكر
ولما وردنا الدربَ والروم فوقهُ
وقدّر قسطنطين أن ليس صادر

فصوت القوة كان دائم التردد في حديث ابي فراس وهو يرى سنابك خيل سيف الدولة تطأ ارض الروم في كل مرة يتجرأون على مهاجمة ارضه وأن ليس يعصمهم من بطشه سهل ولا جبل ولم يثنه عن قيادة جيشه وهو يرّد الاعتداء عن الثغور شغل ولا ملل . فمازال هو القرم الذي يحمل اثقال المواقف الصعبة بخيل ضامرة وسيوف قواضب وسمر لدنة ورجال اشداء ، يطوي صيفه بخرشنة ويمضي بعض الشتاء فيها (٥٥)..

مازال سيفُ الدولةِ القرمَ الذي
يَلْقي العظيمَ ويحملُ الأثقالا
بالخيلِ ضُمْراً والسيوفِ قوَاضباً
والسمرِ لُدْناً ، والرجال عجالا
ومُعَوّدٍ فكَّ العُناةِ مُعاودٍ
قتلَ العُداةِ اذا استغار أطالا
صِفْنَا بخَرْشنةٍ وقَطَعْنا الشتا
وَبنُو البوادي في قُميرَ حِلالا
وغداً تزورُكَ بالفكاك خيولُهُ
مُتْثاقلاتٍ تنقُلُ الأبطالا

لقد مهد هذان الشاعران لقاعدة شعرية واسعة في أدب الحرب وا ضافا الى هذا الفن الشعري ابواباً جديدة وهيآ له من المفردات والصور والتراكيب

(٥٥) ابو فراس . الديوان /٢٢٧ .

ما أهله لأخذ دوره في الحروب الصليبية التي كانت بداياتها في هذا العصر من حيث التهيؤ والاستعداد من قبل الروم أو البزنطيين الذين وجدوا في الدولة العربية نداً قوياً ودولة تجابه اطماعهم وتسقط احلامهم ، ويزخر القرن السادس والسابع الهجري بالشعراء الذين وجدت البطولة في قصائدهم صدى واضحاً فابن عُنَيْن الشاعر الدمشقي يرحل الى بغداد ليجد فيها بغيته ويترود من ينابيعها ما يرضي طموحه العلمي بعد أن ضاقت به اوضاع دمشق وحُدّدت اقامته واضطر الى مغادرتها بعد أن تعرض للنفي والابعاد . ووجد أن الايوبيين هم أولى بشعره وكانت وقعة الفرنج على ثغر دمياط سنة ثماني عشرة وستمائة ذات اثر في شعره فكانت قصيدته فيها مزجاً بين الفخر والاعتزاز . والبطولة والرجولة والاقتدار والعفو بعد أن جمع فأحسن وعبّر فأوفى ووصف فأجاد .. (١)

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنّا
إذا جُهِلتْ آياتُنا والقنا اللُّدنا
غداةَ لقينا دون دمياط جحفلاً
من الرّومَ لا يُحصَى يقيناً ولا ظنّا
عليهم من الماذيّ كلُّ مُفاضة
دِلاصٍ كقرْن الشمس قد احكمت وَضْنا
وأطمعهم فينا غرورٌ فأرقلوا
إلينا سِراعاً بالجياد وأرقلنا
فما برحت سُمرُ الرماح تنوشُهم
بأطرافها حتى استجاروا بنا منّا
لقُوا الموت من زُرْق الاسنة احمراً
فألقَوْا بأيديهم إلينا فأحسنّا

وما بَرِحَ الإحسان مِنّا سجيةً
توارثَها عن صِيد آبائنا الأبْنــا

منحنا بَقاياهـم حياةً جـديـدةً
فعاشوا بأعناق مُقلّدةً منّــا

ولو ملكوا لم يأتلوا في دمــائنا
وُلوغــاً ولكنّا ملكنا فأسجحنا

فكم من مليك قد شـددنا إساره
وكـم من أسير من شقا الأسر أطلقنا

فالشاعر في هذه المتابعة الفنية يرسم اللوحة الكاملة ولما حاوله الغزاة وسعّوا اليه وقد اتفقت جُموعهم من كل حدب وصوب لتغتصب ارضاً عزيزة على أهلها ، كريمة بأمجادها وقد لبسوا الحديد وتدافعوا طمعاً وغروراً وتكاثروا سراعاً بالجياد .. ولكن سمّر الرماح ناشتهم باطرافها فاستجاروا فهابهم وهو تركيب لفظي متوازن وتعبير شعري اضفى على القافية قوة الضمير (نا) فحقق الاستجابة الداخلية لثقة الشاعر بنفسه وبقومه . فكان لقاؤهم الموت من زرق الاسنة وقد ارتوت من دمائهم فاستسلموا طائعين ، وألقوا سلاحهم متخاذلين ، ورفعوا ايديهم مستنجدين ولم ينس الشعر الجانب الانساني الذي عرف به المقاتل العربي وهو يُحسن الى الذين لا يجدون بُداً من الاستسلام لأن الاحسان طبيعة جبلوا عليها بعد أن توارثوها خُلقاً وآمنوا بها سلوكاً وحملوا مبادءها ايماناً وعدالة .. واصبحت الحياة الجديدة التي منحوها لهم بداية لتصوّر مستقبلي يفتح أمامهم سبل السعادة وراحة الضمير وانسانية التعامل . وقد حشد الشاعر لصوره هذه ما يوازن غرضها ويُهيء لها قدرة الايحاء فزخرت بالفاظ (الخيل) و(يوم الرغى) و(الجحفل) و(الماذيّ) و(الدلاص) و(الجياد) و(سمر الرماح) و(زرق الاسنة)

و(الاسار) و(الاسير) . إنها المفردات التي تكثف المعنى المراد ، وتملأ اللوحة بالعطاء الحربي ، وتوفّر لها الرؤية المعبرة وتتسع دائرة الشعراء في نهاية العصر العباسي – قبل دخول التتر بغداد – وتكبر احاديث الشعراء وهم يتغنون بامجاد الأمة ويُشيدون برجالها وقادتها ممن يستذكرون فيهم المحامد والمآثر ويتوسمون فيهم المناقب والمفاخر ليعيدوا الى الامة وجهها الصبوح بعد أن تعاظم دور الغرباء في ارجائها وتوزعت ارضها بين ملوك وامراء لا تربطهم بمصير البلاد وشائج ولا تشدهم الى ابنائها صلة رحم وكان الشعراء يجدون في كل تقارب بريق أمل ويضمنون مدائحهم اوصاف الاحداث الكبرى التي تحدق بالأمة ، وينوهون بذكر انتصاراتها على الصليبيين والتتر في الوقائع الهامة ، ويسهمون في توطيد الصلات بين الاقطار العربية لاعتقادهم بأن هذه الوحدة هي الرد الحاسم على التجزئة والمجابهة الحقيقية لكل تشتت . ويمكن اعتبار قصائد الصاحب شرف الدين الانصاري المتوفى سنة ٦٦٢ هـ من اولئك الذين تغنوا بانتصار العرب على التتار وفي عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ (٥٦) . .

رُعت العِدا فضمنتَ ثلّ عروشها
ولقيتها فأخذت فلّ جيوشها
نازلت أملاك التتار فأنزلت
عن فحلها قسراً وعن اكداشها
رويّت اكبادَ القنا بدمائهم
لمّا أطال سواك في تعطيشها
دارت رحى الحرب الزبون عليهم
فغدت رؤوسهمُ حطام جريشها

(٥٦) الصاحب بن شرف الدين الانصاري . الديوان /٢٧٠ .

وطويت عن مصر فسيح مراحل
ما بين بركتها وبين عريشها

إن هذه الوقفات القصيرة عند شعر الحرب تؤكد التوجه الصادق الذي ظل الشعراء حريصين عليه ، روحاً تتواصل من حيث الاحساس ، ووفاء يتجلى في الحفاظ على روح الانتماء واقتداراً يستمد العزم من ضمير المعارك الحربية التي سجل فيها الأبطال اياماً خالدة .. وقد ظل الشعر العربي يمدّ الشعراء بالمعاني التي توالى عليها فنهم الحربي ، ولكنه في كل صفحة من صفحاته يُظهر لوناً يكشف عن قدرة الشعراء الذين وجدوا في كل اسلوب من اساليب القتال صورة جديدة ، وفي كل وجه من وجوه المعارك سمات متميزة ، وفي كل وقعة طريقاً لاظهار جلّد القادة وصمود المقاتلين وايمان المؤمنين الذين تشربت في نفوسهم مبادئ الابطال وفروسيّة المشاهير من رجال الأمة . ولم تعدم القصائد من ذكر الوقائع الحاسمة التي بقيت تتألق بنصاعة انتصارها ، وتشرق بروعة امجادها .

وتتقد جذوة الشعر الحربي بوضوح خلال الحروب الصليبية التي اظهر فيها المقاتل العربي شجاعة نادرة وبطولة متميزة ، يستمدها من مفاخر امجاده ، ويستلهمها من عزمات الرجال الذين بقيت ذكرياتهم حيّة في ضمير المقاتلين ورؤاهم الشجاعة متألقة عند احتدام المعارك ..

أبى الله الا ان يكونَ لنا الأمرُ
لتحيا بنا الدُّنيا ويفتخرَ الفخرُ
وتخدمنا الأيامُ فيما نرومُهُ
وينقادَ طوعاً في أزِمّتنا الدهرُ
جعلنا الجهادَ همَّنا واشتغالنا
ولم يُلهِنا عنه السماعُ ولا الخمر ..

انه صوت اسامة بن منقذ وهو يتحدث عن اسباب الظفر والنصر ويجدد الثقة التي اصبحت جزءً من حياة المقاتل ويهيئُ الوسائل الكفيلة التي ترسخ في وجدانه روح المقاومة وتحقق في ذاته اسباب النصر بعد أن امتلك ارادة الحياة ، وخيّر نفسه بين حالتين واتخذ قراره باختيار الجهاد الذي ينضي به الى حياة الاستشهاد والذكر الحميد والراحة الأبدية .. ومن الطبيعي ان تكون لغة الشاعر هي لغة المزاوجة بين دماء العدا والراح ، ووقع المواضي ومواصلة الاعداء عوضاً عن وصل الأحبة وزيارتهم الواجبة تسقط الغرض .. وإذا كانت قصائد الشعراء تذكرنا بقادة الثغور والحصون فان اسامة بن منقذ هو الشاعر المعبر عن المباشرة وهو القائد المدرك لقتال الحصون بعد ان تتوزع جثث الخصوم في الوهاد المحيطة بهذه القلاع والحصون وإذا بالدماء تجري في كل منخفض وقادتهم بين أسير وهالك وديارهم بين ساقط ومنهار .. انها الصورة التي تلازم الشاعر بعد المعركة وقد خفقت بنصره رايات الظفر وتحققت بقيادته أسباب الانتصار المؤزر فكان نشيده الحربي .

وفي سجننا ابن القُنش خير ملوكهم
وان لم يكن خيرٌ لديهمْ ولا بـرُّ
أسرناه من حصن العُرَيمة راغماً
وقد قُتِلَتْ فرسانُه فهم جُزْرُ
وسلْ عنهم الوادي باقليسَ انه
الى اليوم فيه من دمائهم غُدْرُ
هُمُ انتشروا فيه لسردَ رعيلنا
فمن تربه يوم المعاد لهم نشرُ
ونحن أسرنا الجوسلين ولم يكنْ
ليخشى من الأيام نائبة تعرو

واذا كانت تفاصيل المعركة تأخذ في قسمها الأول هذا الحديث الذي يترك للقارئ صورة الأعداء وقد سقُوا كأس المرارة وجُرّعوا غصص الهزيمة وتناثروا اشلاء ممزقة .. وإذا كان الشاعر قد أوحى انا صورة الأمل الذي راود هؤلاء الغزاة في الاحتلال فإنه ردّ الصورة اليهم بان معادّهم ونشرّهم بعد أن قُتلوا شرّ قتلة سيكون من هذه الارض .. وان الغدران ماتزال مترعة بدمائهم .. فان القصيدة في قسمها الثاني تشير الى أسد الشرى وهي سهام نافذة ، لايُثنيها خوف ولاكثرة تلمع في أيديهم بيض الصوارم وتشرق سمر القنا يرون لهم في القتل خلداً وفي لقاء الخصوم عمراً ..

وجيش اذا لاقى العـــدو ظنَنتُهم
اسودَ الشّرى عنّتْ لها الأُدُم والعُفْرُ

ترى كُلّ شهْم في الوغى مثلَ سهمه
نفوذاً فما يثنيه خوفٌ ولا كبـــرْ

هُمُ الاسدُ من بيض الصّوارم والقنا
لهُمْ في الوغى النابُ الحديدة والظفر

يرون لهمْ في القتل خلداً فكيف باللـ
قاء بقوم قَتْلُهُمْ عندهم عُمْرُ

ان محاولة دراسة ادب الحرب في ضوء هذه التوجهات يغني حركة التاريخ السياسي ويغيّر كثيراً من الاحكام التي ظلت تتحكم برقاب الأحداث التاريخية ويعطي السمة التي لازمت الحقائق والوضوح الذي كان جزءً من الوقائع .

★ ★ ★

أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي

(دراسة جغرافية)

الدكتور عبدالله يوسف الغنيم

مقدمـة :

تفتقر المكتبة العربية الى دراسة تلقى الضوء على الاضافات العربية في ميدان علم الزلازل ، وبخاصة ما يتعلق بتعريفها ، وتفسيرها ، وسنوات حدوثها والأقاليم المتأثرة بها ، والآثار الناجمة عنها . وهذا الأمر يهم الجغرافي المعاصر من عدة نواح ، فالزلازل من الموضـوعات التي تدخل في اطـار الجغرافية الطبيعية ، من حيث أثرها في تشكيل سطح الأرض بما قد تسـببه من فلوق وانكسارات وخسوف وانهيارات ، وتأثـير ذلك على القنـوات والمجـاري السطحية ، والينابيع أو العيون الجارية . كما يدرس الجغرافي ما يترتب على هذه الكارثة الطبيعية من القتل والتشريد وتهـدم المـدن ، وما يصاحبه من التغيرات السـكانية ازاء الزلازل وتصرفهم حيالها ، ومدى القدرة على استعادة الوضع الاقتصادي للقطر ، ومقدار الرغبة في الاستفادة من التجربة ومحاولة التغلب على المصاعب عند عودة الزلازل مرة أخرى ، مثل تحسين مواد البناء وأساليب الانشاء ، أو ابتكار بعض المظاهر والنظم الاجتماعية التي تعين على مواجهة مثل هذه الكوارث .

ولا تقتصر فائدة التتبع التاريخي لهذه الظاهرة على علمـاء الزلازل أو

الجغرافيين ، بل يفيد الى حد كبير المؤرخين وعلماء الآثار ، وقد أمكن خلال العقد الأخير تحقيق تقارب جيد بين العلماء في هذه المجالات الأربعة فوضع الآثاريون مجموعة من الكتابات الممتازة التي أخذت في اعتباها ما خلصت اليه التطورات الحديثة في العلوم الأرضية ، وحاولوا بدرجات متفاوتة من النجاح أن يستثمروا ذلك من أجل الآثار [١] .

ويقول أمبرسى Ambraseys ، وهو أحد المختصين بالزلازل في الشرق الأوسط أن المعلومات التاريخية والأثرية تعتبر أداة مهمة ولازمة للتنبؤات الزلزالية ، وتفسير ذلك أن تلك التنبؤات مبنية على الاحتمالات التي قد تحسب من الأحداث الملاحظة للحركات الأرضية .

ولما كانت المدة الزمنية التي يغطيها علم الزلازل وفق تقنياته الحديثة قصيرة جدا بالمقارنة مع مقياس الزمن الجيولوجي والأحداث التاريخية ، فاننا نحتاج الى زمن طويل من الملاحظة لكي نسمح لأنفسنا بمعالجة احصائية ذات معنى ، وهذا يمكن انجازه باستقراء المعلومات المتعلقة بالزلازل في القرون السابقة [٢] . وبتضافر مجموعة العلوم المشار اليها قبل قليل .

وللجغرافي هنا دور مهم في توضيح صورة الجغرافيا التاريخية للمنطقة محل البحث ، وفي تحديد مواقع المدن : الدارس منها والمستحدث ، وتحقيق الأسماء الجغرافية القديمة للمواضع ، بخاصة وأن هناك كثيرا من الأسماء المتشابهة في الرسم المختلفة في الموضع ، فحلوان مثلا اسم لأربعة مواضع ،

(١) Ambraseys, N. N. (1973) :
((Earth Sciences in Archaeology and History)).
Antiquity, Vol. 47, p. 229.

(٢) Abid, p. 229.

منها واحد في مصر وآخر في العراق . وبصرى اسم لموضعين ، بصرى الشام المعروفة ، وبصرى من قرى بغداد (٣) .

وقد أشار امبرسى في أحد بحوثه الى مشكلة الأسماء الجغرافية ، وما تسببه للباحث من عقبات نتيجة للتغيرات التي تطرأ على أسماء المواقع عبر الأزمنة التاريخية ، ولاختلاف تهجئتها من أطلس لآخر ، بالاضافة الى أمر أسماء المواضع المتشابهة (٤) .

وسنتناول في هذه الدراسة أسباب الزلازل عند العرب ، ومدى تأثرهم بآراء من سبقهم من الأمم الأخرى ، ثم ندرس أحداث الزلازل في الكتابات العربية ، حيث نبدأ بعرض تحليلي لمصادر الدراسة ، يليه سجل بأحداث الزلازل الواردة في المصادر العربية ، تم تحقيقه بمراجعة أوثق المصادر ، وأخيرا قمنا بتحليل السجل المذكور ، وبيان الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها منه بما يحقق دراية أكبر بحدود المعرفة العربية في هذا المجال .

اولا : اسباب الزلازل عند العرب :

الزلزلة في كلام العرب تحريك الشيء ، وفي التنزيل : « اذا زُلزلت الأرض زِلزالها » أي حُرِّكت حركة شديدة . وتسمى الزلزلة أيضا الرجفة ،

(٣) ياقوت الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، تحقيق وستنفلد ، ليبزج ١٨٤٦ ، ص ٥٧ ، ١٤٢ .

(٤) Ambraseys, N. N. (1961) :
((On the Seismicity of South-West Aisa Data from a XV Century Arabic Manuscript)) ,
Revue Pour L'etude Des Calamités, Decembre 1961, No. 37, Geneve, pp. 18 — 30.

ويقال رَجَفت الأرض رَجْفًا اضطربت ، والراجفة : الأرض ترجف أي تتحرك حركة شديدة (٥) .

ويكاد يتفق علماء الطبيعة والجغرافيون العرب في تعليلهم للزلازل ، فيرى اخوان الصفا أن « الكهوف والمغارات والأهوية التي في جوف الأرض والجبال ، اذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، بقيت تلك المياه هناك محبوسة زمانا ، واذا حمى باطن الأرض وجوف تلك الجبال ، سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخارا ، وارتفعت وطلبت مكانا أوسع ، فان كانت الأرض كثيرة التخلخل ، تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ ، وان كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصيفا منعها من الخروج ، وبقيت محتبسة تتموج في تلك الأهوية لطلب الخروج ، وربما انشقت الأرض في موضع منها، وخرجت تلك الرياح مفاجأة ، وانخسف مكانها ، ويسمع لها دوي وهدة وزلزلة » (٦) .

ولا يخرج عن هذا ما ذكره ابن سينا ، فالزلزلة وفق تعريفه حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ، والجسم الذي يمكن أن يتحرك ويحرك ما فوقه اما بخار ريحي أو ناري قوي يتحرك فيحرك الأرض ، وهذا هو الوجه الأكثر ، فانه لاشيء أقوى على تحرك الأرض الحركة السريعة القوية التي للزلزلة من الريح ، واما مياه تسيل دفعة ، وهو رأى ديمقراطيس ، واما انهدام بعض أركان القرار .

وفسر ابن سينا الرأي الأخير بأنه « انهدام يكون من نقض أركان هوة ومغارة فيسقط الى أسفل سقوطا يقلقل الهواء والأرض المتصلة به ، كما يعرض

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، بولاق ١٣٠٠ ، (زلزل) ، (رجف) .
(٦) رسائل اخوان الصفا ، بيروت ١٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

للسطوح اذا سقطت على القرار الذي تحتها ، كان المبدأ حركة مـاء أو أرض ويكون بتوسط هواء أيضا[٧] . والى هذا يذهب ابن حيان الـذي يرى أن الزلازل انما تحدث من استيطان رياح في باطن الأرض وانحصارها وقلة وجود المنافذ لخروجها فاذا ترادفت وكثرت طلبت المخرج ، فزحم بعضها بعضا فانزعج لها ذلك المكان ، وبكثرة مادتها وتواصـلها تكون زيادتهـا وعظم حركتهـا ودوامها »[٨] .

ويقول القزويني : « زعموا أن الأدخنة والأبخرة الكثـيرة اذا اجتمعت تحت الارض ، ولا يقاومها برودة حتى تصير ماء ، وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ، ويكون وجه الأرض صلبا لا تجد فيـه البخارات اذا قصدت الصعود المنافذ والمسام ، فتهتـز لذلك بقاع الأرض وتضطرب ، كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست في خلال أجزاء البدن ، فتشتعل فيها الحرارة الغريزية فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارا أو دخانات فيخرج من مسام جلد البدن ، فيهتز من ذلك البدن ويرتعد، ولايزال كذلك الى أن تخرج تلك المواد فاذا خرجت يسكن . وهـذه حركات بقاع الأرض بالزلزال فربما يشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة [٩] .

ودلل العرب على أن أكثر أسباب الزلزلة هي الرياح المحتقنة ، وأن البلاد التي تكثر فيها اذا حفرت فيها آبار وقنى كثيرة ، حتى كثرت مخالص الرياح

---

(٧) ابن سينا : الشفاء ، (المعادن والآثار العلوية) ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٥ — ١٦ .

(٨) ابن حيان : مختار رسائل جابر بن حيان ، القاهرة ١٣٥٤ ، ص ٢٥ .

(٩) القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات ، تحقيق فـاروق سعد ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

والأبخرة ، قلت الزلازل بها (١٠) .

ويرى ابن سينا أن « الزلازل تحدث اما بخروج الرياح المحتبسة ، وهو الذي عليه أكثر الزلازل ، أو بدخول الهواء في الأرض . وأكثر ما تكون الزلازل عند فقدان الرياح . وفي مثل هذه الحال كثيرا ما ترى في الجو سحب مستطيلة استطالة توجبها الرياح المختلفة اذا تهابت وغلب منها واحد فامتد وحبس المغلوب في قعر الأرض . وفي أكثر الأوقات فقد يتبع سكون الزلزلة ريح تهب ، لان السبب ينفصل ويخرج الى خارج . وكثيرا ما يكون وقت الزلازل غمامات راكدة في الجو ، ويكون الجو ضبابيا ، وذلك لفقدان الرياح في ذلك الوقت . وربما حدثت الزلزلة بعد اختلاف رياح متمانعة يمنع بعضها بعضا عن الهبوب ، وتمنع موادها عن التخلص والمرور من الأرض فتحقنها قسرا في الأرض وذلك يكون في الاكثر ليلا لتخصيف البرد وجه الأرض وبالغدوات أيضا ، وقد يكون في أنصاف النهار بسبب شدة جذب الحر لبخار مع تجفيف وجه الأرض واعادة البرد الى داخلها على سبيل التعاقب .

وأكثر ما تكون الزلزلة في بلاد متخلخلة غور الأرض متكاثف وجهها . أو مغمورة الوجه بماء يجرى أو ماء غمر كثير لا تقدر الريح على خرقه ، وخصوصا اذا كان متحركا فان المتحرك أشد ممانعة لأنه يسبق بحركته خرق الخارق اياه . بل أسباب كثرة الزلازل ثلاثة أحدها هذا والثاني عظم الريح ، والثالث كثرة تولدها (١١) .

واذا ما تأملنا آراء العرب في هذا المجال فاننا نجد فيها قبولا مباشرا لآراء

(١٠) ابن سينا : الشفاء ص ١٧ . وابن حيان : مختار رسائل جابر بن حيان ، ص ٢٥ .

(١١) ابن سينا : الشفاء ، ص ١٨ .

أرسطو في كتابه « الآثار العلوية » الذي عرف منذ وقت مبكر في صورتين ، الأولى هي ترجمة يحيى ابن البطريق لنص الكتاب ، والثانية هي ترجمة حنين ابن اسحق لتفسير المفيدورس ((Olympiadoras)) لكتاب أرسطو في الآثار العلوية (١٢) •

ولو قارنا بين ماجاء في الكتاب الأخير عن أسباب الزلازل وبين ما ذكره ابن سينا في الفن المتعلق بالآثار العلوية من كتابه الشفاء لوجدنا أن ابن سينا قد استوفى معظم ما ذكره عن الزلازل من تفسير المفيدورس الذي ذكر اربعة آراء حول اسباب الزلازل : أحدها رأى أنا كسانس وهو القائل ان رؤوس الجبال اذا تساقطت كان لوقوعها على الأرض زلزلة عظيمة ، وان سقوطها يكون نتيجة أمرين : كثرة الأمطار التي تؤدي الى انتقاعها ومن ثم انزلاقها أو انعدام الأمطار الذي يؤدي الى يبسها وتكسرها •

وينقض هذا الرأي على ثلاثة أوجه :

أولها أن الزلازل لو كانت بسبب الأجزاء الساقطة من رؤوس الجبال ، لوجب أن تستوي الأرض في بعض الاوقات لان الأجزاء الغالبة منها تسقط على الأجزاء المنخفضة • والثاني أن الأمر لو كان كذلك لوجب في المواضع التي لا جبال فيها ـ بمنزلة أرض مصر ـ ألا تحدث الزلازل • والثالث أن هذا لو كان على هذه الصفة لوجب أن يكون زلازل الأرض أولا فاول أقل من التي تتقدمها ، لأن رؤوس الجبال التي هي سبب الزلازل قد تقدمت فسقطت ، ولوجب اذا أن يبطل حدوث الزلازل بأخرة ، وذلك أنه لا يبقى من تلك الأجزاء

(١٢) Petraits, C. (1966) : The Arabic Version of Aristotale's Meteorology. Beyrouth, pp. 53 — 57.

التي تساقط من الجبال شيئا [١٣] .

ولو قارنا هذا النص حول رأي انكسانس [١٤] بما ذكره ابن سينا ، لوجدناه لا يختلف الا في بعض التعبيرات اللغوية . كما أن ابن سينا لم يشر الى مصر في المثل الذي ضربه المفيدروس للاراضي التي لا جبال بها ، واكتفى بقوله : « فكثيرا ما تعرض زلازل في بلاد لم تندك في قربها قلل جبال ولا رعونها »[١٥] .

والرأي الثاني هو رأي «انكساغورس» الذي يرى أن الأرض مستوية، وأن الجزء الداخل منها (باطن الأرض) متخلخل والخارج منها (سطح الأرض) متلبد ، فاذا دخل الهواء الى المواضع المتخلخلة منها ولم يمكنه الخروج بسبب التكاثف والتلبد العارضين لظاهر الأرض من الأمطار التي تسقط عليها حرك الارض وزلزلها اذا تحرك طلبا للخروج .

وفي الرد على هذا الرأي اختصر ابن سينا كلام المفيدروس في قوله ان بطلانه يتحقق أولا بالخطأ الواقع في هيئة الأرض وسبب وقوفها ، وثانيا كون هذا السبب موجودا في سائر الأوقات ، بينما الزلازل لا تكون الا في أوقات بعينها من الفصول [١٦] . ولم يذكر ابن سينا قول المفيدروس أن الهواء لو كان هو سبب زلزلة الأرض لوجب أن تكون الزلزلة في جميع المواضع على مثال واحد بعينه .

---

(١٣) بدوي ، عبدالرحمن (تحقيق) .
شروح على ارسطو مفقودة في اليونانية « تفسير المفيدروس لكتاب ارسطا طاليس في الآثار العلوية» . بيروت ١٩٧١ . ص ١٣٣ — ١٣٥ .
(١٤) ورد الاسم في النص المطبوع من كتاب ابن سينا باسم «اراكيماس» .
(١٥) الشفاء : ص ١٦ .
(١٦) الشفاء : ص ١٧ .

وبالمقارنة بين ابن سينا والمفيدروس نجد أن الأول اقتصر في الرد على أنه نتيجة « الخطأ الواقع في هيئة الأرض » ، بينما الثاني قد تطرق الى فكرة كروية الأرض والآراء الدالة على ذلك ، وهو أمر لم يجد ابن سينا داعيا لعرضه لأنه من الامور المسلم بها لدى علماء عصره •

والرأي الثالث هو رأي ديمقراطيس الذي يرى أن ميـاه الأمطار اذا كثرت واختلطت بالمياه الباطنية تولد عن ذلك مجموعة من الضغوط التي تؤدي بدورها الى تزلزل الأرض كما أن الارض اذا جفت نتيجة انقطاع الأمطار جذبت اليها الرطوبة « بالتشوق الغريزي الذي فيها » • فيتحرك الماء من المناطق التي يتوافر فيها الماء الى المناطق الجافة في باطن الأرض فيـؤدي ذلك الى تحريك الأرض وزلزلتها [١٧] •

ولم يفصل المفيدروس الكلام في نقد رأي ديمقراطيس ، بل اكتفى بقوله بأن رأيه يرد عليه بنفس الحجج التي ساقها للرد على انكساغورس ، ويقصد أن لو كان الأمر كذلك لعمت الزلزلة جميع المواضع على مثال واحد • وذكر أيضا أن كلية الماء ليست محصورة في باطن الأرض [١٨] •

أما ابن سينا فقد كان عرضه لرأي ديمقراطيس عرضا موجزا جدا أورده في مجمل كلامه عن أسباب الزلازل حيث قال : « •• وأما مياه تسيل دفعة ، وهذا رأي ديمقراطيس •• »[١٩] • كما أنه لم يتكلم عن هذا الرأي عند نقده لآراء الآخرين •

أما الرأي الرابع ، فهو رأي أرسطو ، القائل بأن أكثر أسباب الزلزلة هي

(١٧) شروح على ارسطو : ص ١٣٣ ، ١٣٤ •
(١٨) المرجع السابق ، ص ١٣٥ •
(١٩) ابن سينا : ص ١٦ •

الرياح المحتقنة في باطن الأرض ، وقد ساق المفيدروس أحد عشر وجها في تثبيت رأي أرسطو وتصحيحه منها أنه لا يوجد جسم يقوى على تحريك الأرض تلك الحركة العظيمة غير الريح ، وأن زلازل الأرض تعرض خاصة اذا عدمت الريح ، ولذا تكون الزلازل بالليل أكثر منها بالنهار . وتكون الزلزلة في الخريف والربيع أكثر منها في الصيف والشتاء ، وذلك لأن الشتاء لشدة برده يجمد البخار ، والصيف يحله . واذا حدثت الزلزلة في الشتاء يدل ذلك على أن رطوبته أكثر من برده ، لأن الرطوبة الكثيرة اذا بلت الارض ولدت بخارا كثيرا . وان حدثت في الصيف يدل على أنه يُبسه أكثر من حرارته . ولأن اليُبوسة اذا اجتمعت بخارات الأرض حصرت الريح [٢٠] .

ولا نريد أن نستعرض جميع الحجج التي أوردها المفيدروس أو أرسطو في كتابه الآثار العلوية للدلالة على أن الرياح هي المحرك الأساسي للزلزلة ، فقد سبق أن ذكرنا جانبا منها في عرضنا لأقوال ابن سينا عن الزلازل ، وفي الامكان أيضا الرجوع الى المصادر المشار اليها ، ولكن ما يهمنا هو أن ابن سينا وغيره من الكتاب العرب ممن سبقه أو لحق به قد أخذ برأي أرسطو مع بعض الاضافات القليلة التي لا تغير شيئا في الفكرة الأم . وهذه حقيقة لا تغيب عنا في أي نقاش موضوعي عن الاضافات العربية للعلم العالمي .

ثانيا : احداث الزلازل في الكتابات العربية :

حظيت أحداث الزلازل باهتمام خاص في الكتابات العربية ، وما كتب عن ذلك يفوق ما كتب عن أسباب الزلازل وماهيتها . غير أن تحقيق تلك الأحداث وجمعها في سجل واحد من الأمور التي تفتقر اليها المكتبة العربية . بخاصة وأن هذا الجانب من الدراسة له أهميته الكبيرة في الدراسات العلمية

(٢٠) شروح على ارسطو : ص ١٣٥ — ١٣٨ .

المعاصرة ، فالزلازل علم يقوم على التنبؤ ، وهو بدوره يحتاج الى سلسلة من المعلومات التاريخية التي تعطى المؤشرات المناسبة عن مناطق الضعف القشرى•

وعليه فستكون دراستنا هنا منصبة على أمرين يفضي أحدهما الى الآخر، يتناول الأمر الأول المصنفات العربية التي يمكن اعتبارها من المصادر الرئيسية في أحداث الزلازل ، وتتمثل في نوعين من المصنفات أولهما الكتب والرسائل التي كتبت في موضوع الزلازل بخاصة• وثانيهما كتب التاريخ ، وبوجه خاص المبنية منها على المنهج الحولى •

ويتناول الأمر الثاني سجل الزلازل العربي وهو خلاصة عمل طويل اقتضى مراجعة عشرات المجلدات من كتب التاريخ وغيرها ، والتحق من النص المتعلق بالحدث الزلزالي من حيث اللفظ والزمان والمكان • وهو ، فيما أعلم ، أول سجل عربي من نوعه يعرض لهذه الظاهرة الجغرافية عبر التاريخ •

(١) مصادر الدراسة

أ ــ الكتب والرسائل المختصة بالزلازل :

١ ــ أقدم اشارة الى مصنف عربي مختص بالزلازل هو تلك الرسالة التي نسبها ابن النديم في فهرسته الى أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي المتوفى عام ٢٥٤ هـ ، وعنوانها : « علم حدوث الرياح في باطن الأرض المحدثة كثير الزلازل »[٢١] •

ومع أن هذه الرسالة لم تصل الينا مع تراث الكندي ، الا أن مدلول العنوان يؤكد أنه قد استفاد مما ذكره أرسطو في كتابه « الآثار العلوية » عن

---

(٢١) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق غوستاف فلوجل ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٦١ •

الزلازل الذي تمت ترجمته منذ وقت مبكر كما أشرنا من قبل • فقد عرف الكندي هذا الكتاب معرفة جيدة ، وأشار اليه في رسالته التي أحصى فيها كتب أرسطو وموضوعاتها ، وسماه « كتاب أحداث الجو ، وهو الموسوم بالعلوي » (٢٢) •

وتدل النصوص والألفاظ الواردة في رسائل الكندي على أنه اعتمد بصفة خاصة على النسخة التي ترجمها ابن البطريق ، وهي تحتوي على نص طويل عن الزلازل مبني على أثر الرياح المحتقنة في باطن الأرض في احداث الزلازل • وهو نفس ما يشير اليه عنوان رسالة الكندي عن الزلازل •

٢ ـ نسب أحد الباحثين لكل من الحافظين الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) وأبى القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي المتوفى عام ٥٧١هـ كتابا في الزلازل (٢٣) ، اعتمادا على قول ابن الجزار : « وفي مشيخاتنا ومجاميعنا كما هو عند الحافظين الخطيب البغدادي وابن عساكر في كتاب الزلازل •• »(٢٤) •

ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يفيد أن للخطيب البغدادي كتابا في هذا الموضوع ، والراجح أن العنوان الذي أشار اليه السيوطي قصد به ابن عساكر فقط ، وقد تكررت اشارته اليه مرة أخرى في ص ٢٥ من كتابه •

---

(٢٢) محمد عبدالهادي ابو ريدة : رسائل الكندي الفلسفية « رسالة الكندي في كمية كتب أرسطو طاليس وما يحتاج اليها في تحصيل الفلسفة» ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٦٨ •

(٢٣) مصطفى انور طاهر : «تحصين المنازل من هول الزلازل لأبى الحسن علي ابن الجزار» ، مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٤ ، جـ ١٢ ، ص ٣٦ •

(٢٤) المصدر السابق : ص ٤٧ ، وكذلك : السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبداللطيف السعداني ، الرباط ١٩٧١ ، ص ١ •

ويؤكد هذا الأمر ياقوت الحموي الذي نسب لابن عساكر كتابا في ثلاثة أجزاء بعنوان «الانذار بحدوث الزلازل»(٢٥) ، ولا نستطيع الحكم على مادة الكتاب من خلال النصين اللذين أوردهما السيوطي عنه سوى كونه يعالج الزلازل من الوجهتين الفقهية والاخبارية .

٣ ــ جاء في ترجمة أبي الحسن علي بن أبي بكر المعروف بالمرشاني المتوفى عام ٥٥٧هـ أن له كتابا بعنوان : « الزلازل والأشراط » . ويدل عنوان الكتاب على ارتباطه بالجوانب الفقهية من هذا الموضوع . وربما كان سبب تأليفه حدوث زلزلة في عصره أوحت له بالكتابة عن الزلازل . ولم يصلنا أي نص عن هذا الكتاب (٢٦) .

٤ ــ ذكر السخاوي أن القطب محمد بن أحمد بن علي القسطلاني الذي عاش في القرن السابع الهجري صنف كتابا سماه « جمل الايجاز بنار الحجاز » في مجلد لطيف ، وأنه كغيره في الزلازل والفتن (٢٧) وسماه حاجي خليفه باسم « عروة التوثيق في النار والحريق » (٢٨) .

وقد أرخ القسطلاني في هذا الكتاب للانبثاقات اللابية التي حدثت على طول أحد الصدوع الواقعة شرقي المدينة المنورة عام ٦٥٤ هـ . والتي دام نشاطها قرابة ثلاثة أشهر ، وصاحبها عدد من الهزات الأرضية .

ومع أن هذا الكتاب لم يصل الينا ، الا أن السمهودي قد أورد في كتابه

(٢٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، القاهرة ١٩١٦ ، جـ ١٢ ، ص ٧٩ .
(٢٦) أبو مخرمة ، عبدالله الطيب بن عبدالله : تاريخ ثغر عدن ، ابسالا ١٩٥٠ ، ص ١٣٦ .
(٢٧) السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنتال ، بغداد ١٩٦٣ ، ص ٢٠١ .
(٢٨) حاجي خليفة : كشف الظنون ، تحقيق فلوجل ، ١٩٤١ جـ ٤ ، ص ١٩٧ .

« وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم» متعلقات كثيرة ، جاء في أحدها قوله : « وذكر القطب القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار ، وهو ممن أدركها ، لكنه كان بمكة فلم يشاهدها.. ان ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة ، وأنها دامت الى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب ، ثم خمدت ، فجملة ما أقامت اثنان وخمسون يوما ، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفية أياما ثم ظهرت ، قال : وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى ، فهي لايؤمن عودها ، وان طفيء وقودها »(٢٩) .

ويبدو من نقول السمهودي عنه أنه قد استوعب مادته بحيث يمكن أن تكوّن النصوص التي نقلها عنه صورة واضحة عن كتابه . وقد أكد القطب القسطلاني أنه ينقل عن الثقات ، وممن يركن الى قولهم وكان وصفه لذلك الحدث من أرق الأوصاف التي وصلتنا عن مثل تلك الظواهر .

٥ ـ « كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » لجلال الدين السيوطي المتوفى عام ٩١١ هـ .

وهذه الرسالة من أكبر الرسائل التي وصلتنا عن الزلازل عند العرب وهي تكشف بحق عن مدى اهتمام العرب بدراسة الظاهرات الطبيعية وتدوين تاريخ حدوثها . وقد أورد السيوطي في بداية هذه الرسالة جملة من الأحاديث النبوية المتعلقة بالزلازل ، وما جاء من أخبار هذه الظاهرة على لسان الصحابة والتابعين، وقد شغل ذلك ٢٣ صفحة من النص المطبوع . ثم تكلم عن الزلازل الحادثة قبل الاسلام وبعده الى سنة خمس وتسعمائة ، مبينا تاريخ وقوعها والمدن التي تأثرت بها ، وما صاحب ذلك من أحداث (٣٥ ص) .

---

(٢٩) السمهودي ، أبو الحسن بن عبدالله ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، جـ ١ ، ص ١٠٢ .

وتعود المعرفة بهذا الكتاب في وقتنا الحاضر الى عام ١٨٤٢ ، حينما أرسل بيرد سمث Baird Smith برسالة الى الجمعية الآسيوية البنغالية يطلب فيها مساعدة المؤسسة في العثور على مؤلف فارسي أو هندي بعنوان « زلزلة نامة » (٣٠) .

وقد لفتت هذه الرسالة الأنظار الى كتاب السيوطي ، ففي السنة التالية نشرت مجلة الجمعية الآسيوية المذكورة ترجمة موجزة باللغة الانجليزية عن كتاب كشف الصلصلة ، وقد قام بهذه الترجمة شبرنجر معتمدا على نسخة مخطوطة محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس (Asselin No. 218) وقد اشار محرر المجلة في تقديمه للترجمة بأنها لم تكن معدة للنشر ، ولكنها عبارة عن تقرير متعجل كتبه المترجم لنفسه (٣١) .

وقد ظلت ترجمة شبرنجر لعمل السيوطي مجهولة لعلماء الزلازل حتى عام ١٩٢٨ حينما أشار اليها « وليس Willis » في بحث له عن الزلازل في الشرق الأوسط نشر في مجلة جمعية الزلازل الأمريكية (٣٢) .

وقد تشكك امبراسي Ambrasseys في تواريخ الزلازل التي أوردها « وليس Willis » في بحثه السالف الذكر، وبخاصة ما نقله عن السيوطي،

---

(٣٠) Smith, Baird (1842) :
((On the Zelzele Namah)), Proc. Asiatic Soc. Bengal (at the Jour. of the Asiatic Soc.).
Vol. xl Calcutta, p. 1201.

(٣١) Sprenger, A. (1843) :
((As-Sayutis Work on Earthquakes)).
Jour. of the Asiatic Soc. Vol. 12, Nr. 14, Calcutta, p. 741.

(٣٢) Willis, B. (1928) :
((Earthquakes in the Holyland)) Bull. Seism. Soc. Amer., Vol. 18 Nr. 2, pp. 77 — 83.

وأظهرت له الدراسة المقارنة أنه نتيجة لخطأ غير مقصود ، فقد أرخ « وليس » جميع السنوات التي ذكرها السيوطي في كتابه متقدمة ستة قرون عن زمنها الحقيقي ، فهو لم يأخذ في الاعتبار أن ما أورده شبرنجر يمثل التاريخ الهجري لا الميلادي . وقد استفاد من تلك التواريخ المغلوطة سيبرج Sieberg في بحثين له ، كما استفاد منها غيره ممن كتب في تاريخ الزلازل ، مما جعل الكثير من قوائم الأحداث الزلزالية تحتوي على معلومات غير صحيحة .

وهذا الأمر بالاضافة الى كون ترجمة « شبرنجر » ناقصة ، وأنها منقولة بعجلة من مخطوطة يقول عنها المترجم نفسه انها رديئة الخط ولا ينبغي الاعتماد على معلوماتها اعتمادا كاملا ، فضلا عن الأخطاء المطبعية التي اشتملت عليها تلك الترجمة .. كل ذلك جعل امبراسي يقدم على ترجمة جديدة للنص وذلك في عام ١٩٦١ بالاعتمام على النسخة المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني(٣٣) .

ولم تكن ترجمة امبراسي كاملة بل اقتصر على الأحداث بتصرف ، وبشكل يبتعد عن أسلوب التعامل مع النصوص القديمة ، ومثال ذلك وصفه لزلزال عام ٢٤٥ هـ ، حيث يقول :

(((A. H. 245) — Earthquakes Over the whole — world. At Antiochia the walls of the city were destroyed, and many parts of it sunk into the ground and disappeared. Many bridges and Villages were destroyed and mountain covered with 90 Villages fell into the Sea carrying with it 1500 houses. The river disappeared one parasang's (فرسخ) distance..)).

بينما النص العربي يقول :

« وفي سنة خمس وأربعين ومائتين عمت الزلازل الدنيا فأخرجت المدن والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل في البحر ، وسقط منها ألف

(٣٣) Ambrasseys (1961) : pp. 18 — 19.

وخمسمائة دار ، ومن سورها نيف وتسعون برجا ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدري أين ذهب بالكلية ، وسمع من كوى دورها أصوات مزعجة جدا فخرجوا من منازلهم سراعا ... الخ » .

وواضح الفرق بين النصين .

كما أن اعتماد امبراسي على نسخة مخطوطة واحدة فقط مع وجود نحو عشرين نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبات العالم المختلفة[٣٤] يجعل من العسير الوثوق بترجمته ، ومصداق ذلك أن النسخة التي اعتمد عليها لم تذكر أن تنيس قد تأثرت بزلزال عام ٢٤٥ هـ الذي أشرنا اليه ، فقد جاء في مخطوطة المتحف البريطاني « وزلزلت مصر وسمع ضجة هائلة فمات منها خلق كثير »[٣٥] . بينما النص في النسخ الأخرى : « وزلزلت مصر وسمع بتنيس ضجة هائلة فمات فيها خلق كثير .. »[٣٦] .

وقد وصف الدكتور السعداني في مقدمته نسخة المتحف البريطاني بكثرة الأخطاء والحذف والنقصان [٣٧] ، وهو يؤكد ما ذهبت اليه ، ويحتاج الأمر في نظري الى توضيح للباحثين الذين استفادوا من تلك الترجمة .

أما النص العربي لرسالة السيوطي فقد نشر أولا في الهند مرتين «احداهما ضمن رسائل تسع للسيوطي والثانية ضمن رسائل عشر أيضا غير أن الطبعتين

(٣٤) Brockelmann, C, (1938) : Geschichte der Arbischen Litteratur. Leiden. Sup. 2, p. 147.

(٣٥) السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، مخطوط رقم ٥٨٦٢ . مكتبة المتحف البريطاني . ورقة ٢٠ .

(٣٦) المصدر السابق (مطبوعة الرباط) : ص ٢٧ . ولم يشر المحقق الى هذه اللاحظة المهمة .

(٣٧) المصدر السابق : ص ١٤ (من المقدمة) .

ناقصتان من آخرهما ، فالأولى طبع منها خمس صفحات فقط والثانية طبع منها ثماني عشرة صفحة وهي تنتهي بزلازل عام ٦٥٤ هـ [٣٨] .

وقد أشار بروكلمان الى أن الكتاب قد طبع في لاهور بالهند عام ١٨٩٠ ، ولعله يشير الى احدى الطبيعتين السالفتى الذكر .

ثم نشر النص كاملا في المغرب عام ١٩٧١ بتحقيق الدكتور عبداللطيف السعداني معتمدا على أربع نسخ خطية رئيسية ، ثلاث منها محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس والرابعة نسخة المتحف البريطاني ، كما استفاد من أربع نسخ أخرى محفوظة في كمبردج وبرلين وجوته والرباط [٣٩] .

وسنعتمد على هذه الطبعة عند اعداد سجل الزلازل الذي سبقت الاشارة اليه .

٦ ـ تحصين المنازل من هول الزلازل لأبي الحسن علي بن الجزار .

وقد نشرت هذه الرسالة بتحقيق مصطفى أنور طاهر معتمدا على نسختين خطيتين محفوظتين في دار الكتب المصرية [٤٠] . ولم يرد في المصادر ما يفيد عن شخصية المؤلف ، وكل ما عرف عنه أنه من الوعاظ ، وأن هذه الرسالة قد ألفها بناء على سؤال وجه اليه عن سبب الزلزلة التي في الثاني من شهر محرم الحرام عام ٩٨٤ هـ ومن ذلك يمكن الاستدلال على سنة تأليف هذه الرسالة. وقد ركز في رده على وجهة النظر الدينية القائلة بأن ظهور الزلزلة يدل على

---

(٣٨) محمد مطيع الحافظ : «نصوص غير منشورة عن الزلازل» ، مجلة الدراسات الشرقية م ٣٢ : ٣٣ هامش ١ ص ٢٦٣ .
(٣٩) انظر : ص ١٩ ، ٢٠ من مقدمة المحقق .
(٤٠) الجزار : «تحصين المنازل من هول الزلازل» . (مصدر سابق) ص ١٣٩ ، ١٤٠ من مقدمة المحقق .

انتشار الفساد وكثرة الذنوب ، وأورد الأحاديث والأخبار الدالة على ذلك • ورد على من قال بأن سببها « أبخرة تثيرها حرارة الأرض ، كما تشير حرارة المحموم الباطنة حمى ظاهرة بجسده في الطول والعرض » واعتبر ذلك من الأقوال الباطلة والآراء الفاسدة « موافق لرأي جهلاء الحكماء والأطباء »[41] •

وقد نقل الجزار عن السيوطي أخبار بعض الزلازل المخربة التي عمّت الدنيا ، ووقف فيها عند عام ٣٩٨ هـ • ولا تجد فيما قدمه أية اضافة جديدة في هذا الميدان سوى ذكره للزلزلة التي حدثت في عهده •

٧ ــ الحوقلة في الزلزلة لحامد بن العمادي (١١٠٣ ــ ١١٧١ هـ) •

وقد نشرت هذه الرسالة بتحقيق الأستاذ مصطفى أنور طاهر بالاعتماد على نسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية [42] •

والمؤلف كان مفتيا للحنفية بدمشق ودرس على الشيخ عبدالغني النابلسي الذي كان له اهتمام بجمع أخبار الزلازل • أما الرسالة فقد وضعت بمناسبة الزلزلة التي وقعت بدمشق عام ١١٤٨ هـ وقد بدأها بتفسير معنى الزلزلة ، ثم ذكر الآيات القرآنية التي تعرضت للزلازل ، ثم الأحاديث والأخبار المتعلقة بهذا الموضوع • وهي بهذا تتفق مع الرسالة السابقة من حيث الهدف وجانب كبير من المضمون ، الا أن الكاتب لم يتعرض للزلازل التاريخية ، وكل ما ذكره زلزال عام ١١٤٨ هـ ، وهو السبب الذي لأجله كتبت الرسالة ، وأشار الى زلزال آخر حدث عام ١١١٧ هـ سبق أن أرخه الشيخ عبدالغني النابلسي •

---

(٤١) المصدر السابق : ص ١٤٣ .

(٤٢) طاهر ، مصطفى انور :
« نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر» مجلة الدراسات الشرقية ، المعهد الفرنسي بدمشق ، المجلد ٢٦ ، ١٩٧٤ ، دمشق ، ص ٥٩ .

أما التفسير العلمي للزلازل فقد ورد في معرض الأقوال التي تحدثت عن أسباب الزلازل في صورة نص منقول عن كتاب « هداية الحكمة » لمفضل ابن عمر الأبهري من علماء القرن السابع الهجري ، جاء فيه :

« قال في هداية الحكمة : وأما الزلزلة وانفجار العيون فاعلم أن البخار اذا احتبس في الأرض ، يميل الى جهة ويبرز بها فيتقلب ماؤها مختلطا في الأجزاء البخارية ، فاذا كثر بحيث لا تسعه الأرض أوجب انشقاق الارض وانفجر منها العيون واذا غلظ البخار لا ينفذ من مجاري الأرض أو كانت الأرض كثيفة عديمة المسام أو ضيقة جدا اجتمع طالبا للخروج ولم يمكنه النفوذ تحرك من ذاته فزلزلت الأرض لقوته » (٤٣) .

ويبدو من تعليقه على هذا القول أنه يذهب مذهب سلفه الجزار في ارتباط هذه الظاهرة مع انتشار الفساد وظهور الفاحشة والتحلل الاجتماعي نتيجة لضعف القيم الدينية .

وعليه فانه يسرد بعد هذا النص الأحاديث والأخبار المؤيدة لوجهة نظره، مما لا يخرج عما جاء في رسالتي السيوطي والجزار .

أما عن سبب اختياره لاسم الرسالة فذكر أن : « الزلزلة بلية لا يمكن الخلاص منها الا بحول الله وقوته ، فحق لهذه الرسالة أن ترسم بالحوقلة في الزلزلة » .

ب ــ كتب التاريخ :

عند كلامنا عن الكتب والرسائل التي كتبت في موضوع الزلازل وجدنا أن الكتاب الوحيد الذي يحوي سجلا واسعا للاحداث الزلزالية هو كتاب

(٤٣) مصطفى انور طاهر : نصوص تاريخية ، ص ٦٣ .

« كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » للسيوطي ، وقد بينا اهتمام المستشرقين وعلماء الزلازل به ، واعتماد معلوماته في سجلات الزلازل العالمية •• غير أن هذا العمل العلمي الذي استعرض نحو مائة وثمانية أحداث زلزالية لا ينبغي قبوله دون مراجعة تلك الأحداث مع ماجاء في المصادر التاريخية الأساسية ، التي تغطي الحقبة الزمنية التي سجل لها السيوطي ، أي من القرن الأول الى القرن العاشر الهجري •

وسنعرض فيما يلي لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا المجال مع بيان اضافات كل منها :

١ ــ تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري ، المتوفى عام ٣١٠ هـ ويغطي هذا الكتاب الفترة الواقعة بين البعثة النبوية وعام ٣٠٢ هـ ويتضمن الكتاب عشرة أحداث زلزالية (*) ، تم اعتماد ثمانية منها في السجل (*) ، أحدها (عام ٢٧٢ هـ) لم يذكره السيوطي في كتابه • وقد استوطن الطبري بغداد وتوفي بها •

٢ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي المتوفي عام ٥٩٧هـ • والمطبوع من هذا الكتاب يبدأ من القسم الثاني من الجزء الخامس ويغطي الفترة من عام ٢٥٧ هـ الى عام ٥٧٤ هـ ويتضمن الكتاب ٢٧ حدثا ، تم اعتماد ٢١ حدثا منها في السجل ، ولم يذكر منها السيوطي أحداث عام ٢٧٢ و ٢٨٨ و ٥٧٢ هـ •

ويمكن القول ان ابن الجوزي من المصادر الرئيسية عن زلازل بغداد في القرن السادس الهجري ، فهو قد عاش في تلك المدينة وشهد أحداثها ،

(*) سنشير فيما بعد الى الاحداث الزلزالية بكلمة «الاحداث» والى سجل الزلازل العربي بكلمة «السجل» •

ويؤيد ذلك ما ذكره في زلزال عام ٥٣٨هـ • كما أنه يؤكد على تاريخ حدوث الزلزال ، يقول عن زلزال عام ٥٤٤ هـ : « وفي يوم السبت غرة ذي الحجة وقت الضحى زلزلت الأرض زلزلة عظيمة فبقيت تموج نحوا من عشر مرات » • وفي المقارنة نجد أن ابن الأثير والسيوطي اكتفيا بذكر السنة فقط •

٣ ـــ الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٥٥ ـــ ٦٣٠ هـ) ويغطي كتابه الفترة الواقعة بين السنة الأولى للهجرة وعام ٦٢٨ هـ أي قبل وفاة المؤلف بسنتين • ويتضمن الكتاب ٥٦ حدثا ، أثبتنا منها ٤٠ حدثا في السجل • ولم يشر السيوطي الى ثلاثة عشر حدثا منها ، تضمنها أعوام : « ١٤٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩ ، ٤٨٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٩٠ ، ٦٠٤ ، ٦٢٢ هـ » •

وقد ولد ابن الأثير في الموصل ، وتنقل بينها وبين بغداد ودمشق والقدس وحلب • وكان أكثر دقة في اثبات وقت الزلزلة في كثير من الزلازل المشتركة بينه وبين السيوطي ، فالاخير اقتصر في كلامه عن عام ٥٥٠ هـ على قوله : « زلزلت بغداد » ، بينما نص ابن الأثير : « وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجة » •

٤ ـــ التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) لأبي الفضائل محمد بن علي (توفى بعد سنة ٦٣١هـ) ويبدأ تاريخه من السنة الأولى للهجرة الى سنة ٦٣١هـ • ويتضمن الكتاب ١٨ حدثا ، أثبتنا منها تسعة أحداث في السجل ، منها ثمانية احداث لم ترد عند السيوطي هي : ١٢١ ، ١٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٣٤٠ •

٥ ـــ البداية والنهاية لابن كثير (٧٠١ ـــ ٧٧٤ هـ) ويغطي كتابه الفترة الواقعة بين السنة الأولى للهجرة وسنة ٧٦٧ ، ويتضمن الكتاب ٤٦ حدثا ، أثبتنا منها ١٤ حدثا في السجل ، ولم يشر السيوطي الى حدث واحد فقط هو

عام ٦٧٤ هـ ، ويرجع ذلك الى كون ابن كثير من مصادر السيوطي الرئيسية •

وقد ولد ابن كثير في بلدة بصرى بالشام وعاش معظم حياته في دمشق •

٦ ــ كنز الدرر وجامع الغرر للدواداري (توفي بعد سنة ٧٣٦هـ) وقد طبع من هذا الكتاب أربعة أجزاء هي الجزء السادس والسابع والثامن والتاسع، وتؤرخ هذه الأجزاء لأخبار الفاطميين والايوبيين والمماليك ، ويبدأ الجزء السادس بحوادث عام ٣٥٩هـ وينتهي الجزء التاسع بحوادث عام ٧٣٥هـ • ويتضمن الكتاب ٢٢ حدثا ، أثبتنا منها في السجل ١٦ حدثا ، ولم يشر السيوطي الى ثمانية أحداث منها هي : « ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٥٣٥ ، ٦٥٩ هـ » •

وقد ولد الدواداري في مصر ، وعاش حياته بينها وبين بلاد الشام •

٧ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (٧٦٦ ــ ٨٤٥ هـ) • ويؤرخ هذا الكتاب للأحداث الواقعة بين سنتي ٥٦٨ و ٨٤٥ هـ • ويتضمن الكتاب ٢٨ حدثا ، أثبتنا منها في السجل ٢٣ حدثا ، ولم يشر السيوطي الى سبعة من الأحداث التي ذكرها المقريزي هي : « ٥٨١ ، ٦٥٩ ، ٦٩٢ ، ٧٤٩ ، ٧٥٣ ، ٨٢٦ ، ٨٣٠ هـ » •

وقد عاش المقريزي معظم حياته في مصر ، فيما عدا بعض الفترات التي قضاها في دمشق •

ويعتبر مصدرا رئيسيا وتفصيليا لعدد من زلازل القرن السابع والثامن والتاسع ، ومن ذلك الزلزال الذي تعرضت له مصر عام ٧٠٢ هـ وزلزال عام ٧٩١ هـ بخراسان وزلزال عام ٨٣٤ في الأندلس •

٨ ــ انباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ــ ٨٥٢هـ)

ويؤرخ هذا الكتاب للفترة من ٧٧٣ الى ٨٥٠ هـ • ويتضمن ١٤ حدثا ، أثبتنا منها في السجل عشرة أحداث • لم يشر السيوطي الى ثلاثة منها هي : « ٨٠٢ ، ٨٠٧ ، ٨٢٦ هـ » •

وقد عاش ابن حجر في مصر ، ويتناول كتابه تاريخ مصر والشام وبعض الدول التي تجاورهما ، ويعتبر من المصادر المهمة عن زلازل القرن الثامن في مصر والشام •

٩ ـــ بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس (٨٥٢ ـــ ٩٣٠ هـ) • وهو تاريخ مصر على السنين من الفتح الاسلامي الى سنة ٩٢٨ هـ مع التركيز على القرن الثامن والتاسع وأوائل العاشر • ويضم الكتاب ١٤ حدثا ، أثبتنا منها في السجل عشرة أحداث، وهو أكثر تفصيلا في بعض زلازل القرن التاسع من السيوطي ، فالأخير لم يذكر في أحداث عام ٨٦٣ هـ أن مصر تعرضت للزلزلة التي وقعت في الشام ، بينما ابن اياس يذكر ذلك ، كما أنه أكثر تفصيلا في بعض الزلازل التي شهدها السيوطي نفسه ، ويمكن مراجعة ذلك في كلامه عن زلزالي عامي ٨٨١ هـ ، ٨٨٦ هـ في السجل •

١٠ـــ بغية المستفيد ، والفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد لابن الديبع (٨٦٦ ـــ ٩٤٤ هـ) ، ويؤرخ ابن الديبع في كتابه للدولة الطاهرية باليمن ، ولهذا فان جميع الأحداث الزلزالية التي وردت فيهما مقتصرة على المناطق اليمنية ، وقد أثبتنا في السجل ١١ حدثا ، جميعها لم يشر اليها السيوطي في كتابه •

١١ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (توفي سنة ١٠٨٩هـ) ، ويؤرخ للفترة الممتدة بين السنة الاولى وسنة ألف هجرية • ويتضمن الكتاب ٣٢ حدثا ، أثبتنا منها في السجل ١٣ حدثا ، لم يذكر منها

السيوطي في سجله أربعة أحداث هي : « ٢٧٢ ، ٥٣٤ ، ٧٤١ ، ٧٦٨ هـ » وقد عاش ابن العماد في دمشق •

وقد استفدنا من مصادر أخرى لم نشأ أن نذكرها مع ما ذكرناه من المصادر التاريخية لقلة عدد الأحداث التي احتوت عليها فقط ، أما من حيث الأهمية فهي أيضا لها أهميتها الخاصة وأثبتنا ما أخذناه منها في السجل • ومن ذلك التقرير المهم الذي أثبتناه عن الزلازل التي اجتاحت الشام في أعوام : ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ هـ الوارد في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة (٥٩٩ — ٦٦٥ هـ) •

وتنبغي الاشارة الى أن كتب التاريخ لا يغنى أحدها عن الآخر ، ولو اشتركت في التاريخ لحقبة زمنية واحدة ، وذلك لعدد من الأسباب :

١— أن مراجعة الخبر على أكثر من مصدر يمكن أن يجنبنا الوقوع في مشكلة التصحيف في الاعلام الجغرافية •

٢— تختلف دقة المعلومات من مؤرخ الى آخر ، فبعضهم يكتفي بذكر سنة حدوث الزلزلة ، والبعض الآخر يذكر الساعة أو الوقت الذي حدثت فيه الزلزلة بالاضافة الى اليوم والشهر •

٣— تختلف أهمية النصوص باختلاف بلد المؤلف وعصره، فابن الجوزي أثبت مجموعة من الأخبار التي عاصرها في بغداد ، والمقريزي وابن حجر العسقلاني سجلا أحداث بلدهما مصر ، ويعتبر ابن الديبع مصدرا رئيسياً عن زلازل اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين •

وبعض المؤرخين يؤكدون على شهود العيان أو يستعرضون الرسائل التي تصف الزلازل التي حدثت في الأماكن البعيدة عن موطنهم ، وهي أمور تدعو الى الثقة بالمؤرخ ، وبما يورده من وصف للأحداث •

(٢) سجل الزلازل العربي

هذا السجل هو ثبت بالمعلومات العربية المتعلقة بأحداث الزلازل مرتبة وفق سنوات حدوثها ، اعتمدنا فيه على المصادر العربية التي تحدثنا عنها في هذا السجل في جميع المصادر التاريخية والجغرافية الممكنة ، ثم أثبت النص الأوفى المتضمن الوصف الأشمل للحدث مع الدقة في التحديد ، وذكرت في آخره المصدر المأخوذ عنه ورقم الجزء والصفحة كما أوردت المعلومات الاضافية أو التوضيحية في فقرات مستقلة مع نسبة كل نص الى قائله .

وقد قدمت النص الأكثر تحديدا ، وان كان متأخرا ، على النص الأقدم اذا ما كان الوصف متماثلا ، فلو افترضنا أن اتفق وصف الطبري وابن الأقدم اذا ما كان الوصف متماثلا ، فلو افترضنا أن اتفق وصف الطبري وابن الأثير لحدث معين ، غير أن الأخير قد اشار الى الشهر الذي وقع فيه الحدث ولم يشر الأول ، فانني أنسب الخبر الى ابن الأثير ، لان المعلومة المتعلقة بتحديد الوقت في مثل هذه النصوص لها أهميتها الخاصة .

وعند وجود اختلاف على تاريخ الزلزلة في المصادر رجحنا الرأي الأغلب، ففي زلزال عام ٨٣٨ هـ بالقاهرة ذكر المقريزي والصيرفي أنه كان يوم الثالث من ربيع الآخر ، بينما ابن حجر العسقلاني يذكر أنه في الرابع منه ، فأثبتنا ما اتفق عليه الاثنان ، واقتصرنا في بيان المصدر على المقريزي لقدمه . كما أننا لم نشر الى كل من السيوطي وابن اياس حيث لم يرد عندهما تاريخ اليوم الذي حدثت فيه الزلزلة .

واذا اتفق مصدران على حدوث زلزلة في عام معين ، واختلف كل منهما في ذكر الشهر أثبتنا الخبرين خشية أن يكونا زلزالين مختلفين . ومثال ذلك ما جاء في السجل عن عام ٨٨٨ هـ حيث أوردنا نص السيوطي الذي يؤرخ

الحدث في التاسع من جمادي الآخرة ونص ابن اياس الذي يؤرخه في ربيع الآخر •

وربما وصفت زلزلة معينة بخبرين متناقضين ، ولم نجد ما يؤيد أحدهما ويرجحه على الآخر • حينئذ تثبت في السجل الخبرين معا ، ومثال ذلك قول العسقلاني انه في الثامن من رجب عام ٨٢٥ هـ حدثت بالقاهرة زلزلة خفيفة ، وقول ابن اياس في وصف نفس الزلزلة انها زلزلة عظيمة هدمت عدة بيوت ، ويتكرر نفس الأمر في شهر رجب عام ٨٨١ هـ حيث ينعت السيوطي الزلزلة التي حدثت في مصر بأنها زلزلة لطيفة بينما يقول ابن اياس انها زلزلة مهولة وقع منها بعض أماكن • ومع أن السيوطي كان معاصرا لهذه الزلزلة ، فقد جاء الخبر عند ابن اياس أكثر تفصيلا ويوحى بأنه ينقل عن شخص معاصر للزلزلة •

وبالاضافة الى ما تقدم هناك بعض الملاحظات الأخرى التي كشف عنها التحقيق بين النصوص يمكن بيانها فيما يلي :

١ـ أجمعت المصادر على حدوث زلزال عام ٢٥٨ هـ الوارد في السجل في الصيمرة ، ذكر ذلك الطبري وابن الأثير وابن كثير والمنصوري ، ماعدا السيوطي الذي نص على أنه في واسط ، وذكر في خبره أن عدد من مات فيه نحو عشرين ألفا ، وهو نفس الرقم الذي جاء في المصادر الأخرى عن ضحايا الصيمرة • وقد أثبت الخبرين مع ظني أن الخبر الأول هو الصحيح •

٢ـ يقول السيوطي في كتابه : « وفي سنة سبع وخمسين وستمائة حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جدا ، قاله ابن الاثير » ، وفي نسختين خطيتين من الكتاب « ابن كثير » ، ومعلوم أن ابن الأثير قد توفي قبل ذلك التاريخ وكتابه ينتهي عند عام ٦٢٨ هـ • أما ابن كثير فلم يرد عنده هذا النص ، وعليه فلم أثبت هذا النص المشكوك فيه ، وأثبت ما ذكره المقريزي •

٣ـ ورد في كتاب السيوطي المطبوع أنه في « سنة اثنتين وسبعين وستمائة في صفر زلزلت غزة والرملة وقاقول (قاقون) والكرك ... » وفي نسخة مخطوطة من الكتاب « في سنة اثنتين وتسعين ... » وهو الصواب في ظني فهو يوافق من حيث الوصف النص الذي أورده المقريزي عن زلزال عام ٦٩٢ هـ . كما أنه من السهل تحريف كلمة « تسعين » الى « سبعين » ، وقد أثبت هذا الخبر ضمن أحداث عام ٦٩٢ هـ .

٤ـ في أحداث عام ٤٦٠ هـ نص ابن الجوزي وابن كثير على أن عدد ضحايا زلزال الرملة ١٥ ألف نسمة، بينما يحدد النص عند ابن الاثير والسيوطي العدد بخمسة وعشرين ألفا ، ولم نستطيع أن نرجح أحد الخبرين ولهذا أثبتناهما دون تعليق .

٥ـ ورد في السجل (عام ٢٩٩ هـ) : « وفيها كان بالقيروان زلازل لم ير لها شدة رعظمة ، وثار أهل القيروان فقتلوا من كتامة نحو ألف رجل » .. هذا النص لم يرد الا عند ابن الأثير ، وسياق النص يوحي بأن المقصود بالزلازل فيه الاضطرابات السياسية .

ويمكن التوقف أيضا عند الخبر الذي أورده ابن الأثير عن عام ٥٧٣ هـ حيث يقول : « .. هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الأرض واشتد الأمر على الناس ... الخ » . وجاء النص عند ابن الجوزي : « وفي سحرة يوم الأربعاء سابع شوال هبت ريح عظيمة فزلزلت الدنيا بتراب عظيم .. » .

ومع أنني أثبت قول ابن الأثير في السجل الا أنه يقع في نفسي أن ذكر التزلزل جاء هنا مجازا ، نتيجة ما فعلته الريح من هدم الدور وتعدد الضحايا .

٦ـ يطلق مصطلح « الزيادة » للدلالة على فيضان المياه نتيجة الأمطار أو تدفق الأنهار ، وقد جاء نص اليافعي أنه في عام ٦٨٣ هـ كانت الزيادة الهائلة

بدمشق في الليل ، ورجح أن يكون المقصود بهذه العبارة المنقولة عن الذهبي « الزلزلة الهائلة » . وقد أثبت نص اليافعي ، ولمزيد من الاحتراز أحب أن أضيف الى ذلك أن المصادر التاريخية الأخرى لم تذكر خبر زلزلة في هذا التاريخ .

٧ـ خبر الزلزال الذي أصاب بلدة جنزة عام ٥٣٣هـ انقسم عند ابن العماد (١٠٢/٤ ، ١٠٤) الى قسمين : أورد الأول منهما في أحداث عام ٥٣٣ هـ حيث قال : « كانت زلزلة (بجنزة) أتت على مائتي ألف وثلاثين ألفا فأهلكتهم ... » والثاني في أخبار عام ٥٣٤ هـ حيث قال : « خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود ... الخ » . ولما كان هذا الخبر واحدا في جميع المصادر التي رجعنا اليها ، ويقع ضمن أحداث عام ٥٣٣ هـ ، فقد أهملنا خبر ابن العماد عن عام ٥٣٤ هـ .

٨ـ من الأخبار التي أوردها السيوطي خبر انقضاض كوكب عظيم وتقطعه ثلاث قطع ، وذلك عام ٣٠٧ هـ . وقد نقل ذلك عن ابن الجوزي (١٥٣/٦) وجعله ضمن أخبار الزلازل ، وقد استبعدنا هذا الخبر لأنه يتعلق بظاهرة أخرى لا محل لها في السجل .

٩ـ تعرض التحقيق في نصوص الزلازل الى تصحيح العديد من الأسماء المحرفة ، وقد أثبتنا الصواب دون أن نثقل على السجل بالهوامش والتعليقات. وهذه التصويبات مبينة على مراجعة متأنية للمصادر ومقابلة النصوص المختلفة .. ومن ذلك ما وجدناه في النص المتعلق بزلزال عام ٢٤٥ هـ :

ـ صحفت « تنيس » عند ابن الأثير الى « سيس » .

ـ صفحت « بالس » عند السيوطي الى « السن » .

ـ ذكر الطبري أن المتوكل أمر بتفرقة ثلاثة آلاف درهم بعد الزلازل

التي أصابت بلاد المغرب • والصواب « ثلاثة آلاف ألف درهم » كما جاء عند ابن الأثير وابن العماد » •

– يقول الطبري : وسقط من أنطاكية ألف ألف وخمسمائة دار • والصواب : ألف وخمسمائة دار •

ومثل آخر للتصحيف أو التحريف في أسماء المدن ورد عند الدواداري في كلامه عن زلزال عام ٥١٦ هـ قال : « وزلزلت مدينة الحيرة المدعوة كنجة » وفي زلزال ٥٣٣ هـ قال : « وفيها زلزلت الحيرة » • والصواب مدينة «جنزة» كما أثبتنا في السجل • قال ياقوت : « كنجة مدينة عظيمة ، وهي قصبة أعمال أران ، وأهل الأدب يسمونها جنزة »[٤٤] ونفس هذه المدينة حرفت عند ابن كثير الى « جبرت » وعند ابن العماد الى « خبزة » عندما أثبتنا خبر الزلزال المذكور • وتحرفت أيضا « سور حران » الى « دور خراسان » عند ابن كثير، وشتان مابين المكانين •

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها في شرح بعض جوانب عملي في تحقيق النصوص المتعلقة بالزلازل ، وتكشف عن المنهج الذي أرتضيه في أمثال هذه الأعمال ، وهو ألا تكون نقلا آليا عن المصادر والمراجع الجغرافية والتاريخية، بما يجعل للتخصص وما يتطلبه من البحث والتحري في سبيل الحقيقة معنى•• بعد هذه المقدمة ، وقبل البدء في سرد السجل فلابد أن أشير الى أمرين ، الأول : أنني قد تصرفت في حذف بعض الفقرات أو العبارات أو أبيات الشعر التي لم أجد لذكرها فائدة ، رغبة في التركيز على موضوع البحث ، مع الاحتفاظ بروح النص ولفظه • فيما عدا حالات قليلة جدا اضطررت فيها لاستخدام ألفاظ جديدة • كما أنني جعلت سنة حدوث الزلزال في أعلى النص،

(٤٤) ياقوت الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا . ص ٣٧٦ .

وكذلك اليوم أو الشهر ان وجدا ، وقد كررت ذكر اليوم والشهر داخل النص متي ما وجدت أن حذفهما قد يخل بالسياق •

والثاني : أنني أضفت من عندي المقابل الميلادي للتقويم الهجري المعتمد في المصادر العربية بالاعتماد على كتاب التوفيقات الالهامية لمحمد مختار وقد حددت تاريخ اليوم ان وجد أو تاريخ بداية الشهر ان اقتصر الخبر على الشهر والسنة أو تاريخ بداية السنة ان اقتصر الخبر على ذكر السنة فقط ، وفي الحالتين الأخيرتين سيسبق التاريخ الميلادي كلمة « من » وتعني ابتداء من التاريخ المذكور • وجعلت كل ذلك بين قوسين •

* * *

سجل الزلازل العربي

(القرن الاول الهجري)

٢٠ (من ٢١ ديسمبر ٦٤٠ م)

* أول زلزلة كانت في الاسلام وكانت في المدينة ، وأخرجت الدور ذلك في سنة عشرين . (السيوطي : ٢٢)

٩٤ (٢٠ مارس ٧١٣ م)

* وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوما فخرجت البلاد ، وكان عظم ذلك في أنطاكية . (ابن الأثير : ٤/٥٨٢)

* في هذه السنة لعشرين من آذار دامت الزلازل في الدنيا أربعين يوما ، فهدمت الأبنية (الأبنية الشاهقة) ووقع معظم أنطاكية .

(السيوطي : ٢٣)

٩٨ (من ٢٥ أغسطس ٧١٦ م)

* وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ، ودامت ستة أشهر .

(ابن الأثير : ٥/٣٦)

* (وفي هذه السنة) عادت الزلازل أربعين يوما .

(السيوطي : ٢٣)

(القرن الثـاني)

١٢١ (من ١٨ ديسمبر ٧٣٨ م)
* زلزلت بغداد . (المنصوري : ٨٦)

١٣٠ (من ١١ سبتمبر ٧٤٧ م)
* (حصلت) رجفة بدمشق حتى رحل أهلها عنها وسقط في تلك الرجفة سوق الدجاج . (السيوطي : ٢٤)

١٣١ (من ٣١ أغسطس ٧٤٨ م)
* (رجفة عظمى بدمشق) انشق منها سقف المسجد .
(السيوطي : ٢٤)

١٣٢ (من ٢٠ أغسطس ٧٤٩ م)
* زلزلة بالشام . (المنصوري : ٨٨)

١٤٠ (من ٢٥ مايو ٧٥٧ م)
* وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يـد جبرائيل بن يحيى ، وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل ، فبنى السور ، وسماها المعمورة ، وبنى بها مسجدا جامعا ، وفرض فيها لألف رجل ، وأسكنها كثيرا من أهلها .
(ابن الأثير : ٥/٥٠٠)

١٨٠ (من ١٦ مارس ٧٩٦ م)
* وفيها كانت بأرض مصـر زلزلة شـديدة ، فسقط رأس منـارة الاسكندرية . (الطبري ٨/٢٦٦)

١٨٧ (من ٣٠ ديسمبر ٨٠٢ م)

* وفيها زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها ، ونضب ماؤهم ساعة من الليل . (الطبري ٨/٣٠٢)

(القرن الثالث)

٢٠٣ (من ٩ يوليه ٨١٨ م)

* وكانت بخراسان زلازل عظيمة ، ودامت مقدار سبعين يوما ، وكان معظمها ببلخ والجوزجان والفارياب ، والطالقان ، وما وراء النهر ، فخربت البلاد ، وتهدمت الدور ، وهلك فيها خلق كثير .

(ابن الأثير ٦/٣٥٦)

* سقط (في هذه الزلزلة) جامع بلخ ونحو من ربع المدينة .

(السيوطي : ٢٤)

٢١٢ (من ٢ أبريل ٨٢٧ م)

* وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة ، فكان أشدها بعدن ، فتهدمت المنازل وخرجت القرى ، وهلك فيها خلق كثير .

(ابن الأثير ٦/٤٠٨)

٢١٩ (من ١٦ يناير ٨٣٤ م)

* كانت ظلمة شديدة بين الظهر والعصر وزلازل هائلة .

(السيوطي ٢٤)

٢٢٠ (من ٥ يناير ٨٣٥ م)

* زلزلت الأرض ودامت أربعين يوما وتهدمت أنطاكية .

(السيوطي ٢٥)

٢٢٤ (من ٢٣ نوفمبر ٨٣٨ م)

* زلزلت فرغانة فمات فيها خمسة عشر ألفا .

(السيوطي ٢٥)

٢٢٥ (من ١٢ نوفمبر ٨٣٩ م)

* كانت رجفة بالأهواز عظيمة ، تصدعت فيها الجبال ، وهرب أهل البلد الى البر والى السفن، وسقطت فيها دور كثيرة ، وسقط نصف الجامع ومكثت ستة عشر يوما . (ابن العماد ٢/٥٦)

٢٢٦ (من ٣١ أكتوبر ٨٤٠ م)

* زلزلت الأهواز زلزلة شديدة ، خمسة أيام ، وكان مع الزلزلة ريح شديدة ، فخرج الناس عن منازلهم ، وخرب كثير منها .

(ابن الأثير ٦/٥٢١)

٢٣٢ (من ٢٨ أغسطس ٨٤٦ م)

* كثرت الزلازل في الدنيا ، وخصوصا في المغرب والشام وانهدمت حيطان دمشق وحمص، وكان أشدها بأنطاكية والعواصم ، وأخربت بلاد الجزيرة والموصل ودامت أياما .

(السيوطي ٢٥)

٢٥٣ ١١ ربيع الآخر (٢٥ نوفمبر ٨٤٧ م)

* فيها كانت الزلزلة المهولة بدمشق ، دامت ثلاث ساعات ، وسقطت الجدران ، وهرب الخلق الى المصلى يجأرون الى الله ، ومات عدد كبير تحت الردم ، وامتدت الى أنطاكية ، فيقال انه هلك من أهلها عشرون ألفا ، ثم امتدت الى الموصل ، فزعم بعضهم أنه هلك بها تحت الردم خمسون ألفا . (الذهبي ١/٤١٣)

* كانت زلزلة مهولة بدمشق سقط منها دور وهلك تحتها خلق

وامتدت الى أنطاكية فهدمتها والى الجزيرة فأخربتها والى الموصل، فيقال هلك من أهلها خمسون ألفا •• وذكر الحافظ ابن عساكر في كتاب « الزلازل أن دمشق زلزلت ضحى يوم الخميس ١١ ربيع الاخر سنة ٢٣٣ ، فقطعت ربعا من الجامع وتزايلت الحجارة العظام ووقعت المنارة وسقطت القناطر والمنازل وامتدت في الغوطة فأتت على داريا والمزة وبيت لهيا ، وغيرها ، وخرج الناس الى المصلى يتضرعون الى قريب نصف النهار فسكنت الدنيا •

(السيوطي ٢٥)

* رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى الى ثلاث ساعات فانتقضت منها البيوت وزالت الحجارة العظيمة وسقطت عدة طاقات من الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا ، وسقط بعض شرفات الجامع وانقطع ربع منارته وانكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها، فلم ينج منهم الا رجل واحد واشتدت الزلازل على أنطاكية والموصل ووقع أكثر من ألفى دار على أهلها فقتلتهم ، ومات من أهلها عشرون ألفا ، وفقد من بستان أكثر من مائتي نخلة من أصولها فلم يبق لها أثر • (ابن العماد ٧٦/٢)

٢٣٤ (من ٥ أغسطس ٨٤٨ م)

* زلزلت هراة فوقعت الدور •

(السيوطي ٢٦)

٢٣٩ (من ١٢ يونيه ٨٥٣ م)

* رجفت طبرية في الليل حتى مادت الأرض واصطكت الجبال ثم انقطع من الجبل المطل عليها قطعة ثمانين ذراعا طولا في خمسين ذراعا ، فمات منها خلق كثير • (ابن العماد ٩١/٢)

٢٤٠ (من ٢ يونيه ٨٥٤ م)

* جاءت الكتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من القيروان خسف بها ، فلم ينج من أهلها الا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه ، فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها فقالوا أنت مسخوط عليكم ، فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها .

(ابن العماد ٢/٩٣)

٢٤١ (من ٢٢ مايو ٨٥٥ م)

* وفيها كانت بالري زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير لا يحصون ، وبقيت تتردد فيها أربعين يوما .

(ابن الأثير ٧/٨٠)

* كانت الزلازل عامة في الدنيا . (المنصوري ١١٠)

٢٤٢ شعبان (من ٣ ديسمبر ٨٥٦ م)

* زلازل هائلة بقومس ورساتيقها في شعبان ، فتهدمت فيها الدور ، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير ذكر أنه بلغت عدتهم ٤٠٩٦ نفسا ، وكان عظم ذلك بالدامغان . وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة ، وكان باليمن أيضا مثل ذلك مع خسف بها .

(الطبري ٩/٢٠٧)

* وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد ، وتقطعت جبال ، ودنا بعضها من بعض ، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ، وسار جبل كان باليمن عليه

مزارع قوم الى مزارع قوم آخرين فوقف عليها • وزلزلت الدامغان ، فسقط نصفها على أهلها ، فهلك بذلك ٢٥ ألفا وسقطت بلدان كثيرة على أهلها • (ابن العماد ٢/٩٩)

٢٤٤ (من ١٩ أبريل ٨٥٨ م)

※ جاءت زلزلة عظيمة بالشام أخربت أنطاكية وحمص وتدمر •

(المنصوري ١١١)

٢٤٥ شوال (من ٣٠ ديسمبر ٨٥٩ م)

※ وزلزلت في هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر ، فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف (ألف) درهم [1] في الذين أصيبوا بمنازلهم ، وزلزل عسكر المهدي ببغداد فيها ، وزلزلت المدائن •• وذكر أنه كانت في هذه السنة في أنطاكية زلزلة ورجفة في شوال قتلت خلقا كثيرا ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار [2] وسقط من سورها نيف وتسعون برجا ، وسمعوا أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل ، وهرب أهلها الى الصحارى ، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر • فهاج البحر في ذلك اليوم، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب ، وسمع فيها أهل تنيس في مصر ضجة دائمة هائلة فمات منها خلق كثير • وفيها زلزلت بالس والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس وأذنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية فما بقى منها منزل وما أفلت من

(١) عند ابن الاثير (٧ : ٨٧) : «ثلاثة آلاف الف» وقد اثبتنا ذلك لصحته .
(٢) في الاصل الف الف وخمسمائة دار .

أهلها الا اليسير ، وذهبت جبلة بأهلها •

(الطبري ٩/٢١٢ ، ٢١٣)

* وغارت عيون مكة •• وعبرت الزلزلة الفرات بعد أن هدمت بالس وما حولها وامتدت الى خراسان فمات خلق لا يحصون •
(السيوطي ٢٧)

٢٤٩ ذى الحجة (من ١٥ يناير ٨٦٤ م)
* وفيها أصاب أهل الري في ذي الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدمت منها الدور ، ومات خلق من أهلها ، وهرب الباقون من أهلها من المدينة فنزلوا خارجها • (الطبري ٩/٢٦٥)

٢٥٨ ١٠ شعبان (٢٢ يونيه ٨٧٢ م)
* ولعشر خلون من شعبان كانت هدة صعبة هائلة بالصيمرة • ثم سمع غد ذلك اليوم ، وذلك يوم الاحد ، هدة هي أعظم من التي كانت في اليوم الاول ، فتهدم أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان ، وهلك من أهلها — فيما قيل — زهاء عشرين ألفا •
(الطبري ٩/٥٠٠)

* وقعت بواسط زلزلة شديدة وهدةعظيمة تهدمت بسببها دوركثيرة ومات نحو عشرين ألفا • (السيوطي ٢٨)

٢٦٧ (من أغسطس ٨٨٠ م)

* وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ومصر وبلاد الجزيرة وأفريقية والاندلس ، وكان قبلها هدة عظيمة قوية •

(ابن الأثير ٧/٣٦١)

٢٦٨ ربيع الأول (من ٢٩ سبتمبر ٨٨١ م)
※ وفيها زلزلت بغداد ووقع بها أربع صواعق •
(ابن الأثير ٧/٣٧١)

٢٧١ (من ٢٩ يونيه ٨٨٤ م)
※ كانت بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة الاسكندرية •

٢٧٢ جمادى الآخرة (من ١٣ نوفمبر ٨٨٥ م)
(القلقشندي ١/٢٥٦)

※ وفيها زلزلت مصر في جمادى الآخرة زلزلة أخرجت الدور والمسجد الجامع ، وأحصى في يوم واحد بها ألف جنازة •
(الطبري ١٠/١٠)

※ زلزلة عظيمة في الشام • (المنصوري ١١٦)

٢٧٤ (من ٢٨ مايو ٨٨٧ م)
※ زلزلت مصر وهدمت أكثر عمارتها وأهلكت خلقا ولم يعهد ذلك •
(المنصوري ١١٦)

٢٧٥ (من ١٦ مايو ٨٨٨ م)
※ زلزلة عظيمة عمت البلدان • (القلقشندي ١/٢٥٦)

٢٧٨ (من ١٥ أبريل ٨٩١ م)

※ كسفت الشمس وظهرت الظلمة ساعات ثم رؤيت الكواكب وهبت ريح سوداء وزلزلت وخسف بارديبل فلم ينج منهم أحد ، وورد على السلطان أنه مات تحت الردم خمسون ألف انسان •

(المنصوري ١١٧)

٢٨٠ ١٤ شوال (٢٨ ديسمبر ٨٩٣ م)
* وفيها ــ فيما ذكر ــ في ذى الحجة ورد كتاب من دبيل بانكساف القمر في شوال لأربع عشرة خلت منه ، ثم تجلى في آخر الليل ، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة . ودامت الظلمة عليهم. فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل ، فلما كان ثلث الليل زلزلوا فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها الا اليسير ، قدر مائة دار ، وأنهم دفنوا الى حين كتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ويدفنون، وأنهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات . وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف قتيل .

(الطبري ١٠/٣٤)
(ذكر ابن الجوزي هذا الزلزال في أحداث عام ٢٨٨ ــ ٦/٢٧)

٢٩٨ رجب (من ١١ يونيه ٩٠٢ م)
* زلزلت بغداد ، ودامت الزلزلة فيها أياما وليالي كثيرة .

(الطبري ١٠/٨٩)

* وفيها هبت ريح عاصف بالبصرة ، فقلعت كثيرا من نخلها وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس ، وزلزلت بغداد في رجب ، عدة مرات ، فتضرع أهلها في الجامع فكشف عنهم .

(ابن الأثير ٧/٥٢٢)

٢٩٩ (من ٢٩ أغسطس ٩١١ م)
* وفيها كان بالقيروان زلازل لم ير مثلها شدة وعظمة ، وثار أهل القيروان فقتلوا من كتامة نحو ألف رجل .

(ابن الأثير ٨/٦٦)

٣٠٠ (من ١٨ أغسطس ٩١٢ م)

* ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور يعرف بالتل ، وخروج ماء كثير من تحته أغرق عدة من القرى . ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر .

(ابن الجوزي ٦/١١٥)

(القرن الرابع)

٣٣١ (من ١٥ سبتمبر ٩٤٢ م)

* وفيها كانت الزلزلة المشهورة بناحية نسا من خراسان ، فخربت قرى كثيرة ، ومات تحت الهدم عالم عظيم ، وكانت عظيمة جدا .

(ابن الأثير ٨/٤٠٤)

٣٤٠ ٦ صفر (١٥ يوليه ٩٥١ م)

* جاءت زلزلة (عظيمة) بمصر يوم الأحد آخر الساعة الثانية لست خلون من صفر ، ثم عادت في ثلث الليل ، ثم عند الأذان ، ثم بعد صلاة الصبح ، ثم عادت الأيام من ربيع الاخر ، وخرج أهل مصر منها الى الصحراء وأدخلوا البهائم من الغيط ، وانشقت الأرض ثم مكثت ستة أشهر وسكنت في رجب فلم تعد .

(المنصوري ١٣٣)

٣٤٤ ٣ جمادى الاول (١٩ سبتمبر ٩٥٥ م)

* كانت زلزلة (باصبهان) يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الأولى. وكانت بهذه السنة زلزلة عظيمة بالرملة . (المنصوري ١٣٦)

* زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس الى الله بالدعاء .

(السيوطي ٢٩)

٣٤٥ (من ١٥ أبريل ٩٥٦ م)

※ وفيها كانت الزلزلة بهمذان ، واستراباذ ونواحيها وكانت عظيمة أهلكت تحت الهدم خلقا كثيرا • (ابن الأثير ٨/٥١٨)

٣٤٦ غرة ذى الحجة (٢٣ فبراير ٩٥٨ م)

※ وفيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما تسكن وتعود ، فتهدمت الأبنية ، وغارت المياه ، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير • وكذلك كانت زلزلة بالري ونواحيها ، مستهل ذي الحجة أخربت كثيرا من البلاد، وهلك من أهلها كثير ، وكذلك أيضا كانت الزلزلة بالطالقان ونواحيها عظيمة جدا أهلكت أمما كثيرة •

(ابن الأثير ٨/٥٢١)

※ قال ابن الجوزي : وخسف ببلد الطالقان وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري ، وتقطع بالري جبل ، وانخرقت الأرض خروقا عظيمة وخرجت منها مياه منتنة ودخان عظيم •

(السيوطي ٣٠)

※ وخسف ببلد الطالقان في ذى الحجة ولم يفلت من أهلها الا نحو من ثلاثين رجلا •• (اليافعي ٢/٣٣٩)

٣٤٧ (من ٢٥ مارس ٩٥٨ م)

※ كانت زلزلة ببغداد في نيسان ، وكانت زلازل عظيمة في حلوان وبلدان الجبل وقم وقاشان فقتلت خلقا كثيرا وأخربت •

(ابن الجوزي ٦/٣٨٦)

٣٦٢ (من ١٢ أكتوبر ٩٧٢م)
* زلزلت بلاد الشام وهدمت الحصون ، ووقع من أبراج أنطاكية عدة ومات تحت الهدم خلق كثير . (السيوطي ٣١)

٣٦٣ ذى الحجة (من ٢٣ أغسطس ٩٧٣ م)
* وفيها كانت بواسط زلزلة عظيمة . (ابن الأثير ٨/٦٤٧)

٣٦٦ (من ٣٠ أغسطس ٩٧٦ م)
* حدث (في أنطاكية) زلزلة عظيمة هدمت منها قطعة جيدة من سورها . فسير ملك الروم نائبا له ومعه جماعة من البنائين ، فبنوها أحسن مما كانت . (الدواداري ٨/١٣٤)

٣٦٧ (من ١٩ أغسطس ٩٧٧ م)
* وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يوما ، حتى فارق أهلها منازلهم ، وأسلموا أمتعتهم . (ابن الأثير ٨/٦٩٤)
— ربيع الأول (من ١٧ أكتوبر ٩٧٧ م) ، ذى القعدة (١٧ يونيه ٩٧٨ م)
* وفي ربيع الأول زلزلت بغداد .. وفي يوم الأحد سابع ذى القعدة كانت بسيراف زلزلة هدمت المنازل وأتت على ما فيها من الأموال وهلك بها أكثر من مائتى انسان . (ابن الجوزي ٧/٨٦ ، ٨٧)
* وزلزلت بغداد مرارا في هذه السنة .

(ابن كثير ١١/٢٨٩)

٣٧٦ رجب (من ٦ نوفمبر ٩٨٦ م)
* وفي هذا الشهر (رجب) ورد الخبر بزلزلة كانت بالموصل هدمت كثيرا من المنازل وأهلكت خلقا كثيرا من الناس .

(ابن الجوزي ٧/١٣٢)

٣٧٧ (من ٣ مايو ٩٨٧ م)

* كانت الزلزلة بمصر وكذلك بالموصل ، وهدمت دورا كثيرة من الاقليمين • (الدواداري ٦/٢١٩)

٣٨١ (من ٢٠ مارس ٩٩١ م)

* وفيها حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط فيها زهاء ألف دار ، ومات تحت الردم خلق كثير، وخسفت قرية من قرى بعلبك •
(التلقشندي ١/٣٦١)

* سقطت قرية دومة وهلك جميع أهلها •

(محمد مختار : ١٩١)

٣٩٣ (من ١٠ نوفمبر ١٠٠٢ م)

* زلزلت الشام والعواصم والثغور ، فوقعت قلاع وحصون ، ومات تحت الهدم خلق كثير • (السيوطي ٣١)

٣٩٨ الأحد ١٦ شعبان (٢٧ ابريل ١٠٠٨ م)

* حدثت زلزلة عظيمة بالدينور ، وورد الخبر بأنها هدمت المنازل وهلك فيها أكثر من ستة عشر ألف انسان غير من خاست به الأرض وطمه الهدم وخرج السالمون الى الصحراء فأقاموا في أكواخ عملوها وذهب من الأثاث والمتاع فيما تهدم ما لا يحصى •

(ابن الجوزي ٧/٢٣٨)

* ووقعت رجفة بشيراز غرقت بسببها مراكب كثيرة في البحر •

(السيوطي ٣١)

(القرن الخـامس)

٤٢٠ (من ٢٠ يناير ١٠٢٩ م)

* وفيها زلزلت دمشق زلزالا شديدا ، حتى خرب ما يزيد على نصفها، وهلك تحت الردم خلق كثير . (الدواداري ٦/٣٢٦)

٤٢٥ (من ٢٦ نوفمبر ١٠٣٣ م)

* وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعها تقطيعا ، وخرج أهلها منها هاربين ، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا اليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد ابراهيم قطعة ، وسلمت الحجرة ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بنيان نابلس (وتلف ثلثمائة نفس من سكانها)[٣] ، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقرها وغنمها ، وساخت في الأرض . وكذلك قرى كثيرة هنالك . (ابن كثير ١٢/٣٦)

٤٣٤ (من ٢١ أغسطس ١٠٤٢ م)

* وردت الأخبار الصحيحة بوقوع زلزلة عظيمة بتبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها ومساكنها وحماماتها وأسواقها وأكثر دار الامارة وخلص الأمير لكونه كان في بعض البساتين وسلم جنده لأنه كان قد أنفذهم الى أخيه وأنه أحصى من هلك تحت الهدم فكانوا قريبا من خمسين ألف انسان وأن الأمير لبس السواد وجلس على المسوح لعظم هذا المصاب وأنه عزم على الصعود الى بعض قلاعه والتحصن

(٣) مابين قوسين عن ابن الجوزي .

بها خوفا من توجه الغز الى بلده وهم الترك •

(ابن الجوزي ٨/١١٤)

※ وزلزلت تدمر وبعلبك • ومات تحت الهدم معظم أهل تدمر •

(السيوطي ٣٢)

٤٣٨ (من ٨ يوليه ١٠٤٦ م)

※ زلزلت خلاط وديار بكر زلازل هدمت القلاع والحصون وقتلت خلقا •

(السيوطي ٣٢)

٤٤٠ (من ١٦ يونيه ١٠٤٨ م)

※ ترادفت الزلازل في حومة تدمير بمدينة أوريولة وبمدينة مرسية وما بينهما ، وذلك بعد الأربعين وأربعمائة من الهجـرة ، وتمادى ذلك بهم نحو عام ، كل يوم مرارا كثيرة ، لا تخطىء من ذلك يوما ولا ليلة • الى أن تهدمت الدور ووقعت الصوامع وكل بنيان عال، وانهدم جامع أوريولة مع صومعته ، وانشقت الأرض في كل ناحية من الحومة وغارت أعين كثيرة، وحدث في بعضها ما له رائحة منتنة•

(العذرى : ٨)

٤٤٢ (٥ أغسطس ١٠٥٠ م)

※ وقع في مدينة غنجرة في داخل الروم سنة ٤٤٢ ليلة الاثنين الخامس من آب زلزلة هائلة ، وتتابعت الى اليوم • وقد سقط منها أبنية كثيرة • وخسف هناك حصن وكنيسة حتى لم يبق لهما أثر ، وتبع ذلك الخسف ماء حار كثير شديد الحرارة ، حتى غرق منه سبعون ضيعة وهرب خلق كثير من أهل تلك الضياع الى رؤوس الجبال، وبقى ذلك الماء على وجه الأرض تسعة أيام ثم نضب •

(القزويني : ٥٤٧ ، ٥٤٨)

٤٤٤ (من ٣ مايو ١٠٥٢ م)

✻ وفيها كانت بازجان والأهواز وتلك النواحي زلازل عظيمة ارتجت منها الأرض وانقلعت منها الحيطان ، ووقعت شرافات القصور ، وحكى بعض من يعتمد على قوله أنه كان قاعدا في أيوان داره ، فانفرج حتى رأى السماء من وسطه ثم رجع الى حاله .

(ابن الجوزي ٨/١٥٤)

✻ وفيها زلزلت خوزستان وأرجان وايذج ، وغيرها من البلاد ، زلازل كثيرة ، وكان معظمها بأرجان ، فخرب كثير من بلادها وديارها ، وانفرج جبل كبير قريب من أرجان وانصدع ، فظهر في وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت في الجبل ، فتعجب الناس من ذلك . وكان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا ، وهلك بسببها كثير ، وكان أشدها بمدينة بيهق فاتى الخراب عليها ، وخرب سورها ومساجدها ، ولم يزل سورها خرابا الى سنة أربع وستين وأربعمائة ، فامر نظام الملك ببنائه فبني .

(ابن الأثير ٩/٥٩١)

٤٥٠ ٨ شوال (٢٩ نوفمبر ١٠٥٨ م)

✻ وفي ثامن شوال بين المغرب والعشاء كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة عظيمة ، ولحق الناس منها خوف شديد ، وتهدمت دور كثيرة ثم وردت الأخبار أنها اتصلت من بغداد الى همذان وواسط وعانة وتكريت ، وذكر أن أرحاء كانت تدور فوقفت .

(ابن الجوزي ٨/١٩٠)

✻ وفيها ، في شوال ، كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت

الى همذان ، ولبثت ساعة ، فخربت كثيرا من الدور ، وهلك فيها الجسم الغفير . (ابن الأثير ٩/٦٥١)

٤٥٢ (من ٦ فبراير ١٠٦٠ م)
وفيها كانت زلازل وخسف .

(الدواداري ٦/٣٧٤)

٤٥٥ شعبان (من ٣٠ يوليه ١٠٦٣ م)
* كانت زلزلة عظيمة بواسط وأنطاكية واللاذقية وصور وعكا والروم وأرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس .

(السيوطي ٣٣)

* كانت زلزلة بخراسان ، لبثت أياما ، فتصدعت فيها الجبال وأهلكت جماعة ، وخسفت بعدة قرى ، وخرج الناس الى الصحراء وأقاموا هناك . (ابن الجوزي ٨/٢٤١)

٤٦٠ جمادى الأولى (من ٨ مارس ١٠٦٨ م)
* كانت زلزلة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرملة ورمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحقت وادي الصفراء وخيبر وانشقت الأرض عن كنوز من المال وبلغ حسها الى الرحبة والكوفة وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة ويقول انها خسفت الرملة جميعها حتى لم يسلم منها الا دربان فقط وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى وغار البحر مسيرة يوم وساح في البر وخرب الدنيا ودخل الناس الى أرضه يلتقطون فرجع اليهم فأهلك خلقا عظيما منهم . (ابن الجوزي ٨/٢٤٨)

* وفيها ، في جمادى الأولى ، كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة

خربت الرملة ، وطلع الماء من رؤوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة ، وانشقت الصخرة بالبيت المقدس ، وعادت باذن الله تعالى ، وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس الى أرضه يلتقطون منه ، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا •

(ابن الأثير ١٠/٥٧)

٤٦٢ ١١ جمادي الأولى (٢٦ فبراير ١٠٧٠ م)

※ فمن الحوادث فيها أنه كان ثلاث ساعات من يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادي الأولى وهو الثامن عشر من آذار زلزلة عظيمة بالرملة واعمالها فذهب أكثرها وانهدم سورها وعم ذلك بيت المقدس وتنيس وانخسفت أيلة كلها وانجفل البحر في وقت الزلزلة حتى انكشفت أرضه ومشى الناس فيه ثم عاد الى حاله • وتغيرت احدى زوايا الجامع بمصر وتبع هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان •

(ابن الجوزي ٨/٢٥٦)

٤٦٤ ٢٦ ربيع الاخر (٢٢ يناير ١٠٧٢ م)

※ وفي ليلة الجمعة •• وقت طلوع الفجر حدثت زلزلة (في بغداد) ارتجت لها الأرض ست مرات • (ابن الجوزي ٨/٢٧٢)

٤٧٢ (من ٤ يوليه ١٠٧٩ م)

※ كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثلها بالمغرب ، انهدمت فيها الأبنية ووقعت الصوامع والمنارات ، ومات فيها خلق كثير تحت الهدم ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم وليلة من أول يوم ربيع الأول الى آخر يوم من جمادي الآخرة من السنة المذكورة •

(الناصري ٢/٧٤)

٤٧٨ المحرم (من ٢٩ ابريل ١٠٨٥ م)
* وصل الخبر في المحرم بأن أرجان زلزلت ، وما تاخمها من النواحي وهلك خلق وسقطت منارة الجامع ، وهلك تحت الردم أمم من الآدميين والمواشي • (ابن الجوزي ٩/١٤)
* وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس ، وكان أشدها بأرجان ، فسقطت الدور ، وهلك تحتها خلق كثير •

(ابن الأثير ١٠/١٤٥)

٤٧٩ (من ١٨ أبريل ١٠٨٦ م)
* وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام ، وكثير من البلاد فخربت كثير من البلاد ، وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا •

(ابن الأثير ١٠/١٥٨)

٤٨٤ ٩ شعبان (٢٧ سبتمبر ١٠٩١ م)
* وفيها ، في تاسع شعبان، كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة، وكان أكثرها بالشام ، ففارق الناس مساكنهم ، وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن ، وهلك تحتها عالم كثير ، وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها •

(ابن الأثير ١٠/٢٠٠)

* (تاريخ هذه الزلزلة عند الدواداري في ١٩ شعبان ، وعدد البروج التي تهدمت من سور أنطاكية سبعون برجا) •

(الدواداري ٨/١٣٥)

٤٨٧ ربيع الآخر (من ٢٠ أبريل ١٠٩٤ م)

* وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها ، الا أنه لم يكن الهدم كثيرا (ابن الأثير ١٠/٢٣٨)

* وفيها جاءت الزلزلة في يوم وليلة اثنتى عشرة دفعة ، ولم يسمع بمثلها ، وأخربت البلاد ، وقتلت عالما عظيما (بالشام) .

(الدواداري ٦/٤٤٤)

٤٨٨ (من ١١ يناير ١٠٩٥ م)

* وفيها كانت زلزلة عظيمة عامة .

(الدواداري ٦/٤٤٧)

(القرن السادس)

٥٠٨ ١٨ جمادى الآخرة (٢٠ نوفمبر ١١١٤ م)

* في ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الاخرة حدثت زلزلة فوقع منها في مدينةالرها من سورها ثلاثة عشر برجا ووقع بعض سور حران، ووقعت دور كثيرة على عالم فهلكوا ، وأنه خسف بسمياط وخسف بموضع ، وتساقط في بالس نحو مائة دار وقلب بنصف القلعة وسلم نصفها . (ابن‌الجوزي ٩/١٨٠)

* في هذه السنة في جمادى الآخرة ، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها ، فخربت كثيرا من الرها وحران وسمياط وبالس وغيرها ، وهلك خلق كثير تحت الهدم .

(ابن الأثير ١٠/٥٠٨)

* ومنها كانت زلزلة بحلب ، وخسف بسمياط ومرعش ، وهلك أناس كثير منها . (الدواداري ٦/٤٧٧)

* وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر برجا ، ومن الرها بيوتا كثيرة ، وبعض دور خراسان (؟) ودورا

كثيرة في بلاد شتى ، فهلك من اهلها نحو من مائة ألف وخسف بنصف قلعة حران ، وسلم نصفها ، وخسف بمدينة سيساط ، وهلك تحت الردم خلق كثير . (ابن كثير ١٢/١٧٨)

٥١١ ٩ محرم (١٤ مايو ١١١٧ م)

* زلزلت بغداد يوم عرفه ، وكانت الستور والحيطان تمر وتجيء ، ووقعت دور ودكاكين في الجانب الغربي [٤] .

(ابن الجوزي ٩/١٩٣)

* وفيها ، في يوم عرفه ، كانت زلزلة بالعراق ، والجزيرة ، وكثير من البلاد ، وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي .

(ابن الأثير ١٠/٥٣٢)

٥١٣ ٥ رمضان (١١ ديسمبر ١١١٩ م)

* زلزلة عظيمة بقزوين ، وكانت تعود الى مدة سنة كاملة .

(السيوطي ٣٧)

٥١٥ (من ٢٢ مارس ١١٢١ م)

* وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليماني وتهدم بعضه ، وتهدم شيء من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (ابن كثير ١٢/١٨٨)

٥١٦ (من ١٢ مارس ١١٢٢ م)

* وزلزلت مدينة (جنزة) المدعوة كنجة من بلاد تجاور الكرج ، وانخسف طرف منها وانهدم سورها . (الدواداري ٦/٤٩٠)

---

(٤) نقله ابن الجوزي عن شاهد عيان .

٥٢٤ الجمعة ١٦ ربيع الأول (٢٨ فبراير ١١٣٠ م)

* كانت زلزلة عظيمة هائلة (في بغداد) فماجت الأرض مرارا كثيرة من اليمين عن القبلة الى الشمال ، فلو دامت هلك الناس ، ووقعت دور كثيرة ومساكن في الجانب الشرقي والغربي (من بغداد) .

(ابن الجوزي ١٠/١٤)

* وفيها كانت زلزلة عظيمة ، في ربيع الأول ، بالعراق ، وبلد الجبل ، والموصل ، والجزيرة ، فخربت كثيرا . (ابن الأثير ١٠/٦٦٦)

٥٢٩ ١١ شوال (من ١٥ يوليه ١١٣٥ م)

* في شوال زلزلت الأرض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها . وكانت الزلزلة شديدة ، وهلك فيها كثير من الناس .

(ابن الأثير ١١/٣٤)

* زلزلت بغداد مرارا كثيرة لا تحصى ، وكان مبدؤها يوم الخميس ١١ شوال ، ودامت كل يوم ست مرات الى ليلة الجمعة ١٧ شوال ثم ارتجت ليلة الثلاثاء من نصف الليل الى الفجر والناس يستغيثون.

(ابن الجوزي ١٠/٤٦ ، السيوطي ٣٧)

٥٣٢ صفر (من ١٩ أكتوبر ١١٣٧ م)

* وفيها ، في شهر صفر ، جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة ، وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد ، فخربت كثيرا منها ، وهلك تحت الهدم عالم كثير . (ابن الأثير ١١/٦٦)

٥٣٣ ٤ ــ ١٩ صفر (٨ ــ ١٨ أكتوبر ١١٣٨ م)

* كانت زلزلة بجنزة أتت على مائتى ألف وثلاثين ألفا فأهلكتهم ، وكانت الزلزلة عشرة فراسخ في مثلها . قال ابن الجوزي : وسمعت

شيخنا ابن ناصر يقول : قد جاء الخبر أنه خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود ، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهاليهم • (ابن الجوزي ١٠/٧٨)

* وفيها ، في صفر ، كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد ، وكان أشدها بالشام ، وكانت متوالية عدة ليال ، كل ليلة عدة دفعات ، فخرب كثير من البلاد ، لاسيما حلب فان أهلها لما كثرت عليهم فارقوا بيوتهم ، وخرجوا (الى) الصحراء ، وعدوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ، ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى التاسع عشر منه ، وكان معها صوت وهزة شديدة •

(ابن الأثير ١١/)

* وفيها زلزلت جنزة (الحيرة) عشر فراسخ في مثلها وأهلكت ألف انسان •• (الدواداري ٦/٥٢٩)

٥٣٥ (من ١٧ أغسطس ١١٤٠ م)

* وفيها كانت الزلزلة بشيزر ، وأخربت القلعة •

(الدواداري ٦/٥٣٣)

٥٣٨ الثلاثاء ٢٤ ذي القعدة (٣٠ مايو ١١٤٤ م)

* قال ابن الجوزي : زلزلت الأرض (في بغداد) ليلة الثلاثاء •• فكانت رجة عجيبة ، كنت مضطجعا على الفراش فارتج جسدي منها • (ابن الجوزي ١٠/١٠٨)

٥٤٤ غرة ذى الحجة (١ أبريل ١١٥٠ م)

* وفي يوم السبت •• وقت الضحى زلزلت الأرض (في بغداد) زلزلة عظيمة ، فبقيت تموج نحوا من عشر مرات • وكانت زلزلة

بحلوان تقطع منها الجبل وساخ في الأرض ، وانهدم الرباط البهروزي ، وهلك عالم من التركمان . (ابن الجوزي ١٠/١٣٨)

٥٤٦ ١٣ جمادى الاخرة ، ٢ شوال (٢٨ سبتمبر ١١٥١ م — ١٣ يناير ١١٥٢م)

❋ وردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت الليلة الثالثة عشرة من جمادى الاخرة ، اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات في أعمال بصرى وحوران وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدة وافرة من حيطان المنازل ببصرى وغيرها .

❋ وفي ثاني شوال ، وهو الثاني من شباط ، وافت قبيل الظهر زلزلة اهتزت لها الأرض ثلاث هزات هائلة ، وتحركت الدور والجدران ثم سكنت . (أبى شامة ١/٨٤)

٥٤٩ (من ١٨ مارس ١١٥٤ م)

❋ قال ابن واصل : ان في هذه السنة .. كانت الزلزلة التي أخربت شيزر وانقطعت فيها مملكة بنى منقذ ، وكانوا قد اجتمعوا جميعهم في ذلك اليوم في مكان واحد ، وبين أيديهم قرد يرقصونه ، فوقع عليهم البناء أجمع ، فأهلكهم كلهم .

(الدواداري ٦/٥٦٣)

❋ هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار ، فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلة الأرض ، وتغير ماء دجلة الى الحمرة وظهر بأرض واسط من الأرض دم لا يعرف سببه . (السيوطي ٣٨)

٥٥٠ ذى الحجة (من ٦ فبراير ١١٥٥ م)

❋ وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذى الحجة. (ابن الأثير ١١/٢٠٢)

❋ زلزلت بغداد . (السيوطي ٣٨)

٥٥١ ، ٥٥٢ (من ٢٥ فبراير ١١٥٦م ، من ١٣ فبراير ١١٥٧م)

* وفي ليلةالثاني والعشرين من ربيع الأول وافت زلزلة هائلة وجاءت قبلها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جـاء بعد ذلك ثلاث دونهن بحيث أحصين ست مرات وفي ليلة الخامس والعشرين منه جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في أول النهار وآخـره وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من أبراج افامية بهذه الزلازل المباركة وذكر أن الذي أحصى عدة منها تقدير الأربعين وما عرف مثل ذلك فيالسنين الماضية والاعصار الخالية وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزلة آخر النهار وبالليل ثانية في آخره وفي أول شهر رمضان زلزلة مروعة وثانية وثالثة وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل وأخرى وقت الظهر وأخرى هائلة أيقظت النيام وروعت القلوب انتصاف الليـل وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق وعند الصباح أخرى وفي الليلة التي تليها زلزلتان أولها وآخرها وفي اليوم الذي بعد يومها وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة مزعجة وفي ثاني شـوال زلزلة أعظم مما تقدم وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل وليلة الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف أهلها من توالى ذلك وتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الأخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام مساكنها وأما شيزر فان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثـير وأما كفرطاب فهرب أهلها منها خوفا على أرواحهم وأما حمـاة فكانت كذلك وأما باقي الأعمال الشامية فأعرف ما حدث فيها من هـذه

القدرة الباهرة والله أعلم ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ففي ليلة تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاها أخرى وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها وتواصلت الاخبار من الشام بعظيم تأثير هذه الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت أربع زلازل وضج الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس وفي ليلة رابع جمادى الاخرة وافت زلزلتان وترادفت الاخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيرا أزعج أهلها وأقلقهم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب وأفامية وهدمت ما كان بنى من مهدوم الزلازل وحكى أن تيما أثرت فيها هذه الزلازل تأثيرا مهولا وفي رابع رجب نهـارا وافت بدمشق زلزلة عظيمة لم ير مثلها فيما تقدم ودامت رجفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم ومنازلهم وهربوا من الـدور والسقائف وانزعجوا وأثرت في مواضع كثيرة ورمت من فص الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن اعادته ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنتا بقدرة من حركهما ثم تبع ذلك في أول ليلة اليوم المذكور زلزلـة وفي آخره زلزلة وفي ليلة الجمعة ثامن رجب زلزلة مهولة أزعجت الناس وتلاها في النصف منهـا ثانية وعند انبلاج الصـبح ثالثة وكذلك في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتتابعت بعـد ذلك بما يطول به الشرح ووردت الاخبار من ناحيـة الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير وأما شيزر فان ربضها سـلم الا ما كان خرب أولا وأما حصنها المشهور فانه انهدم على واليهـا تاج الدولة ابن أبي

العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجا وأما حمص فان أهلها كانوا قد اختلفوا منها الى ظاهرها فسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها وأما حلب فهدمت بعض دورها وخرج أهلها منها الى ظاهر البلد وكفرطاب وأفامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعاقل الى جبلة وجبيل وأتلفت سلمية وما اتصل بها الى ناحية الرحبة وما جاورها ولو لم يدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى ولطفه ورأفته لكان الخطب أفظع • وأما أهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها وأجفلوا من منازلهم والاماكن المسقفة الى الجامع والأماكن الخالية من البنيان خوفا على أنفسهم ووافت بعد ذلك أخرى ففتح البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحراء وأقاموا عدة ليال وأيام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون ويرغبون الى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم قال وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة عظيمة روعت الناس وازعجتهم الوقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها ووافت الاخبار من ناحية حلب بان هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير وأنها كانت بحماة أعظم مما كانت في غيرها وأنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت تلتجىء اليها وأنها دامت فيها أياما كثيرة في كل يوم عدة وافرة من الرجفات الهائلة يتبعها صيحات مختلفات توفى على أصوات الرعود القاصفة المزعجة فسبحان من له الحكم والأمر وتلا ذلك ردفات متوالية أخف من غيرهن فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة

أزعجت وأقلقت وتلاها في أثرها هزة خفيفة وكذا في ليلة العاشر من ذى القعدة وفي غدها زلازل وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه أيضا زلازل تفر الناس من هولها الى الجامع والأماكن المنكشفة وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء والتضرع الى الله تعالى وفي يوم الجمعة انسلاخ ذى القعدة وافت زلزلة رجفت لها الارض وانزعج لها الناس وقال ابن الأثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة أخربت البلاد وأهلكت العباد وكان أشدها بمدينة حماة وحصن شيزر فانهما خربا بالمرة وكذا ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا وهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصيه الا الله تعالى وتهدمت الأسوار والدور والقلاع ولولا أن الله تعالى منّ على المسلمين بنور الدين بجمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الافرنج بغير حصار ولا قتال قال ولقد بلغني من كثرة الهلكى أن بعض المعلمين بحماة ذكر انه فارق المكتب لمهم نجاءت الزلزلة فأخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب قلت وقرأت في ديوان الأمير الفاضل مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ وقال في الزلازل التي أهلكت كثيرا من أهل الشام ، وكان ابتداؤها في شهر الله رجب سنة احدى وخمسين وخمسمائة وهلك بها من هلك من الخلق ، وكان نحوا من عشرة آلاف نسمة •

(أبى شامة ١/١٠٣ ــ ١٠٥)

٥٥٣ (١٥ ، ٢٥ ربيع الاول (١٧ ، ٢٧ مايو ١٨٥٨ م)

❊ ورد الخبر في خامس عشر ربيع الاول من ناحية حلب بحدوث

زلزلة هائلة روعت أهلها وأزعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محركها سبحانه وتعالى • وفي ليلة الخامس والعشرين من ربيع الاول وافت زلزلة في دمشق روعت وأقلقت ثم سكنت • (أبى شامة ١/١٢٠)

٥٥٤ (١ محرم ، ٣ ربيع الأول ، ٩ جمادى الاولى) (٢٣ مارس ، ٣٠ مايو ١١٥٩ م) •

* في أول يوم منها وافت زلزلة عظيمة (في بلاد الشام) ضحى نهاره وتلاها اثنتان دونها •• وفي ثالث ربيع الأول وافت زلزلة هائلة ماجت أربع موجات وأيقظت النيام وأزعجت اليقظى ، وخاف كل ذى مسكن على نفسه وعلى مسكنه •• وفي تاسع جمادى الأولى هبت ريح عاصفة شديدة أقامت يومها وليلتها •• ثم وافت آخر الليل زلزلة هاهلة ماجت موجتين أزعجت وأقلقت •

(أبى شامه ١٢٢ ، ١٢٣)

٥٦٥ ذى القعدة (من ١٧ يوليه ١١٧٠ م)

* وفي ذى القعدة وردت الأخبار بوقوع زلازل كثيرة في الشام ، وقع منها نصف حلب ، ويقال هلك من أهلها ثمانون ألفا •

(ابن الجوزي ١٠/٢٣٠)

* وانشق جبل لبنان العطل على بعلبك شقا لا يعرف لها انتهاء ، ودامت الزلازل شهرا ، وربما كانت تزلزل في اليوم والليلة عدة دفعات •

(الدواداري ٧/٤٤)

* وقع معظم دمشق ، وشرفات جامع بنى أمية ، ووقع نصف قلعة حلب والبلد ، وهلك من أهلها ثمانون ألفا ، ووقعت قلعة حصن

الاكراد ولم يبق لسورها أثر . (ابن العماد ٤/٢١٥)

٥٧١ (من ٢٢ يوليه ١١٧٥ م)
﴿ وفيها زلزلت بلاد العجم من حد العراق الى ما وراء الري ، وهلك فيها خلق كثير ، وتهدمت دور كثيرة ، وأكثر ذلك كان بالري وقزوين . (ابن الأثير ١١/٤٣٣)

٥٧٢ ذى القعدة (من ١ مايو ١١٧٧ م)
﴿ ووصل الخبر في ذى القعدة بأن بلادا كثيرة زلزلت وخسف بعضها وذكر فيها الري وقزوين . (ابن الجوزي ١٠/٢٦٦)

٥٧٣ ٧ شوال (٣٠ مارس ١١٧٨ م)
﴿ وفيها ، سابع شوال ، هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس حتى ظنوا أن القيامة قد قامت ، فبقي ذلك ساعة ثم انجلت ، وقد وقع كثير من الدور ، ومات فيها جماعة كثيرة . (ابن الأثير ١١/٤٤٦)

٥٧٤ ١٢ ذى القعدة (٢٢ أبريل ١١٧٩ م)
﴿ وحكى لي ثقات أن الأرض زلزلت بعد العصر يوم السبت ثاني عشر ذى القعدة أربع مرات ولم أحس أنا بذلك .
(ابن الجوزي ١٠/٢٨٧)
﴿ زلزلت أرمينية وبلاد ازبك (اربل) وتصادمت الجبال بحيث كانت بين الجبلين مسافة فتقلعهما الزلازل فيصدمان ثم يعودان الى مكانهما . (السيوطي ٤٥)

٥٧٥ ١٤ ربيع الآخر (١٩ سبتمبر ١١٧٩ م)
﴿ زلزلت الأرض بعد العتمة فوق بلاد اربل ، فلما أصبح الناس عادت

الزلزلة في الجبال فتصادمت ووقع منها الحجارة وسقطت قلاع كثيرة وهلكت قرى بمن فيها ، وكان يكون بين الجمل والجمل (لعلها الجبل) عشرون ذراعا فتقذفهما الزلزلة فيتصادمان ويعودان الى مكانهما . (أبى شامة ٢/١٦)

* فيها .. وقعت زلزلة فوق بلاد أربل فتصادمت منها الجبال ، وكان هناك نهر احمر ماؤه من دماء الهالكين .

(ابن العماد ٤/٢٤٩)

٥٨١ الثلاثاء ٧ ربيع الأول (٩ يونيه ١١٨٥ م)

* حدثت بمصر زلزلة ، وفي مثل تلك الساعة كانت زلزلة في بعلبك أيضا . (المقريزي ١/٩٠)

٥٨٧ (من ٢٩ يناير ١١٩١ م)

* حصلت بمصر زلزلة . (المقريزي ١/١٠٨)

٥٩٠ ربيع الأول (من ٢٤ فبراير ١١٩٤ م)

* في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الأول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد ، سقطت منها الجبانة التي عند مشهد أمير المؤمنين علي ، عليه السلام . (ابن الأثير ١٢/١١٠)

٥٩٢ (من ٦ ديسمبر ١١٩٥ م)

* وفيها هبت ريح سوداء عمت الدنيا ، وذلك بعد خروج الناس من مكة ، ووقع على الناس رمل أحمر ، ووقع من الركن اليماني قطعة وتحرك البيت الحرام ، وهذا شيء لم يعهد .

(ابن العماد ٤/٣٠٨)

* وفيها زلزلت مصر . (المقريزي ١/١٣٩)

٥٩٧ شعبان (من ٧ مايو ١٢٠١ م)

* وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل ، وديار الجزيرة كلها ، والشام ومصر ، فأثرت في الشام آثارا قبيحة ، وخربت كثيرا من الدور بدمشق ، وحمص، وحماة ، وانخسفت قرية من قرى بصرى، وأثرت في الساحل الشامي أثرا كثيرا ، فاستولى الخراب على طرابلس ، وصور ، وعكا ، ونابلس ، وغيرها من القلاع ، ووصلت الزلزلة الى بلد الروم ، وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا .

(ابن الأثير ١٢/١٧٠)

*وفيها كانت الزلزلة العظيمة في شهر شعبان ، أتت من نحو الصعيد، فعمت الدنيا في ساعة واحدة ، وهدمت بنيان مصر ، حتى عدم تحت الهدم عالم عظيم . ثم وصلت بالشام والساحل ، وهدمت نابلس ، حتى لم يبق بها جدار قائم الا حارة السامرة . وهلك تحت الردم ثلاثون ألف انسان . وكذلك هدمت عكا وصور ، مع قلاع الساحل . وامتدت الى دمشق ، فهدمت بعض المنارة بجامع بني أمية ، وأكثر الكلاسة ، والبيمارستان النوري . وهرب الناس الى الميادين . وسقط من الجامع ست عشرة شرافة . وانشقت قبة النسر . وامتدت الى بانياس وهونين . وخرج قوم من أهل بعلبك سائرين في طريقهم ، فسقط عليهم جبل ، فهلكوا تحته . وهدمت أكثر قلعة بعلبك مع عظيم بنائها . وامتدت الى حمص وحماة وحلب . وقطعت البحر الى قبرص ، وانفرق البحر فصار أطوادا ، وقذف بالمراكب الى الساحل ، وتكسرت منه عدة مراكب . ثم وصلت الى أخلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة . ووصلت الى العجم ، فأحصي من هلك في بلادها تحت الردم ، فقيل كان ألف

ألف ومائة ألف . وكان قوة الزلزلة في مبتدأ أمرها أقامت بقدر ما يقرأ الانسان سورة الكهف ، ثم عاودت بعد ذلك أياما .

(الدواداري ١٤٩ ، ١٥٠)

* وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام الى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظمها بالشام تهدمت منها دور كثيرة ، وتخربت محال كثيرة ، وخسف بقرية من أرض بصرى ، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء كثير ، وأخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها وبقراها ثلاثون ألفا تحت الردم ، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجامعها ، وأربع عشرة شرافة منه وغالب الكلاسة والمارستان النوري ، وخرج الناس الى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقة بنيانها ، وانفرق البحر الى قبرص وقد حذف بالمراكب منه الى ساحله ، وتعدى الى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة ، ومات أمم لا يحصون ولا يعدون حتى قال صاحب مرآة الزمان : انه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف انسان قتلا تحتها ، وقيل ان أحدا لم يحص من مات فيها والله سبحانه أعلم . (ابن كثير ١٣/٢٧ ، ٢٨)

٥٩٨ شعبان (من ٢٦ ابريل ١٢٠٢ م)

* جاءت في شعبان زلزلة عظيمة ، فشقت قلعة حمص ورمت المنظرة التي على القلعة ، وأخربت حصن الأكراد ، وامتدت الى نابلس فأخربت ما بقى . (السيوطي ٤٨)

٦٠٠ (من ١٠ سبتمبر ١٢٠٣ م)
❋ وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد : مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص ، ووصلت الى الموصل والعراق وغيرهما ، وخرب من مدينة صور سورها ، وأثرت في كثير من الشام . (ابن الأثير ١٢/١٩٨)
❋ قال المقريزي : وبلغت الى سبته ببلاد المغرب . (١/١٦٤)

القرن السابع

٦٠٤ الأربعاء ٥ رجب (٢٦ يناير ١٢٠٨ م)
❋ زلزلت الأرض وقت السحر ، وكنت حينئذ بالموصل ، ولم تكن بها شديدة ، وجاءت الأخبار من كثير من البلاد بأنها زلزلت ولم تكن قوية . (ابن الأثير ١٢/٢٧٧)

٦٠٥ (من ١٦ يوليه ١٢٠٨)
❋ وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان ، وكان أشدها بنيسابور ، وخرج أهلها الى الصحراء أياما حتى سكنت وعادوا الى مساكنهم . (ابن الأثير ١٢/٢٨٣)
❋ وفيها كانت الزلزلة بنيسابور ، فدامت عشرة أيام وهي تعاودهم . وهلك تحت الردم عالم عظيم . (الدواداري ٧/١٦٦)

٦٠٨ (من ١٥ يونيه ١٢١١ م)
❋ وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة ، هدمت دورا كثيرة ، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجا ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم .
(ابن كثير ١٣/٦٢)

٦٢٢ الأحد ٢٠ صفر (٤ مارس ١١٢٥ م)
※ زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها • زلزلة متوسطة • (ابن الأثير ١٢/٤٤٧)

٦٢٣ الأربعاء ٢٥ ذى القعدة (١٨ نوفمبر ١٢٢٦ م)
※ وفيها •• ضحوة النهار زلزلت الأرض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية ، وكان أكثرها بشهرزور ، فانها خرب أكثرها ، لا سيما القلعة ، فانها أجحفت بها ، وخرب من تلك الناحية ست قلاع ، وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ، ثم كشفها الله عنهم • وأما القرى بتلك الناحية فخرب أكثرها •

(ابن الأثير ١٢/٤٦٨)

٦٥٢ (من ٢١ فبراير ١٢٥٤ م)
※ وفيها ظهر بأرض عدن في بعض جبالها نار يطير شرارها الى البحر بالليل ويصعد منها دخان عظيم بالنهار •

(ابن العماد ٥/٢٥٥)

٦٥٤ غرة جمادي الآخرة (٢٦ يونيه ١٢٥٦ م)
※ وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهل جمادى الآخرة أواخر جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين وستمائة (٢٦ يونية ١٢٥٦م) وابتدأ بزلزلة خفيفة أحس بها سكان المدينة المنورة ، ثم اشتدت ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه ، ففي الثلث الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة أشفق الناس منها ، وانزعجت القلوب لهيبتها ، واستمرت الى يوم الجمعة ، ولها دوي أعظم من الرعد ، فتموج الارض وتتحرك الجدارات حتى وقع في يوم واحد ، دون ليلة ،

ثماني عشرة حركة ، بات الناس في الحرم الشريف يتضرعون ويبكون ، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسهم مقرين مبتهلين مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم •

وظهرت النار يوم الجمعة شرقي المدينة على مرحلة متوسطة منها (حوالي خمسين كيلو مترا) في موضع يقال له قاع الهيلاء ، على قرب من مساكن قريظة ، وموضوع يقال له أحيلين ، ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة الى أن وصلت الى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب من أحد فوقفت وانطفت • وكانت تقذف بزبد الاحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج ، وعقد لهيبها في الأفق قتاما حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا ، اذ سلبا بهجة الاشراق في الآفاق •

واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال وتسيل سيلا ذريعا مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد ، في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ (نحو ٢٣٦ كيلو مترا) وعرضه أربعة أميال (نحو ثمانية كيلو مترات) وعمقه قامة ونصف وهي تجرى على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك فاذا خمد اسود بعد أن كان أحمر ، ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة في آخر الوادي ، عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة الى جهة جبل وعيرة ، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار • وانقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل اذا سال ينحبس خلف السد حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا ، فانخرق من تحته في سنة تسعين وستمائة لتكاثر الماء من خلفه ، فجرى في الوادي المذكور سنتين كاملتين •

أما السنة الأولى فكان قد ملا ما بين جانبي الوادي ، وأما الثانية فدون ذلك . ثم انخرق مرة أخرى في العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة كاملة أو أزيد ثم انخرق في سنةأربع وثلاثين وسبعمائة، وكان بعد تواتر أمطار عظيمة في الحجاز ، فكثر الماء ، وعلا جانبي السد وجاء بسيل لا يوصف .

وذكر القطب القسطلاني في كتاب أفرده لهذه النار ، وهو ممن أدركها ، ولكنه كان بمكة فلم يشاهدها ، أن ابتداءها يوم الجمعة من شهر جمادى الآخرة وأنها دامت الى يوم الاحد السابع والعشرين من رجب ، ثم خمدت ، فجملة ما أقامت اثنان وخمسون يوما لكنه ذكر بعد ذلك أنها ظلت منطفية أياما ثم ظهرت ، قال : وهي كذلك تسكن مرة وتختفي أخرى . وذكر المؤرخون أنها انقلعت بالكلية بعد ثلاثة شهور .

(بتصرف عن السمهودي : ١/١٠٠ ــ ١٠٦)

٦٥٧ (من ٢٩ ديسمبر ١٢٥٨ م)

❊ وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر . (المقريزي ١/٤٢٠)

٦٥٩ ربيع الآخر (من ٥ مارس ١٢٦١ م)

❊ وردت الأخبار من ناحية عكا وبلاد الافرنج أن سبع جزائر في البحر خسف بها وبأهلها ، بعد أن نزل عليهم دم عدة أيام وهلك منهم خلائق كثيرة قبل الخسف . وعادوا أهل عكا لابسين السواد ، وهم يبكون ، يجلدون أرواحهم بأكمام الزرد الذي عليهم ويستغفرون لذنوبهم . (الدواداري ٨/٨٥)

٦٦٠ (من ٢٦ نوفمبر ١٢٦١ م)

❊ وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى ،

والبلاد الشامية : دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت فيها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونا وخرج الناس من مساكنهم •

(القلقشندي ٢/١١٤)

٦٦١ رمضان (من ٩ يولية ١٢٦٣ م)
※ حدثت زلزلة عظيمة بالموصل بحيث أنه انشق الشط الـذي يمر بضيعة دار بتيا نصفين وخربت أكثر دورها •

(اليونينى ١/٥٣٥)

٦٦٢ ٢٠ ربيع الآخر (٢١ فبراير ١٢٦٤ م)
※ كانت زلزلة عظيمة (بمصر) هدمت عدة أماكن •

(المقريزي ١/٥٠٨)

٦٦٧ (من ١٠ سبتمبر ١٢٦٨ م)
※ وورد الخبر بحصول زلزلة في بلاد سيس خرب منها قلعة سرفند وعدة قلاع ، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما وتلفت عدة جهات • (المقريزي ١/٥٧٨)

٦٧٤ (من ٢٧ يونية ١٢٧٥ م)
※ وفيها كانت زلزلة بأخلاط واتصلت بديار بكر •

(ابن كثير ١٣/٢٧٠)

٦٨٣ شعبان (من ١٣ أكتوبر ١٢٨٤ م)
※ كانت الزيادة الهائلة بدمشق بالليل ، وهكذا هو الزيادة في الأصل الذي وقفت عليه من الذهبي ، وما يظهر لي معنى صحيح ولعله

الزلزلة ، والله أعلم ، فخربت البيوت وانطمت الأنهار •
(اليافعي ٤/١٩٨)

٦٩٢ صفر (من ١١ يناير ١٢٩٣ م)
* وقع بغزة والرملة ولد والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج من قلعة الكرك •• وزلزلت أيضا البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن • فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير علاءالدين أيدغدي الشجاعي من دمشق لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف •
(المقريزي ١/٧٨٣)
* زلزلت غزة والرملة وقاقول (قاقون) والكرك وسقطت من قلعتها أماكن كثيرة وثلاثة أبراج • (السيوطي ٥٠)

٦٩٣ (من ٢ ديسمبر ١٢٩٣ م)
* كانت زلزلة أثرت في سائر اقليم مصر حتى أن بعض عمد جامع عمرو انفصل بعضه عن بعض ، وكان أخف مما حدث في جامع القاهرة • (السيوطي ٥٠)

(القرن الثامن)

٧٠٢ الخميس ٢٣ ذى الحجة (٩ أغسطس ١٣٠٣م)
* لما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة قبل طلوع الشمس زلزلت الارض زلزالا شديدا لم يعهد بمصر مثلها من قبل • ثم امتدت في جميع البلاد بالشام ومصر ، وأقامت تهتز تقدير ربع ساعة فلكية • وكان لها دوى كدوى الرعد • ثم انها هدمت منابر الجوامع ، منها منارة الجامع الحاكمي • وسقطت أكثر جدرانه وخرب هذا الجامع خرابا شنيعا ، لم تكن أثرت في شيء

أكثر منه • وانشقت المنارة التي للمدرسة المنصورية بالقاهرة التي بين القصرين الى أن احتيج بعد ذلك الى هدمها وعمرت كأحسن ما يكون • واختص بعمارة الجامع الحاكمي الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وصرف عليه من ماله شيء كثير ، وعاد كأحسن ما كان وأجد • وانهدمت أيضا منارة جامع الفاكهانيين وهو انشاء الظاهر بن الحاكم الفاطمي • وانهدمت أيضا منارة جامع الصالح ابن رزيك الذي ظاهر باب زويلة وبعض جدرانه • وتشققت جدر جامع مصر وهو جامع عمرو بن العاص رضي‌الله عنه ، وتشعب فيه شي كثير • وهدمت شيئا كثيرا من منابر الجوامع والمساجد بمصر والقاهرة ، وأكثر ما أثرت في الجوامع والمساجد • وعمروا بعد ذلك كأحسن ماكانوا • واختص بعمارة جامع مصر الأمير سيف‌الدين سلار نايب السلطنة المعظمة •

وهدمت منارة اسكندرية • وخربت أكثر دمنهور الوحش بالبحيرة خرابا شنيعا • وكذلك مدينة أبيار بالمنوفية ، والجزيرة بالديار المصرية • وحصل الخراب الشنيع في ساير اقليم ديار مصر • وطلع البحر المالح الى مدينة ثغر الاسكندرية ، فغرق كثير من قماش القصارين وغلال كثيرة كانت على ساحل البحر • وهاج البحر هياجا عظيما ، وهدمت أبراج كثيرة عدة من الاسكندرية • وهلك جماعة عدة من الناس تحت الردم عند حصولها في أول حال • ووصلت حتى عمت أرض برقة وبلاد تونس من المغرب ، وصقلية وقابس ومراكش • ووصلت الى بلاد بني الأحمر المرينيين • وعمت السواحل وخربت قبرص الى الارض ، ولم يبق بها كنيسة الا القليل • وذلك جميعه حسبما وردت به الاخبار من جميع هذه

النواحي بعد ذلك • وكذلك عمت أنطاكية وأعمالها الى العلايـة وأنطاكية وبعض بلاد سيس • ووصلت الى قسطنطينية العظمى • (الدواداري ٩/١٠٠ ــ ١٠٢)

* وفيها كانت الزلزلة العظيمة : وذلك أنه حصل بالقاهرة ومصر في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور مالا يمكن وصفه ، من خامس شهر رمضان الى أن قلعت في (أواخر شوال) • فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها ، وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة ، وصار الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء انطبقت على الارض ، فخرجوا في الطرقات رجالا ونساء ، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن ، واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل ، وتساقطت الدور وتشققت الجدران وتهدمت مآذن الجوامع والمدارس ، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن ، وخرجت رياح عاصفة ، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التي كانت بالشاطىء قدر رمية سهم ، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها ، واقتلع الريح المراكب السائرة في وسط الماء ، وحذفها الى الشاطىء •

ونقد للناس من الأموال شيء كثير : فانهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شيء مما فيها ، فدخلها أهل الذعارة وأخذوا ما أحبوا • وصار الناس الى خارج القاهرة ، وبات أكثرهم خارج باب البحر ، ونصبوا الخيم من بولاق الى الروضة • ولم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم أو تشعث بعضها ،

وسقطت الزروب التي بأعلى الدور ، ولم تبق دار الا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه • وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد ، يدعون الله الى وقت صلاة الجمعة •

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا ، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوما وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كوما • وقدم الخبر من الاسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الاربعين شرفة ، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الافرنجية على البر ، وسقط جانب كبير من السور ، وهلك خلق كثير •

وقدم الخبر من الوجه القبلى بأن في اليوم المذكور هبت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدا قدر ساعة ، ثم ماجت الارض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض ، وفي بعض المواضع رمل أحمر ، وكشط الريح مواضع من الارض فظهرت عمائر قد ركبها السافي ، وخربت مدينة قوص ، وأن رجلا كان يحلب بقرة فارتفع في وقت الزلزلة وبيده المحلب ، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة ، ثم انحط الى مكانه من غير أن يتبدد شيء من اللبن الذي في المحلب • وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور الوحش لم يبق بها بيت عامر •

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر ، فالتزم الامير سلار النائب بعمارته• وخربت أكثر سوارى الجامع الحاكمي بالقاهرة وسقطت مئذنتاه فالتزم الامير بيبرس الجاشنكير بعمارته• وخرب الجامع الأزهر ، فالتزم الامير سلار بعمارته أيضا وشاركه

فيه الامير سنقر الأعسر • وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة ، فعمر من الخاص السلطاني ، وتولى عمارته الامير علم الدين سنجر • وخربت مئذنة المنصورية ، فعمرت من الوقف على يد الامير سيف الدين كهرداش الزراق • وسقطت مئذنة جامع الفكاهين • وكتب بعمارة ما تهدم بالاسكندرية ، فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة ، وسبعة عشر برجا فعمرت •

وقدم البريد من صفد أنه في يوم الزلزلة سقط جانب من قلعة صفد ، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه الى البر ، فظهر في موضع الماء أشياء كثيرة في قعر البحر من أصناف التجارة ، وتشققت جدر جامع بني أمية بدمشق •

واستمرت الزلزلة خمس درج ، الا أن الارض أقامت عشرين يوما ترجف ، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى • وكان الزمان صيفا، فتولى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام • واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة في رم ما تشعث وبنى ما هدم ، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها ، فان القاهرة ومصر صارت بحيث اذا رآها الانسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها ، فكان في ذلك لطف من الله بعباده ، فانهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة ، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بما كان من هذه الزلزلة •

واتفق فيها الامر العجيب أن الامير بيبرس الجاشنكير لما رم ما تشعث من الزلزلة بالجامع الحاكمي ، وجد في ركن من المئذنة كف انسان بزنده قد لف في قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي ،

والكف طرى • ونبشت دكان لبان مما سقط في الزلزلة ، فاذا أخشابها قد تصلبت على اللبان وهو حي ، وعنده جرة لبن يتقوت منها عدة أيام ، فأخرج حيا لم يمسه سوء •

(المقريزي ١/٩٤٢ ــ ٩٤٣)

٧١٠ (من ٣١ مايو ١٣١٠ م)
* زلزلت شيرزور وتهدمت فيها أملاك ودور وهلك تحت الهدم جماعة • (المصري ٥٠)

٧١٧ (من ١٦ مارس ١٣١٧ م)
* حدثت الزيادة العظمى ببعلبك فغرق في البلد مائة وبضع وأربعون نسمة ، وجرف السيل سورها الحجارة مسافة أربعين ذراعا ، ثم تزلزل بعد مكانه مسيرة خمسمائة ذراع وكان ذلك آية بينة ، وتهدم من البيوت والحوانيت نحو ستمائة موضع •

(اليافعي ٤/٢٥٦)

٧٢٢ محرم (من ٢٠ يناير ١٣٢٢ م)
* حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وقى الله شرها •

(ابن كثير ١٤/١٠٠)

٧٣٩ رجب (من ١٣ يناير ١٣٣٩ م)
* وفيها حدثت زلزلة بطرابلس (الشام) في رجب هلك فيها ستون انسانا • (المقريزي ٢/٤٧٠)

٧٤١ ذى الحجة (من ١٨ مايو ١٣٤١ م)
* زلزلة عظيمة بمصر والشام مات فيها تحت الردم ما لا يحصى

وغرقت مراكب كثيرة وتهدمت جوامع ومواذن لا تعد .
(ابن العماد ٦/١٢٧)

٧٤٤ السبت ١٥ شعبان (٣ يناير ١٣٤٤ م)
※ جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها ، ولله الحمد والمنة ، ثم تواترت الاخبار بأنها شعثت في بلاد حلب شيئا كثيرا من العمران حتى سقط بعض الابراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جدا ، وذكروا أن مدينة منبج لم يبق منها الا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله
(ابن كثير ١٤/٢١١)

٧٤٨ السبت ٤ رمضان (٩ ديسمبر ١٣٤٧ م)
※ زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة .
(المقريزي ٢/٧٤١)

٧٤٩ (من ١ أبريل ١٣٤٨ م)
※ فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة ، وحدثت زلزلة عظيمة ، وامتد البحر من المينة (ميناء فاما جوسطة) نحو مائة قصبة ، فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت ، فظن أهل قبرص أن الساعة قامت ، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون ، ثم عادوا الى منازلهم ، فاذا أهاليهم قد ماتوا ، وهلك لهم ثلاثة ملوك .
(المقريزي ٢/٧٧٦)

٧٥٣ رمضان (من ١١ أكتوبر ١٣٥٢ م)
※ حدثت زلزلة في رمضان (في مصر) والناس في صلاة العشاء الآخرة .
(المقريزي ٢/٨٧٦)

٧٦٦ (من ٢٨ سبتمبر ١٣٦٤ م)
* كانت زلزلة عظيمة ، رأيت ذلك مكتوبا على ظهر كتاب ولم يعين بأي مكان كانت . (السيوطي ٥٦)

٧٦٨ (من ٧ سبتمبر ١٣٦٦ م)
* زلزلة هائلة بصفد . (ابن العماد ٦/٢١٠)

٧٧٥ جمادى الأولى (من ١٩ أكتوبر ١٣٧٣ م)
* زلزلة خفيفة (في القاهرة) (العسقلاني ١/٦٠)

٧٨٧ الثلاثاء ١٣ شعبان (٢٠ سبتمبر ١٣٧٣ م)
* زلزلت مصر والقاهرة زلزلة خفيفة (العسقلاني ١/٣٠٣)
* زلزلت القاهرة مرتين ، لكنها خفيفة .
(الصيرفي ١/١٢٠)

٧٨٨ الاثنين ١٨ جمادى الاخرة (١٨ يوليه ١٣٨٦ م)
* زلزلت القاهرة ومصر في الساعة الرابعة زلزلة خفيفة .
(الصيرفي ١/١٣٤)

٧٨٩ ٢٠ شعبان ــ ٣٠ رمضان (٦ سبتمبر ــ ١٤ أكتوبر ١٣٨٧م)
* حصل في ثغر عدن زلازل عظيمة ، ودامت من يوم ٢٠ شعبان الى سلخ شهر رمضان المعظم . (تاريخ اليمن ٤٦)

٧٩١ صفر (من ٣٠ يناير ١٣٨٩ م)
* اتفق في هذه السنة وقوع حادثة عظيمة ببلاد خراسان ، وهي أنه هبت بمدينة نيسابور رياح عاصفة في شهر صفر ، ارتجت الارض من شدة هبوبها ، وحدثت زلزلة مهولة ، تحركت الارض منها حركة

عنيفة ، حتى كان الانسان وغيره يرتفع عن موضعه قامتين وأكثر وصارت الارض تنتقل من موضع الى موضع ، فلم يبق شيء في جميع أقطار المدينة من البيوت والأسواق والمدارس ونحوها الا واهتز اهتزازا عظيما ، واستمر الحال كذلك الى ضحوة نهار اليوم الرابع ، فسكنت الزلزلة ، وأمن الناس واطمأنوا ، واذا بريح عظيمة هبت في الحال ، ثم تحركت الارض أقوى مما تحركت قبل ذلك ، وانقلبت بأهلها ، فصار عاليها سافلها ، وخربت المدينة ، وهلك أهلها ، فلم يسلم منهم الا النادر . وسلم سكان الفوقانيات ، وهلك سكان التحتانيات ، وسلم قوم كانوا في بعض الحمامات ، وقد خرجوا الى الدهاليز فاحتوى من بقى من الأراذل على أموال من قد هلك من الأماثل ، وترأسوا بعدهم . ثم بعد أشهر عمر من بقى عمارات بالقرب من المدينة التي هلكت ، وعملوا عاليها من الخشب والخيام . ومن غريب ما وقع في هذه الحادثة أن قرية انتقلت من مكانها الى مكان قرية أخرى ، فصارت فوقها بحيث لم يبق للتي كانت أولا أثر يعرف ، فكانت بين أهل القريتين عدة خصومات ومحاربات . واتفق أيضا أن رجلا كان في بيته ، فسقط البيت الا الموضع الذي فيه الرجل فانه لم يسقط ، وسلم الرجل . وكانت امرأة في الحمام، وقد أخذت لقمة وضعتها في فمها ، فسقط الحمام عليها ، فهلكت فيمن هلك ، فلما نبش عنها ، وجدت واللقمة في فيها لم تبلعها ، وولدها في حضنها ، ومئزرها في وسطها ، وقد أدخلت احدى رجليها في داخل الحمام ، ورجلها الاخرى من خارج ، لم تمهل حتى تدخلها بل هلكت قبل ذلك . وسلم مع ذلك الوقاد في أتون الحمام ، فانه ممن ألقته الارض عنها ، فحذفته الى العلو ،

وصار بالبعد عن موضعه فسلم . وقد اشتهر عند أهل نيسابور أنها خربت بالزلازل سبع مرات ، فكانت هذه المرة أشنع مما مضى، لانها تركت المدينة عاليها سافلها ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

(المقريزي ٣/٦٨٢ — ٦٨٣)

(القرن التاسع)

٨٠٢ ١٧ محرم (٢٠ سبتمبر ١٣٩٩ م)

* زلزلت دمشق ، وكانت زلزلة لطيفة . (العسقلاني ٢/٩٢)

٨٠٦ شعبان (من ١٣ فبراير ١٤٠٤ م)

* وفيه ورد الخبر بأن طرابلس الشام زلزلت بلادها زلزلة عظيمة هدمت مباني عديدة ، منها جانب من قلعة المرقب ، وعمت اللاذقية وجبلة وقلعة بلاطنس وثغر بكاس وعدة بلاد بالجبل والساحل ، فهلك تحت الردم جماعة . (المقريزي ٣/١١٢٢)
* وفيها في الثامن من شعبان زلزلت حلب وأعمالها زلزلة شديدة وخربت أماكن كثيرة . وزلزلت قبل ذلك في يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة وقت الاستواء ، ثم سكنت ، ثم زلزلت زلازل كثيرة متفرقة في طول السنة ، وكانت الزلازل بالجهة الغربية منها أكثر . (العسقلاني ٢/٢٦٢)
* وفي العشر الاخير من شعبان جاءت الاخبار بحدوث زلزلة عظيمة في البلاد الطرابلسية وانهدمت أبنية كثيرة، ووقع غالب قلعة المرقب وغيرها في أوائل رمضان منها .

(الصيرفي ٢/١٨٦)

٨٠٧ جمادى الاولى (من ٥ نوفمبر ١٤٠٤ م)

* زلزلت مدينة حلب زلزلة عظيمة ففزع الناس لها ولجأوا الى الله تعالى فسكنت ، ثم عاودت مرارا ولم تفسد شيئا ولله الحمد .

(العسقلاني ٢/٢٩٦)

٨٠٩ ذى القعدة (من ٩ أبريل ١٤٠٧ م)

* زلزلت أنطاكية زلزلة عظيمة ، فمات تحت الردم عدد كبير قيل مائة وقيل أكثر . (العسقلاني ٢/٣٥٥)

٨١١ ١٠ شعبان (٣٠ ديسمبر ١٤٠٨ م)

* جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس ، فخرب من اللاذقية وجبلة وبلاطنس أماكن عديدة ، وسقطت قلعة بلاطنس ، فمات تحت الردم بها خمسة عشر نفسا ، ومات بجبلة خمسة عشر نفسا ، وخربت ثغر بكاس كلها والقلعتين بها ، ومات جميع أهلها ، الا نحو خمسين نفسا ، وانشقت الارض وانقلبت قدر بريد من بلد القصير الى سلفوهم ، وأن بلد السلفوهم كانت فوق رأس جبل ، فنزلت عنه ، وانتقلت قدر ميل بأهلها وأشجارها وأعينها ومواشيها، وذلك ليلا لم يشعروا الا وقد صاروا الى الموضع الذي انتقلت اليه البلد ، ولم يتأذ أحد منهم . وكانت (الزلزلة) أيضا بقبرص فخربت منها أماكن كثيرة ، وكانت بالساحل والجبال ، وشوهد ثلج على رأس الجبل الاقرع ، وقد نزل الى البحر ، وطلع وبينه وبين البحر عشر فراسخ . وأخبر البحرية أن المراكب بالبحر الملح جلست على الارض بما فيها ، من انحسار البحر . ثم ان الماء عاد كما كان، ولم يتضرر أحد . (المقريزي ٤/٨٠)

٨١٦ ١٥ رمضان (١٠ ديسمبر ١٤١٣ م)

※ حصل في الجبال (اليمن) زلازل عظيمة ودامت قدر نصف رمضان المعظم وانهدم برج من حصن الخضراء ، وانشقت بركة وسال ما فيها من الماء ، واختلت حصون كثيرة في بلاد حمير منها حصن الصفراء وغيره وذلك في شوال سنة ٨١٦ .

(تاريخ اليمن ٩١)

٨٢٢ ١٧ صفر ، ١٩ ربيع الأول (١٦ مارس ، ١٧ أبريل ١٤١٩ م)

※ وفي هذا الشهر (صفر) اتفق وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع عشرة حدوث زلزلة بمدينة برصا ــ مملكة الروم ــ استمرت ثلاثة أيام بلياليها ، لا تهدأ ، فسقط سور المدينة ، وخربت عامة دورها، بحيث لم يبق بها دار الا سقطت أو هدم بها شيء . وانقطع من جبل قطعة في قدر نصف هرم مصر ، وسقطت الى الارض ، وتفجرت عدة أعين من وادي الازرق ، وانطمت عدة أنهر وكانت الزلزلة تأتي من جهة المغرب الى جهة المشرق ، ولها دوى كركض الخيل . ثم امتدت الزلزلة بعد ثلاثة أيام مدة أربعين يوما ، تعود كل يوم مرة أو مرتين وثلاث وأربع ، حتى خرج الناس الى الصحراء ، ثم تمادت سنة . (المقريزي ٤/٤٨٢ ، ٤٨٣)

※ كسفت الشمس قبل الزوال .. واتفق وقوع زلزلة في هذا اليوم في مدينة أرزنكان ، هلك بسببها عالم كثير وانهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير ، وهدمت قيسارية بناها جهة بلاد ابن عثمان وبرصا وما حولها وهلك بسبب ذلك ناس كثير .

(العسقلاني ٣/١٩٢)

* وفي ١٩ ربيع الاول وقعت زلزلة عظيمة في مدينة أرزنجان وهلك بسببها خلق كثير ، وكذلك وقع في اصطنبول وخرب منها مباني كثيرة . (الصيرفي ٢/٤٤٦)

٨٢٥ ٨ رجب (٢٩ يونية ١٤٢٢ م)

* حدثت بالقاهرة زلزلة خفيفة . (العسقلاني ٣/٢٧٣)

* وقعت زلزلة عظيمة بالقاهرة حتى هدمت عدة بيوت . (ابن اياس ٢/٨٣)

٨٢٦ ١٦ ، ١٧ ذى الحجة (٢١ ، ٢٢ نوفمبر ١٤٢٣ م)

* زلزلت القاهرة زلزلة كلمح البصر ، ثم زلزلت كذلك في ليلة الاحد. (المقريزي ٤/٦٤٨)

* في سابع عشر ذى الحجة زلزلت الارض بعد مضي ساعتين أو نحوها من الليل وكانت خفيفة . (العسقلاني ٣/٣٠٩)

٨٢٨ ٦ ، ١٧ شعبان (٢٤ يونية ، ٥ أغسطس ١٤٢٥ م)

* وفي يوم السبت سادسه حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الانسان سورة الاخلاص ، ثم زلزلت ثانيا مثل ذلك ثم زلزلت ثالثة ، فلولا أن الله لطف بسكوتها لسقطت الدور ، فان الارض مادت وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج من مكانه ثم عاد . (المقريزي ٤/٦٩٠)

* في السابع عشر من شعبان زلزلت الارض بمصر قدر درجتين ، وكان أمرا مهولا ، الا أنه لم يقع بها هدم شيء من الاماكن الا اليسير . (العسقلاني ٣/٣٤٨)

٨٣٠ شوال (من ٢٦ يولية ١٤٢٧ م)

* خسف (بمدينة بلنسية) وبما حولها نحو ثلثمائة ميل ، فهلك بها

من النصارى خلائق كثيرة • وزلزلت مدينة برشلونة زلزالا شديدا ، ونزلت بها صاعقة ، فهلك بها أمم كثيرة وخرج ملكها فيمن بقى فارين الى ظاهرها • (المقريزي ٤/٧٤٨)

※ ووقع بها (بالاندلس) خسف عظيم طوله نحو من ثلثمائة ميل • (ابن اياس ٢/١١٦)

٨٣٤ ١١ شعبان (٢٥ أبريل ١٤٣١ م)

※ كانت زلزلة عظيمة شديدة ، بعد صلاة الظهر ، بجزيرة الاندلس ، وبمرج غرناطة ، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا • وخسف بثلاث بلاد كبيرة في مرج أغرناطة ـ وهي بلد همدان وبلد أو طورة وبلد دارما ـ فابتلعت الارض هذه البلاد باناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها ، حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا ، وانخسف في كثير من البلاد عدة مواضع ، وسقط نصف قلعة أغرناطة ، وتهدم كثير من الجامع الاعظم ، وسقط أعلى منارته • ورؤي حائط الجامع يرتفع ثم يرجع ، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع ، ارتفع كذلك مرتين • وخاف رجل عند حدوث الزلزلة ، فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره ، فالتصق جانبا الباب ، وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته ، فعاد الحائط كما كان ، وتراجع جانبا الباب الى حالهما قبل الزلزلة • وأقامت الارض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز ، حتى خرج (الناس) الى الصحراء ونزلوا في الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم • (المقريزي ٤/٨٥٦)

٨٣٥ الاثنين ١٩ رمضان (٢١ مايو ١٤٣٢ م)

※ حدثت زلزلة من صبح نهار الاثنين •• في الساعة الثانية من النهار

وعمت أكثر البلاد في اليمن وأحس بها أكثر الناس .
(تاريخ اليمن ١٤٦)

٨٣٨ ٣ ربيع الاخر (٧ نوفمبر ١٤٣٤ م)
* قبيل الظهر بقليل حدثت زلزلة بالقاهرة اهتزت لها الدور هزة ، فلو طالت قليلا لاخربت ما زلزلت . (المقريزي ٤/٩٣٥)

٨٤١ شعبان (من ٢٨ يناير ١٤٣٨ م)
* حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر ، اهتز بي البيت مرتين ، الا أنها كانت خفيفة ولله الحمد . (المقريزي ٤/١٠٢٩)

٨٤٧ الاحد ٢٩ رمضان (٢١ يناير ١٤٤٤ م)
* نزل بتهامة اليمن من السماء رماد أبيض ليلا وسمعت رجفات في تلك الليلة ودوى فاصبحت الارض مستورة بالرماد من عدن الى الحجاز وشيء من الجبال فسبحان الفعال لما يشاء وبهذه السنة يؤرخ من أدركناه من عوام أهل زبيد فيقولون سنة الرماد والله أعلم . (ابن الديبع/بغيةالمستفيد ٧٧)

٨٦١ (من ٢٩ نوفمبر ١٤٥٦ م)
* زلزلة عظيمة بارزنكان هدمت معظمها .
(السيوطي ٥٨)

٨٦٣ محرم (من ٨ نوفمبر ١٤٥٨ م)
* كانت زلزلة عظيمة بالكرك ، أخربت أماكن من قلعتها ومسورها وأبراجها ، وماتت مائة نفس . (السيوطي ٥٨)
* وحدث في القاهرة زلزلة لكنها كانت خفيفة ، ووقع مثلها بالبلاد

الشامية ، وكانت هناك زلزلة شديدة صعبة ، وقع منها عدة دور ما بين القدس والخليل • (ابن اياس ٢/٣٥٠)

٨٧١ ٧ جمادى الاولى (١٦ ديسمبر ١٤٦٦ م)

※ وفي فجر يوم الاثنين •• حصلت بمدينة زبيد زلزلة عظيمة فزعت الناس ، وحصلت أخرى في ثاني يومها قبل صلاة الظهر ، لكنها دونها • (ابن الديبع ـ بغية المستفيد ١٤٠)

٨٨١ رجب (من ٢٠ أكتوبر ١٤٧٦ م)

※ زلزلت مصر زلزلة لطيفة ليلا • (السيوطي ٥٨)

※ وقع بالقاهرة زلزلة في الليل، وكانت مهولة ، وقع منها بعض أماكن، ولو أنها دامت (درجة) أخرى حصل منها غاية الضرر للناس •
(ابن اياس ٣/١٢١)

٨٨٦ الاحد ١٧ محرم (١٩ مارس ١٤٨١ م)

※ زلزلت مصر •• بعد العصر زلزلة صعبة ماحت منها الارض والابنية موجات ، وسقطت بسببها شرافة أو قطعة من علو المدرسة الصالحية • (السيوطي ٥٨)

※ كانت مهولة بمصر والقاهرة ماجت منها الارض وتحركت المآذن ومالت ، وسمع للارض دوى كدوى الرحا وكان ذلك بعد العصر، فاستمرت نحو ثلاث درج وهي في اضطراب ، حتى دهشت منها الناس ، وخرجت النساء من البيوت وهن حاسرات عن وجوههن وحصل للناس غاية الرعب •

※ ومات من هذه الزلزلة قاضي القضاة شرف الدين موسى بن عيد الدمشقي الحنفي ، وكان جالسا بايوان المدرسة الصالحية ، فقام

حين وقعت الزلزلة ، فسقط عليه ساقط من أعلى الديوان ، فمات لوقته . (ابن اياس ٣/١٧٨)

٨٨٨ الاحد ٩ جمادى الاولى ، ربيع الآخر (١٦ يونيه ، من ٩ مايو ١٤٨٣م)
* حصلت (بمصر) زلزلة لطيفة . (السيوطي ٥٨)
* وفي ربيع الآخر ، وقعت في القاهرة بعد العشاء زلزلة ، لكنها كانت خفيفة ولم تدم ، ولو دامت قدر درجة حصل منها غاية الفساد .
(ابن اياس ٣/٢٠١)

٨٨٩ الخميس ١٢ ربيع الآخر (١٠ مايو ١٤٨٤ م)
* زلزلة عظيمة بمدينة زبيد حتى اهتزت سقوف البيوت وخرج أهلها منها خائفين على أنفسهم ، وكذلك أهل الاسواق واستدام ذلك الى غروب الشمس . (ابن الديبع ـ بغية المستفيد ١٧٢)

٨٨٩ ربيع الاول (من ٢٩ مارس ١٤٨٤ م)
* زلزلت حلب ست مرات أو أكثر زلزلة شديدة مهولة .
(السيوطي ٥٩)

٨٩٠ (من ١٨ يناير ١٤٨٥ م)
* وفي هذه السنة التي تليها حصلت في مدينة زبيد ونواحيها بل وفي سائر البلاد فيما قيل زلازل عظيمة وتوالت وكثرت وأشفق الناس منها اشفاقا عظيما حتى حصلت زلزلة في مدينة زبيد يوم جمعة بعد الصلاة اضطربت لها المدينة اضطرابا عظيما حتى حصلت أهل سوق الخان بزبيد منه لشدة الخوف على أنفسهم حفاة بغير أردية وتركوا خزائنهم مفتحة كما هي فيها أموالهم وتجارتهم والثياب مطروحة على مفارش خزائنهم وكان من في البيوت يسمع

على السقوف حركة شديدة ولم يقدم الى زبيد أحدا من ناحية في تلك الايام الا حدث أنه وجد ذلك في البلد التي قدم منها ولا حول ولا قوة الا بالله . (ابن الديبع ـ بغية المستفيد ١٧٤)

٨٩٦ ١٥ ، ٢٢ جمادي الآخرة (٢٦ أبريل ، ٣ مايو ١٤٩٠ م)

* زلزلت مصر زلزلة لطيفة يوم الاحد نصف الشهر ثم زلزلت أيضا يوم الاحد ثاني عشرينه . (السيوطي ٥٩)

* في جمادي الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد المغرب وماجت منها الارض ثم سكتت . (ابن اياس ٣/٢٨١)

القرن العاشر

٩٠٥ الجمعة ٢٧ ذى الحجة (٢٥ يولية ١٥٠٠ م)

* وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء ، وأقامت نصف درجة ، ولو دامت لافسدت . وقد شاهدوا وقت وقوع الزلزلة بعض النجوم في السماء تتناثر . (ابن اياس ٣/٤٤٣)

٩٠٦ الثلاثاء ٦ رجب (٢٩ يناير ١٥٠١ م)

* حصلت بمدينة زبيد هزة عظيمة سمعت في جميع نواحي البلد . ابن الديبع ١٤٦)

٩٠٧ ١١ جمادى الاولى (٢٣ نوفمبر ١٥٠١ م)

* وفي ليلة السبت الحادي عشر من جمادي الاولى ويومها ، حصل بمدينة زبيد ونواحيها زلازل ، تواترت ليلا ونهارا ، وأشفق الناس منها . (ابن الديبع ١٦٦)

٩٠٨ (من ٧ يوليه ١٥٠٢ م)
* زلزلت مدينة الموصل وتبريز وأذربيجان ومدينة أخلاط ، وانهدم بعض البيوت ثم سكنت . (الحلبي ٥٧)
* فيها حصل بمدينة عدن زلازل عظيمة تواترت ليلا ونهارا ووقع بها حريق عظيم احترقت فيه دور كثيرة بلغ عدتها تسعمائة بيت وذهب من الاموال والانفس ما لا يعلمه الا الله تعالى .

(ابن العماد ٨/٣٦)

٩١٠ ١٩ صفر (١٢ أغسطس ١٥٠٤ م)
* وفي ليلة الجمعة .. حصل بمدينة زبيد زلزلة عظيمة ، وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع زلزالا عظيما شديدا ، ووقع بعض بيوتها ، وخرج أهل البيوت الى الساحل ، ولم يرجعوا الى منازلهم الا صباحا .

(ابن الديبع ١٨١)

٩١٤ ليلة الثلاثاء سلخ المحرم (١ مايو ١٥٠٨ م)
* زلزلت مصر زلزلة لطيفة . (السيوطي ـ الداودي ٦٢)

٩١٥ الاثنين ١٧ محرم (٧ مايو ١٥٠٩ م)
* زلزلت مدينة زبيد، وسمعت على السطوح حركات شديدة، وتقلبت الآنية في الرفوف . (ابن الديبع ٢٢٠)

٩١٦ جمادى الاخرة (من ٥ سبتمبر ١٥١٠ م)
* جاءت الاخبار بأن وقع باسطنبول زلزلة مهولة حتى أرمت المآذن وأخرجت عدة أماكن وهلك بسببها من الناس ما لا يحصى ، وهذه

كرسي مملكة ابن عثمان ، وكانت حادثة عظيمة .

(ابن اياس ٣/١٩٣)

— (٢١ يناير ١٥١١ م)

※ وفي ضحى يوم الثلاثاء ، العشرين من شوال ، زلزلت مدينة زبيد زلزالا شديدا ، ثم زلزلت مرة أخرى في نصف ليلة الاربعاء ، سلخ الشهر المذكور ، ثم زلزلت ثالثه (ضحى) يوم الاربعاء المذكور ، وانقض في عصر ذلك اليوم كوكب عظيم من جهة المشرق آخذا في جهة الشام ، ورؤى نهارا ، وحصل عقيبه رجفة عظيمة ، كالرعد الشديد ، وزلزلت مدينة موزع ، ونواحيها زلزالا عظيما ما سمع بمثله على ما كتب به الى قاضيها الفقية محمد بن أحمد الموزعي ، فقال : حدثت في آخر شهر شوال ، واستمرت الى الان ، يعني في آخر شهر ذى الحجة الحرام يتردد ليلا ونهارا منها زلازل صغار ، وزلازل كبار ، وقد أضرت بأهل الجهة اضرارا عظيما حتى تصدعت البيوت الوثيقة الكبار ، وخربت البيوت الضعيفة البناء ، وما سلم بيت من التشعث وتشققت الارض المعدة للزراعة، وتهجمت القبور، واخترط جملة من الآبار ، والى الان لم ترتفع فالله تعالى يرفعها من المسلمين . (ابن الديبع ٢٣٥)

— (١ مارس ١٥١١ م)

※ وفي عصر الخميس التاسع والعشرين من ذى القعدة ، زلزلت مدينة زبيد زلزلة عظيمة ، وكذا في ليلة الجمعة ، سلخ الشهر المذكور . (ابن الديبع ٢٣٧)

— (٨ مارس ١٥١١ م)
※ زلزلت القاهرة يوم الجمعة ٧ من ذى الحجة .
(السيوطي — الداودي ٦٢)

٩١٧ ١٤ ربيع الاول (١٢ يونية ١٥١١ م)
※ زلزلة شديدة بمدينة زبيد . (ابن الديبع ٢٤٢)

٩١٨ الاثنين ٢٠ محرم (٨ أبريل ١٥١٢ م)
※ زلزلت (مصر) مقدار ربع درجة قبل الظهر .
(السيوطي — الداودي ٩٢)

٩١٩ الاثنين ٢٠ محرم (٢٩ مارس ١٥١٣ م)
※ وقعت زلزلة خفيفة (بالقاهرة) ، واستمرت تعاود الناس ثلاث مرار ، والارض تضطرب اضطرابا ظاهرا .
(ابن اياس ٤/٢٩٧)

٩٢٩ ١٨ جمادى الاولى (٥ أبريل ١٥٢٣ م)
※ وفي ليلة السبت .. وقعت زلزلة لطيفة بالقاهرة بعد أذان العشاء الآخرة بنحو عشر درج ، مكثت نحو نصف درجة ، ارتجت فيها الحيطان والسقوف . (السيوطي — الشاذلي ٦٣)

٩٣١ ١٤ جمادى الآخرة (٩ أبريل ١٥٢٥ م)
※ وفي ليلة الجمعة .. حصلت (بالقاهرة) زلزلة لطيفة .
(السيوطي — الداودي ٦٢)

٩٣٣ الاحد ١٥ شوال (١٦ يولية ١٥٢٧ م)
※ وقعت زلزلة لطيفة (بالقاهرة) في ضحوة الاحد .
(السيوطي — الداودي ٦٢)

٩٣٦ ١٠ ربيع الاول (١٣ نوفمبر ١٥٢٩ م)
* قال الشاذلي وقعت قبل الفجر بنحو عشر درج زلزلة بالقاهرة ، وأنا بالمئذنة فماجت المئذنة منها موجا عظيما ، وارتجت رجا شديدا . ومكثت تموج نحو درجتين أو ثلاث . (السيوطي ٦٣)
* وفي ليلة الاربعاء زلزلت مصر زلزلة لطيفة جدا .
(السيوطي ـ الداودي ٦٣)

٩٤٠ ٨ رمضان (٢٤ مارس ١٥٣٤ م)
* بعد فجر يوم الاثنين .. (زلزلت مصر زلزلة لطيفة) .
(السيوطي ـ الداودي ٦٣)

٩٤٣ ١٦ رجب ، ١٧ رمضان (٣٠ ديسمبر ١٥٣٦ م ـ ٢٨ فبراير ١٥٣٧ م)
* وقعت زلزلة لطيفة جدا (بالقاهرة) ـ (عن الداودي) .
* وهذه الزلزلة وجدت بالشام أيضا . وأردفها في تلك السنة زلزلة لطيفة سابع عشرى رمضان (عن بدرالدين الغزي) .
(الحافظ ٢٦١)

٩٤٤ (من ١٠ يونيه ١٥٣٧ م)
* وفيها زلزلت مدينة أنطاكية زلزلة عظيمة سقط منها جدران كثيرة ثم زلزلت مدينة دمياط ، واستمرت تتزلزل أربعة أيام ، كل يوم خمس مرات . (الجلبي ١٦٤)

٩٧١ الاثنين ١٤ المحرم (سبتمبر ١٥٦٣ م)
* وفي ليلة الاثنين وقعت زلزلة ورجفة شديدة بمصر ، ومعها دوى في الارض ، واستمر أكثر من درجة ، بل قريبا من درجتين وتهدم منها بعض البيوت ، وانشق جدران . (عن بدرالدين الغزي) .
(الحافظ ٢٦١)

٩٧٢ الاربعاء ١٨ ذى الحجة (١٨ يولية ١٥٦٥ م)
※ وقعت ليلة الاربعاء •• زلزلة ورجفة مع دوى في الارض ، واستمر نحو درجة (عن بدرالدين الغزي) •
(الحافظ ٢٦١)

٩٧٧ الجمعة ١ محرم (١٦ يونيه ١٥٦٩ م)
※ زلزلت الارض (بالمغرب) زلزالا شديدا وفزع الناس لذلك •
(الناصري ٥/٨٨)

٨٩٠ غرة شوال (٤ فبراير ١٥٧٣ م)
※ قال الشاذلي : وقعت زلزلة بعد العصر لطيفة لم يحصل منها شيء •
(السيوطي ٦٤)

٩٩١ (من ٢٥ يناير ١٥٨٣ م)
※ زلزل جبل في اليمن ثلاثة أيام ، كل يوم عشرين مرة ، وفي اليوم الرابع تقطع الجبل أربع قطع وخرج منه دخان عظيم •
(الجلبي ٢٠٥)

٩٩٦ الاحد ٤ صفر (٥ يناير ١٥٨٧ م)
※ قال الشاذلي : وقعت زلزلة بالقاهرة مكثت نحو خمس درج (بعد الظهر بيسير) ماجت المآذن ووقع بعض رؤوس منها •
(السيوطي ٦٤)
※ وقعت في أوائل صفر زلزلة عظيمة وقعت منها قلعة تبوك والحجاج بها (عن النجم الغزي) •
(الحافظ ٢٦٠)

١٠٠٠ (من ١٩ أكتوبر ١٥٩١ م)
※ زلزلت مصر القاهرة ثلاث مرات ثم سكنت •
(الجلبي ٣٠٧)

تحليل السجل ونتائجــه

* يبدأ السجل بعام ٢٠ هجرية، زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. ولا يعني ذلك أنه لم تقع أية زلازل قبل ذلك العام ، ولكنه أول تأريخ محدد للزلازل بعد الهجرة . فقد ذكرت المصادر أن زلزالا حدث على عهد النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر سني الهجرة أي قبل سنة عشرين ولم يحدد التاريخ (السيوطي : ٢٢) .

أما الزلازل التي حدثت قبل البعثة ، فقد أشارت المصادر العربية الى مجموعة من الاخبار التي أوردها المفسرون عن أحداث زلزالية تقترن بأخبار الانبياء عليهم السلام ، ولعل أهمها وأقربها الى تاريخنا الزلزال الذي أصاب مكة يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتأثرت به الشام وتحطم نتيجته ايوان كسرى في فارس (السيوطي : ص ٢٠ ، ٢١).

* لم تتوافر عن عمان وشرق الجزيرة العربية أية بيانات عن أحداث الزلازل بها ، وسبب ذلك أن هذه المناطق ليست من مناطق النشاط الباطني كما هو الحال في غرب الجزيرة العربية أو مناطق الضعف القشري في بلاد الشام ، واذا ما حدث وأن تأثرت بأحداث الزلازل القريبة منها (في ايران) فان ذلك لن ينتج عنه الا زلازل ضعيفة جدا لا تستحق التسجيل عند مؤرخي تلك المناطق .

كما يلاحظ قلة الاخبار عن الزلازل التي حدثت ببلاد أفريقية والمغرب والاندلس اذ لا يتجاوز عددها عشرة أحداث رغم أن المغرب العربي من المناطق التي تكثر فيها الزلازل . وربما يعود ذلك الى قلة اهتمام المؤرخين المغاربة بمثل تلك الاحداث .

* يرتبط عدد من الزلازل الواردة في السجل بحدوث رياح عاصفة أو كسوف للشمس قبل أو بعد الزلزلة، ويتمثل ذلك في أحداث عام ٢٧٨هـ ،

٢٨٠ هـ ، ٢٨٩ هـ ، ٥٧٣ هـ ، ٧٤٩ هـ ، ٨٢٢ هـ •

وربما كانت مثل هذه الملاحظات هي التي دفعت أرسطو الى الربط بين الرياح وبين حدوث الزلازل ، وكذلك رأيه في أن « الزلزلة قد تحدث من كسوف الشمس لان حر الشمس لا يصل الى الهواء كمثل وصوله قبل ، فيحتقن البخار ولا يعلو كمثل علوه قبل ذلك ، فيضطرب بالارض هنالك فتكون لذلك الزلزلة » • (أرسطو : ٧٩ ، ابن سينا : ١٨)

* يفيد أحد النصوص التي لم نوردها في السجل الى أن الفلكيين كانوا يتنبأون بحدوث الزلازل ، يقول العسقلاني (٣٧/٢) عن سنة ٨٠١هـ : « كان أولها يوم الجمعة وكان أهل الهيئة ذكروا أنه يقع في أول يوم منها زلزلة ، وشاع ذلك في الناس ، فلم يقع شيء من ذلك وكذبهم الله سبحانه وتعالى » •

وهذا الخبر يدل على أن هناك محاولات للتنبؤ بالزلازل بغض النظر عن الاسلوب المتبع في ذلك •

* يتضح من النظرة العامة للسجل أن هناك نوعين من الزلازل ، النوع الاول هو الزلازل الاقليمية التي تصيب منطقة بعينها ، والنوع الثاني هو الزلازل العامة التي تصيب مجموعة من الاقاليم دفعة واحدة •

وفي ضوء الاحداث الواردة في السجل يمكن تقسيم الرقعة الجغرافية التي تضمنها الى سبع مناطق زلزالية هي : ايران ، والعراق ، والشام ، وغرب الجزيرة العربية ، ومصر ، والشمال الافريقي ، وبلاد الاندلس ، حيث نجد أن الزلازل التي تتأثر بها هذه المناطق لا تتأثر بها المناطق الاخرى الا تأثرا ثانويا ومثال ذلك الزلازل التي أصابت خمس مدن ايرانية هي : خوزستان وأرجان وايذج وخراسان وبيهق عام ٤٤٤هـ لم تتأثر بها المناطق الاخرى • كما أن الزلزال الذي أصاب أربع مدن في

العراق هي بغداد وواسط وعانة وتكريت لم تتأثر به سوى همذان في فارس • والزلازل التي حدثت عامي ٥٥١ ، ٥٥٢ هـ في بلاد الشام لا نجد ما يقابلها في المناطق الاخرى •

وفي تقديري أنه لابد من دراسة تفصيلية ميدانيــة لكل المناطق المذكورة مبنية على هذه المعلومات المحققة بحيث يمكن تحديد خطوط الضعف القشرى في كل منطقة ، والتعرف على ما خلفته الزلازل من تأثير في السحنات الجيولوجية للمنطقة ، وفي أشكال السطح الناشئة عنها ، وما اذا كانت هناك دورات للنشاط الباطني في كل منطقة • وتوضــح الخريطتان ١ ، ٢ المدن التي تعرضت للزلازل في أقاليم الجزيرة العربية وايران والعراق والشام، وقد استعنا بعدد من الاطالس التاريخية لتوضيح مواضع المدن •

أما عن النوع الثاني وهو الزلازل العامة التي تؤثر في عدة أقاليم، فمنها زلزال عام ٢٤٥ هـ الذي تأثرت به بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام وغرب الجزيرة العربية والعراق وايران ، وزلزال عام ٦٠٠ هـ الذي عم معظم الاقاليم المذكورة • وفي بعض الاحيان تشير مصادر السجل الى حدوث زلازل عامة دون أن تحدد مكانها ؛ ومن ذلك قول المنصوري عن سنة ٢٤١ هـ « كانت الزلازل عامة في الدنيا » وقول الدواداري عن سنة ٤٨٨ هـ « وفيها كانت زلزلة عظيمة عامة » •

* سجلت المصادر التاريخية مجموعة من أحداث الزلازل البحرية ، وعلامتها انسحاب المياه من الساحل الى داخل البحر ، وبعد فترة تعود المياه الى الساحل بسرعة كبيرة ، وفي شكل موجات مد عالية يصل ارتفاعها أحيانا الى ١٢ مترا • مما يؤدي الى تحطيم المراكب الراســية في الموانى ، واحداث الدمار في المنشآت العمرانية الواقعة على الساحل • ويطلق على

هذه الموجات في الوقت الحاضر مصطلح ياباني هو « التسونامي Tsunami » وواضح من وصف العرب لهذه الظاهرة أنهم كانوا مدركين تماما علاقتها بالزلازل ، فأخبار انحسار البحر وعودته مرة أخرى تأتي دائما مقترنة بأحداث زلزال معين .

وقد تسببت الزلازل البحرية في عدد من الكوارث ، ففي عام ٣٩٨ هـ وقعت رجفة في شيراز غرقت بسببها مراكب كثيرة في البحر . وفي عام ٤٦٠ هـ انحسر البحر عن الساحل في بلاد الشام مسافة يوم ، فنزل الناس الى أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم فأهلك خلقا كثيرا . وفي عام ٧٠٢ هـ انحسر البحر من جهة عكا قدر فرسخين ، وانتقل عن موضعه الى البر . وفي عام ٤٦٢ هـ انخسفت أيلة (على خليج العقبة) كلها وانجفل البحر في وقت الزلزلة حتى انكشفت أرضه ومشى الناس فيه ثم عاد الى حاله .

وأدت الامواج الناتجة عن زلزال عام ٧٠٢ هـ الى هيجان البحر على سواحل الاسكندرية ، مما أدى الى تهدم أبراجها وغرق قماش القصارين وغلال كثيرة على ساحل البحر . وفي قبرص تسببت هذه الزلازل في غرق المراكب وتكسرها على الساحل في عامي ٥٩٧ ، ٧٤٩ هـ .

ونستنتج من كل ذلك أن هذه الظاهرة التي نأخذ أمثلتها دائما من سواحل المحيط الهادي ، وبخاصة عند الجزر اليابانية وجزر هاواي لها حدوث في منطقتنا العربية ، وهو أمر لم تشر اليه قط المراجع العربية التي عالجت موضوع الزلازل .

* توجد بعض الاشارات الى الثورانات البركانية التي صاحبتها زلازل ، وأهم تلك الاشارات ما ورد في خبر الانبثاقات اللابية التي حدثت على

طول أحد الصدوع الواقعة شرقي المدينة المنورة عام ٦٥٤ هـ والتي دام نشاطها قرابة ثلاثة أشهر • ويبدو أن هذا الحدث مرتبط بنشاط بركاني عام في غربي الجزيرة العربية ، ففي سنة ٦٥٢ هـ نشطت مجموعة من البراكين في عدن ، وقد أثبتنا هذا الحدث رغم أنه لم يكن مصحوبا بزلازل وذلك لارتباطه بالنشاط الباطني • وفي سنة ٩٩١ هـ زلزل جبل في اليمن ثلاثة أيام كل يوم عشرين مرة ، وفي اليوم الرابع تقطع الجبل أربع قطع وخرج منه دخان عظيم •

وعادة ما تكون الهزات الزلزالية المرتبطة بالنشاط البركاني هزات ضعيفة ، ويكون تأثيرها في مناطق الانبثاقات اللابية ، سواء كانت صدوعا أو براكين ، ومراكزها قريبة من سطح الارض • ولذلك لم يذكر عن الزلازل التي صاحبت النشاط اللابي الذي حدث في المدينة أية حوادث تخريبية •

❋ ابتداء من عام ٧٠٢ هـ يذكر السجل الزمن الذي تمكثه الزلزلة ، ويبنى عليه أيضا مقدار التخريب الذي قد تحدثه الزلزلة • ففي العام المذكور كان الزلزال المدمر الذي عصف ببلاد الشام ومصر فأقامت الارض تهتز نحو ربع ساعة فلكية في تقدير الدواداري وخمس درج في تقدير المقريزي أي ما يعادل عشرين دقيقة وأضاف أن الارض أقامت ترتجف عشرين يوما ، أي أن القياس منحصر في الهزة الرئيسية الاولى • وفي عام ٩٩٦ هـ وقعت بالقاهرة زلزلة مكثت مقدار خمس درج أيضا ماجت منها المآذن وسقطت بعض رؤوس منها • وفي عام ٨٨٦ هـ كانت زلزلة مهولة بمصر والقاهرة ماجت منها الارض وتحركت المآذن ومالت، وسمع للارض دوى كدوى الرحا ، واستمرت نحو ثلاث درج وهي في اضطراب •

وفي عام ٨٨٨ هـ وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة لو دامت قدر درجة حصل منها غاية الفساد ، وفي عام ٩٠٥ هـ وقعت بالقاهرة زلزلة مثلها ، وأقامت نصف درجة ولو دامت لأفسدت . وفي عام ٩١٨ زلزلت مصر مقدار ربع درجة ، وفي عام ٩٢٩ هـ وقعت زلزلة لطيفة في القاهرة مقدار نصف درجة ارتجت فيها الحيطان والسقوف وفي عام ٩٣٦ هـ وقعت زلزلة بالقاهرة ماجت منها المئذنة موجا عظيما ومكثت تموج نحو درجتين في الارض واستمرت أكثر من درجة بل قريبا من درجتين أو ثلاث وتهدم منها بعض البيوت ، وانشق جدران . وفي عام ٩٤٤ هـ وقعت زلزلة ورجفة شديدة بمصر ومعها دوى .

وواضح من هذه النصوص التي حرصت على ايرادها جميعا على أن القياس المذكور ليس قياسا لقوة الزلزلة وانما هو قياس لزمنها فقط ، فالزلزال المدمر الذي حدث عام ٧٠٢ هـ ليس بدرجة القوة التي كان عليها زلزال عام ٩٩٦ هـ الذي استغرق نفس الفترة .. غير أن هناك ما يفيد

أن الزلزال لا يكون مدمرا الا اذا زادت فترته عن مقدار درجة ، ويزداد شدة كلما زاد عن ذلك . ويبدو أن القياس الزمني لمدة الزلزلة لم يستخدم الا في مصر .

أما عن قوة الزلزلة فقد استعمل الكتاب العرب ألفاظا مختلفة للدلالة على درجة القوة ، منها : زلزلة شديدة مهولة ، زلزلة شديدة جدا، زلزلة شديدة ، زلزلة مهولة ، زلزلة هائلة ، زلزلة عظيمة ، زلزلة متوسطة، زلزلة لطيفة أو خفيفة .

* نقرأ في السجل أخبارا متعددة عن التغيرات التي تطرأ على أشكال سطح الارض نتيجة الزلازل ، فمن ذلك نضوب العيون أو توقفها عن التدفق

فترة من الزمن ، مثلما حدث عام ١٨٧ هـ حيث تضب ماء المصيصة ساعة من الليل ، وفي عام ٢٤٥ هـ غارت عيون مكة . وقد تتفجر العيون كما حدث في زلزال عام ٦٦٠ هـ في بلاد الشام والعراق . أو تظهر الفوارات الحارة كما حدث في عام ٤٤٠ وفي غنجرة من بلاد الروم .

وعن تلك الظاهرة يقول الكرخي :

« وعند التزلزل تغور عيون وتظهر عيون في بعض أوقاته وتنتقل عيون من مكان الى مكان والسبب في ذلك أنه يكون في بطن الارض عروق تجرى فيها الماء الى عيون ظاهرة فوق الارض وما يكون حول العرق من تربة الارض يكون صلبا واذا كانت الزلزلة التي سببها خروج البخار المجتمع في بطن الارض فاذا أصاب مجرى الماء خلل تربته فوجد الماء منافذ أخر أقرب الى المركز فخرج في واحد منها وانقطع عن المجرى الاول وربما كان ماء محتبسا في بطنها فيخرق البخار محبسه ويجعل له طريقا الى وجه الارض فينبع منه ، وشوهد ذلك كثيرا ، ولا يكون ما ذكرته الا في أرض مختلفة التربة .

وأما في الارض التي رخاوتها أو صلابتها على صفة واحدة فانه يقل غور مياه عيونها وقنيها وقد يزيد ماء القناة وينقص عند الزلزلة على ما ذكرنا »(٥) .

وتتعرض الجبال للصدوع والتداعي والانهيارات، ففي عام ٢٢٥هـ كانت رجفة في الاهواز عظيمة تصدعت منها الجبال . وفي عام ٥٦٥ هـ انشق جبل لبنان المطل على بعلبك شقا لا يعرف له انتهاء .

(٥) الكرخي محمد بن الحسن : انباط المياه الخفية حيدر آباد ، ١٣٥٩هـ ، ص ٢٢ .

وتتمثل الانهيارات فيما حدث عام ٢٣٩ هـ حيث تقطع الجبل المطل على طبرية قطعة طولها ثمانين ذراعا في خمسين ذراعا • وفي عام ٣٠٠ هـ سقطت قطعة عظيمة من جبل لبنان في البحر •

أما أفضل وصف للتغيرات التي يتعرض لها سطح الارض نتيجة للنشاط الباطني فهو ماجاء في وصف الاحداث البركانية والزلزالية التي كانت في شرقي المدينة المنورة عام ٦٥٤ هـ ، حيث كان للنشاط البركاني الاثر الاكبر في التغييرات التي نجد تفصيلها في أحداث ذلك العام ، فقد تكون سد من الطفوح البركانية في وادي الشظاة مما أدى الى احتجاز السيل في ذلك الوادي ، ونشأت خلف السد بحيرة استمرت عدة سنين •

* يمكن أن توضح المعلومات الواردة في سجل الزلازل مجموعة من المؤشرات على مواقع العمران القديمة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي، والتي لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر ، وهناك مجموعة من الاخبار التي تدل حدوث خسوف أدت الى اختفاء قرى كاملة ، فمن ذلك زلزال عام ٢٤٠ بالقيروان ، حيث خسف بثلاث عشرة قرية لم ينج من اهلها سوى ٢٤ رجلا ، وزلزال عام ٣٤٦ هـ حيث خسف ببلد الطالقان وبمائة وخمسين قرية من قرى الري ، وزلزال عام ٨٣٤ هـ الذي خسف بثلاث قرى هي همدان وأوطورة ودارما في مرج غرناطة بالاندلس « حتى صار من يمر حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا ••• » •

وقد يكون الامر عكسيا ، فينتج عن الاحداث الزلزالية ظهور آثار لقرى أو لحضارات سابقة كانت مطمورة في الارض • ومثال ذلك ما حدث في زلزال عام ٤٤٤ هـ الذي تأثرت به بلاد فارس ، فكان من نتيجته أن انفرج جبل كبير قريب من أرجان وانصدع ، فظهر وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت في الجبل •• « وفي الزلزال الذي تأثرت به

خيبر عام ٤٦٠ هـ يذكر ابن الجوزي أن الارض قد انشـقت عن كنوز من المال » •

ان دارس الجغرافية التاريخية للمنطقة العربية والاسلامية سيجد فائدة كبيرة من تتبع هذه المعلومات التي وفرها الباحث له في سـجل الزلازل ، وستثرى تلك المعلومات البحث في دراسة تغير مواضع المدن نتيجة لتعرضها للزلازل •

※ نخرج من السجل بتصور كاف عن مقدار الدمار الذي تحدثه الزلازل في القوى البشرية ، حيث يكون الضحايا بالالآف • وربما بادت قرية أو بلدة كاملة ، كما حدث في الرملة عام ٤٦٠ هـ اذ خسفت المدينة ولم يبق منها سوى دربين ، وكان عدد الضحايا فيها ١٥٠ ألفـا • وأتى الخسف الذي حدث عام ٥٣٣ هـ في جنزة على ٢٣٠ ألف نسمة •

وتدل أرقام الضحايا الواردة في السجل وتفاوتها على أنها مبنية على احصاء رسمي للموتى • ففي زلزال عام ٢٤٢ هـ في قومس كان عدد الضحايا ٤٠٩٦ نسمة وفي نابلس عام ٤٢٥ هـ بلغ ٣٠٠ نسمة • وبلغ في طرابلس عام ٧٢٩ هـ ستين نسمة • وفي أنطاكية عام ٨٠٩ هـ مائة نسمة• بينما يرتفع العدد كثيرا في الزلازلالعامة التي تجتاح مجموعة من الاقاليم مثل زلزال عام ٥٩٧ هـ الذي أصاب بلاد الشام والعراق والروم وفارس، فقد وصل عدد ضحاياه الى مليون ومائة ألف نسمة •

وكانت ترسل الى الحكام كتب يوصف فيها الزلزال وعدد ضحاياه، فمن ذلك ما رواه الطبري عن زلزال عام ٢٨٠ هـ في أردبيل اذ أشار الى ورود كتاب الى السلطان في وصف الحدث ، وأنهم دفنوا الى حين كتب الكتاب ثلاثين ألف نسمة • وفي الزلزالالذي تعرضت له تبريز عام ٤٣٤هـ

ينص ابن الجوزي على الاحصاء فيقول : « واحصى من هالك تحت الهدم فكانوا قريبا من خمسين ألف انسان » •

ويبلغ عدد الزلازل التي نص فيها على عدد الضحايا ١٧ زلزالا فقط، أما العدد الاكبر فيشار الى عدد الموتى بعبارة عامة مثل : « هالك تحت الردم خلق عظيم » أو « مات تحت الردم مالا يحصى » •

وغني عن البيان ما تحدثه هذه الظاهرة من تغيرات في تركيب السكان واعادة توزيعهم • فغالباً ما ينتج عن ذلك هجرات من أو الى الاماكن المنكوبة •

* يتضح من السجل ردود فعل الناس تجاه الزلازل، ففي الزلازل العظيمة يخرج الناس الى الصحراء ، كما حدث في مصر عام ٣٤٠ هـ و ٧٠٢ هـ • وقد أشار المقريزي الى حوادث السرقات التي تكون اثر ترك الناس لدورهم دون التفات الى ما فيها من الاموال لفزعهم من الزلزال •

ويذكر ابن كثير أن أهل الرملة أقاموا خارج بلدهم ثمانية أيام اثر زلزال عام ٤٢٥ هـ • وفي بلاد الشام أقام الناس في أكواخ عملوها من الخشب بعد الزلازل العنيفة التي حدثت في عامي ٥٥١هـ ، ٥٥٢هـ • وفي غرناطة خرج الناس الى الصحراء ونزلوا الخيام اثر زلزال عام ٨٣٤ هـ وهناك أمثلة كثيرة مشابهة لمناطق أخرى •

* كانت الزلازل من العوامل التي تشجع الاعداء على انتهاز فرصة تهدم الاسوار والقلاع ، وانشغال الناس بما حل بهم ، لكي يشنوا غاراتهم على الثغور الاسلامية • ونجد ذلك واضحا في فترة الحروب الصليبية ، التي تعددت فيها أحداث الزلازل ، وبخاصة في عامي ٥٥١ هـ ، ٥٥٢ هـ حيث خرجت الزلازل معظم بلاد الشام ، فكان أن طمع الصليبيون بهذه البلاد

بعد أن تهدمت حصونها وأسوارها .. يقول ابن الاثـير (١١/٢١٨) :
« فقام نورالدين محمود بالمقام المرضى ، وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج ، حيث خربت الاسوار ، فجمع عساكره ، وأقام بأطراف بلاده يغير على بلاد الفرنج ، ويعمل في الاسوار في سائر البلاد ، فلم يزل كذلك حتى فرغ من جميع أسوار البلاد » .

★ ★ ★

المراجـع

اولا : المراجـع العربيـة :

ابن الاثير :
الكامل في التاريخ (١ ـــ ١٢) ، بيروت ١٩٦٦ •

اخوان الصفا :
رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء (١ ـــ ٤) ، بيروت ١٩٥٧ •

ابن اياس ، محمد بن أحمد :
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، نشر جمعية المستشرقين الالمانية القاهرة ٦٠ ـــ ١٩٧٤ •

بدوي ، عبدالرحمن (تحقيق)
شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية «تفسير المفيدورس لكتاب ارسطا طاليس في الآثار العلوية » • بيروت ١٩٧١ •

الجلبي ، داود :
زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية ، تحقيق عماد عبدالسلام، النجف ١٩٧٤ •

ابن الجوزي :
المنتظم في تاريخ الملوك والامم (٥ ـــ ١٠) ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ•

حاجي خليفة :
كشف الظنون عن الاسامي والفنون ، اسطنبول ١٩٤١ •

الحافظ ، محمد مطيع :
« نصوص غير منشورة عن الزلازل » مجلة الدراسات الشرقية ،

المعهد الفرنسي بدمشق ، المجلد ٣٢ ، ٣٣ ، سنة ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، دمشق ، ص ٢٥٥ ـ ٢٦٢ .

الحموي ، محمد بن علي :
التاريخ المنصوري : تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، منشور بالاوفست بعناية بطرس غرياز نيوبج ، موسكو ١٩٦٣ .

ابن حيان ، جابر :
مختار رسائل جابر بن حيان ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

الدواداري ، ابو بكر بن عبدالله بن ايك :
كنز الدرر وجامع الغرر (٦ ـ ٩) القاهرة ٦٠ ـ ١٩٧٢ .

ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي :
١ـ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشي ، صنعاء ١٩٧٩ .
٢ـ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد ، تحقيق محمد عيسى صالحية ، الكويت ١٩٨٢ .

الذهبي ، الحافظ :
العبر في خبر من غبر (١ ـ ٥) الكويت ١٩٦٦ .

ابو ريده ، محمد عبدالهادي (محقق) :
رسائل الكندي الفلسفية ، القاهرة ١٩٥٠ .

السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن :
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنتال ، بغداد ١٩٦٣ .

السمهودي ، ابو الحسن بن عبدالله :
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، (١ ــ ٢)
القاهرة ١٣٢٦ هـ •

ابن سينا :
كتاب الشفاء (المعادن والآثار العلوية) ، القاهرة ١٩٦٥ •

السيوطي ، جلال الدين :
ــ كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبداللطيف السعداني
الرباط ١٩٧١ •
ــ كشف الصلصلة ، مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني ،
رقم (or. 5872) •

ابو شامة ، عبدالرحمن بن اسماعيل :
الروضتين ، في أخبار الدولتين (١ ــ ٢) ، القاهرة ١٢٨٨ •

الصيرفي ، علي بن داود :
نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان (١ ــ ٣) تحقيق حسن
حبشي ، القاهرة ١٩٧٣ •

طاهر ، مصطفى أنور :
« تحصين المنازل من هول الزلازل لابي الحسن علي بن الجزار » ،
مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، المجلد ١٢ • القاهرة ١٩٧٤ ،
ص ١٣٦ ــ ١٥٩ •

طاهر ، مصطفى أنور :
« نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر»

مجلة الدراسات الشرقية ، المعهد الفرنسي بدمشق ، المجلد ٢٦ ، ١٠٩٧٤ ، دمشق ، ص‌ص ٥٥ ــ ١٠٨ •

الطبري ، محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، (١ ــ ١٠) ، القاهرة ١٩٦٩ •

العذرى ، أحمد بن عمر :
نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، تحقيق عبدالعزيز الاهواني ، مدريد •

العسقلاني ، ابن حجر :
انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي (١ ــ ٣) ، القاهرة ١٩٧١ •

ابن العماد ، ابو الفلاح عبدالحي :
شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١ ــ ٨) بيروت (بدون) •

فولفغانغ مولر ــ فينز :
القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة محمد وليد جلاد ــ دمشق ١٩٨٢ •

القزويني ، زكريا بن محمد :
١ــ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٩ •
٢ــ عجائب المخلوقات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت ١٩٧٣ •

القلقشندي ، أحمد بن عبدالله :
مآثر الانافة في معالم الخلافة (١ ــ ٤) ، الكويت ١٩٦٤ •

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر :
البداية والنهاية (١ ــ ١٤) القاهرة ١٣٥٨ هـ •

الكرخي ، محمد بن الحسن :
انباط المياه الخفية ، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ •

لا منس ، الأب هنري :
« الزلازل في سورية » مجلة الشرق السنة الاولى ، بيروت ١٨٩٨، ص ٣٠٣ ــ ٣٤٢ •

(مجهول المؤلف) :
تاريخ اليمن في الدولة الرسولية ، تحقيق هيكوايشي ياجيما ، طوكيو ١٩٧٦ •

مختار باشا ، محمد :
التوفيقات الالهامية ، بولاق ١٣١١ هـ •

ابو مخرمة ، عبدالله الطيب بن عبدالله :
تاريخ ثغر عدن ، أبشالا ١٩٥٠ •

مسكويه ، أحمد بن محمد :
تجارب الامم (١ ــ ٢) ، مصر ١٩١٤ •

المقريزي ، أحمد بن علي :
السلوك لمعرفة دول الملوك (١ ــ ٤) ، القاهرة ١٩٧٢ •

ابن منظور ، محمد بن مكرم :
لسان العرب ، بولاق ١٣٠٠ هـ •

الناصري ، أحمد بن خالد :
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (١ ــ ٩) ، الدار البيضاء ١٩٥٦ .

ابن النديم :
الفهرست ، تحقيق غوستاف فلوجل . بيروت ١٩٦٤ .

اليافعي ، عبدالله بن أسعد :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان (١ ــ ٤) حيدر آباد ١٣٣٩ هـ .

ياقوت الحموي :
١ــ المشترك وضعا والمفترق صقعا ، تحقيق وستنفلد ، وليبزخ ١٨٤٦ ، ص ٥٧ ، ١٤٢ .
٢ــ معجم الادباء ، القاهرة ٩ ــ ١٩١٦ .

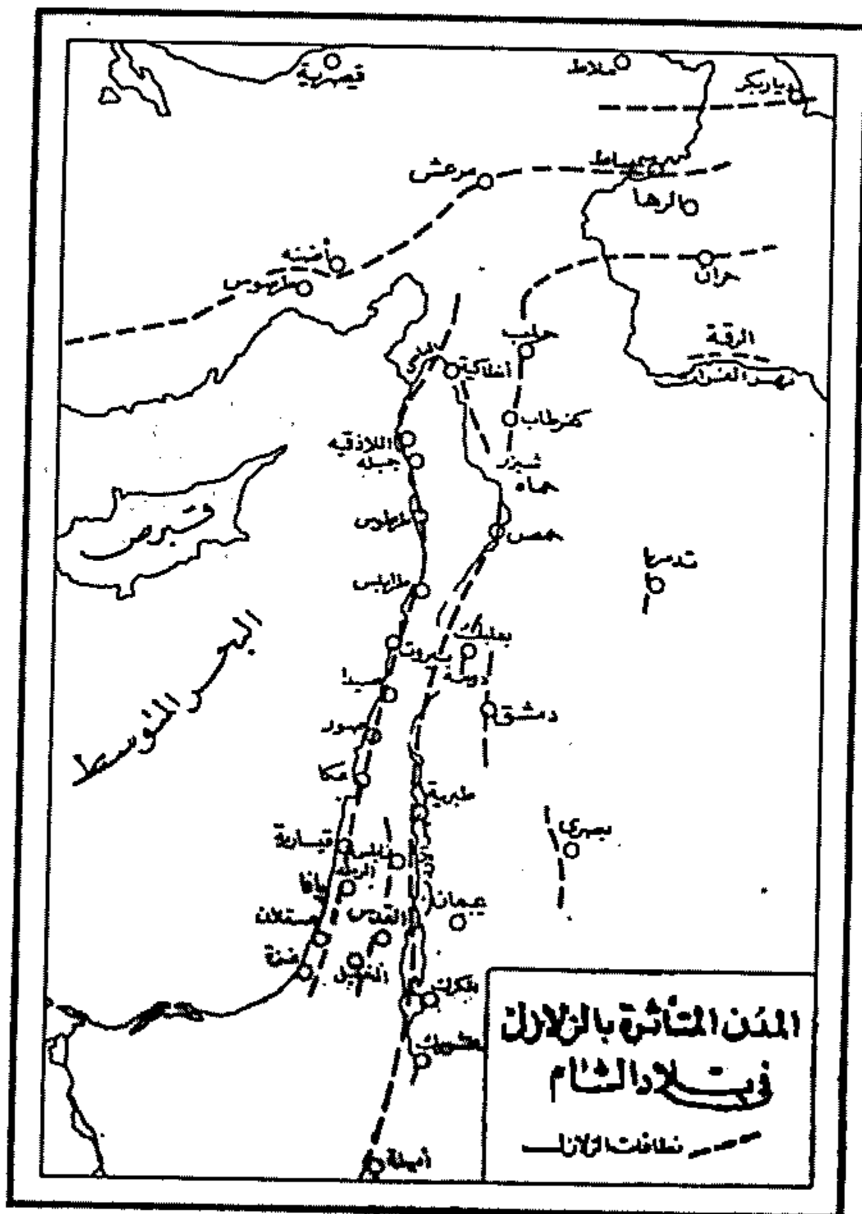
اليونيني ، موسى بن محمد :
ذيل مرآة الزمان (١ ــ ٤) ، حيدرآباد .



ثانيا : المراجع الاجنبية :

1) Ambraseys, N. N. (1961) :
((On the Seismicity of South-West Aisa Data from a XV Century Arabic Manuscript)),
Revue Pour L'etude Des Calamités, Decembre 1961, No. 37, Geneve, pp. 18 — 30.
2) Ambraseys, N. N. (1971) :
((Value of Historical Records of Earthquakes)).
Nature Vol. 232, August 6. pp. 375 — 379.
3) Ambraseys, N. N. (1973) :
((Earth Sciences in Archaeology and History)).
Antiquity, Vol. 47, pp. 229 — 231.
4) Brockelmann, C, (1938) :
Geschichte der Arbischen Litteratur. Leiden.
5) Davies, P. A. and Runcorn, S. K. (Eds.) (1980) :
Mechanisms of Continental Drift and Plate Tectonics.
Academic Press, London.
6) Petraits, C. (1966) :
The Arabic Version of Aristotale's Meteorology. Beyrouth.
7) Smith, Baird (1842) :
((On the Zelzele Namah)), Proc. Asiatic Soc. Bengal (at the Jour. of the Asiatic Soc.).
Vol. XI Calcutta, p. 1201.
8) Sprenger, A. (1843) :
((As-Sayutis Work on Earthquakes)).
Jour. of the Asiatic Soc. Vol. 12, Nr. 14, Calcutta, pp. 741 — 749.
9) Weyman, D. (1981) :
Tectonic Precesses, London.
10) Willis, B. (1928) :
((Earthquakes in the Holyland)) Bull. Seism. Soc. Amer., Vol. 18 Nr. 2, pp. 77 — 83.


المدن التي تأثرت بالزلازل
في جزيرة العرب وايران والعراق
نطاقات الزلازل
بلخ
الفارياب
الطالقان
جرجان
(قومس)
نيسابور
هراة
الري
قم
همذان
اصفهان
تبريز
اردبيل
دبيل
جنزة
خلاط
ديار بكر
اربل
الرها
الموصل
الرقة
بغداد
واسط
الكوفة
الاهواز
ايذج
ارجان
شيراز
البصرة
سيراف
الخليج العربي
تبوك
تيماء
المدينة
مكة
صنعاء


المدن المتأثرة بالزلازل في بلاد الشام
نطاقات الزلازل
قيصرية
ملطية
مرعش
الرها
حران
طرسوس
الرقة
حلب
أنطاكية
كفرطاب
اللاذقية
جبلة
شيزر
حماه
حمص
تدمر
قبرص
طرابلس
البحر المتوسط
بعلبك
بيروت
دمشق
عكا
طبرية
بصرى
قيسارية
عمان
القدس
أيلة

إصلاح غلط المحدثين

للخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ

الدكتور حاتم صالح الضامن

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله العربي المبين

مقدمة :

اللغة العربية الفصيحة هي عنوان مجد الأمة ورمز وجودها وقوام حياتها ودليل وحدتها . وهي قبل كلّ شيء لغة القرآن الكريم .

لكل هذا نرى العلماء يحرصون على سلامتها من الخطأ والدخيل ، فحينما رأوا اللحن فاشياً في الكلام لكثرة الأعاجم هبّوا للذبّ عن هذه اللغة الشريفة فألفوا كتبا كثيرة كان لها أثر كبير في صيانة اللغــة وتنقيتها من اللحن والعامي والدخيل ، فذكرت الخطأ المستعمل والصواب الذي يجب أن يجري بــه الاستعمال . (*)

وكان أبو سليمان الخطابي في مقدمة العلماء الذين قاموا بالتأليف في هذا الموضوع إذ رأى الغلط قد انتقل الى علماء الحديث الشريف ورواته فهاله

(*) أحصى هذه الكتب وعرف بها الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (لحن العامة والتطور اللغوي)، والدكتور عبد العزيز مطر في كتابه (لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة)، الذي وقف فيه عند نهاية القرن السادس الهجري وفاتهما ذكر كتاب الخطابي .

الأمر ، وقام بتأليف كتابه هذا في اصلاح غلط المُحدِّثين ابتغاء وجه الله ودفعاً لهذا الفساد الذي يجب محاربته حفاظاً على لغة القرآن الكريم :

وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم هو الرابع من سلسلة كتب في هذا الباب عزمنا على اخراجها حفاظاً على سلامة اللغة العربية (*) .

والحمد لله أولاً وآخراً إنّه نعم المولى ونعم النصير .

(*) صدر لنا منها :

(١) المدخل الى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ .

(٢) خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام : لعلي بن بالي المتوفى سنة ٩٩٢ هـ .

(٣) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ : لابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ هـ .

المؤلف

أبو سليمان حَمْد بن محمد بن ابراهيم بن الخَطّاب البُسْتي الخَطّابي الشافعي ، من ولد زيد بن الخطّاب بن نفيل العدويّ .

ولد بمدينة بُسْت من بلاد كابل سنة ٣١٩ هـ .

رحل الى العراق والحجاز ، وجالَ في خرسان ؛ وخرج الى ما وراء النهر .

وكان يكسب قوته من التجارة ، ومال في أخريات حياته الى الصوفية .

توفي بمدينة بُسْت سنة ٣٨٨ هـ . (٥٥) .

شيوخه :

١) ابراهيم بن عبدالرحيم العنبري .

٢) ابراهيم بن فراس .

---

(٥٥) ينظر عن الخطابي المصادر الآتية ، وهي مرتبة ترتيباً زمنياً :
يتيمة الدهر ٣٣٤/٤
طبقات الفقهاء الشافعية ٩٤
الأنساب ١٥٨/٥
فهرسة ابن خير ٢٠١
المنتظم ٢٦٨/٦
معجم الأدباء ٢٥٢/١٠
اللباب في تهذيب الأنساب ٤٥٢/١
إنباه الرواة ١٢٥/١
وفيات الاعيان ٢١٤/٢
تذكرة الحفاظ ١٠١٩
العبر ٣٩/٣
برنامج الواديآشي ٢١٦
الوافي بالوفيات ٣١٧/٧
مرآة الجنان ٤٣٥/٢

٣) أحمد بن ابراهيم بن مالك .
٤) أحمد بن سليمان الحنبلي .
٥) أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي .
٦) اسماعيل بن أسد .
٧) اسماعيل بن محمد أبو علي الصفار .
٨) جعفر بن محمد المعروف بالخُلدي .
٩) حسن بن حسين أبو علي بن أبي هريرة .
١٠) الحسن بن عبدالرحيم .
١١) الحسن بن محمد بن عبدويه .

** طبقات الشافعية السبكي ٢٨٢/٣
طبقات الشافعية للأسنوي ٤٦٧/١
البداية والنهاية ٢٣٦/١١
الوفيات لابن تنفذ ٢٢٢
البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٧٣
طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٤٠/١
طبقات النحاة والمغويين ١٩١ و ٥٨٥ .
النجوم الزاهرة ١١٩/٤
بغية الوعاة ٥٤٦/١
طبقات الحفاظ ٤٠٣
مفتاح السعادة ١٤٦/٢
كشف الظنون ١٠٨ ...
شذرات الذهب ١٢٧/٣
خزانة الأدب ٢٨٢/١
ومن المراجع :
الأعلام ٣٠٤/٢
تاريخ الأدب العربي لبروكلمن ٢١٢/٣
تاريخ التراث العربي ٤٢٧/١
معجم المؤلفين ٧٤/٤
مقدمة غريب الحديث للخطابي ٨-٢٠

١٢) الحسن بن يحيى بن صالح .
١٣) الحسين بن اسماعيل الفقيه .
١٤) الحسين بن محمد الزبيري .
١٥) سهل بن اسماعيل .
١٦) عبدالعزيز بن عبدالله .
١٧) عبدالله بن شاذان الكراني .
١٨) عثمان بن أحمد أبو عمرو بن السماك .
١٩) علي بن العباس الاسكندراني .
٢٠) محمد بن ابراهيم المكتب .
٢١) محمد بن بكر أبو بكر بن داسة .
٢٢) محمد بن الحسين بن عاصم .
٢٣) محمد بن الطيب .
٢٤) محمد بن عبدالواحد أبو عمر الزاهد .
٢٥) محمد بن علي بن اسماعيل القفّال الشاشي .
٢٦) محمد بن معاذ
٢٧) محمد بن مكي .
٢٨) محمد بن منصور .
٢٩) محمد بن هاشم .
٣٠) محمد بن يعقوب أبو العباس الأصم .
٣١) مكرم بن أحمد القاضي ابو بكر البغدادي البزاز .

★ ★ ★

تلاميذه :

١) أحمد بن محمد أبو حامد الاسفراييني .
٢) أحمد بن محمد أبو عبيد المروزي .
٣) أبو بكر بن محمد الغزنوي .

٤) جعفر بن محمد المروزي أبو محمد .
٥) الحسين بن محمد الكرابيسي أبو مسعود .
٦) عبد بن أحمد أبو ذر الهروي .
٧) عبدالوهاب الخطابي أبو القاسم .
٨) علي بن الحسن السجزي .
٩) محمد بن أحمد أبو نصر البلخي .
١٠) محمد بن عبدالله الرزجاهي أبو عمرو .
١١) محمد بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الحاكم .
١٢) محمد بن علي بن عبدالملك النسوي .

★ ★ ★

آثاره :

اصلاح غلط المحدثين : وهو كتابنا هذا ، وسيأتي الحديث عنه .
اعلام السنن في شرح صحيح البخاري : مخطوط .
بيان اعجاز القرآن : مطبوع أكثر من مرة .
الجهاد : مخطوط .
الشجاج : لم نقف عليه .
شرح الأسماء الحسنى (شأن الدعاء) : مطبوع .
شرح دعوات لابن خزيمة :
العروس : لم نقف عليه .
العزلة : مطبوع :
علم الحديث : مخطوط :
غريب الحديث : مطبوع .
الغنية عن الكلام وأهله : مخطوط .
معالم السنن : مطبوع .

رأي العلماء فيه :

قال الثعالبي في اليتيمة : كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً ، وكان أبو عبيد مفحماً .

وقال السمعاني في الأنساب : إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر صاحب التصانيف الحسنة .

وقال ابن الجوزي في المنتظم : له فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ، وله أشعار جيدة .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : كان محدثاً فقيها أديباً شاعراً لغوياً .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : كان ثقة متثبتاً ، من أوعية العلم .

وقال السبكي في طبقات الشافعية : كان إماماً في الفقه والحديث واللغة .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : أحد المشاهير الأعيان والفقهاء المجتهدين المكثرين ، سمع الكثير ، وصنف التصانيف الحسان ، وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه .

وقال الفيروز آبادي في البلغة : المحدّث اللغوي الأديب المحقّق المتقن ، من الأئمة الأعيان .

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ : الإمام العلامة المفيد المحدّث الرحال .... صاحب التصانيف .

وقال ابن العماد في شذرات الذهب : كان أحد أوعية العلم في زمانه ، حافظاً فقيهاً مبرزاً على أقرانه .

الكتاب

اسمه :

اسم الكتاب في أغلب المصادر : إصلاح غلط المحدّثين . وسماه الصفدي في الوافي : إصلاح الغلط . أمّا الزّبيدي فقد سمّاه في تاج العروس : إصلاح الألفاظ . وسُمّي في فهرس الكتب المصرية : إصلاح الألفاظ الحديثية التي يرويها أكثر الناس ملحونة ومحرّفة .

منهجه :

الكتاب من كتب التصحيح اللغوي لما يلحن فيه رواة الحديث ، وقد أورد المؤلف فيه نحو مئة وأربعين حديثاً فيها ألفاظٌ يُخطىء رواة الحديث في ضبطها أو في معناها ، وأشار الى صحة ضبطها ومعناها .

أوضح المؤلف منهجه في مقدمة كتابه ، قال : (هذه ألفاظٌ من الحديث يرويها أكثر الرواة والمُحدّثين ملحونة ومحرّفة ، أصلحناها لهم وأخبرنا بصوابها ، وفيها حروف تحتمل وجوهاً اخترنا منها أبينها وأوضحها) .

وكان المؤلف يشير الى كثير من القضايا اللغوية وأكثر من الإشارة الى المهموز والمقصور والممدود واشتقاق الألفاظ التي اخطأ فيها المحدّثون .

واستشهد المؤلف بالقرآن الكريم في عشرة مواضع ، كما استشهد بالأشعار والأرجاز في اثنين وعشرين موضعاً .

الكتاب وغريب الحديث :

ثمة سؤال لابد من الإجابة عنه وهو : كتاب اصلاح غلط المحدثين أهو جزء من كتاب غريب الحديث الخطابي؟

الجواب عن هذا السؤال يتلخص في نقطتين :

الأولى : إنّ كتاب اصلاح غلط المحدّثين جاء ملحقاً بكتاب (غريب الحديث) في آخر الجزء الثالث غفلاً من العنوان .

الثانية : قال الخطابي في كتابه (اصلاح غلط المُحَدِّثين) في قول النبيّ (ص) : (لا تحرم الملجة والملجتان) : وقد رويناه أيضاً : الملحة والملحتان ، وفسّرناه في كتابنا هذا .

أقول : ليس في كتابنا هذه الرواية ، وإنما هي مع التفسير في كتابه (غريب الحديث ٥٧١/١) .

نخلص من هذا ان كتاب اصلاح غلط المحدثين جزء من كتاب غريب الحديث ، إلاّ أنّ الخطابي أفرد هذا الجزء وزاد عليه وأملاه على أنّه كتاب آخر . ولم يشر ناشر غريب الحديث الى هذا ، وبهذا نكون أول من نبّه على ذلك .

والدليل على صحة ما ذهبنا اليه انّ أصحاب التراجم يفصلون بين الكتابين عند ذكرهم كتب الخطابي . (ينظر : معجم الأدباء ، وفيات الأعيان ، الوافي بالوفيات ....) .

ودليل آخر هو الزيادات الكثيرة التي أخلّ بها (غريب الحديث) وأخص بالذكر الأحاديث العشرة الأخيرة من كتابنا والأحاديث التي انفردت بها نسخة (هـ) وقد أشرنا اليها في حواشي التحقيق .

مخطوطات الكتاب :

أولا – مخطوطة رئيس الكتاب (٢٣٥) :

وهي التي جعلناها أصلاً لأنها أقدم النسخ أولاً وأكملها ثانياً . وتقع في ٢٨ ورقة ، وفي كل صفحة ١٥ سطراً ، وقد كتبت بخط واضح مقروء في القرن السادس الهجري أو السابع تخميناً . ومنها صورة في خزانة المجمع العلمي العراقي . وعنوانها : الألفاظ التي يرويها اكثر الناس ملحونة ومحرفة .

ثانياً – مخطوطة المكتبة الأزهرية (٢٤١٣) :

وهي نسخة نفيسة ، وسند الرواية فيها يختلف عن الأصل ، وفيها زيادات كثيرة . وفي آخرها نقص أكمله ناسخ محدث عام ١٣٤٦ هـ . وتقع هذه النسخة في ١٤ ورقة ، في كل صفحة ٢١ سطراً . وقد رمزنا اليها بالحرف (هـ) . وعنوانها : إصلاح الغلط .

ولابد من الإشارة الى أن هناك نسخـــة أخرى في دار الكتب المصرية كتبها الشنقيطي وعليها اعتمد ناشر الكتاب الأول ، وتبيّن لي أنّها نقلت عن نسخة رئيس الكتاب التي جعلناها أصلاً . وقد اعتمدنا على المطبوع الذي نشر عام ١٩٣٦ وأشرنا اليه بالحرف (م) ، وهو كثير الاخطاء والنقص لأنه اعتمد على نسخة واحدة .

واعتمدنا على كتاب غريب الحديث للخطابي الذي طبع أخيراً في السعودية وأشرنا اليه بالحرف (غ) وفي هذا المطبوع أخطاء كثيرة فاتت المحقق أشرنا الى قسم منها .

وكل زيادة حصرت بين قوسين من غير اشارة فهي من (هـ) و (غ) معاً .

وبعد فهذه أول نشرة تامة لهذا الكتاب النفيس الذي أرجو أن ينتفع به العلماء .

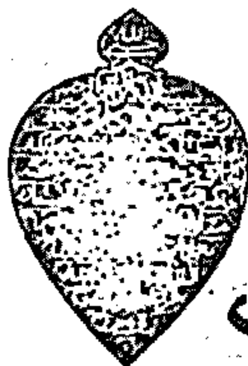
والله أسأل أن يوفقنا الى ما فيه صلاح أمتنا ، وأن يجزل المثوبة لكل من شارك بعلم نافع وعمل صالح ، إنّه سميع مجيب .

حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ـــ جامعة بغداد



كتاب الألفاظ التي يزونها أكثر الناس ملحونة وهي عربية

أملاها أبو سليمان الخطابي رحمه الله



صفحة العنوان من الأصل

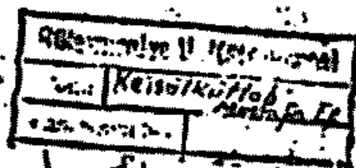
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام عفيف الدين أبو عبد الله
محمد بن يزيد بن إدريس القرشي قراءة عليه بالمدرسة
الناصرية المنشأة على تربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه وعرضنا بأصل سماعه فأقر به
قال حدثني الشيخ العالم الصالح المتقن
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل
القيسي القرطبي قراءة عليه في داره بمراكش
سنة ثمان وستين وخمسمائة قال أنا
الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب
قال أنا أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الصدفي
السفاقسي قال أنا محمد بن علي بن عبد الملك
الفقيه قال قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله
هذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الرواة
ملحونة ومحرفة أصلحناها لهم وأخبرنا بصوابها

ومنها

الصفحة الأولى من الأصل

أسيرا إلا من المشركين نعتنا النبي الله على من
لعن الرجم وفي حديث عبد الله بن
المغفل لا ترجموا قبري أي لا تجعلوا عليه
الرجم وهي الحجارة وهي الرجام أيضا قال
الرفي الحديث تذكر غيبته تكون
الرجل وتعرفه موتهم

تم والحمد لله وحده وصلواته
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما



الصفحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

قال الفقيه الامام العالم تقي الدين ابو الثنا محمود بن ابي بكر بن حامد
الارموي قرات على شيخنا المسند الزاهد ذي المناقب شمس الدين
ابي الفنا[illegible] المسلم بن محمد بن المسلم بن علان القيسي يوم الاحد ثامن شوال
من سنة ثمان وسبعين قلت له اخبرك الشيخ الامام تاج الدين ابو
اليمن منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي اجازة
قال انا جدي ابي فقيه اجزه ابو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي رحمه
الله انا ابو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي
انا ابو سليمن حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي رحمه الله
قال هذه الفاظ من الحديث يرويها اكثر الرواة والمحدثين
ملحونة ومحرفة اصلحناها لهم واخبرنا بصوابها وفيها حروف
تحتمل وجوها اخترنا منها ابينها واوضحها والله الموفق للصواب
قوله صلى الله عليه وسلم في البحر الطهور ماوه الحل ميتته
عوام الرواة يولعون بكسر الميم من الميتة يقولون ميتته
وانما هو ميتته مفتوحة الميم يريد حيوان البحر اذا مات فيه
سمعت ابا عمر يقول سمعت المبرد يقول في هذا الميتة
الموت وهو امر الله جل وعز يقع في البر والبحر لا يقال فيه
حلال ولا حرام قال ابو سليمن فاما قوله صلى الله عليه وسلم
[illegible] من [illegible] [illegible] فيتته [illegible] فليد في مكسورة الميم يعني
الحال التي مات عليها يقال مات فلان ميتة حسنة ومات
ميتة [illegible] [illegible] كما [illegible] فلان حسن [illegible] والجلسة والركبة
والمشية

الصفحة الأولى من نسخة ه

وقال عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
وفي الحديث إن المساجد بيوت الله لا تشرف اي لا تشرف ابنيتها وفي حديث آخر ان
ابن عمر كان لا يصلي في مسجد فيه [illegible] قال الاصمعي انما هو
[illegible] واحدتها [illegible] وهي الشرف [illegible] رؤوس
الجبال وفي حديث كعب شر الحديث [illegible]
وهو كقول النبي [illegible] الله عز وجل على حبه مسكينا ويتيما
واسيرا ان لم يكن في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
اسير الا من المشركين فقد اثنى الله على من احسن اليهم
وفي حديث عبد الله بن المغفل لا ترجموا قبري اي لا تجعلوا
عليه الرجم وهي الحجارة وهو [illegible] قال
الزهري الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه [illegible]
تم [illegible] على سيدنا [illegible]
وسلم [illegible] نقلت هذه الجزء من نسخة مخرجة
من صورة مغربية مودعة دار الكتب السلطانية ووجدت بها
باخرها كتبه لنفسه محمد محمود بن التلاميذ التركزي وكتبه محمود
لطف الله بن ابراهيم غرة شعبان ١٣٠٣ بقسطنطينية المحمية
وقد نقلتها انا لنفسي ومن اراد النفع بها من دار الكتب
السلطانية بجمادى الاولى ١٣٣٨ تحريرا كتبه حافظ بن احمد
حسين الطروي [illegible] كتبت هذه الجزء يوم الاحد ٩ [illegible]
١٣٤٦ من النسخة المذكورة مستعارة من [illegible]
الدمشقي من التجار في صناعة الكتب [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة د

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم]

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ادريس القُرشيّ(١) قراءةً مني عليه بالمدرسة الناصرية المنشأة على تربة الإمام الشافعيّ(٢) ، رضي الله عنه . وعرضنا بأصلِ سماعِهِ فأقرَّ به . قالَ : حدّثني الشيخُ الإمام الصالحُ المتقِنُ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن خليل القيسيّ القرُطبيّ(٣) قراءةً عليه في داره بمراكش سنة ثمان وستين وخمسمائة قالَ : ثنا الفقيه أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عتّاب (٤) قالَ : ثنا أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الصَّدَفيّ السفاقسيّ(٥) قالَ : ثنا محمد بن علي بن عبدالملك الفقيه(٦) قالَ : قالَ أبو سليمان الخطّابيّ ، رحمه الله :

هذه ألفاظٌ من الحديث يرويها أكثرُ الرُّواةِ والمُحَدِّثينَ (٧) ملحونةً ومُحرَّفَةً(٨) أصلحناها [لهم] وأخبرنا بصوابها ، (٢ أ) وفيها حروفٌ تحتملُ وجوهاً اخترنا منها أبْيَنَها(٩) وأوْضَحَها ، والله الموفقُ للصوابِ لا شريك له .

قالَ أبو سُليمان (١٠) :

---

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) محمد بن ادريس ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ت ٢٠٤ هـ . (حلية الأولياء ٦٣/٩ ، ترتيب المدارك ٣٨٢/١ ، طبقات الشافعية ١٩٢/١) .

(٣) من المحدثين ، ت ٥٧٠ هـ . (التكملة لكتاب الصلة ٥١٥ – ٥١٦) .

(٤) أحد المشهورين بسعة الرواية ، ت ٥٢٠ هـ . (الصلة ٣٤٨ ، الديباج المذهب ١٥٠) .

(٥) من المحدثين ، ت ٤٤٠ هـ . (جذوة المقتبس ٢٨٥ ، بغية الملتمس ٤١٠) .

(٦) من شيوخ الحنفية ، ت ٤٧٨ هـ . (الوافي بالوفيات ١٣٩/٤ ، النجوم الزاهرة ١٢١/٥ – ١٢٢) .

(٧) من هـ ، غ . وفي الأصل : أكثر الناس .

(٨) (ومحرفة) : ساقطة من م . (٩) غ : أثبتها .

(١٠) (لا شريك له . قال أبو سليمان) ساقط من هـ ، غ .

١ ــ قوله ، صلى الله عليه وسلم ، في البحر : ([هو] الطَّهُورُ ماؤُه ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ) (١١) .

عوامُّ الرواةِ يُولعونَ بكسرِ الميمِ من المَيْتَةِ . يقولونَ : مِيتَتُهُ ، (١٢) وإنَّما هي (١٣) مَيْتَتُهُ ، مفتوحة [الميم] ، يريدون (١٤) حيوانَ البحر إذا ماتَ فيه .

وسمعتُ أبا عُمَرَ (١٥) يقولُ : سمعتُ المُبَرِّدَ (١٦) يقولُ في هذا (١٧) : المِيتةُ : الموتُ ، وهو أمرٌ من الله [عزَّوجَلَّ ، يقعُ في البَرِّ والبحرِ] لايُقالُ فيه حلالٌ ولا (١٨) حرامٌ .

٢ ــ قالَ أبو سُليمان : فأمَّا قولُهُ [عليه السلامُ] : (مَنْ خرجَ من الطاعة [فماتَ] فمِيتَتُهُ جاهليَّةٌ) (١٩) . فهي مكسورةُ الميم ، يعني الحال (٢٠) التي ماتَ عليها . يُقالُ : ماتَ فُلانٌ مِيتَةً حَسَنَةً وماتَ مِيتَةً سيِّئةً . كما قالوا : فُلانٌ حَسَنُ القِعْدَةِ والجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ والمِشْيَةِ والسِيرةِ والنِيمَةِ . يُرادُ بها الحالُ والهيئةُ .

٣ ــ (٢ ب) ومِثْلُهُ قولُهُ ، صلَّى الله عليه وسلَّم : (إذا ذَبَحتُم فأحسِنوا الذِّبْحَةَ ، وإذا قَتَلْتُم فأحسِنوا القِتْلَةَ) (٢١) .

---

(١١) الموطأ ٢٢ ، أبو داود ٢١/١ ، الترمذي ١٠١/١ .
(١٢) م : ميتة . في الموضعين . وفي حاشية الأصل : بكسر الميم كالجلسة والركبة .
(١٣) هـ ، غ : هو . (١٤) غ : يريد .
(١٥) محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بالمطرز والمشهور بغلام ثعلب ، ت ٣٤٥ هـ . (نزهة الألباء ٢٧٦ ، معجم الأدباء ٢٢٦/١٨) .
(١٦) ابو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ . (أخبار النحويين البصريين ٧٢ — ٨٠ ، إنباه الرواة ٣ / ٢٤١ — ٢٥٣) .
(١٧) من هـ وغ . وفي الأصل : هذه .
(١٨) (لا) ساقطة من هـ ، غ .
(١٩) البخاري ٧٨/٩ ، مسلم ١٤٧٦ — ١٤٧٧ .
(٢٠) من هـ ، غ وفي الأصل : الحالة .
(٢١) الترمذي ٢٣/٤ ، النسائي ٢٢٩/٧ .

وأمّا الذَّبْحةُ والقَتْلةُ [مَفْتُوحَتَيْن] فالمَرَّةُ الواحدةُ من الفِعْلِ .

٤ ـ فأمّا قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، لعائشة [رضي الله عنها] : (ليسَتْ حِيضَتُكِ في يَدِكِ) (٢٢) . [فإنّهم قد] يفتحون الحاء [منه] وليس بالجيِّد . والصوابُ : حِيضتك ، مكسورةُ الحاء . والحِيضَةُ : الاسمُ أو الحالُ ، يريد : ليستْ نجاسةُ المَحيضِ وأذاهُ(٢٣) في يدِكِ . فأمّا الحَيْضَةُ : فالمَرَّةُ الواحدةُ من الحَيْضِ [أو الدُّفعةُ من الدَّمِ] .

٥ ـ وفي الحديث الذي يرويه سلمان(٢٤) [رضي الله عنه] في الاستنجاء(٢٥) : (أنَّ رجلاً من المشركين قال [له] : لقد علّمكُم صاحِبُكم كلَّ شيء حتى الخَراءَةَ) (٢٦) .

عوامُّ الرُّواةِ (٢٧)يفتحون الخاء فيُفْحِشُ معناهُ. وإنّما هو الخِراءةُ، مكسورة الخاء ممدودة الألفِ . يريد الجِلْسَةَ للتخلي والتنظفِ منه والأدب فيه .

٦ ـ قولُهُ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، (٣ أ) عند دخولِ الخلاء : (اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الخُبُثِ والخبائِثِ) (٢٨) .

أصحابُ الحديثِ يروونَهُ : الخُبْثَ ،ساكنة الباء . وكذلكَ رواهُ أبو عُبَيْدٍ في كتابِهِ (٢٩) وفسّره فقالَ : أمّا الخُبْثُ فإنّهُ يعني الشَّرَّ ،

(٢٢) مسلم ٢٤٥ ، أبو داود ١/٦٨ ،النهاية ١/٤٦٩ .
(٢٣) م ، هـ : أو أذاه .
(٢٤) سلمان الفارسي ، صحابي ، ت ٣٦ هـ . (الاستيعاب ٦٣٤ ، الاصابة ٣/١٤١) .
(٢٥) من هـ ، غ . وفي الأصل : الاستجمار .
(٢٦) مسلم ٢٢٣ ، أبوداود ١/٣ ، الترمذي ١/٢٤ .
(٢٧) من هـ ، غ . وفي الأصل : الناس .
(٢٨) مسلم ٢٨٣ ، ابن ماجة ١٠٩ ، أبو داود ١/٢ .
(٢٩) غريب الحديث ٢/١٩٢ . وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤ هـ . (مراتب النحويين ٩٣ ، تاريخ بغداد ١٢/٤٠٣) .

وأمّا (٣٠) الخبائثُ فإنّها (٣١) الشياطينُ .

قال أبو سُليمان : وإنّما هو الخُبُثُ ، مضمومُ (٣٢) الباء ، جَمْعُ خَبيثٍ . وأمّا الخبائثُ فهو (٣٣) جمعُ خَبيثة ، استعاذَ باللهِ من مَرَدَةِ الجِنِّ ذكورِهم وإناثهم . فأمّا الخُبْثُ ، ساكنةُ الباء ، فمصدرُ (٣٤) خَبُثَ الشيءُ يخبُثُ خُبْثاً ، وقد يُجعلُ اسماً .

قالَ ابنُ الأعرابيّ (٣٥) : أصلُ الخُبْثِ في كلامِ العَرَبِ : المكروه ، فإنْ كانَ من الكلامِ فهو الشَتْمُ ، وإنْ كانَ من المِلَلِ فهو الكُفْرُ ، وإنْ كانَ من الطعام فهو الحرامُ ، وإنْ كانَ من الشرابِ فهو الضّارُّ . وأمّا الخَبَثُ ، مفتوحةُ الخاء والباء ، فهو ما تنفيه النارُ من رَديء الفِضّةِ والحديدِ ونحوهما .

فأمّا الخِبْثَةُ (٣٦) فالرِّيبةُ (٣٧) (٣ ب) والتُهَمَةُ . يُقالُ : [هو] ولدُ الخِبْثَةِ ، إذا كانَ لغيرِ رِشْدَةٍ . ويُقالُ : بِعْ وقُلْ : لا خِبْثَةَ ، أي لا تُهَمَةَ فيه من غَصْبٍ أو سَرِقَةٍ أو (٣٨) نحوهما .

٧ ــ قَوْلُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، [في الاستنجاء] : (وأعِدُّوا النُّبَلَ) (٣٩) .

(٣٠) (أما) ساقطة من هـ .
(٣١) من هـ ، غ . وهي مطابقة رواية أبي عبيد . وفي الأصل : فالشياطين .
(٣٢) هـ ، غ : مضمومة .
(٣٣) هـ : فانها . غ : فانه .
(٣٤) هـ ، غ : فهو مصدر .
(٣٥) محمد بن زياد ، ت ٢٣١ هـ . (طبقات النحويين واللغويين ١٩٥ ، نور القبس ٣٠٢)
(٣٦) من هـ ، غ . وفي الأصل : الخبثة .
(٣٧) م : فالزنية وهو تصحيف .
(٣٨) غ : ونحوهما .
(٣٩) غريب الحديث ٧٩/١ ، إصلاح غلط أبي عبيد ٦٥ ، الفائق ٣١٨/٣ .

يُروَى بضمّ النونِ وفتْحِها ، وأكثرُ المحدّثين يروبها (٤٠) : النّبَل ، مفتوحة النونِ ، وأجودُهُما الضمّةُ .

قالَ الأصمعيّ (٤١) : إنّما هو النُّبَلُ . بضمّ النونِ وفتحِ الباء ، واحِدُها نُبْلَة .

وقالَ غيرُهُ : إنّما سُمّيَتْ نُبْلَة بالتناولِ من الأرضِ . يُقالُ : انتبَلْتُ حَجَراً من الأرضِ ، إذا [أنتَ] أخذتَهُ ، وأنبلْتُ غيري حجراً ، ونَبّلْتُهُ : إذا أنتَ أعطيتَهُ إيّاه . واسمُ الشيء الذي تتناولُهُ : النُّبْلةُ . كما تقولُ : اغترَفْتُ بيدي ماءً ، واسمُ ما في كَفّكَ : غُرْفَةٌ .

٨ — قوْلُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، لأمِّ سَلَمَةَ (٤٢) حينَ حاضَتْ : (أنَفِسْتِ) (٤٣) .

إنّما هو بفتحِ النونِ وكسرِ الفاء ، معناه : حِضْتِ . يُقالُ : نَفِسَتِ المرأةُ [إذا حاضَتْ] ، ونُفِسَتْ ، مضمومةُ النونِ ، من النِّفاسِ .

٩ — (٤ أ) وحديثُهُ [صلّى الله عليه] الذي يرويه عليٌّ ، رضي الله عنه ، في (المَذْي) (٤٤) .

العامةُ يقولونَ : المَذِيُّ ، مكسورةُ الذالِ مُثقّلة [الياء] . (٤٥) وإنّما هو المَذْيُ ، ساكنة الذّالِ ، وهو ما يخرجُ من قُبُلِ الإنسانِ عندَ نشاطٍ (٤٦) ، أو مُلاعبةِ أهْلٍ أو نحوهما (٤٧) .

(٤٠) هـ : يروونه ، غ : يرويه .
(٤١) عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، الجرح والتعديل ٣٦٣/٢/٢) .
(٤٢) زوج النبي (ص) ، ت نحو ٥٩ هـ . (الاستيعاب ١٩٣٩ ، الإصابة ٢٢١/٨) .
(٤٣) البخاري ٨٤/١ ، مسلم ٢٤٣ ، ابن ماجة ٢٠٩ .
(٤٤) البخاري ٧٣/١ ، مسلم ٢٤٧ .
(٤٥) من هـ .
(٤٦) من هـ ، غ . والأصل : نشاطه .
(٤٧) هـ : ونحوها .

والوَدْيُ ، ساكنة الدالِ غير معجمة ، ما يخرجُ عَقِبَ البَوْلِ .

وأمّا المَنِيُّ ، ثقيلةُ الياء ، فالماءُ الدافِقُ الذي يكونُ منه الولدُ ، [ويجبُ] فيه الاغتسالُ .

ويُقالُ : وَدَى [الرجلُ] ومَذَى ، بغير ألفٍ ، وأمْنَى ، بالألفِ . قالَ اللهُ تعالى : « أفَرأيتُم ما تُمنُونَ » (٤٨) .

[وهذا قولُ أبي عُبَيد (٤٩) وأكثر أهلِ اللغةِ . وهو اختيارُ ابن الأنباريّ (٥٠) . وقد حُكِيَ عنْ بعضهم (٥١) : الوَدِيّ والمَذِيّ ، مُشَدَّدَيْن] .

١٠ — قولُ عائشةَ ، رضي اللهُ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، أمْلَكَكُم لأرَبِهِ) (٥٢) .

أكثرُ الرواةِ يقولونَ : لإرْبِهِ . والإرْبُ : العُضْوُ ؛ وإنّما هو لأرَبِه (٥٣) ؛ مفتوحة الألفِ والراء ، وهو الوَطَرُ وحاجةُ النَفْسِ . وقد يكونُ الإرْبُ الحاجةَ أيضاً ، والأوّلُ أبْيَنُ .

١١ — قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (٤ ب) (مَنْ تَوَضّأ للجُمعةِ فبِها ونِعْمَتْ) (٥٤) : مكسورة النونِ ساكنة العينِ والتاء (٥٥) ، أي نِعْمتِ الخلّة .

---

(٤٨) الواقعة ٥٨ .
(٤٩) غريب الحديث ٣٠٠/٣ . وفي هـ : أبو عبيدة . والصواب ما أثبتناه .
(٥٠) الزاهر ١٥٤/٢ . وابن الأنباري هو أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨ هـ . (تهذيب اللغة ٢٨/١ ، الفهرست ٨٢) .
(٥١) في الصحاح (مذى) : وقال الأموي : المذي والودي والمني ، مشددات .
(٥٢) غريب الحديث ٢٣٦/٤ ، البخاري ٥/١، مسلم ٢٤٢ .
(٥٣) هـ ، غ : الأرب .
(٥٤) ابن ماجة ٣٤٧ ، أبو داود ٩٧/١ ، النسائي ٩٤/٣ .
(٥٥) هـ ، غ : مكسورة النون ساكنة التاء .

والعَوامُّ يروونَهُ : ونَعِمْتَ ، يفتحونَ النونَ ويكسرونَ العينَ ، وليسَ بالوَجْهِ . ورواهُ بعضهُم : [و] نَعِمْتَ ، أي نَعَّمَكَ اللهُ .

١٢ ــ قولُهُ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، [في الجُمعةِ] : (مَنْ غَسَّلَ واغْتَسَلَ) (٥٦) .

يرويه بعضُهم : غَسَّلَ ، بتشديدِ السينِ ، وليس بجيّد ، وإنّما هو غَسَلَ ، بالتخفيف (٥٧) . ويُتأوَّلُ على وجهين : أحدهما أنْ يكونَ أرادَ به اتباع (٥٨) اللفظِ والمعنى واحدٌ . كما قالَ في [هذا] الحديث : (استمع وأنصت ، ومَشّى ولم يركبْ) .

والوَجْهُ الآخر : أنْ يكونَ قولُهُ : غَسَلَ ، إنّما أرادَ غَسْلَ الرأسِ ، وخصَّ الرأسَ بالغَسْلِ لِما على رؤوسِهم من الشعرِ ، ولحاجتِهم الى معالجتِهِ وتنظيفِهِ . وأمّا الاغتسالُ فإنّه عامٌّ للبدَنِ كُلِّهِ .

١٣ ــ قولُهُ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم : (٥ أ) في حديثِ لَقيطِ ابنِ صَبِرَة (٥٩) وافدِ بني المُنْتَفِقِ : (أراحَ الراعي غَنَمَهُ ومعه سَخْلَةٌ تَيْعَرُ . فقالَ النبيُّ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم : ما وَلَّدْتَ يا غُلام ؟ قالَ : بَهْمَة . قالَ : فاذبحْ لنا مكانَها شاةً ، ثُمَّ قالَ : لا تحسَبَنَّ أنّا من أجلِكَ ذَبَحْناها) (٦٠) .

[ولَّدْتَ] الرواية : بتشديد السلام ، على وزن فَعَّلْتَ خطاب المُواجَه (٦١) . وأكثرُ المُحدِّثين يقولونَ : [ما] وَلَدَتْ ، يريدونَ : ما وَلَدَتِ الشاةُ ، وهو غَلَطٌ .

---

(٥٦) ابن ماجة ٣٤٦ ، أبو داود ١/٩٥ ، الترمذي ٢/٣٦٨ . وينظر : مسلم ٥٨٨ .
(٥٧) في حاشية الأصل : (ومنهم من أجاز : غسل ، بالتشديد ، على معنى : غسل نفسه وغسل غيره) .
(٥٨) هـ : اشباع .
(٥٩) صحابي . وصبرة ، بكسر الباء . وجاءت ساكنة في الاصل . (الإصابة ٥/٦٨٥ ، تهذيب التهذيب ٨/٤٥٦) .
(٦٠) المسند ٤/٣٣، أبو داود ١/٣٥ .
(٦١) من هـ ، غ . وفي الأصل: المواجهة .

تقولُ العربُ : وَلَّدْتُ الشاةَ ، إذا نُتِجَتْ عندكَ [فوليتَ أمرَ ولادها] (٦٢) . وأنْشَدَنا (٦٣) أبو عُمَرَ قالَ (٦٤) : أنْشَدَنا أبو العبّاسِ ثَعْلَبٌ (٦٥) :

إذا ما وَلَّدوا يوماً تَنادَوْا
أجَدْيٌ تحتَ شاتِكَ أمْ غُلامُ

ويُقالُ : وَلَدَتِ الغَنَمُ وِلاداً . وفي الآدمياتِ : وَلَدَتِ المرأةُ وِلادةً . ومِن الناسِ مَنْ يَجْعَلُهُما (٦٦) شيئاً واحداً .

وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : لا تحسبَنَّ (٥ ب) أنّا ذبحناها من أجلِكَ : معناهُ نفيُ الرِّياءِ وتركُ الاعتدادِ بالقِرَى على الضيفِ .

١٤ ـ حديثُ ابنِ أمِّ مكتوم (٦٧) [رضي الله عنه] : (إنَّ لي قائداً لا يُلاوِمُني) (٦٨) .

هكذا يرويه المُحَدِّثونَ ، وهو غَلَطٌ (٦٩) ، والصوابُ : لا يُلائِمُني ، أي لا يُوافقني ولا يُساعدني على حضورِ الجماعةِ . قالَ أبو ذُؤَيب (٧٠) :

أمْ مالجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً
إلاّ أقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ

(٦٢) من هـ .
(٦٣) هـ ، غ : أنشدني .
(٦٤) (قال) : ساقطة من غ .
(٦٥) أحمد بن يحيى ، ت ٢٩١ هـ . (طبقات النحويين واللغويين ١٤١ ، نزهة الألباء ٢٢٨) . والبيت بلاعزو في اللسان والتاج (ولد) .
(٦٦) من هـ ، غ . وفي الأصل : يجعله .
(٦٧) عمرو بن قيس بن زائدة ، صحابي ، ت ٢٣ هـ . (الاستيعاب ١١٩٨ ، الإصابة ٦٠٠/٤) .
(٦٨) المسند ٤٢٣/٣ ، ابن ماجة ٢٦٠ ، النهاية ٢٢٠/٤ .
(٦٩) هـ ، غ : خطأ .
(٧٠) ديوان الهذليين ٢/١ ، شرح أشعار الهذليين ٥ .

فأمّا المُلاوَمَةُ فإنّما تكونُ من اللّوْمِ . ومنه قولُهُ تعالى : « فأقْبَلَ بَعْضُهُم على بَعْضٍ يتلاوَمُونَ » (٧١) .

١٥ - حديثُ زَيْدِ بنِ ثابت (٧٢) [رضي الله عنه] : قالَ : (رأيتُ رسولَ اللهِ ، صلى الله عليه وسلّم ، يقرأُ في المَغْرب بطُولَى الطُّولَيَيْنِ) (٧٣) ؛ يعني سورةَ الأعراف .

يرويه المُحَدِّثون : بطِوَلِ الطُّولَيَيْنِ . وهو خَطَأٌ فاحِشٌ ، فالطِوَلُ : الحَبْلُ ، وإنّما هو بطُولَى ، تأنيث أطْوَل . والطُّولَيَيْن تثنيةُ الطُّولَى .

يريدُ أنّهُ كانَ يقرأُ فيها بأطْوَلِ (٦ أ) السُّورَتَيْنِ ، يريدُ الأنعامَ والأعرافَ . قالَ الشاعرُ (٧٤) :

فأعضَضْتُهُ الطُّولَى سناماً وخَيْرَها
بلاءً وخَيْرُ الخَيْرِ ما يُتَخَيَّــرُ

١٦ - قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (إنّما أُنَسّى لأسُنَّ) (٧٥) .

يرويه عَوامُّ الرواةِ : أُنْسَى ، خفيفة السين ، على وزن أُدْعَى ، وليسَ بجيّدٍ . إنّما معنى أُنْسَى أي يُنْسَى ذكره ، أو يُنْسَى عهده ، وما أشبهه . والأجودُ أنْ يُقالَ : أُنَسَّى ، أي أُدْفَع الى النسيان .

١٧ - ومن هذا قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا يقولن أحَدُكُم نَسيتُ آيةَ كَيْتَ وكَيْتَ ، إنّما نُسِّيَ) (٧٦) .

(٧١) القلم ٣٠ . وفي الأصل : وأقبل . وأثبتنا رواية غ ، وهي توافق رسم المصحف .
(٧٢) صحابي ، ت ٤٥ هـ . (غاية النهاية ٢٩٦/١ ، الإصابة ٥٩٢/٢) .
(٧٣) الفائق ٣٧٠/٢ ، النهاية ١٤٤/٣ والحديث فيهما برواية أم سلمة .
(٧٤) لم أقف عليه .
(٧٥) الموطأ ٩٣ ، النهاية ٥١/٥ . والحديث ساقط من هـ ، غ .
(٧٦) غريب الحديث ١٤٨/٣ ، النهاية ٥٠/٥ . والحديث ساقط أيضاً من هـ ، غ .

١٨ — نَهْيُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، عن الحِلَقِ قبلَ الصلاة في [يومِ] الجمعةِ وعن التّحَلُّقِ أيضاً (٧٧) .

يرويه كثيرٌ من المحدّثين : عن الحَلْقِ قبلَ الصلاةِ . ويتأوّلونَهُ على حِلاقِ (٧٨) الشَّعرِ .

وقالَ لي بعضُ مشايخِنا : لم أحْلِقْ رأسي قبلَ الصلاةِ نحواً من أربعينَ سنةً بعدما سمعتُ هذا الحديثَ .

قال أبو سُليمان : (٦ ب) وإنّما هو الحِلَقُ ، مكسورة الحاء مفتوحة اللامِ ، جمعُ حَلْقَة .

يُقالُ : حَلْقَة وحِلَق (٧٩) مثْلُ بَدْرَة وبِدَر وقَصْعَة وقِصَع.

نهاهُم عن التّحَلُّقِ والاجتماعِ على المُذاكرة والعِلْمِ قبلَ الصلاةِ ، واستحبَّ لهم ذلكَ بعدَ الصلاةِ .

١٩ — وفي حديثِهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، الذي يَرْوِيهِ ذو اليَدَيْنِ (٨٠) قال : (فخرجَ سَرَعَانُ الناسِ) (٨١) .

يرويه العامّةُ : سِرْعان الناسِ ، مكسورة السينِ ساكنة الراء ، وهو غَلَطٌ .

والصوابُ : سَرَعَانُ [الناس] ، بنصبِ السينِ وفتح الراء . هكذا يقول الكِسائيَ (٨٢) .

وقالَ غيرُهُ : سَرْعان ، ساكنة الراء ، والأوّلُ أجْوَدُ .

---

(٧٧) المسند ١٧٩/٢ ، أبو داود ٢٨٣/١ .

(٧٨) من هـ ، غ . وفي الأصل : يتأوله على حلق .

(٧٩) هـ ، غ : تقديره .

(٨٠) ذو اليدين السلمي ، صحابي . (الاستيعاب ٤٧٥ ، الإصابة ٤٢٠/٢) .

(٨١) البخاري ٨٦/٢ ، مسلم ٤٠٣ .

(٨٢) علي بن حمزة ، أحد القراء السبعة ، ت ١٨٩ هـ . (إنباه الرواة ٢٥٦/٢ ، بغية الوعاة ١٦٢/٢) .

فأمّا قولُهم : سرعانَ ما فعلْتَ ، ففيه ثلاثُ لغات : يُقالُ : سَرْعانَ وسُرْعانَ وسِرْعانَ ، [والراءُ فيها ساكنةٌ] والنونُ تُنصبُ أبداً .

٢٠ — ومما يكثُرُ فيه تصحيفُ الرُّواةِ حديثُ سَمُرَةَ بنِ جُنْدَب(٨٣) في قِصَّةِ كُسوفِ الشمسِ والصلاة لها . [قالَ] : (فدُفِعْنا الى المسجد فإذا هو بأَزَزٍ) (٨٤) ، أي بجمعٍ كثيرٍ غَصٍّ (٧ أ) بهم المسجد .

رواهُ غيرُ واحدٍ من المشهورين بالروايةِ : فإذا هو بارِزٌ (٨٥) ، من البُروزِ ، وهو خطأٌ .

ورواهُ بعضُهم : فإذا هو يتأزَّزُ (٨٦) . وقد فسَّرْتُهُ في موضعِهِ من الكتابِ وأعدْتُ لك ذِكْرَهُ ليكونَ منك ببالٍ .

٢١ — وفي حديثِ أبي ذَرٍّ(٨٧) [رضي الله عنه] : (أنَّه سألَ رسولَ الله ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، عن الصلاةِ فقالَ : خَيْرٌ موضوعٌ فاستكثِرْ مِنهُ) (٨٨) .

يُروى على وجهين : أحدهما أنْ يكونَ موضوعٌ نعتاً لِما قبْلَهُ . يُريدُ أنّها خيرٌ حاضرٌ فاستكثر منه .

والوجهُ الثاني (٨٩) : أنْ يكونَ الخيرُ مضافاً الى الموضوع . يريدُ أنّها أفْضَلُ ما وُضِعَ من الطاعاتِ وشُرِعَ من العباداتِ .

(٨٣) صحابي ، ت ٦٠ هـ . (الإصابة ١٧٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٣٦/٤) .
(٨٤) الغريبين ٤٤/١ ، الفائق ٣٩/١ ، النهاية ٤٥/١ . وفي الأصل : فأرفض الى المسجد . وأثبتنا رواية غ ، هـ .
(٨٥) أبو داود ٣٠٨/١ .
(٨٦) يتأزز : يتفعل من الأزيز ، وهو الغليان ، أي يغلي بالقوم لكثرتهم .
(٨٧) الغفاري ، صحابي ، ت ٣٢ هـ . (الإصابة ١٢٥/٧ ، تهذيب التهذيب ٩٠/١٢) .
(٨٨) مجمع الزوائد ٢٤٩/٢ .
(٨٩) هـ ، غ : الآخر .

٢٢ ـ ومما يرُوى من هذا الباب أيضاً على وَجْهَيْنِ حديثُ ابن عبّاس (٩٠) [رضي الله عنهما] : (أنّ رسولَ اللهِ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم، صلّى على قَبْرِ مَنْبُوذٍ) (٩١) .

فَمَنْ رواهُ على أنّهُ نَعْتٌ للقبرِ أرادَ : على قَبْرٍ مُنْتَبَذٍ (٩٢) من القبورِ . ومَنْ رواهُ على الإضافةِ أرادَ بالمنبوذِ اللقيط ، (٧ ب) يرُيدُ أنّهُ صلّى على قَبْرِ لقيطٍ .

٢٣ ـ ومثلُ هذا قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (ولَيْسَ لعِرْقٍ ظالمٍ حقٌ) (٩٣) .

من الناسِ مَنْ يرويه على إضافة العِرْقِ الى الظالمِ ، وهو الغارسُ الذي غرَسَ في غيرِ حقّهِ .

ومنهم مَنْ يجعلُ الظالمَ من نَعْتِ العِرْقِ ، يريدُ الغراسَ والشّجرَ ، [و] جَعَلَهُ ظالماً لأنّهُ نبتَ في غيرِ حقّهِ .

٢٤ ـ وفي حديثِهِ ، صلّى الله عليه وسلّم : (أنّهُ صلّى الى جدارٍ ، فجاءتْ بَهْمَةٌ تمرُّ بينَ يدَيْهِ ، فمازالَ يُدارِئُها حتى لَصِقَ بطنُهُ بالجدارِ) (٩٤) .

قولُهُ : يُدارِئُها ، مهموزٌ من الدَّرْءِ ، ومعناه : يُدافِعُها . ومنه قولُهُ تعالى : « وإذْ قَتَلْتُم نَفْساً فادّارَأْتُم فيها » (٩٥) .

ومَنْ رواهُ : يُداريها ، غير مهموزٍ ، أحالَ المعنى لأنّهُ لا وَجْهَ

(٩٠) عبد الله ، صحابي ، ت ٦٨ هـ . (المعارف ١٢٣ ، الحيان ١٨٠) .
(٩١) البخاري ١٠٩/٢ ، النسائي ٨٥/٤ .
(٩٢) هـ ، غ : أراد قبراً منتبذاً .
(٩٣) البخاري ١٤٠/٣ ، الترمذي ٦٥٣/٣ ، النهاية ٢١٩/٣ .
(٩٤) المسند ١٩٦/٢ ، أبو داود ١٨٨/١ ، النهاية ١١٠/٢ .
(٩٥) البقرة ٧٢ .

هاهُنا للمُداراةِ التي تجري مَجرَى المُساهلةِ في الأمورِ . وأصلُ المداراةِ من قولِكَ : دَرَيْتُ الصيدَ ، إذا خَتَلْتَهُ لتصطادَه .

٢٥ ــ قالَ أبو سُليمانَ : ومِمّا سَبيلُهُ أنْ يُهمَزَ لدَفعِ الإشكالِ ، وعَوامُّ الرواةِ (٩٦) يتركونَ (٨ أ) الهَمزَ فيه قَوْلُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في الضحايا : ([كُلُوا] وادَّخِروا وائتَجِروا) (٩٧) . أي تَصدَّقوا طلبَ الأجرِ فيه .

والمحدِّثون يقولون : واتَّجِروا ، فينقابُ المعنى [فيه] عن الصدقةِ الى التجارةِ ، وبيعُ لحُومِ الأضاحي فاسدٌ غير جائزٍ .

ولولا موضعُ الإشكالِ وما يَعرِضُ من الوَهْمِ في تأويلِهِ لكانَ جائزاً أنْ يُقالَ : واتَّجِروا ، بالإدغامِ ، كما قِيلَ من الأمانةِ : اتَّمِنَ ، إلاّ أنَّ الإظهارَ ها هُنا واجبٌ ، وهو مذهبُ الحجازيينَ .

يُقالُ : ائتَزَرَ فهو مُؤتَزِر (٩٨) ، [وائتَدَعَ فهو مؤتَدِع] ، وائتَجَرَ فهو مُؤتَجِر . قال أبو دَهبَل (٩٩) :

يا ليتَ أنّي بأثوابي وراحِلَتي
عَبْدٌ لأهلِكِ هذا الشهر مُؤتَجَرُ

٢٦ ــ ومن هذا البابِ قولُ عُمَرَ ، رضي الله عنه : (لو تمالأَ عليهِ أهلُ صَنْعاءَ لقَتَلْتُهُم بهِ) (١٠٠) .

مهموزٌ من الملأ ، أي لو صاروا كُلُّهُم ملأً واحداً في قَتْلِهِ .

---

(٩٦) من هـ ، غ . وفي الأصل : الناس .
(٩٧) المسند ٥/٧٥ ، الدارمي ٢/٧٩ ، الغريبين ١/٢١ .
(٩٨) من هـ ، غ . وفي الأصل : ائتذن فهو مؤتذن .
(٩٩)) ديوانه ٩٣ .
(١٠٠) الموطأ ٨٧١ ، السنن الكبرى ٨/٤١ ، النهاية ٤/٣٥٣ .
(١٠١) المقصور والممدود للفراء ٤٣ ، الممدود والمقصور ٤٥ .

ويقالُ : مالأتُ الرجلَ على الشيء إذا واطأتَهُ عليه .

والمُحدثون (٨ ب) يقولون : [لو] تمالَى عليه ، غير مهموز . والصوابُ أنْ يُهمزَ . والمَلاَ (١٠١) مقصورٌ [غير مهموزٍ] : الفضاءُ الواسعُ . قالَ الشاعرُ (١٠٢) :

ألاغَنِّياني وارْفَعَا الصوتَ بالمَلاَ

فإنَّ المَلاَ عندي يزيدُ المَدَى بُعْدا

٢٧ — ومن هذا البابِ [أيضاً] حديثُ ثَوْبان (١٠٣) : (اسْتَقَاءَ رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلّم ، عامِداً فأفْطرَ) (١٠٤) .

مهموزٌ ممدودٌ ، أي تَعَمّدَ القَيْءَ . ومَنْ قالَ : استَقَى ، على وزنِ اشتكَى ، فقد وَهِمَ .

٢٨ — وكذلك قوله ، صلّى الله عليه وسلّم : (العائِدُ في هِبَتِهِ كالعائِدِ في قَيْئِهِ) (١٠٥) .

مهموزٌ . والعامّةُ تُثَقّلُهُ ولا تَهْمِزُهُ . (١٠٦) .

٢٩ — ومن هذا قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم :(يقاتِلكم فِئامُ الرُّومِ) (١٠٧) .

يريد جماعات الروم ، مهموزٌ (١٠٨) بكسر الفاء ، وأصحابُ الحديثِ

(١٠٢) بلاعزو في المقصور والممدود لابن ولاد ١١٥ .

(١٠٣) مولى الرسول (ص) ، ت ٥٤ هـ . (أسد الغابة ٢٩٦/١ ، اصابة ١ / ٤١٢٣) ، وفي الأصل : ابن ثوبان . والصواب : ثوبان . وكذا جاء في هـ ، غ .

(١٠٤) المسند ٤٤٩/٦ وهو فيه من حديث أبي الدرداء ، ابن خزيمة ٢٢٤/٣ ، النهاية ١٣٠/٤ .

(١٠٥) البخاري ٢٠٧/٣ ، مسلم ١٢٣٩ .

(١٠٦) من هـ ، غ . وفي الأصل : تهمز .

(١٠٧) لم أقف عليه .

(١٠٨) غ : مهموزة .

يقرلون : فَيّام الرومِ ، مفتوحة الفاء مشدّدة (١٠٩) الياء ، وهو غلطٌ ، وإنّما هو الفِئامُ ، مهموزٌ . قالَ الشاعرُ (١١٠) : (٩ أ)

[كأنّ] مواضعَ الرَّبَلاتِ منها
فِئـامٌ ينظرون الى فِئـامِ

٣٠ ـ وفي حديثهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، حينَ قالَ لنسائهِ : (أيّتكُنّ تنبحُها كلابُ الحَوْأبِ) (١١١) .

أصحابُ الحديثِ يقرلون : الحُوَّب ، مضمومة الحاء مُثَقّلَة الواو . وإنّما هو الحَوْأبُ ، مفتوحة الحاء مهموزة : اسْمُ بعضِ المياهِ (١١٢) . أنشدني الغَنَرِي (١١٣) [قال] : أنشدني (١١٤) ثعْلبٌ :

ما هــو إلاّ شَرْبَةٌ بالحَوْأبِ
فَصَعّدِي من بَعْدِها أو صَوّبي

الحوأبُ : الوادي الواسعُ : قالَ بعضُ رُجّازِ الهُذَليّين يصفُ حافرَ فرَسٍ (١١٥) :

يلتهمُ الأرضَ بِوَأْبٍ حـوأبِ
كالقُـعْـلِ المنكَبّ فوق الأثْلَبِ

الوأْبُ : الخفيفُ . والقُمْعُلُ : القَدَحُ الضّخْمُ بلُغَةِ هُذَيْلٍ .

---

(١٠٩) هـ ، غ : : مثقلة .
(١١٠) رجل من اليهود في خلق الانسان للأصمعي ٢٢٥ وبلاعزو في خلق الانسان لثابت ٢١٣ .
(١١١) المسند ٦/٥٢ ، النهاية ١/٤٥٦ .
(١١٢) معجم البلدان ٢/٣١٤ .
(١١٣) أبو رجاء الغنري . ينظر غريب الحديث للخطابي ١/٦١ والعزلة ٢٣ ، ٦٨ .
(١١٤) هـ: أنشدنا . والبيتان بلا عزو في تهذيب اللغة ٥/٢٧٠ والصحاح (حوب) .
(١١٥) هـ ، غ : الفرس . والبيتان بلا عزو في تهذيب اللغة ٣/٢٩٧ .

٣١ــ (٩ ب) وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (الكَمْأةُ من المَنِّ وماؤها شِفاءٌ للعَيْنِ) (١١٦) .

الكَمْأةُ مهموزةٌ . والعامّةُ يقولونَ : الكَماة ، بلاهمز .

٣٢ــ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (رُفِعَ عن أمّتي الخَطأُ والنِّسْيانُ) (١١٧) .

العامّةُ يقولونَ : النَّسَيَان ، على وَزْنِ الغَلَيَان . وإنّما هو النِّسْيانُ ، بكسر النون ساكنة السين .

والخَطَأُ مهموزٌ غير ممدود . يُقالُ : أخْطَأ الرجلُ خَطَأً (١١٨) إذا لم يُصِبِ الصوابَ أو جرَى منه الذَّنْبُ وهو غير عامِدٍ . وخَطِىءَ خَطيئةً ، إذا تَعَمّدَ الذَّنْبَ . قالَ اللهُ تعالى : « ومَنْ يكْسِبْ خطيئةً أو إثْماً ثم يَرْمِ به بريئاً فقد احتملَ بُهتاناً وإثْماً مُبيناً » (١١٩) .

٣٣ــ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا صَدَقَةَ في أقلَّ من خمسِ أواقِيَّ) . (١٢٠)

الأَواقيُّ : مفتوحة [الألف] مُشَدَّدَة الياء غير مصروفةٍ ، جمعُ أوقيّة ، مثل : أضْحِيّة وأضاحِيّ ، وبُخْتيّة (١٠ أ) وبخاتِيّ ، [وربّما خُفّفَ فقيلَ : أواقٍ وأضاحٍ] (١٢١) .

والعامّةُ تقولُ : خمس آواق ، ممدودة الألفِ بغير ياء . والآواق إنّما هي (١٢٢) جمعُ أوْقٍ ، وهو الثقلُ (١٢٣) .

(١١٦) البخاري ٢٢/٦ ، مسلم ١٦٢٠ .
(١١٧) ابن ماجة ٦٥٩ ، الجامع الصغير ٢٤/٢ . وفي هـ ، غ ؛ : (رفع الخطأ والنسيان عن أمتي) .
(١١٨) من هـ ، غ . وفي الأصل : اخطأ .
(١١٩) النساء ١١٢ . و (أو اثما . . . مبينا) : ساقط من غ .
(١٢٠) البخاري ١٤٣/٢ ، مسلم ٦٧٤ – ٦٧٥ وفيهما : أواق .
(١٢١) من هـ . (١٢٢) (إنما هي): ساقط من غ . (١٢٣) (وهو الثقل) :ساقط من غ .

٣٤ـ ومما يجبُ أنْ يثقّلَ وهم يخفّفُونَهُ قولُ النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : (العاريّةُ مؤدّاةٌ) (١٢٤) . مشدّدة الياء ، ويُجمعُ على العواريّ ، مشدّدة كذلك . وهي اللغةُ العاليةُ (١٢٥) . وقد يُقالُ أيضاً : هذه عاريّة وعارَة .

٣٥ـ ومن ذلك حديثُهُ الآخر : (لمّا أتاهم نَعِيُّ جعْفَرٍ قالَ رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم : اصنعوا لآلِ جعْفَرٍ طعاماً) (١٢٦) .

النّعيُّ ، بتشديدِ الياء : الاسمُ . فأمّا النّعْيُ فمصدرُ (١٢٧) نَعَيْتُ الميّتَ أنعاهُ .

٣٦ـ ومن هذا البابِ : (نَهْيُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، عن لُبْسِ القَسّيّ) (١٢٨) .

وأصحابُ الحديثِ يقولونَ : القِسِيّ [مكسورة القافِ ، خفيفة السينِ : وهو غَلَطٌ لأنّ القِسِيّ جمعُ قَوْسٍ] وإنّما هو القَسّيّ ، مفتوحة القاف مثقلة السين ، [وهي ثيابٌ] تُنسَبُ الى بلادٍ يُقالُ لها : القَسُّ . ويُقالُ : إنّها ثيابٌ فيها حريرٌ يُؤتى بها مِن مِصْرَ . [وقيل أيضاً : إنّ القَسيّةَ هي القريةُ] (١٢٩) .

فأمّا الدراهِمُ (١٠ ب) القَسِيّة فإنّما هي الرديئةُ . يُقالُ : دِرهمٌ قَسِيٌّ ، مخفّفة السينِ مشدّدة الياء ، على وزنِ شَقِيّ ، وأراهُ مشتقاً من قولهم : في فُلانٍ قَسْوَةٌ ، أي جَفَاء وغِلْظة . وإنّما سُمّيَ الدرهم

(١٢٤) المسند ٢٢٢/٤ ، أبو داود ٢٩٧/٣ . ورواية هـ ، غ : (العارية مردودة) . وينظر : النهاية ٣٢٠/٣ .

(١٢٥) (وهي اللغة العالية) : ساقطة من م . وفي غ : في اللغة العالية .

(١٢٦) المسند ٢٠٥/١ ، ابن ماجة ٥١٤ . وفي غ : لما أتاه .

(١٢٧) هـ ، غ : فهو مصدر .

(١٢٨) مسلم ١٦٤٨ ، الترمذي ٢٢٦/٤ .

(١٢٩) من هـ .

الزائف قَسِيّاً لجفائِه وصلابتِهِ ، وذلك أنّ الجَيِّدَ من الدراهمِ يلينُ وينثني .

٣٧ ــ قولُ عُمَرَ ، رضي الله عنه : (إنّ قُرَيْشاً تريدُ أنْ تكونَ مُغَوَّيات لمالِ اللهِ) (١٣٠) .

مُشدَّدة الواو مفتوحتها جمعُ مُغَوّاة ، وهي كالحَفيرةِ (١٣١) والزَهْدَةِ تكونُ في الأرضِ .

وعَوامُّ الرواةِ يقولونَ : مُغْوِيات ، ساكنة الغين مكسورة الواو ، وهو خطأٌ ، والصوابُ هو الأوّلُ .

٣٨ ــ ومما سبيلُهُ أنْ يُخَفَّفَ وهم يثقّلونَهُ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في دعائِهِ : (وأعوذُ بكَ من شرِّ المَسيحِ الدَّجّال) (١٣٢) .

قد أُولِعتِ العامّةُ (١٣٣) بتشديدِ السينِ وكسرِ الميمِ ليكونَ ، [زَعَموا] ، فَصْلاً (١٣٤) بينَ مسيحِ الضلالةِ وبينَ عيسى ، صلوات الله [١١ أ] عليه ، وليس ما ادعوه بشيء ، وكلاهما مَسيح ، مفتوحة الميم خفيفة السين ، فعيسى ، صلوات الله عليه ، مسيح بمعنى ماسِح ، فَعيل بمعنى فاعِل ، لأنّه كانَ إذا مَسَحَ ذا عاهةٍ عُوفِيَ .

والدَّجّالُ مَسيح ، فَعيل بمعنى مَفْعُول ، لأنّهُ ممسوحُ إحدى العَيْنَيْنِ .

[ويُقالُ : معنى المَسيح في صفةِ الدجّال : الكَذّابُ . يُقالُ :

---

(١٣٠) غريب الحديث ٣/٣٢٣ – ٣٢٤ ، الفائق ٣/٨٠ ، النهاية ٣/١٩٦ .
(١٣١) من هـ ، غ . وفي الأصل : وهي الحفيرة .
(١٣٢) البخاري ١/٢٠٠ ، الترمذي ٥/٥٢٥ .
(١٣٣) هـ : العامة فيه .
(١٣٤) م : فرقاً .

رجُلٌ مِمْسَحٌ وتِمْسَحٌ وماسِحٌ ومِسِّيحٌ ، أي كذّابٌ . قالَهُ ابنُ الأعرابيّ](١٣٥) .

٣٩ ــ ومن هذا الباب في حديثِ الذَّكاةِ (١٣٦) : (أمْرِ الدَّمَ بما شِئْتَ) (١٣٧) .

من قولك : مراهُ يَمْريه [مَرْياً] ، إذا أسالَهُ . ومَرَيْتُ عيني في البكاء ، ومَرَيْتُ الناقةَ إذا حلبْتَها ، وناقةٌ مَرِيَّةٌ .

وأصحابُ الحديثِ يقرأون : أمِرَّ الدَّمَ ، مشدَّدة [الراء] ، يجعلونه من الإمرارِ ، وهو غَلَطٌ ، والصوابُ ما قلتُهُ (١٣٨) لكَ (١٣٩) .

٤٠ ــ ومنه (١٤٠) قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (المُعْوَلُ عليه يُعَذَّبُ بِبكاءِ أهلِهِ) (١٤١) .

ساكنة العين خفيفة الواو ، من أعْوَلَ يُعْوِلُ : إذا رفعَ صوتَهُ بالبكاء . والعامَّةُ تَرْويه : المُعَوَّلُ عليه ، بالتشديدِ على الواو(١٤٢) وليسَ (١١ ب) بالجَيِّد . إنّما المُعَوَّلُ من التَّعْويل ، بمعنى الاعتمادِ . يُقالُ : ما على فُلانٍ مُعَوَّل ، أي مَحْمَل . وقالَ بعضُهم : عوَّلَ بمعنى أعْوَلَ .

---

(١٣٥) من هـ . وينظر : اللسان والتاج (مسح) .

(١٣٦) غ : الزكاة .

(١٣٧) غريب الحديث ٥٧/٢ ، المسند ٢٥٦/٤ ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ٤٠١ ، الفائق ٣٧٥/٢ .

(١٣٨) من هـ ، غ . وفي الأصل : قلت .

(١٣٩) قال ابن الأثير في النهاية ٣٢٢/٤ : (وقد جاء في سنن أبي داود والنسائي : أمرر ، براءين مظهرين . ومعناه : اجعل الدم يمر ، أي يذهب . فعلى هذا من رواه مشدد الراء يكون قد أدغم ، وليس بغلط) .

(١٤٠) (ومنه) : ساقطة من هـ .

(١٤١) المسند ٣٩/١ ، مسلم ٦٤٠ ، النهاية ٣٢١/٣ .

(١٤٢) هـ ، غ : يشددون الواو .

٤١ ــ وقولُ عُمَرَ ، رضي الله عنه : (لا ينكحنَّ أحَدُكُم إلاّ لُمَتَهُ من النساء) (١٤٣) . أي مثله في السِّنِّ .

اللُمَة خفيفة . ومن الرواةِ مَنْ يُثَقِّله، وهو خَطأٌ . قالَ الشاعرُ(١٤٤):

فَدَعْ ذِكْرَ اللُّمات فقد تَفَانَوْا
ونَفْسَكَ فابكِها قبْلَ المَمَاتِ

فأمّا لِمّةُ الشَّعَرِ فمكسورةُ اللام مُثَقّلةُ الميمِ .

٤٢ ــ وأمّا قولُهُ : (إنَّ للمَلَكِ لَمّةً وللشّيطانِ لَمّة) (١٤٥) ، فإنّها مفتوحةُ اللامِ مُثَقّلةُ الميمِ .

٤٣ ــ وقولُهُ : (إنَّ اللّبنَ يُشَبِّهُ عليه) (١٤٦) .

قد يُثَقِّلُهُ الرُّواةُ (١٤٧) وهو مُخَفَّفٌ . يريدُ أنَّ الطفلَ الرضيعَ رُبّما نزعَ به الشَّبَه الى الظِّئْرِ .

٤٤ ــ ومما يُثَقِّلُونَه (١٤٨) من الأسماء ، وهي خفيفةٌ : سَنَةُ (١٤٩) الحُدَيْبِيَة (١٥٠) ؛ وعُمْرَةُ الجِعْرانَةِ (١٥١) .

٤٥ ــ (١٢ أ) وقولُهُ في الحوضِ : (ما بَيْنَ بُصْرى وعَمَان)(١٥٢) مفتوحةَ العينِ خفيفةَ الميمِ . وقالَ بَعْضُهُم : مشدّدة الميم .

---

(١٤٣) الفائق ٣/٣٣٠ ، النهاية ٢/٢٧٤ .
(١٤٤) بلا عزو في اللسان والتاج (لم) .
(١٤٥) الترمذي ٥/٢١٩ ، النهاية ٤/٢٧٣ .
(١٤٦) الفائق ٢/٢١٩ ، النهاية ٢/٤٤٢ .
(١٤٧) من هـ ، غ . وفي الأصل : العامة .
(١٤٨) هـ ، غ : ثقلوه .
(١٤٩) من هـ ، غ . وفي الأصل : شبه .
(١٥٠) النهاية ١/٣٤٩ : وهي مخففة ، وكثير من المحدثين يشددها .
(١٥١) النهاية ١/ ٢٧٦ : وهي بتسكين العين والتخفيف ، وقد تكسر العين وتشدد الراء .
(١٥٢) مصنف عبد الرزاق ١١/٤٠٦ . وينظر : معجم البلدان ٤/١٥١ .

فأمّا عُمَان التي هي (١٥٣) فُرْضَةُ البحرِ فهي مضمومةُ العَيْنِ [خفيفةٌ] .

[وقالَ ابنُ دُرَيْد (١٥٤) : دُومَةُ الجَنْدَلِ ، مضمومة الدال . وأصحابُ الحديث يغلطونَ فيها فيفتحون الدالَ ، وهو غَلَطٌ .

قالَ الأصمعيّ : بئرُ ذي أروان (١٥٥) معروفةٌ ، وهي التي دُفِنَ فيها عُقَد السِّحْرِ للنبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم . وبعضُهم يقولُ : ذروان ، وهو غَلَطٌ] (١٥٦) .

٤٦ — قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (اختَتَنَ ابراهيمُ [عليه السلامُ] بالقَدُومِ)(١٥٧) .

مُخَفَّفٌ . ويُقالُ : إنّهُ اسمُ مَوْضعٍ (١٥٨) . وكذلك القَدُومُ الذي يُعْتَمَلُ به ، مُخَفَّفٌ (١٥٩) أيضاً [وأنشد للأعشى (١٦٠) :

أطـافَ بـه شاهَبُورُ الجنـو
دَ حَوْلَيْنِ يَضْرِبُ فيه القَدُمْ](١٦١)

٤٧ — [وأمّا الحديثُ الذي يُروى : (أنَّ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، احتَجَمَ بلَحْيَيْ جَمَلٍ) (١٦٢) فإنّهُ اسمُ مَوْضعٍ] (١٦٣) .

(١٥٣) من هـ ، ع . وفي الأصل : التي تلي .
(١٥٤) جمهرة اللغة ٣٠١/٢ . وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن ، ت ٣٢١ هـ . (مراتب النحويين ٨٤ ، معجم الأدباء ١٢٧/١٨) .
(١٥٥) معجم البلدان ٢٩٩/١ .
(١٥٦) من هـ .
(١٥٧) البخاري ١٧٠/٤ ، مسلم ١٨٣٩ ، النهاية ٢٧/٤ .
(١٥٨) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ ٣٠٤ .
(١٥٩) هـ ، غ : خفيف .
(١٦٠) ديوانه ٣٣ .
(١٦١) من غ .
(١٦٢) الفائق ٣١٠/٣ ، النهاية ٢٤٣/٤ وفيهما رواية ثانية : بلحي جمل .
(١٦٣) من هـ .

٤٨ ـ ومِمّا يُخَفِّفُ والرواةُ تُثَقِّلُهُ (١٦٤) ما جاء في قِصَّةِ بني اسرائيل في تفسير قولِهِ عزَّ وجلَّ : «وأنزَلنا عليكُم المَنَّ والسَّلْوى»(١٦٥) إنّهُ السُّمَانَى .

أصحابُ الحديثِ يولعونَ (١٦٦) بتشديدِ الميمِ [فيه] ، وإنّما هو السُّمَانَى ، خَفِيفٌ ، اسْمُ طائرٍ . [وواحد السَّلْوَى : سَلْوَاةٌ] (١٦٧) .

٤٩ ـ وفي حديثِهِ في الكتابِ الذي كَتَبَهُ أبو بَكْرٍ ، [رضي الله عنه ، أنّهُ] قالَ : (ولا يُؤخذ في الصَّدَقَةِ هَرِمَةٌ ولا ذاتُ عَوارٍ ولا تَيْسٌ إلاّ أنْ يشاءَ المُصَدِّقُ) (١٦٨) .

عامّةُ الرواةِ والمُحَدِّثونَ يقولون : المُصَدِّق ، بكسر الدالِ ، يريدون (١٢ ب) العاملَ الذي يأخذُ الصَّدَقاتِ . ومعناه : إلاّ أنْ يرى العاملُ في أخْذِهِ حَظّاً لأهلِ الصدقةِ فيأخذ ذلكَ على النَّظَرِ لهم .

وأخبرني الحَسَنُ بنُ صالحٍ (١٦٩) عن ابن المُنْذِرِ (١٧٠) [قالَ] : كانَ أبو عُبَيْد يُنكرُ قولَهُ : إلاّ أنْ يشاءَ المُصَدِّقُ ، يقولُ : هكذا يقولُ المُحَدِّثون ، وأنا أراهُ : المُصَدَّق ، يعني ربَّ الماشيةِ (١٧١) .

---

(١٦٤) هـ ، غ : يثقلونه .
(١٦٥) البقرة ٥٧ . وينظر : تفسير الطبري ١/٢٩٥ ، تفسير القرطبي ١/٤٠٧ .
(١٦٦) غ : يقولون .
(١٦٧) من هـ .
(١٦٨) البخاري ٢/١٤٧ ، أبو داود ٢/٩٦ – ٩٧ ، النهاية ٣/١٨ . وفي الأصل : إلا ما شاء . وأثبتنا رواية هـ ، غ .
(١٦٩) المجلي ، وقيل : الحسن بن مسلم بن صالح . (ميزان الاعتدال ١/٤٩٣ ، تهذيب التهذيب ٢/٢٨٠)
(١٧٠) ابرهيم بن المنذر الحزامي ، ت ٢٣٦ هـ . (ميزان الاعتدال ١/٦٧ ، تقريب التهذيب ١/٤٣ – ٤٤) .
(١٧١) النهاية ٣/١٨ .

٥٠ ــ وفي حديثه ، صلّى الله عليه وسلّم ، الذي يَرْوِيه جُبَيْر بنُ مُطْعِم (١٧٢) في سَهْمِ ذوي القُرْبَى قالَ : (قُلتُ : يا رسولَ الله ، ما بالُ إخوانِنا بني المُطَّلِبِ أعطيتَهم وتركْتَنا وقرابتُنا واحدةٌ ؟ قالَ (١٧٣) : إنّا وبني المطلب لا نفترقُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ ، إنّما نحنُ وهم شيءٌ واحدٌ ، وشبّكَ بينَ أصابِعِه) (١٧٤) .

هكذا يقولُ أكثرُ المُحدِّثين .

ورواهُ لنا ابنُ صالح عن ابنِ المنذرِ قال: إنّما نحنُ وهم سِيٌّ واحدٌ (١٧٥) ، أي مِثْلٌ واحدٌ سواءٌ ، وهذا أجْوَدُ . يُقالُ : (١٣ أ) سِيُّ فُلانٍ ، أي مِثْلُهُ (١٧٦) .

وأخبرني العَنَزِيُّ قالَ : ثنا أبو العباس ثعلبٌ قالَ : يُقالُ : وقَعَ فلانٌ في سِيِّ رأسِهِ من النعمةِ (١٧٧) ، أي في مِثْلِ رأسِهِ .

وأنشدنا للحُطيئةِ (١٧٨) :

فإيّاكُـم وحيّةَ بَطْنِ وادٍ
هموزَ النّابِ ليسَ لكم بِسِيِّ

٥١ ــ [وفي حديثه : (أنّهُ ضَحّى بكَبْشَيْنِ مَوْجِيَّيْنِ) (١٧٩) .

وأصحابُ الحديثِ يقولونَ : مُوجَيَيْن . والصوابُ : مَوْجُوءَيْن (١٨٠) من وَجَأْتُهُ أجَأُهُ ، والاسمُ منه الوِجاءُ .

(١٧٢) صحابي ، ت ٥٩ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ١٣ ، الإصابة ٤٦٢/١) .
(١٧٣) هـ ، غ : فقال .
(١٧٤) ابن ماجة ٩٦١ ، النهاية ٤٣٥/٢ .
(١٧٥) (واحد) : ساقطة من هـ ، غ .
(١٧٦) الزاهر ٦٠٠/١ .
(١٧٧) هـ ، غ : النعيم .
(١٧٨) ديوانه ٣٨ . وفيه : حديد الناب .
(١٧٩) النهاية ١٥٢/٥ .
(١٨٠) أي خصيين .

٥٢ ــ ورَوَى القُتَبيّ (١٨١) حديثَ الاستسقاء عن عُمَر فذكرَ القِصّةَ وقالَ فيها : (فرأيتُ الأَرْنَبَةَ تأكلُها صُغْرى الإبِلِ) (١٨٢) .
وحكى عن الأصمعيّ (١٨٣) أَنّ الأَرْنَبَةَ نَبْتٌ .

وأنكرَ شَمِرُ بنُ حَمْدَوَيْه (١٨٤) أنْ تكونَ الأَرْنَبَةُ اسماً لشيء من النبات ، قالَ : وإنّما هي الأَرِينَةُ ، سمعتُ ذلك من فُصحاء العربِ ، قالَ : وقالتْ اعرابيةٌ ، من بَطْنِ مَرٍّ : هي الأَرِينَةُ ، وهي الخَطْمِيُّ غَسولُ الرأسِ] (١٨٥) .

٥٣ ــ وفي حديثِ ابنِ عُمَر ، رضي الله عنهما : (يُطْرِقُ الرجلُ فَحْلَهُ فيبقى حيريّ الدَّهْرِ) (١٨٦) .
[يُصَحِّفونَ فيه فيقولونَ : حَيْرَ الدَّهْرِ] .

أخبرنا ابنُ الأعرابيّ (١٨٧) قالَ : ثنا عباسٌ الدوريّ (١٨٨) قالَ : رواهُ فُلانٌ ونحنُ عندَ يحيى بنِ مَعين (١٨٩) : فيبقى حَيْرَ الدَّهْرِ .

---

(١٨١) غريب الحديث له ٢/٥٥ . والقتبي هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت ٢٧٦ هـ . (انباه الرواة ٢/١٤٣ ، طبقات المفسرين ١/٢٤٥) .
(١٨٢) الفائق ٣/٢٢١ ، النهاية ١/٤٢ . وفي غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٥٥ : (رأيت الأرنبة يأكلها صغار الإبل) .
(١٨٣) النبات ٢٠ .
(١٨٤) تهذيب اللغة ١٥/٢٢٩. وشمر بن حمدويه الهروي ، كان حافظاً للغريب ، ت ٢٥٥هـ. (نزهة الألباء ١٩٦ ، إنباه الرواة ٢/٧٧) .
(١٨٥) من هـ .
(١٨٦) الفائق ٢/٣٥٨ ، النهاية ١/٤٦٦ .
(١٨٧) شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن زياد بن بشر ، ت ٣٤١ هـ . (المنتظم ٦ / ٣٧١ ، تذكرة الحفاظ ٨٥٢) .
(١٨٨) أبو الفضل عباس بن محمد ، ت ٢٧١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٥٧٩ ، تهذيب التهذيب ٥/١٢٩) .
(١٨٩) من المحدثين الحفاظ ، ت ٢٣٣ هـ . (تذكرة الحفاظ ٤٢٩ ، طبقات الحفاظ ١٨٥) .

قالَ : [وكانَ أبو خَيْثَمة (١٩٠) حاضراً] فقالَ : [قالَ] لنا عبدُالرحمن بنُ مهدي(١٩١) : حينَ الدَّهْرِ (١٩٢) .

قالَ أبو سُليمان : والصوابُ : حيرِيَّ الدهرِ ، وهي كلمةٌ تقولُها في التأبيد . يريدُ (١٩٣) : أنَّ أجْرَهُ يبقى ما بَقِيَ الدَّهْرُ .

ويُقالُ [أيضاً] : حَيْرِيَّ الدهرِ وحارِيَّ (١٩٤) الدَّهْرِ . والأوّلُ ، وهو كَسْرُ الحاء ، أشْهَرُ .

[وقالَ ابنُ الأعرابيِّ : حيَرَ الدهر ، وهو جمع حيْرِيّ . قالَ : معناه : دوامُ الدهرِ ، أي ما دامَ الدهرُ متحيِّراً ساكناً] (١٩٥) .

٥٤ — [قولُهُ] : (لا صيامَ لمَنْ لم يَبْتُتْ الصيامَ من الليلِ) (١٩٦) .

ورواهُ العامّةُ : يُبِيتَ ، مضمومة الياء . واللغةُ العالية : يَبْتُتَ ، من بَتَّ يَبُتُّ : إذا قطعَ . ومَنْ رواهُ : يَبِيتَ ، فقد وهمَ ، إنَّما يَبِيتَ من باتَ يَبِيتُ . وقد رُوِيَ أيضاً : لمَنْ لم يُبَيِّت الصيامَ من الليلِ (١٩٧) .

٥٥ — ونظيرُ هذا من روايةِ العامّةِ قولُهُم في حديثِ العبّاسِ (١٩٨) : (لا يُفْضِضِ اللهُ فاكَ) (١٩٩) .

(١٩٠) زهير بن حرب ، ت ٢٣٤ هـ . (تذكرة الحفاظ ٤٣٧ ، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٣) .
(١٩١) من المحدثين الحفاظ ، ت ١٩٨ هـ . (تذكرة الحفاظ ٣٢٩ ، تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦) .
(١٩٢) تاريخ يحيى بن معين ٤٢/٤ — ٤٣ وبعد الدهر فيه : يريد أبداً .
(١٩٣) غ : يقول . .
(١٩٤) من هـ ، غ . وفي الأصل : حار .
(١٩٥) من هـ .
(١٩٦) الغريبين ١٢٤/١ ، الفائق ٧٢/١ ، النهاية ٩٢/١ .
(١٩٧) الفائق ٧٢/١ .
(١٩٨) العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) ، ت ٣٢ هـ . (نكت الهميان ١٧٥ ، الاصابة ٦٣١/٣) .
(١٩٩) الفائق ١٢٣/٣ ، منال الطالب في شرح طوال الغرائب ٤٤٠ ، النهاية ٤٥٣/٣ .

هكذا يقولونَ ، مضمومة الياء ، وإنّما هو : لا يَفْضُضِ اللهُ فاك ، مفتوحة الياء ، مِن فَضَّ يَفُضُّ] (٢٠٠) .

٥٦ ــ قولُهُ ، صلى الله عليه وسلم : (١٣ب) (لَخُلُوفُ فَمِ الصائمِ أطيَبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المِسْكِ) (٢٠١) .

أصحابُ الحديثِ يقولون : خَلُوف ، بفتحِ الخاء . وإنّما هــو خُلُوف ، مضمومة الخاء ، مصدر خَلَفَ فَمُهُ يخلُفُ [خُلُوفاً] : إذا تَغَيَّرَ .

فأمّـــا الخَلُوفُ فهــو الذي يَعِدُ ثُمَّ يُخْلِفُ . قالَ النمرُ بنُ تَوْلَب (٢٠٢) :

جَزَى الله عني جَمْرَةَ ابنةَ نَوْفَلٍ
جزاءَ خَلُوفٍ بالخَلالةِ كاذِبِ

٥٧ ــ قولُهُ، صلّى اللهُ عليه وسلّم : (صِيامُ عاشُوراءَ كَفّارةُ سَنَةٍ) (٢٠٣) .

عاشوراء ممدودٌ ، والعامّةُ تَقْصُرُهُ .

ويُقالُ : ليسَ في الكلامِ (فاعُولاء) ، ممدودٌ إلاّ عاشُوراء . هكذا قالَ بعضُ البصريين (٢٠٤) ، وهو اسمٌ إسلامي لم يُعْرَفْ في الجاهليّةِ .

---

(٢٠٠) من غ .
(٢٠١) البخاري ٣١/٣ ، مسلم ٨٠٧ ، الفائق ٣٨٧/١ .
(٢٠٢) شعره : ٣٨ . وفي الأصل : حمزة ابن . وما أثبتناه من هـ ، غ وهو الصواب. وفي حاشية الأصل : (قلت :صوابه جمرة ابنة . وكتبه محمد محمود بن التلاميد التركزي)
(٢٠٣) المسند ٢٩٥/٥ . وينظر : الترمذي ١٢٦/٣ ، تهذيب الآثار (مسند عمر بن الخطاب) ٣٦٩ – ٢٩٨ .
(٢٠٤) ينظر : الكتاب ٣١٨/٢ ، سفر السعادة ٣٧٤ .

٥٨ ــ ومما يُمَدُّ وهم يقصرونَه قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (اثبُتْ حِراءُ) (٢٠٥) .

سمعتُ أبا عُمَر يقولُ : أصحابُ الحديثِ يُخْطِئونَ في هذا الاسمِ ، وهو (١٤ أ) ثلاثةُ أحرُفٍ في ثلاثةِ مواضــع : يفتحونَ الحاءَ، وهي مكسورةٌ ، ويكسرونَ الراءَ ، وهي مفتوحةٌ ، ويقصرونَ الأَلِفَ ، وهو ممدودٌ (٢٠٦) .

قالَ : وإنّما [هو] حِراء . قالَ الشاعِرُ (٢٠٧) :

بثَوْرٍ ومَن أرسى ثبيراً مكانَهُ
وراقٍ لبِرٍّ في حِراء ونــازلِ

[وكذلك (قُباء) (٢٠٨) لمَسْجِدِ رسولِ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ممدودٌ] .

٥٩ ــ قولُهُ ، صلى الله عليه وسلّم : (الذَّهَبُ بالذَّهَبِ رِباً إلاّ هاءَ وهاءَ) (٢٠٩) . ممدودان .

والعامّةُ تَرْويه : هَا وهَا ، مَقْصُورَيْن . ومعنى هاءَ : خُذْ .

يُقالُ للرجلِ : هاءَ ، وللمرأةِ : هائي ، وللاثنين [من الرجالِ والنساء] : هاؤُما ، وللرجالِ : هاؤُمْ ، وللنساء : هاؤُنَّ . وهذا يُستعملُ في الأمرِ ولا يُستعملُ في النهي . فإذا قُلتَ : هاكَ ، قَصَرْتَ ، وإذا حَذَفْتَ الكافَ مَدَدْتَ ، فكانت المدَّةُ بدلاً من كافِ المخاطبةِ (٢١٠) .

(٢٠٥) ابن ماجة ٤٨ ، أبو داود ٢١١/٤ .
(٢٠٦) غ : وهي ممدودة (٢٠٧) أبو طالب ، ديوانه ١٠٥ . وصدرالبيت ساقط من هـ ، غ .
(٢٠٨) معجم البلدان ٣٠٢/٤ .
(٢٠٩) البخاري ٩٧/٣ ، مسلم ١٢١٠ ، ابن ماجة ٧٥٧ .
(٢١٠) ينظر : المدخل الى تقويم اللسان ق ١ ص ١٠٤ — ١٠٥ .

٦٠ – وفي حديثِه ، صلّى الله عليه وسلّم : (أنّهُ رَكِبَ (١٤ ب) ناقَتَهُ القَصْواءَ [يومَ عَرَفَةَ]) (٢١١) .

[القَصْواء] : مفتوحة القاف ممدودة الألف ، هي المقطوعة طرف الأُذُنِ . يُقالُ : قَصَوْتُ البعيرَ فهو مَقْصُوٌّ . ويقالُ (٢١٢) : ناقةٌ قَصْواءُ ، ولا يُقالُ : جَمَلٌ أقْصَى .

وأكثرُ المُحَدِّثين (٢١٣) يقولونَ : القُصْوَى ، وهو خطأٌ فاحِشٌ ، إنما القُصْوَى [نَعْتُ] تأنيثِ الأقْصَى ، كالسُّفْلى في نَعْتِ تأنيثِ الأَسْفَلِ .

٦١ – حديثُ أبي رَزين العُقَيليّ (٢١٤) أنّهُ قالَ : (يا رسولَ اللهِ ، أينَ كانَ رَبُّنا [عزَّ وجَلَّ] قبلَ أنْ يخلُقَ السّماواتِ والأرضَ ؟ قالَ : كانَ في عَماءٍ تحتَهُ هواءٌ وفوقَهُ هواءٌ) (٢١٥) .

يَرْويه بعضُ المُحَدِّثين : في عَمىً ، مقصورٌ ، على وَزْن عصاً وقَفاً . يريدُ أنّهُ كانَ في عَمىً عن علمِ الخَلْقِ ، وليسَ هذا شيئاً(٢١٦) ، وإنمّا هو : [في] عَماءٍ ، ممدود (٢١٧) .

هكذا رواهُ أبو عُبَيْدٍ وغيره من العلماء . قالَ : والعَماءُ : السحابُ . قالَ غيرُه : الرَّقيقُ من السَّحابِ .

---

(٢١١) مسلم ٨٨٦ ، ابن ماجة ١٠٢٢ .
(٢١٢) (يقال) : ساقطة من غ .
(٢١٣) هـ ، غ : أصحاب الحديث .
(٢١٤) هو لقيط بن صبرة ، وقد سلفت ترجمته في الحاشية (٥٩) .
(٢١٥) غريب الحديث ٢/٧ – ٨ ، ابن ماجة ٦٥ ، الفائق ٢٦/٣ . و (والأرض) : ساقطة من هـ ، غ . وفي الأصل : وتحته هواء . والصواب ما أثبتنا وهو من هـ ، غ .
(٢١٦) هـ ، غ : بشيء .
(٢١٧) هـ ، غ : ممدوداً .

ورواهُ بعضُهم : في غَمامٍ ، وليسَ بمحفوظ .

وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ : قولُه : أينَ كانَ ربُّنا ؟ يريد : أينَ (١٥ أ) كانَ عرشُ ربِّنا ؟ فحذفَ اتساعاً واختصاراً ، كقولِه تعالى : « واسألِ القريةَ » (٢١٨) ، [يريدُ : أهلَ القريةِ] ، وكقولِه تعالى : « وأُشْرِبوا في قلوبِهِم العِجْلَ [بكفرِهم] » (٢١٩). أي حُبَّ العجلِ .

قالَ : ويدلُّ على صحةِ هذا قولُهُ تعالى : « وكانَ عرشُهُ على الماء » (٢٢٠) قالَ : وذلكَ أنَّ السَّحابَ محلُّ الماء فكنَّى به عنه .

٦٢ — ومِمّا يُمَدُّ وهم يقصرونَهُ فيَفْسُدُ معناهُ حديثُ الشارِفَيْنِ : (وأنَّ القَيْنَةَ غنَّتْ [حَمْزَةَ فقالَتْ] :

ألاَ يا حَمْزَ ذا الشُّرُفِ النِّواءِ) (٢٢١) .

عوامُّ الرواةِ [يقولون : ذا الشَّرَفِ النَّوَى] ، يفتحون الشين ويقصرون النَّوَى (٢٢٢) .

وفسَّرَهُ محمد بن جرير الطبريّ (٢٢٣) فقالَ : النَّوى (٢٢٤) جمعُ نواة ، يريدُ الحاجةَ ، وهذا وَهْمٌ وتصحيف ، وإنَّما هو الشُّرُفُ النِّواءُ : جمعُ شارف ، والنِّواءُ : جمعُ ناويةٍ ، وهي السَّمينةُ .

٦٣ — ويُصَحِّفُونَ [أيضاً في قولِهِ ، عليه السلام] : (أناخَ بكم الشُّرُفُ الجُونُ) (٢٢٥) .

---

(٢١٨) يوسف ٨٢ .

(٢١٩) البقرة ٩٣ .

(٢٢٠) هود ٧ .

(٢٢١) البخاري ٣/١٤٩ ، مسلم ١٥٦٨ ، غريب الحديث للخطابي ١/٦٥٢ وتتمته فيه : وهن معقلات بالفناء

(٢٢٢) من هـ ، غ . وفي الأصل : النواء .

(٢٢٣) أبو جعفر صاحب التفسير والتاريخ ، ت ٣١٠ هـ . طبقات المفسرين للسيوطي ٩٥ ، طبقات المفسرين ٢/١٠٦) .

(٢٢٤) من هـ ، غ . وفي الأصل : النواء . (وينظر : غريب الحديث للخطابي ١/٦٥٢) .

(٢٢٥) الفائق ٢/٢٣٢ ، النهاية ٢/٤٦٣ .

يَرْوونَهُ : الشَّرَف الجَوْن . وإنّما هو الشُّرُفُ الجُونُ . مضمومة الشين والراء ، (١٥ب) جمعُ شارفٍ ، والجيم من الجُون مضمومة أيضاً . يريدُ الإبلَ المسانَّ ، والجُون : السُّودُ ، شبّه بها الفِتَنَ .

وقد رُوِيَ (٢٢٦) أيضاً : الشُّرُقُ الجُونُ ، بالقاف ، أي الجائية مِن قِبَلِ المَشْرِقِ .

٦٤ — وأمّا ما سبيلُهُ أنْ يُقْصَرَ وهم يَمُدُّونه فكقولِهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في الحَرَمِ : (لا يُخْتَلى خَلاها) (٢٢٧) .

والخَلَى (٢٢٨) ، مقصورٌ : الحَشِيشُ ، والمِخْلَى : الحديدةُ التي يُحْتَشُّ بها من الأرضِ ، وبه سُمِّيَتِ المِخلاةُ .

فأمّا الخلاء (٢٢٩) ، ممدودٌ ، فهو المكانُ الخالي .

٦٥ — وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا ثِنَى في الصدقةِ) (٢٣٠) . مقصورٌ مكسورُ الثاء ، أي لا تُؤخَذُ في السنةِ مرَّتَيْن. [قالَهُ الأصمعيّ] .

ومَن رَوَى (٢٣١) : لاثَناء في الصَّدَقَةِ ، ممدوداً ، يذهبُ الى أنَّ مَنْ تَصَدَّقَ على فقيرٍ طَلَبَ المدحَ والثناء فقد بَطَلَ أجْرُهُ فقد أبْعَدَ الوَهْمَ .

---

(٢٢٦) هـ ، غ : يروى . وهذه الرواية في النهاية ٤٦٥/٢ .
(٢٢٧) البخاري ١٩/٣ ، مسلم ٩٨٧ ، تهذيب الآثار (مسند عبدالله بن عباس) ٧ .
(٢٢٨) المقصور والممدود للفراء ٣٨ ، المقصور والممدود لابن ولاد ٣٩ .
(٢٢٩) المقصور والممدود لنفطويه ٣٢ ، الممدود والمقصور ٤٣ .
(٢٣٠) غريب الحديث ٩٨/١ ، الفائق ١٧٧/١ ، النهاية ٢٢٤/١ .
(٢٣١) هـ ، غ : رواه .

٦٦ــ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (١٦ أ) (المؤمنُ يأكلُ في مِعىً واحِدٍ) (٢٣٢) .

مكسورُ الميمِ مقصورٌ لايُمَدُّ المِعَى . والمعنى أنّهُ يتناولُ دُونَ شبعِهِ ويؤثِرُ على نفسِهِ ويُبقي من زادِهِ لغيرِهِ .

٦٧ــ ومِن هذا البابِ حديثُهُ الذي يُروى : (أنَّ جبريلَ ، عليه السلام ، أتى رسولَ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، عندَ أضاةِ بني غِفارٍ) (٢٣٣) .

أضَاة على وَزنِ قَطَاة . [يُقالُ : أضَاةٌ وأضاً ، كما قالوا : قَطَاةٌ وقَطاً] .

والعامّةُ تقولُ : أضاءة ، ممدودة الألفِ ، وهو خطأٌ .

٦٨ــ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (خَمْسٌ لا جُناحَ على مَنْ قَتَلَهُنَّ في الحِلِّ والحَرَمِ ، فذكرَ الحِدَأَةَ) (٢٣٤) .

يرويه بعضُ الرواةِ (٢٣٥) : الحَدَاة ، مفتوحة الحاء [ساكنة الألفِ] ، وإنّما هي الحِدَأةُ : مكسورة الحاء ، غير ممدودة (٢٣٦) مهموزةٌ .

٦٩ــ قولُ عائشة ، رضي الله عنها : (طَيَّبْتُ رسولَ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، لِحُرْمِهِ حينَ أحْرَمَ) (٢٣٧) .

مضمومة الحاء ، والحُرْمُ : الإحرامُ . فأمّا الحِرْم ، بكسرِ الحاءِ ، فهو بمعنى (١٦ ب) الحرامِ . يُقالُ : حِرْمٌ وحَرَامٌ ، كما قيلَ : حِلٌ وحَلالٌ .

(٢٣٢) الموطأ ٩٢٤ ، البخاري ٩٢/٧ ، مسلم ١٦٣١ .
(٢٣٣) مسلم ٥٦٢ ، أبو داود ٧٦/٢ ، النهاية ٥٢/١ . والأضاة : الغدير .
(٢٣٤) مسلم ٨٥٧ – ٨٥٨ ، ابن ماجة ١٠٣١ ، النهاية ٣٤٩/١ .
(٢٣٥) هـ ، غ : والعامة يقولون .
(٢٣٦) (غير ممدودة) : ساقط من هـ ، غ .
(٢٣٧) البخاري ٢١٠/٧ ، مسلم ٨٤٦ .

٧٠ ــ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا يُعْضَدُ شَجَرُها ولا يُخْبَطُ إلاّ الإذْخِر) (٢٣٨) . مكسورة الأوّلِ .

والعامّةُ تقولُ : الأَذْخِر ، مفتوحة الألف (٢٣٩) . وإنّما هو الإذْخِرُ .

٧١ ــ ومثلُهُ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : الإثْمِد ، في قولِهِ : (عليكم بالإثْمِد فإنّهُ يجلو البَصَرَ) (٢٤٠) .

٧٢ ــ [قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (أَرِبَ مالَهُ) (٢٤١) .

يُروَى على وجوهٍ : أحدها : أرِبُ مالَهُ . ومعناه : أنّهُ ذو إرْبٍ وخبرةٍ وعِلْمٍ . ويُروَى : أرِبَ مالَهُ ؟ ومعناه : احتاجَ فمالَهُ ؟ وقالَ بعضُهم : معناه : سَقَطَتْ أعضاؤهُ وأُصيبتْ . ويروَى : أرَبٌ ما لَهُ . يريد : أرَبٌ من الآرابِ جاءَ بِهِ ، و (ما) صِلَةٌ .

وهذا في حديثٍ : يُروى أنّ رجلاً اعترضَ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، ليسألَه فصاحَ به الناسُ ، فقالَ ، عليه السلام ، عندَ ذلكَ هذا القول](٢٤٢) .

٧٣ ــ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في المدينةِ : (مَنْ أحْدَثَ حَدَثًا أو آوى مُحْدِثًا) (٢٤٣) .

---

(٢٣٨) البخاري ١٩/٣ ، مسلم ٩٨٧ . والإذخر : نبات له رائحة عطرة .

(٢٣٩) هـ : مفتوح الأول .

(٢٤٠) أبو داود ٨/٤ ، الترمذي ٢٣٤/٤ – ٢٣٥ ، مسند ابن عباس ٤٧٣ . والإثمد : ضرب من الكحل .

(٢٤١) الغريبين ٣٤/١ – ٣٦ ، الفائق ٣٤/١ ، النهاية ٣٥/١ .

(٢٤٢) من هـ .

(٢٤٣) البخاري ٢٦/٣ ، مسلم ٩٩٩ .

الوجهُ أنْ يُقالَ : مُحدِثاً ، بكَسْرِ الدالِ . وقد يُحتَمَلُ أنْ يُقالَ : مُحدَثاً ، بفتحِها . والأوّلُ أجوَدُ .

٧٤ – ونظيرُ هذا قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في قصة ابراهيم ابن القبطيةِ : (أنّ لهُ مُرْضِعاً في الجنّةِ) (٢٤٤) .

يروى على وجهَيْنِ : مُرْضِعاً ، من أرْضعَتِ المرأةُ فهي مُرْضِعٌ . والمُرضِعُ : ذاتُ اللبن . فأمّا المُرْضِعةُ فهي التي لها ولَدٌ .

ويُروى [أيضاً] : مَرْضَعاً ، [مفتوحة الميم] أي رضاعاً .

٧٥ – (١٧ أ) وقولُهُ : (لبّيكَ إنّ الحَمْدَ والنّعْمةَ لكَ) (٢٤٥) .

إنّ مكسورة الألفِ أحسَنُ . وروايةُ العامةِ : أنّ الحَمْدَ ، مفتوحة الألفِ .

أخبرني أبو عُمَرَ عن أبي العباس ثعْلَب قالَ : مَنْ قالَ : أنّ ، بفتح الألفِ ، خصّ ، ومَنْ قالَ : إنّ ، بكسرِها ، عَمّ .

٧٦ – وفي قصّة سَوْقِ الهَدْي أنّ الأسْلميّ (٢٤٦) قالَ : (أرأيتَ ان أُزْحِفَ عليّ منها شيءٌ ؟ قالَ : تَنْحَرُها ثُمّ تَصْبُغُ نَعْلَها [في دَمِها] ثُمّ اضر على صَفْحَتِها : ولا تأكُلْ منها أنتَ ولا أحدٌ من أهْلِ رُفْقَتِكَ) (٢٤٧) .

يرويه المحدّثون : أزْحَفَ . والأجودُ أنْ يُقالَ : أُزْحِفَ ، مضمومة الألفِ . يُقالُ : زَحَفَ البعير إذا قامَ من الإعياء ، وأزحَفَهُ السّفَرُ .

---

(٢٤٤) البخاري ١٢٥/٢ ، ابن ماجة ٤٨٤ .

(٢٤٥) مسلم ٨٤١ ، ابن ماجة ٩٧٤ . وقد فصل فيه القول ابن الأنباري في كتابه الزاهر ١٩٨/١ – ١٩٩ .

(٢٤٦) حمزة بن عمرو ، صحابي ، ت ٦١ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ١٦ ، تهذيب التهذيب ٢١/٣) .

(٢٤٧) المسند ٢١٧/١ . والحديث ساقط برمته من هـ .

وإنّما منعه أهْلُ رُفْقَتِهِ أنْ يأكلوا منها شيئاً لئلاّ يتّخذوه ذريعةً الى نَحْرِها .

٧٧ – وفي حديثِ سَعْد بن (١٧ب) أبي وَقّاص (٢٤٨) حين قيلَ له : (إنّ فُلاناً يَنْهَى عن المُتْعَة . فقالَ : تَمَتَّعْنا مع رسولِ الله ؛ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُلانٌ كافرٌ بالعُرُشِ) (٢٤٩) .

[يريدُ بالعُرُشِ بيوتَ مكّةَ ، جمعُ عَرِيش] . يريدُ : أنّه كافرٌ (٢٥٠) ، وهو مقيمٌ بمكّةَ .

وبعضُهم يَرْوِيه : وهو كافرٌ بالعَرْشِ ، وهو غَلَطٌ .

٧٨ – في حديثِ أبي بُرْدَةَ [بن نِيار] (٢٥١) في الجَذَعَةِ التي أمرَهُ [عليه السلام] أنْ يُضَحّي بها قالَ : (ولا تجزِي عن أحَدٍ بَعْدَكَ) (٢٥٢) .

[تَجزي] مفتوحة التاء ، من جَزَى عني هذا الأمرُ يَجزِي عني : أي يقضي . يريدُ : أنّها لا تقضي الواجبَ عن أحدٍ بَعْدَكَ .

فأمّا قولُكَ : أجْزَأني الشيءُ ، مهموزاً ، فمعناهُ كفاني .

٧٩ – وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ (٢٥٣) [رضي الله عنهما] : (اضْحَ لِمَنْ أحْرَمْتَ لهُ) (٢٥٤) .

---

(٢٤٨) صحابي ، ت ٥٥ هـ . (حلية الأولياء ٩٢/١ ، خصائص العشرة الكرام البررة ١٣٧) . و(بن أبي وقاص) : ساقط من هـ ، غ .

(٢٤٩) مسلم ٨٩٨ ، النهاية ١٨٨/٤ .

(٢٥٠) هـ ، غ : كان كافراً .

(٢٥١) صحابي ، ت نحو ٤٥ هـ ،. (الاستيعاب ١٦٠٩ ، الإصابة ٥٢٣/٦ و ٣٦/٧) .

(٢٥٢) غريب الحديث ٥٦/١ ، مسلم ١٥٥٢ ، الفائق ٢٠٨/١ . وفي الأصل : عن أحد غيرك . وأثبتنا رواية هـ ، غ وهي مطابقة لرواية كتب الحديث .

(٢٥٣) عبدالله بن عمر بن الخطاب ، صحابي ،، ت ٧٣ هـ . (تهذيب الأسماء واللغات ٢٧٨/١/١ ، الإصابة ١٨١/٤) .

(٢٥٤) الفائق ٣٣٤/٢ ، النهاية ٧٧/٣ .

يرويه أكثرُ المحدِّثين : أَضْحِ ، مقطوعة الألف [مفتوحتها] ، وهو غَلَطٌ (٢٥٥) . والصوابُ : اضْحَ ، أي ابرُزْ للشمسِ .

وأمّا أَضْحِ فهو (٢٥٦) من أَضْحَى ، كما قيلَ : أمسى يُمْسي .

٨٠ — وفي قصّة صفيّة (٢٥٧) [بنت حُيَيّ ، رضي الله عنهـــا ، حينَ] (١٨ أ) قيل للنبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، يومَ النَّفْرِ : إنّها قد حاضَتْ ، فقالَ : (عَقْرَى حَلْقَى ، ما أُراها إلاّ حابِسَتَنا) (٢٥٨) .

أكثرُ المُحَدِّثين يقولون : عَقْرَى حَلْقَى ، على وزنِ غَضْبَى وعَطْشَى .

قال أبو عُبَيْد (٢٥٩) : وإنّما هو عَقْراً حَلْقاً ، على معنى الدعاء . معناهُ : عَقَرَها اللهُ وحَلَقَها . فقولُهُ : عَقَرَها ، يعني عَقَرَ جَسَدَها ، وحَلَقَها : أصابَها بوجعٍ [في] حَلْقِها .

قالَ أبو سُليمان : وقالَ غيرُهُ : العربُ تقولُ : لأُمِّهِ العَقْرُ والحَلْقُ ، (٢٦٠) أي ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ فتحلِقُ شعرَها ، وهي عاقِرٌ لا تَلِدُ .

ورَوَى عليّ بن خَشْرَم (٢٦١) ، عن وكيع بن الجَرّاح (٢٦٢) قالَ : قولُهُ : حَلْقَى ، هي المشؤومةُ . والعَقْرَى : التي لا تلِدُ من العُقْر .

قالَ الخليلُ (٢٦٣) : يُقالُ امرأةٌ عَقْرَى وحَلْقَى : تُوصَفُ بخِلافٍ وشُؤْمٍ .

---

(٢٥٥) (وهو غلط) : ساقط من هـ .
(٢٥٦) هـ ، غ : فأمّا هو .
(٢٥٧) زوج النبي (ص) ، ت ٥٠ هـ . (حلية الأولياء ٢/٥٤ ، الإصابة ٧/٧٣٨) .
(٢٥٨) البخاري ٢/١٧٤ ، مسلم ٩٦٥ ، ابن ماجة ١٠٢١ .
(٢٥٩) غريب الحديث ٢/٩٤ .
(٢٦٠) هـ ، غ : الحلق والعقر .
(٢٦١) من المحدثين ، ت ٢٥٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ٥٠٢ ، تهذيب التهذيب ٧/٣١٦) .
(٢٦٢) من المحدثين ، ت ١٩٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ٣٠٦ ، طبقات الحفاظ ١٢٧) .
(٢٦٣) العين ١/١٥١ — ١٥٢ . والخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت ١٧٠ هـ . (أخبار النحويين البصريين ٣٠ ، نور القبس ٥٦) .

قالَ [الليثُ] (٢٦٤) صاحبُه : إنّما اشتقاقُها من أنّها تَحلِقُ قَوْمَها وتَعْقِرُهم ، (١٨ ب) أي تستأصِلُهم من شُؤْمِها (٢٦٥) .

٨١ـ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم: (إذا أُتْبِعَ أحدُكُم على مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ) (٢٦٦) .

عَوامُّ الرواةِ يقولونَ : [إذا] اتُّبِعَ ، بتشديد التاء ، على وزنِ افْتُعِلَ . وإنّما هو : أُتْبِعَ ، ساكنة التاء ، على وزنِ أُفْعِلَ ، من الإتباعِ . ومعناهُ : إذا أُحيلَ على مَلِيءٍ فَلْيَحْتَلْ .

٨٢ـ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُم اللهُ يومَ القيامةِ ، فذكرَ المُنَفِّقَ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الفاجِرةِ) (٢٦٧) .

المُنَفِّق : مُشدّدة الفاء أجودُ ، يريدُ المُرَوِّج لها من النَّفاقِ .

فأمّا المُنْفِقُ ، ساكنة النون ، فإنّه يُوهِمُ مَعْنَى (٢٦٨) الإنفاقِ .

٨٣ـ وفي حديث عثمان ، رضي الله عنه : (لا تُكَلِّفوا الأَمَةَ غير الصَّناعِ كَسْباً فإنّها تكسبُ بفَرْجِها) (٢٦٩) .

الصَّناع ، خفيفة النون : التي تصنعُ بيدِها ، ضدّ الخَرْقاء التي لا تصنعُ .(١٩ أ) يُقالُ : رجلٌ صَنَعٌ وامرأةٌ صَنَاعٌ . قالَ الحُطيئةُ (٢٧٠) :

هُمُ صنعوا لجارِهم وليْسَتْ
يدُ الخَرْقاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّناعِ

(٢٦٤) الليث بن المظفر ، وقيل : الليث بن نصر ، وقيل : الليث بن رافع بن نصر . (تهذيب اللغة ٢٨ ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٩٤ ، بغية الوعاة ٢/٢٧٠) .
(٢٦٥) القول للخليل أيضاً في العين ١/١٥٢ .
(٢٦٦) البخاري ٣/٢٣ ، مسلم ١١٩٧ ، النهاية ٤/٢٥٢ .
(٢٦٧) مسلم ١٠٢ ، أبو داود ٤/٥٧ .
(٢٦٨) من هـ ، غ . وفي الأصل : بمعنى .
(٢٦٩) الموطأ ٩٨١ ، النهاية ٣/٥٦ .
(٢٧٠) ديوانه ٦٢ .

وروايةُ العامّةِ : غير الصنّاع ، مُثَقَّلَةُ النون ، لا وَجْهَ لَه .

٨٤ـ وفي حديثِ الحجّاجِ بنِ عمرو (٢٧١) : (ما يُذْهِبُ عني مَذِمّةَ الرّضاعِ ؟ قالَ : غُرّةٌ : عَبْدٌ أو أَمَةٌ) (٢٧٢) .

مَذِمّة ، بكسرِ الذالِ ، أجْوَدُ ، من الذِّمام . ومَذَمّة ، بفتحِها ، مِن الذّمِ .

٨٥ـ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في قصةِ دُرّة بنت أبي سَلَمة (٢٧٣) : (أَرْضَعَتني وأباها ثُوَيْبَة) (٢٧٤) .

أخبرنا ابن الأعرابيّ عن عبّاس الدوري قالَ : سألتُ [يحيى] بن مَعين عن حديثِ أمّ حَبيبة (٢٧٥) : هل لكَ في دُرّة بنت أبي سَلَمة ؟ فقالَ : أَرْضَعَتني وأباها ثُوَيْبَةُ . فقلتُ ليحيى : أَرْضَعَتْني وإيّاها [ثُوَيْبَة] ، (١٩ ب) فأبَى وقالَ : أرضعتني وأباها ثُوَيْبَة (٢٧٦) .

يريدُ أنّها ابنةُ أخيهِ من الرَّضاعةِ .

٨٦ـ حديثُ عبدالله بن عَمْرو (٢٧٧) في إتيانِ النساء في أدْبارِهِنّ ، [فقالَ] : (تلكَ اللُّوطيّةُ الصغرى) (٢٧٨) .

---

(٢٧١) الأنصاري ، صحابي . (الاستيعاب ٣٢٦ ، تهذيب التهذيب ٢٠٤/٢) .
(٢٧٢) أبو داود ٢٢٤/٢ ، الترمذي ٤٥٠/٣ ، النهاية ١٦٩/٢ .
(٢٧٣) ربيبة النبي (ص) . (الاستيعاب ١٨٣٥ ، الإصابة ٦٣٤/٧) .
(٢٧٤) البخاري ١٢/٧ ، مسلم ١٠٧٢ .
(٢٧٥) زوج النبي (ص) واسمها رملة بنت أبي سفيان ، ت ٤٤ هـ . (الإصابة ٦٥١/٧ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١٩) .
(٢٧٦) ينظر : تاريخ يحيى بن معين ٦٦/٣ .
(٢٧٧) عبدالله بن عمرو بن العاص ، صحابي ، ت ٦٥ هـ . (الاستيعاب ٩٥٦ ، الإصابة ١٩٢/٤) .
(٢٧٨) المسند ١٨٢/٢ .

رواهُ بعضُ أصحابِنا : تلكَ الرَّطْأَةُ (٢٧٩) للصغرى . وهو (٢٨٠) خَطَأٌ فاحِشٌ ، وفيــه (٢٨١) ما يُوهِمُ إباحــة ذلكَ الفِعْلَ . وإنّما هو : تلك اللوطية الصغرى ، على التشبيهِ [لَهُ] بعملِ قومِ لُوطٍ .

٨٧ــ حديثُ ابنِ المُسَيّبِ (٢٨٢) : (وَهَمَ ابنُ عبّاسٍ في تزويجِ مَيْمُونَةَ) (٢٨٣) .

يُقالُ : وَهَمَ الرجلُ ، إذا ذهبَ وَهَمُهُ الى الشيء . ووَهِمَ فيه ، مكسورة الهاء ، إذا غَلِطَ . وأَوْهَمَ : إذا أسقَطَ .

٨٨ــ [ومن هذا حديثُ ابن عبّاس ، رضي الله عنهما : (أنَّ رسولَ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، سَجَدَ للوَهَمِ وهو جالِسٌ) (٢٨٤) .

أي للغَلَطِ . يُقالُ : وَهِمَ يَوْهَمُ وَهَماً ، متحرِّكة الهاء ، مثل : وَجِلَ يَوْجَلُ وَجَلاً] (٢٨٥) .

٨٩ــ فأمّا قولُ عائشة [رضي الله عنها] حينَ ذُكِرَ لها قولُ ابنِ عُمَرَ [رضي الله عنهما] في قَتْلى بَدْرٍ : (وَهَلَ ابنُ عُمَرَ) (٢٨٦) فمعناهُ : غَلِطَ .

يُقالُ : وَهَلَ الرجلُ يَهِلُ وَهْلاً ، إذا غَلِطَ . ويُقالُ : ذهبَ وَهْلي الى كذا ، أي وَهْمي .

---

(٢٧٩) غ : الوطية .
(٢٨٠) غ : وفيه خطأ .
(٢٨١) هـ : وفيها .
(٢٨٢) سعيد بن المسيب ، تابعي ، ت ٩٤ هـ (طبقات الفقهاء ٥٧ ، غاية النهاية ١/٣٠٨) .
(٢٨٣) أبو داود ١٦٩/٢ ، النهاية ٢٣٤/٥ . .
(٢٨٤) النهاية ٢٣٤/٥ .
(٢٨٥) من هـ .
(٢٨٦) الفائق ٨٥/٥ (بكسر الهاء) ، النهاية ٢٣٣/٥ .

فأمّا (٢٠ أ) وَهِلَ ، بكسر الهاء ، فمعناهُ : فَزِعَ . يُقالُ : وَهِلَ يَوْهَلُ وَهَلاً .

٩٠ ـ حديثُ ابنِ عبّاسٍ [رضي الله عنهما] : (أنّ رجلاً قالَ لهُ : ماهذهِ الفُتْيَى التي شَعَبَتِ النّاسَ) (٢٨٧) . أي فرّقتْهُم .

كانَ شُعْبَةُ (٢٨٨) يرويه : شَغَبَتْ ، بغين مُعْجمة ، وهو غَلَطٌ . [والصوابُ : شَعَبَتْ ، بالعينِ غيرِ معجمةٍ] .

٩١ ـ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعاهِدَةً لم يَرَحْ رائحةَ الجنّةِ) (٢٨٩) .

رواهُ بعضهُم (٢٩٠) : لم يَرِحْ ، مكسورة الراء . ورواهُ بعضُهم : لم يُرِحْ . وأجودُها : لم يَرَحْ ، مفتوحة الراء ، من رِحْتُ أَرَاحُ : إذا وَجَدْتَ الريحَ .

٩٢ ـ قولُهُ [في حديثِ الجنينِ] : (كيفَ أعْقِلُ مَنْ لا أكَلَ ولا شَرِبَ ولا صاحَ ولا استهلَّ ، فمثلُ ذلكَ يُطَلُّ) (٢٩١) .

عامّةُ المحدّثينَ يقولونَ : بَطَلَ ، من البُطْلانِ . ورواهُ بَعْضُهم : يُطَلُّ ، أي يُهْدَرُ ، وهو جيّدٌ في هذا الموضع . يُقالُ : طُلَّ دَمُهُ (٢٩٢) ، إذا ذَهَبَ هَدَراً ، ودَمٌ مطلولٌ . (٢٠ ب) قال الشَّنْفَرَى (٢٩٣) :

(٢٨٧) مسلم ٩١٢ ، النهاية ٤٧٧/٢ .
(٢٨٨) شعبة بن الحجاج ، من المحدثين ، ت ١٦٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ ، خلاصة تذهيب الكمال ٤٤٩/١) .
(٢٨٩) البخاري ١٢٠/٤ ، النهاية ٢٧٢/٢ .
(٢٩٠) هـ ، غ : أكثر المحدثين يروونه .
(٢٩١) البخاري ١٧٥/٧ ، مسلم ٢٤/٤ .
(٢٩٢) هـ ، غ : طل دم الرجل .
(٢٩٣) شعره (في الطرائف الأدبية) ٣٩ .

إنَّ بالشِّعْبِ الذي دونَ سَلْعٍ
لقتيلاً دَمُـــهُ ما يُطَـــلُّ

٩٣ – في قِصَّةِ بني قُرَيْظَةَ أَنَّهُ قال [صلّى اللهُ عليه وسلّم] لسَعْدٍ [رضي الله عنه] : (لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ المَلِكِ) (٢٩٤) .
يرويه بعضُهم : [بحُكْمِ] المَلَكِ ، والأوّلُ أجودُ لأنَّ المَلِكَ هو اللهُ تعالى ، وله الحُكْمُ .

ومَنْ قالَ : المَلَك ، أرادَ الحُكْمَ الذي أوحاهُ اليه المَلَكُ ، أي أدّاهُ إليه عن اللهِ [عزَّ وجلَّ] .

٩٤ – وفي هذه القصّةِ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لقد حَكَمْتَ بحُكْمِ اللهِ فوقَ سبعةِ أَرْقِعَةٍ) (٢٩٥) . بالقاف .
يريدُ السموات . ومَنْ رواه (٢٩٦) : [أَرْفِعَة] ، بالفاء ، فهو غَلَطٌ .

٩٥ – حديثُ يزيد بن طارق (٢٩٧) : أنَّ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، قالَ : (ما مِن أحدٍ إلاّ وله شَيْطانٌ ، قيلَ : ولكَ يا رسولَ اللهِ قالَ : ولِـي ، إلاّ أنَّ الله تعالى أعانني عليه فأسْلَمُ) (٢٩٨) .
(٢١ أ) عامّة الرواةِ يقولونَ : فأسْلَمَ ، على مَذهبِ الفِعْلِ

(٢٩٤) البخاري ٨٢/٤ ، مسلم ١٣٨٩ .
(٢٩٥) غريب الحديث ١٢٤/٣ ، النهاية ٢٥١/٢ .
(٢٩٦) هـ ، غ : قال .
(٢٩٧) يزيدبن شريك بن طارق ، من المحدثين . (الإصابة ٧٠٠/٦ ، تهذيب التهذيب ٣٣٧/١١) . وفي حاشية هـ : صوابه شريك . أي يزيد بن شريك .
(٢٩٨) المسند ٣٨٥/١ ، مسلم ٢١٦٧ – ٢١٦٧ – ٢١٦٨ ، النهاية ٣٩٥/٢ . وهو ليس من حديث طارق فيها .

الماضي ، يريدونَ أنَّ الشيطان قد أسْلَمَ [إلاَ سُفيانَ بنَ عُيَيْنَة (٢٩٩) فإنَّهُ يقولُ : فأسْلَمُ] أي (٣٠٠) أسْلَمُ من شَرِّهِ ، وكانَ يقولُ : الشيطانُ لا يُسْلِمُ .

٩٦ ــ [في] قصّة موتِ أبي طالب أنَّهُ قالَ : (لولا أنْ تُعَيِّرني قُرَيْشٌ فتقول : أدْرَكَهُ الجَزَعُ لأقْرَرْتُ بها عَيْنَكَ) (٣٠١) .

كانَ [أبو العباس] ثعلبٌ يقولُ : إنَّما هو الخَرَعُ ، يعني الضَّعْفَ والخَوَرَ .

٩٧ ــ قولُهُ ، عليه السلام : (إنَّ من عبادِ اللهِ ناساً ما هُم بأنبياء ولا شُهداء يَغْبِطُهُم الأنبياء والشهداء ، قالوا : ومَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : قومٌ تحابّوا بِرُوحِ الله) (٣٠٢) .

الراءُ [من الروح] مضمومة ، يريدُ القُرآنَ . ومنه قولُهُ تعالى : « وكذلكَ أوْحَيْنا إليكَ رُوحاً من أمرِنا» (٣٠٣) .

٩٨ ــ قولُهُ ، عليه السلامُ : (فينبتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبّةُ في حَميلِ السَّيْلِ) (٣٠٤) .

[الحِبّةُ] بكَسْرِ الحاء : بُزورُ (٣٠٥) البَقْلِ (٢١ ب) والنباتِ . فأمّا الحِنْطَةُ ونَحْوُها (٣٠٦) فهو الحَبُّ لا غير .

---

(٢٩٩) من المحدثين ، ت ١٩٨ هـ . (ميزان الاعتدال ٢/١٧٠ ، تهذيب التهذيب ٤/١١٧).
(٣٠٠) من هـ ، غ . وفي الأصل : وانما المعنى اني أسلم .
(٣٠١) المسند ٢/٤٣٤ ، مسلم ٥٥ .
(٣٠٢) المسند ٥/٣٤٣ ، مجمع الزوائد ١/٢٧٧ . وفي غ ، هـ : لأناساً . وفي غ : مامن أنبياء .
(٣٠٣) الشورى ٥٢ .
(٣٠٤) البخاري ١/١٣ ، مسلم ١٦٥ ، النهاية ١/٤٤٢ . والحميل : مايجيء به السيل من طين أو غثاء .
(٣٠٥) من هـ ، غ . وفي الأصل : يريد .
(٣٠٦) من هـ ، غ . وفي الأصل : وغيرها .

٩٩ ــ قولُ ابنِ عبّاس [رضي الله عنهما] : (حُرِّمَتِ الخَمْرُ بعَيْنِها والسَّكَرُ من كُلِّ شَرابٍ) (٣٠٧) .

يرويه عامّةُ المُحَدِّثين : والسُّكْر [من كُلِّ شرابٍ ، مضمومة السين ، فيُبيحونَ به قليلَ المُسْكِرِ] . والصوابُ [أنْ يُقالَ] : السَّكَر ، مفتوحة السين والكاف . كذلك رواهُ أحمدُ بن حنبل (٣٠٨) ، ومعناهُ : المُسْكِر من كلِّ شرابٍ . قال الشاعر (٣٠٩) :

بئسَ الصُّحاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُم
إذا جرى فيهم المُزّاءُ والسَّكَرُ

١٠٠ ــ حديث جرير (٣١٠) [رضي الله عنه ، قالَ] : (سألتُ رسولَ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، عن نَظَرِ الفُجاءةِ ، فأمرني أنْ أطْرِقَ بَصَرِي) (٣١١) .

هكذا يرويه أكثرُ الناسِ . وأخبرنا ابنُ الأعرابيّ عن عبّاسٍ الدوريّ عن يحيى بن مَعين (٣١٢) [قالَ] : إنّما هو : أمرني أنْ أصْرِف بَصَري .

١٠١ ــ وفي الحديثِ : (أنّ النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم ، (٢٢ أ) قالَ لبني ساعِدة : مَنْ سَيِّدُكُم ؟ قالوا : جَدُّ بنُ قيسٍ وإنّا لنزنّهُ

(٣٠٧) الأشربة ٥٩ ، النسائي ٣٢١/٨ ، النهاية ٣٨٣/٢ .
(٣٠٨) في كتابه الأشربة ٥٩ . وابن حنبل أحد الأئمة الأربعة ، ت ٢٤١ هـ . (تاريخ بغداد ٤١٢/٤ ، طبقات الحنابلة ٤/١) .
(٣٠٩) الأخطل ، ديوانه ١١٠ .
(٣١٠) جرير بن عبد الله البجلي ، صحابي ، ت ٥١ هـ . (الاستيعاب ٢٣٦ ، الإصابة ٤٧٥/١) .
(٣١١) مسلم ١٦٩٩ ، النهاية ١٢٢/٣ .
(٣١٢) تاريخ يحيى بن معين ٤٠٦/٣ وفيه : أطرف بصري . أي أصرف .

على ذلكَ [بشيء] من البُخْلِ . قالَ : وأيُّ داءٍ أدْوَى من البُخْلِ)(٣١٣) .

هكذا يرويه أصحابُ الحديث ، لا يهمزونَهُ . والصوابُ أنْ يُهْمَزَ فيُقال : أدْوأ [لأنَّ الداءَ أصلُهُ من تأليفِ دالٍ وواوٍ وهمزةٍ .

يُقالُ : داءٌ وفي الجمعِ : أدواءٌ] . والفِعْلُ منه داءَ يَداءُ دَوْءاً ، تقديره : نامَ يَنامُ نَوْماً . ودَوَّأهُ المرضُ مثل نَوَّمَهُ . أنشدنا أبو عُمَرَ [قال] : أنشدنا [أبو العباس] ثعلبٌ عن ابن الأعرابيِّ لرجلٍ عقَّهُ ابناه (٣١٤) :

وكُنْتُ أُرَجِّي بعدَ عثمانَ جابراً
فدَوَّأ بالعَيْنَيْنِ والأنْفِ جابِــرُ

ويُقالُ : دَوِيَ الرجلُ يَدْوَى دَوًى ، إذا كانَ به مرضٌ باطِنٌ .

فأمّا الداءُ ممدودٌ [مهموز] فاسمٌ لكلِّ مرضٍ ظاهرٍ وباطِنٍ .

وقالَ عيسى بن عُمَرَ (٣١٥) : سمعتُ رجلاً يقولُ : برِئتُ إليكَ من كلِّ داءٍ تداوُهُ الإبلُ .

١٠٢ — [وفي الحديثِ : (تَنَفَّلَ رسولُ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، ذا الفَقَارِ يومَ بَدْرٍ) (٣١٦) . الفاءُ مفتوحةٌ والعامّةُ تكسرها .

وقد حُكِيَ أيضاً عن أبي العباس ثعلب : ذو الفِقار ، بكسرِ الفاء] .

١٠٣ — قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (٢٢ ب) (أنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ) (٣١٧) :

---

(٣١٣) الفائق ١/٤٤٤ ، النهاية ٢/١٤٢ ، مجمع الزوائد ٣/١٢٦ .
(٣١٤) بلاعزو في تهذيب اللغة ١٥/٤٤٧ وفيه : فلوأ .
(٣١٥) من قراء البصرة ونحاتها ، ت ١٤٩ هـ . (مراتب النحويين ٢١ ، أخبار النحويين البصريين ٢٥) .
(٣١٦) المسند ١/٢٧١ ، ابن ماجة ١٤٤٠ .
(٣١٧) المسند ١/٥ ، ابن ماجة ١٤٤٠ .

ساكنة الخاء . يريدُ أنّهُ يذكرُ (٣١٨) ذلك على [مذهب الشكرِ والتحدُّثِ بنعمةِ اللهِ دونَ] مذهبِ الفَخْرِ والكِبْرِ .

وسمعتُ قوماً من العامّة يقولونَ : ولا فَخَرَ ، مفتوحة الخاء ، وهو (٣١٩) خَطَأٌ ينقلبُ به المعنى ويستحيلُ الى ضِدِّ معنى الأوّلِ .

أخبرني أبو عُمَر ، أخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابيّ قالَ : يُقالُ : فَخَرَ الرجلُ بآبائِه يَفْخَرُ فَخْراً . فإذا قُلْتَ : فَخِرَ ، بكسر الخاء(٣٢٠) ، فَخَراً ، مفتوحتها ، كانَ معناهُ : أَنِفَ . وأنشَدَ (٣٢١) :

وتراهُ يَفْخَرُ أنْ تَحُلَّ بيوتُهُ
بمَحَلّةِ الزَّميرِ القَصيرِ عِنانــا

أي يأنَفُ منه .

قالَ أبو العباسِ (٣٢٢) : ويقالُ : فَخَزَ الرجلُ ، بالزاي معجمة ، وفايَشَ : إذا افتخرَ بالباطلِ ، وأنشدَ :

ولا تفخروا إنَّ الفياشَ بكم مُزْرِي (٣٢٣)

١٠٤ ــ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآنِ) (٣٢٤) .

الألفُ والذّالُ مفتوحتان ، مصدرُ أَذِنْتُ [للشيء] أَذَناً : إذا

(٣١٨) في الأصل : لايذكر . والصواب ما أثبتناه وهو من هـ وفي غ : إنما يذكر .
(٣١٩) هـ ، غ : وهذا .
(٣٢٠) هـ ، غ : مكسورة الخاء .
(٣٢١) بلاعزو في اللسان والتاج (فخر) .
(٣٢٢) في الأصل : قال لي أبو العباس . و(لي) مقحمة .
(٣٢٣) لم أقف عليه .
(٣٢٤) مسلم ٥٤٦ ، النهاية ٢٣/١ وفيه : كإذنه .

استمعتَ (٢٣ أ) إليه (٣٢٥) .. ومَنْ قالَ : كإذنِهِ ، فقدْ وَهِمَ .

١٠٥ – في قِصّةِ أبي عامر الذي يُلقّبُ بالراهبِ : (أنّهُ كانَ يدينُ الحنيفيّةَ [ويدعو إليها] فلمّا بلغَهُ أنّ الأنصارَ بايعوا رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، تغَيّرَ وخَبُتَ وعابَ الحنيفيّةَ) (٣٢٦) .

الروايةُ : خَبُتَ ، بالتاء ،[التي هي] أختُ الطاء . والعامّةُ ترويه : [خَبُثَ] بالثاء ، وهما قريبان في المعنى ، إلا أنّ المحفوظ : خَبُتَ(٣٢٧) ، بالتاء ، لا غير .

[قالَ اللّحيانيّ (٣٢٨) : يُقالُ : رجلٌ خبيتٌ نبيتٌ ، أي خسيسٌ حقيرٌ] (٣٢٩) .

١٠٦ – وفي الحديث الذي يرويه عياضُ بنُ حِمار (٣٣٠) عن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : (أنّهُ لمّا أُمِرَ بتبليغِ الوَحْيِ قالَ : اللّهُمّ إنْ آتِيهِم يُفْلَغْ رأسي كما تُفْلَغُ العِتْرَةُ) (٣٣١) .

أي يُشَقّ رأسي ، من الفَلْغِ (٣٣٢) ، وهو الشّقّ . ومَنْ قالَ : يُفْلَع (٣٣٣) ، فقد صَحّفَ .

---

(٣٢٥) هـ ، غ : له ـ .
(٣٢٦) الفائق ١/٢٥٠ ، النهاية ٢/٤ . وفي الأصل: تغير وجهه .
(٣٢٧) هـ ، : غ إنما هو خبث .
(٣٢٨) أبو الحسن علي بن حازم ، عاصر الفراء وأخذ عنه أبو عبيد . (نزهة الألباء ١٧٦ ، معجم الأدباء ١٤/١٠٦) . وتوكله في اللسان والتاج (نبت) ، وأخلت بها كتب الاتباع .
(٣٢٩) من هـ .
(٣٣٠) صحابي . (الاستيعاب ١٢٣٢ ، الإصابة ٤/٧٥٢) . وفي غ : عياض بن حماد ، بالدال .
(٣٣١) الفائق ٣/١٣٨ ، النهاية ٣/٤٧١ . وفي غ : يفلع ، تفلع ، بالعين .
(٣٣٢) غ : الفلع بالعين .
(٣٣٣) هـ ، غ : يقلع ، بالقاف والعين .

فأمّا قولُهُ : (يُثْلَغُ رأسي) (٣٣٤) ، فإنّهُ من حديثٍ آخر .

١٠٧ ــ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم ، حينَ رأى المَلَكَ : (فَجُئِثْتُ فَرَقاً) (٣٣٥) .

صَحّفَهُ بعضُهم [فقال] : فجَبُنْتُ ، من الجُبْنِ . وإنما هو : فَجُئِثْتُ ، أي فَرِقْتُ . يُقالُ : رجلٌ (٢٣ ب) مَجْؤوثٌ .

١٠٨ ــ وقولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا تُحَرِّمُ المَلْجَةُ والمَلْجَتَانِ) (٣٣٦) .

وقد رويناه أيضاً : المَلْحَةُ والمَلْحَتانِ ، وفَسَّرْناهُ في كتابِنا هذا (٣٣٧) .

★ ★ ★

(٣٣٤) المسند ١٦٢/٤ ؛ مسلم ٢١٩٧ . وفي غ : رأسه .
(٣٣٥) الغريبين ٣٠٩/١ . النهاية ٢٣٢/١ .
(٣٣٦) النهاية ٣٥٣/٤ ، ٣٥٤ . والملجة : المصة . والملحة : الرضعة الواحدة .
(٣٣٧) أي غريب الحديث ٥٧٧/١ .

ومما يتفاوت في الروايات ولا يختار لها المعنى

١٠٩ – قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (إنَّ شِدَّةَ الحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّم) (١) . [ويُروى] (٢) من فَيْخِ جَهَنَّمَ (٣) .

١١٠ – وقيلَ لخبّاب (٤) : (أكانَ رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يقرأ في الظُّهْرِ والعَصْرِ ؟ قالَ : نَعَمْ . قيلَ له : بِمَ كُنتم تعرفونَ ذلكَ ؟ قالَ : باضطرابِ لِحْيَتِهِ) (٥) .

وقيل : لَحْيَيْهِ . وكلاهُما قريبٌ .

١١١ – ومن هـذا النحوِ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا ينبغي لامرأةٍ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ إلاّ على زَوْجٍ) (٦) .

ويُروى : تَحُدَّ . وتُحِدَّ ، بالضَّمِّ (٧) ، أجودُ .

١١٢ – قولُهُ ، عليه السلام : (ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ مُؤمنٍ) (٨) . يُروى : لا يَغِلُّ ، من الغِلِّ .

قالَ أبو عُبَيْد (٩) : فمَنْ قالَ : يَغِلُّ ، بالفتح ، فإنَّهُ يجعلُهُ من

---

(١) البخاري ١٣٤/١ ، مسلم ٤٣٠ ، النهاية ٤٨٤/٣ .
(٢) يقتضيها السياق .
(٣) (من فيخ جهنم) : ساقط من غ .
(٤) خباب بن الأرت ، صحابي ، ت ٣٥ هـ . (حلية الأولياء ١٤٣/١، الإصابة ٢٥٨/٢).
(٥) البخاري ١٩٣/١ ، ابن ماجة ٢٧٠ .
(٦) النهاية ٣٥٢/١ .
(٧) من غ . وفي الأصل : بالحاء . وفي هـ : وتجد ، بالجيم ، أجود . وقال أبو عبيد في غريب الحديث ٣٨/٢ : (وفي إحداد المرأة لغتان : يقال : حدت على زوجها تحد وتحد حداداً ، وأحدت تحد إحداداً .
(٨) ابن ماجة ٨٤ ، الدارمي ٧٥/١ ، تاريخ أبي زرعة ٦٣٢ ، الفائق ٧٢/٣ .
(٩) غريب الحديث ١٩٩/١ . وفي غ : أبو عبيدة . وهو وهم .

الغِلّ ، وهو الضِّغْنُ (٢٤ أ) والشَّحناء . ومَنْ قالَ : يُغِلُّ ، بضم الياء ، جَعَلَهُ من الخيانةِ ، من الإغلالِ .

قالَ أبو سُليمان : وكانَ [أبو أسامة] حمّاد بن أسامة القُرشيّ (١٠) يرويه : يَغِلُ ، يجعلُهُ من وَغَلَ يَغِلُ وُغُولاً .

١١٣ ـ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا تُضارُونَ في رُؤْيتِهِ) (١١) .

يروى بالتخفيف ، أي لا يصيبكم ضَيْرٌ (١٢) ، وتُضارُّون ، مشدَّد ، من الضِّرارِ ، أي لا يُضارّ بعضُكم بعضاً بأنْ تتنازعوا فتختلفوا فيه فيقع بينكم الضِّرارُ .

١١٤ ـ ومثلُهُ : (تُضامُونَ في رُؤْيتِهِ ، وتُضامُّونَ) (١٣) .

الأُولى خفيفة ، من الضَّيْمِ . والأخرى مشدَّدة ، من التَّضامِّ والتداخُلِ .

١١٥ ـ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (مَنْ تَرَكَ مالاً فلأهلِهِ ، ومَنْ تَركَ ضَياعاً فإليَّ) (١٤) .

ضَياعاً ، بفتحِ الضّادِ ، مصدرُ ضاعَ [الشيءُ يضيعُ] ضَياعاً ، أي ما هو برَصَدِ أنْ (١٥) يضيعَ من عيالٍ وذُرِّيَّةٍ . ومَنْ كسرَ الضادَ أرادَ جمعَ ضائعٍ . يُقالُ : ضائع وضِياع كما يُقالُ : جائع وجِياع . والمحفوظُ (٢٤ ب) هو الأوّلُ .

(١٠) من رواة الحديث ، ت ٢٠١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٣٢١ ، ميزان الاعتدال ٥٨٨/١).
(١١) البخاري ١٥٦/٩ ، مسلم ٢٢٧٩ .
(١٢) هـ ، غ . وفي الأصل : ضرر .
(١٣) الفائق ٣٣٥/٢ ، النهاية ١٠١/٣ .
(١٤) البخاري ١٩٠/٨ ، مسلم ١٢٣٨ .
(١٥) غ : مؤذن بأن .

١١٦ ــ قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (لا يُتْرَكُ في الاسلامِ مُفْرَحٌ ومُفْرَجٌ) (١٦) .

وأكثرُهما في الرواية بالجيم ، وأعرَفُهما في الكلام بالحاء ، وهو المُثْقَلُ بالدَّيْنِ .

١١٧ ــ قولُهُ صلّى الله عليه وسلّم : (عَجِبَ ربُّكم مِن أَلِّكُم وقُنُوطِكُم) (١٧) .

يرويه المحدِّثون : من إِلِّكُم ، بكسرِ الألفِ . والصواب : أَلِّكُم ، بفتحِها . يُريدُ رَفْعَ الصوتِ بالدُّعاء .

١١٨ ــ [ورَوَى بعضُ الرواةِ في حديثِ عائشة ، رضي الله عنها : (والله ما اختلفوا في نُقْطَةٍ إلاّطار أبي بحظِّها) (١٨) ، فقالَ : في بُقْعَةٍ . والبُقْطَةُ : البُقْعَةُ من بقاعِ الأرضِ . وهذا مُتَوَجِّهٌ ، والمشهورُ : في نُقْطَة ، بالنون] (١٩) .

١١٩ ــ حديثُ عُبادَة (٢٠) : (البُرُّ بالبُرِّ ، مُدْيٌ [بمُدْيٍ])(٢١).

المُدْيُ غير المُدِّ . [المُدْيُ : مِكْيالٌ ضَخْمٌ لأهلِ الشامِ و] المُدّ : رُبعُ الصَّاعِ .

١٢٠ ــ وفي قِصَّةِ تزويج فاطمة ، رحمها الله: أنَّه لمّا بَنَى بها عليٌّ ،

---

(١٦) الفائق ٩٦/٣ ، النهاية ٤٢٣/٣ و ٤٢٤ . وجاء هذا الحديث في هـ ، غ قبل حديث : ثلاث لايغل . . . .

(١٧) غريب الحديث ٢٩٦/٢ ، الغريبين ٧١/١ .

(١٨) الغريبين ١٩٥/١ ، النهاية ١٤٥/١ و ١٠٧/٥ .

(١٩) من هـ .

(٢٠) عبادة بن الصامت ، صحابي ، ت ٣٤ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ٥١ ، الإصابة ٦٢٤/٣) .

(٢١) أبو داود ٢٤٨/٣ ، النهاية ٣١٠/٤ .

رضي الله عنه ، فلمّا أصبَحَتْ دَعا بهــا رسولُ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فجاءتْ خَرِقَةً من الحَياء) (٢٢) .

[خَرِقة ، بالقاف] أي خَجِلَة . وخَرِفَة ، بالفاء ، غَلَطٌ لا وَجْهَ له (٢٣) ها هُنا .

١٢١ – في الحديث : (مَنْ جَمَعَ مالاً مِن نَهاوِش) (٢٤) .

هكذا يقولُ أصحابُ الحديثِ : بالنونِ ، وهو غَلَطٌ . إنّما (٢٥ أ) هو : [من] تَهاوُش ، وزنُهُ : تفاعُل ، من الهَوْشِ ، وهو الاختلاطُ .

١٢٢ – قولُهُ ، صلّى اللهُ عليه وسلّم : (الحَرْبُ خَدْعَةٌ) (٢٥) .

اللغةُ العاليةُ : [خَدْعَة] ، مفتوحة الخاء . قالَ أبو العباس : وبَلَغَنا أنّها لغةُ النبي ، صلّى الله عليه وسلّم . والعامّةُ ترويه : خُدْعَة .

قالَ الكسائيّ وأبو زيدٍ (٢٦) : يُقالُ أيضاً : خُدَعَة ، مضمومة الخاء مفتوحة الدال .

١٢٣ – حديث عمر ، رضي الله عنه : (أنّه حَمَى غَرَزَ النَّقيعِ) (٢٧)

النَّقيع ، بالنون : مَوْضِــع . وليس بالبقيع الذي هو مَدْفَنُ الموتى بالمدينة .

١٢٤ – في الحديثِ : (مرتانُ الأرضِ للهِ ولرسولِهِ) (٢٨) .

---

(٢٢) الفائق ٣٦٢/١ ، مجمع الزوائد ٢١٠/٩ .
(٢٣) غ : لها .
(٢٤) غريب الحديث ٨٦/٤ وفيه : من مهاوش ، غريب الحديث لابن قتيبة ٢٧٦/١ ، وينظر : مجالس ثعلب ٣٦ ، الزاهر ٤٥٠/١ ، أمثال الحديث ١٦٠ ، المجازات النبوية ١٦٩ ، الفائق ١١٨/٤ ، التذييل والتذنيب ١١٥ .
(٢٥) البخاري ٢١/٩ ، مسلم ١٣٦١ ، مسند علي أبي طالب ١١٨ – ١٣٠ ، الاقتراح . ٢٤٨
(٢٦) تهذيب اللغة ١٥٨/١ . وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، ت ٢١٥ هـ . (تاريخ بغداد ٧٧/٩ ، وفيات الأعيان ٣٧٨/٢) .
(٢٧) المسند ١٥٧/٢ ، الفائق ٦٣/٣ .
(٢٨) سنن البيهقي ١٤٣/٦ ، الجامع الكبير ٨٤٩/١ .

يعني المَوات من الأرض . وفيه لُغتانِ : مَوْتان ، مفتوحة الميم ساكنة الواو . ومَوَتان : الميم والواو متحركتان .

فأمّا المُوتانُ فهو الموتُ . يُقالُ : وقَعَ المُوتان في المالِ .

١٢٥ — قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم: (مازالَتْ أكْلَةُ خَيْبَرَ تُعادُني) (٢٩) .

قالَ أبو العباس [ثعلب] (٣٠) : (٢٥ ب) لم يأكلْ رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، من تلكَ الشاةِ إلاّ لُقْمَةً واحدةً ، فلا يجوزُ أنْ يرْوَى : أَكْلَة ، مفتوحة الألف ، كما رواهُ بعضُ أصحاب الحديثِ . إنّما الأَكْلَةُ بمعنى المَرّة الواحدة من الأكلِ . والأُكْلَةُ ، بالضمّ : اللُقْمَةُ .

١٢٦ — في الحديثِ : (مَنْ غَيَّرَ تُخومَ الأَرضِ) (٣١) .

أي حُدُودها . المُعْرِبون : يفتحون التاء . والمُحدّثون يقولونَ : تُخوم : على أنّهُ جَمْعُ تَخْمٍ .

١٢٧ — في حديثِ سُؤالِ القَبْرِ : (لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ) (٣٢) .

هكذا يقولُ المحدّثون . والصوابُ : ولا ائتَلَيْتَ ، تقديرُه : افتَعَلْتَ ، أي لا (٣٣) استَطَعْتَ . من قولِكَ : ما ألَوْتُ هذا الأمر وما استطعتُهُ .

---

(٢٩) البخاري ١١/٦ ، الدارمي ٣٢/١ ، النهاية ١٨٩/٣ .

(٣٠) الغريبين ٦١/١ .

(٣١) النهاية ١٨٣/١ ، الجامع الكبير ٨٠٤/١ .

(٣٢) البخاري ١١٣/٢ ، ١٢٣ ، الغريبين ٧٦/١ ، الفائق ١٥٣/١ .

(٣٣) غ: ولا .

وفيه وجهٌ آخرُ : وهو أنْ يُقالَ : ولا أتْلَيْتَ . يدعو عليه بأنْ لا تُتْلِي إبلُهُ ، أي لا يكون لها أولادٌ تتلوها ، أي تَتْبَعُها (٣٤) .

١٢٨ – في حديثِ عبدالله بن مسعود (٣٥) : (أصْلُ كُلِّ داءٍ البَرَدَةُ) (٣٦) .

البَرَدَةُ ، مفتوحة الراء : التُّخمةُ . [و] أصحابُ (٢٦ أ) الحديثِ يقولون : البَرْدُ ، وهو غَلَطٌ .

١٢٩ – في حديثِ أبي هُرَيْرَة (٣٧) : (والرَّاوِيَةُ يومئذٍ يُسْتَقَى عليها أحَبُّ إليَّ من لاءٍ وشاءٍ) (٣٨) .

كذا (٣٩) يرويه المحدِّثون . وإنَّما هو : من ألآءٍ ، تقديره : أنْعاء ، وهي الثيرانُ . واحدُها : لأىً ، تقديرُه : لَعاً ، مثل : قَفاً وأقفاء .

١٣٠ – قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (الذي يشربُ في آنيةِ الفِضَّةِ إنّما يُجرجِرُ في بَطْنِهِ نارَ [جَهَنَّمَ]) (٤٠) .

الرواةُ يرفعون (نار) بمعنى أنَّ الذي يدخلُ جَوْفَهُ هو النارُ . والى نحوٍ [من] هذا أشارَ أبو عُبَيْدٍ (٤١) . وعلى ذلكَ دَلَّ تفسيرُهُ ، لأنَّهُ قالَ : الجَرْجَرَةُ : الصوتُ . ومعنى يجرجرُ : يريدُ صوتَ وقوعِ الماءِ في جَوْفِهِ . قالَ : ومنه قيلَ للبعير إذا صَوَّتَ : هو يُجَرْجِرُ .

(٣٤) وهناك وجوه أخرى ذكرها ابن الأنباري في الزاهر ١/٢٦٨ – ٢٦٩ .
(٣٥) صحابي ، ت ٣٢ هـ . (طبقات ابن سعد ٣/١٥٠ ، أسد الغابة ٣/٢٨٤) .
(٣٦) النهاية ١/١١٥ ، الجامع الكبير ١/١١٤ .
(٣٧) عبد الرحمن بن صخر ، صحابي ، ت ٥٩ هـ . (أسد الغابة ٦/٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ١/٣٢) .
(٣٨) الفائق ٣/١٢٨ ، النهاية ٤/٢٢١ . وفي الأصل : لروية . وما أثبتناه من هـ ، غ .
(٣٩) غ : هكذا .
(٤٠) الموطأ ٩٢٤ ، البخاري ٧/١٤٦ ، مسلم ١٦٣٤ .
(٤١) غريب الحديث ١/٢٥٣ – ٢٥٤ .

قالَ بعضُ أهلِ اللغةِ : إنّما هو : يجرجرُ في بطنِهِ نارَ [جهنّم] ؛ بنصبِ الراءِ . [قالَ] : والجَرْجَرَةُ : الصَّبُّ . يُقالُ : جَرْجَرَ في بطنِهِ الماءَ ، إذا صَبَّهُ ، جَرْجَرَةً ، وجَرْجَرَ الجَرَّةَ : إذا (٢٦ ب) صَبَّها . قالَ : ومعناه : كأنّهُ يَصُبُّ في جَوْفِهِ نارَ جهنّم .

١٣١ – قولُهُ ، عليه السلامُ : (قولوا بقَوْلِكُم ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ) (٤٢) .

معناهُ : لا يَتَّخِذَنَّكُم الشيطانُ جَرِيّاً . والجَرِيُّ : الأجيرُ والوكيلُ . ويُروى [أيضاً] : لا يَسْتَجِرَنَّكُم .

ورواهُ قُطْرُبٌ (٤٣) : لا يَسْتَحِيرَنَّكُم ، وفَسَّرَهُ من الحَيْرَةِ . وهو غير محفوظ . والصوابُ : لا يستجرِيَنَّكُم ، من الجَرِيِّ .

١٣٢ – قولُهُ ، صلّى الله عليه وسلّم : (الخالُ وارِثُ مَنْ لا وارِثَ له ، يَفُكُّ عَنِيَهُ ويَرِثُ مالَهُ) (٤٤) .

رواه بَعْضُهم : يفكُّ عَيْنَهُ ، الياء قبلَ النونِ ، وإنّما هو عَنِيَهُ ، والعَنِيُّ : العاني ، وهو الأسيرُ .

وقد يُروى [أيضاً] : عُنِيَّه ، مَصْدَرُ عَنَا الأسيرُ يَعْنُو عُنُوّاً وعُنِيّاً .

١٣٣ – حديثُ مَيْمون بن مِهْران (٤٥) أنّهُ قالَ : (عليكَ بكتابِ اللهِ ، فإنّ الناسَ (٢٧ أ) قد بَهَؤوا بِهِ) (٤٦) .

---

(٤٢) المسند ٢٤١/٣ ، أبو داود ٢٥٤/٤ .
(٤٣) محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠ هـ . (الأزمنة ١٠٩ ، أخبار النحويين البصريين ٣٨) .
(٤٤) المسند ١٣٣/٤ ، النهاية ٣١٤/٣ .
(٤٥) تابعي ، ت ١٤٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ٩٨ ، تهذيب التهذيب ٣٩٠/١٠) .
(٤٦) غريب الحديث ٣٧٢/٤ ، الفائق ١٤٠/١ ، النهاية ١٦٤/١ .

كذا (٤٧) يُروَى ، وإنّما هو : بَتهَأوا به ، مهموز . أي أنِسوا به واستخفوا بحقّه (٤٨) .

١٣٤ ــ أجمعَ أصحابُ الحديثِ والنحاةُ على كَسْرِ السينِ من سِرْبِهِ في قَوْلِهِ : (مَنْ أصْبَحَ آمناً في سِرْبِهِ) (٤٩) إلاّ الأخفش (٥٠) فإنّه قالَ : سَرْبه ، بالفتحِ ، يعني نَفْسَهُ .

١٣٥ ــ قَوْلُهُ ، عليه السلام : (إنَّ لكم رَحِماً سأبَلُّها ببلالِها) (٥١). الباء مفتوحة ، من باه يبله ، كالملال من مَلّهُ يَمَلُّهُ .

يُقالُ : وَلَغَ الكلبُ يَلَغُ وُلوغاً ، فإذا كَثُرَ قيلَ : وَلوغاً ، بفتح الواو ، لا غير .

١٣٦ ــ قالَ الزُّهْرِيّ (٥٢) : بَلَغَني (أنّهُ مَنْ قالَ حينَ يُصبحُ ويُمسي : أعوذُ بِكَ من شرِّ السّامّةِ والعامّةِ ، ومن شَرِّ ما خلقتَ ، لم تضره دابة) (٥٣) .

السّامّةُ : الخاصّةُ . ومنه قولُ امرئ القيسِ (٥٤) :

. . . .

. . . . مَسَمّةَ الدَّخْلِ

أي مَخَصّته .

(٤٧) غ : هكذا .
(٤٨) هنا ينتهي كتاب غريب الحديث للخطابي (غ) .
(٤٩) مسند الحميدي ٢٠٨/١ ، تهذيب الآثار (مسند علي بن أبي طالب) ٨٧ ، النهاية ٣٥٦/٢. وينظر : القرط على الكامل ٢٨٧ .
(٥٠) أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ . (نزهة الألباء ١٣٣ ، إنباه الرواة ٣٦/٢) .
(٥١) مسلم ١٩٢ ، النهاية ١٥٢/١ .
(٥٢) محمد بن مسلم ، تابعي ، ت ، ١٢٤ هـ . (المعارف ٤٧٢ ، طبقات الفقهاء ٦٣) .
(٥٣) الفائق ٢٠٠/٢ .
(٥٤) ديوانه ٢٠٤ وتمامه :
يا هل أتاك وقد يحدث ذر الـ ــود القديم . . . .

١٣٧ ــ قالَ عَطاءُ (٥٥) : (لا بأسَ أنْ يتداوَى (٢٧ ب) المُحْرِمُ بالسَّنَا والعِثْرِ) (٥٦) .

السَّنَا (٥٧) : نَبْتٌ يتداوَى به . والعِثْرُ (٥٨) : نَبْتٌ ينبتُ متفرّقاً .

قالَ الهذلي (٥٩) وذكرَ غَيْبَةَ قومِه بمِصْرَ :

وما كنتُ أخْشَى أنْ اعيشَ خِلافَهُم
بِستّةِ أبياتٍ كما نَبَتَ العِثْــرُ

١٣٨ ــ وقالَ ، عليه السلامُ : (اتّقُوا فِراسَةَ المؤمنِ فإنّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ) (٦٠) .

١٣٩ ــ وفي الحديثِ : (أنْ نَبْني المساجِدَ جُمّاً) (٦١) . أي لا شُرَفَ لها .

١٤٠ ــ وفي حديثٍ آخر : (أنّ ابنَ عُمَرَ كانَ لا يُصلّي في مَسْجِدٍ فيه قِذافٌ) (٦٢) .

قالَ الأصمعيّ : إنّما هي قُذَفٌ ، واحدتُها : قُذْفَة ، وهي الشُّرَفُ ، والقُذُفاتُ : رؤوسُ الجبالِ .

١٤١ ــ وفي حديثِ كَعْب (٦٣) : (شرُّ الحَديثِ التّجْديفُ) (٦٤) وهو كُفْرُ النِّعَمِ .

---

(٥٥) عطاء بن أبي رباح ، تابعي ، ت ١١٥ هـ . (حلية الأولياء ٣/٣١٠ ، صفة الصفوة ٢/١١٩) .
(٥٦) الفائق ٢/٢٠٢ ، النهاية ٣/١٧٨ .
(٥٧) النبات لأبي حنيفة ٢/١٨٠ .
(٥٨) النبات ١٥ .
(٥٩) البريق الهذلي ، ديوان الهذليين ٣/٢٥٩ .
(٦٠) النهاية ٣/٤٢٨ .
(٦١) الفائق ١/٢٢٤ ، النهاية ١/٣٠٠ . و(نبني) : ساقطة من هـ .
(٦٢) غريب الحديث ٤/٢٤٥ وفيه قول الأصمعي ، الفائق ٣/١٦٦ ، النهاية ٤/٣٠ .
(٦٣) كعب الأحبار ، تابعي ، ت ٣٢ هـ . (حلية الأولياء ٥/٣٦٤ ، الاصابة ٥/٦٤٧) .
(٦٤) غريب الحديث ٤/٣٤٢ ، الفائق ١/١٩٨ . وفي الأصل : التحذيف . وهو تصحيف .

١٤٢ – قَوْلُ اللهِ ، عزَّ وجَلَّ : « على حُبِّهِ مِسْكِيناً ويتيماً وأَسِيراً » (٦٥) .

لم يكنْ في عَهْدِ النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، (٢٨ أ) أسيرٌ إلاّ مِن المشركينَ ، فقد أثنى الله [تعالى] (٦٦) على مَنْ أحْسَنَ إليهم .

١٤٣ – وفي حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُغَفَّل (٦٧) : (لا تُرَجِّموا قَبْرِي) (٦٨) .

أي لا تجعَلوا عليه الرَّجَمَ ، وهي الحجارة . وهي الرِّجامُ أيْضاً .

قالَ الزُّهْرِيَ (٦٩) : الحديثُ ذَكَرٌ يُحِبُّهُ ذُكُورُ الرجالِ ، ويكرهُهُ مؤنَّثوهُم .

تَمَّ والحمدُ للهِ وَحْدَهُ وصَلَواتُهُ على
سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسلّمَ تَسْليماً

(٦٥) الانسان ٨ .

(٦٦) من م وبعدها : إلى من . . .

(٦٧) صحابي ، ت نحو ٦٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٤٢/٦ ، الإصابة ٢٤٢/٤) . وفي الأصل : المغفل . والصواب ما أثبتنا .

(٦٨) غريب الحديث ٢٨٩/٤ – ٢٩٠ ، النهاية ٢٠٥/٢ .

(٦٩) المحدث الفاصل ١٧٩ ، شرف أصحاب الحديث ٧٠ – ٧١ .

ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة

الدكتور احمد نصيف الجنابي

الأستاذ المساعد بكلية الاداب ــ بالجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

تحتل « ظاهرة المشترك اللفظيّ » مكاناً بارزاً في حقل الدراسات الدلالية ، لأنها واحدة من مجموعة الظواهر التي تؤلف بمجموعها ما يُسَمّى في علم الدلالة الحديث بالعلاقات الدلالية (*) . وهذه الظاهرة تمثل اول ظاهرة دلالية عرفها الفكر الانسانيّ ، بعد معرفته التسمية أو (وضع الاسماء للاشياء) .

واختلفت وجهات نظر اللغويين والدلاليين الى صلة هذه الظاهرة بوضوح الدلالة وغموضها ، فذهب فريق من قدامى الدلاليين ــ عندنا ــ ومن محدثي الغرب ، الى أن المشترك اللفظيّ يسبب نوعاً من الإبهام او الغموض في الدلالة .

لذلك بسطت وجهة نظرهم ، ثم رددتُ عليها ، لان هذه الظاهرة ترتبط ــ من حيث الوضوح أو الغموض ــ بقضايا سياقية عديدة نسيها أو اهملها هؤلاء الدلاليون .

واذا كان لكل ظاهرة من ظواهر العلاقات الدلالية منابع كوّنتها ، فانني وجدت أنّ من عناصر استكمال البحث أنْ اعرض لهذه المنابع .

(*) Semantic Relations

وقد جاء بحثي في ثلاثة أقسام ، أو (مباحث) :

الأول : مفهوم الظاهرة وصلتها بالفكر الانساني .

الثاني : منابعُ الظاهرة .

الثالث : الظاهرة بين وضوح الدلالة وغموضها .

وآمل أن اكون وَفّيْتُ هذه الظاهرة حقّها من البحث .

وغاية ما يفعله الإنسان الباحث أنْ يجتهد . وقد بذلتُ جهدي ، ولم آلُ . فإنْ وُفّقْتُ فتلك أُمنية كل مفكر وباحث ، وإلا فأرجو ألا أحرم وجهات نظر أخرى يحملها زملائي أو يحملها مفكرون ذوو أقدام راسخة في عام الدلالة . لأقوّم بها البحث .

والله أسأل أن يسدّد خطانا ، ويلهمنا الصواب في القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

★ ★ ★

المبحث الاول

مفهوم الظاهرة وصِلَتُها بالفكر الإنسانيّ

تعني هذه الظاهرة وجود لفظة واحدة دالّة على معنيين أو أكثر دلالة على السواء . (١)

فالمشترك اللفظيّ يعني وجود لفظة واحدة دالة على اكثر من معنى ؛ ولا حدود لهذا الأكثر ، فعلى قدر الاستعمال تكون الحدود ، غير انها حدود قابلة للتغيير . بل نستطيع أنْ نقول مطمئنين : إنّ التغيير من طبيعتها ، فكلما جدّ جديد في هذا الميدان اللغوي الواسع ، وظهرت معانٍ جديدة ، أضيفت الى المحصول اللغويّ ، فازدادت رقعة هذه الظاهرة . وكلما زالتْ دلالة من دلالات اللفظة من الاستعمال ضاقت المساحة اللغوية لهذه الظاهرة .

وهكذا اللغة : ميلاد وموت ، ومدّ وجزر ، وظهور واختفاء ، كالحياة الإنسانية نفسها .

ووجود هذه الظاهرة في اللغات المتقدمة في المضمار الحضاري أمرٌ أقرته الدراسات اللغوية الحديثة .

غير أن اللغات البدائية تخلو من هذه الظاهرة . وتوجد فيها بدلاً من ذلك كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية ، كما لاحظ (إدوارد سابير (٢) وستيفن أولمان) ، (٣) . وهما من أساتذة علم اللغة في العصر الحديث .

يقول أولمان : (والآثار المترتبة على تعدد المعنى للكلمة الواحدة بالنسبة الى الثروة اللفظية للغة ، آثار بعيدة المدى . من ذلك مثلاً : أن وجود كلمة

(١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم /٨٩ .
وما بعدها .
(٢) نظريات في اللغة ، لأنيس فريحة /٢٣ .
(٣) في كتابه : دور الكلمة في اللغة /١١٥ — ١١٦

مستقلة لكل شيء من الأشياء التي قد نتناولها بالحديث من شأنه أن يفرض حملاً ثقيلاً على الذاكرة الانسانية . وسوف يكون حالنا حينئذ أسوأ من حال الرجل البدائي الذي قد توجد لديه كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية : كغسل رأسه ، وغسل نفسه ، و غسل شخص آخر ، وغسل رأس شخص آخر ، وغسل وجهه ، وغسل وجه شخص آخر .. الخ . في حين لا توجد لديه كلمة واحدة للدلالة على العملية العامة البسيطة ، وهي : مجرد الغسل) .

إن أول قضية من قضايا « صلة الفكر الإنساني باللغة وبالعالم الخارجي » نشأت في ذهن الإنسان هي قضية وضع رموز للأشياء ، أو أسماء للمسميات ، وهي ما أشارت اليه الآية الكريمة : (وعلّم آدم الاسماء كلها) (٤) .

وهي مسألة تؤيدها كل الوقائع التي تتصل بفكر الإنسان وصلته بالعالم الخارجي ، مهما كانت النظرية التي نعتمد عليها في نشأة اللغة الإنسانية (٥) .

فاللغات البدائية ، لم تكن تعرف ظاهرة المشترك اللفظي ، لأنها ذات صلة بالرقي الفكري والحضاري للانسان ... وما اللغة إلا تعبير عن هذه النواحي المتصلة بالفكر الإنساني .

أما في الجانب الآخر من جوانب الحضارة الإنسانية ، فان وجود ظاهرة المشترك اللفظي في اللغات الحية المتحضرة أصبح من القضايا المسلم بها ، كحضور الأريج في الياسمين أو القداح . وفي لغتنا الجميلة تبدو هذه الظاهرة واضحة وضوح الشمس في وسط النهار الصيفي .

وقد اكتفيت في التمثيل لهذه الظاهرة — في لغتنا — بلفظتين : واحدة

---

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٣١

(٥) تنظر التفاصيل في : المدخل الى علم اللغة . للدكتور رمضان عبد التواب ، (ص) ١١٠ وما بعدها . ونظريات في اللغة ، لأنيس فريحة ، صفحات : ٢٢ وما بعدها . وكذلك :
O. Jespesen: Language, P. 330 FF.

فعلية ، والاخرى اسمية . فأعطيت مثالاً على الأولى الفعل (قضى) ، وأعطيت مثالاً على الأخرى الاسم (الحُدَى) .

فالفعل (قضى) يأتي بمعان عدة هي :

(١) فَصَلَ في الأمر ، وحكم .

ومن أمثلته قوله تعالى : (إنَّ ربَّكَ يقضي بينهم يومَ القيامة) (٦) ، أي : يفصل بينهم بحكمه ، وقوله تعالى : (وقُضي بينهم بالحقّ) (٧) ، وقوله تعالى : (فإذا جاء رَسُولُهُمْ قُضيَ بينهم بالقِسْطِ) (٨) .

ومن هذا الباب لفظ القاضي ، ولفظ القضاء .

(٢) أرادَ إرادةً قطعيّة .

ومنه قوله تعالى : (ما كان لمُؤْمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخيَرَةُ مِنْ أمرهم) (٩) ، وقوله تعالى : (اذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له : كُنْ فيكونُ) (١٠) .

(٣) ويأتي بمعنى عَمِلَ عَمَلاً بقُدرة وتمكّنٍ .

ومنه قوله تعالى : (فاقْضِ ما أنت قاضٍ : إنّما تقضي هذه الحياةَ الدُّنيا) (١١) ، وقوله تعالى : (ليقضي اللهُ أمْراً كانَ مفعولاً) (١٢) .

(٤) ويأتي بمعنى انتهى نهاية لا رجعة فيها .

ومنه الآية الكريمة : (قُضيَ الأمْرُ الذي فيه تَسْتفتيانِ) (١٣) ،

(٦) سورة يونس ، الآية : ٩٣ .
(٧) سورة الزمر ، الآية ٦٩ .
(٨) سورة يونس ، الآية ٤٧ .
(٩) سورة الاحزاب ، الآية ٣٦ .
(١٠) سورة آل عمران ، الآية : ٤٧ .
(١١) سورة طه ، الآية : ٧٢ .
(١٢) سورة الأنفال ، الآية : ٤٤ .
(١٣) سورة يوسف ، الآية : ٤١ .

والآية الكريمة : (وأنْذِرْهم يومَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمرُ) (١٤) .

(٥) وبمعنى أنجز العمل وأتمَّهُ وفرغ منه .

ومنه قوله تعالى : (فاذا قُضِيتِ الصَّلاةُ فانتشِرُوا في الأرضِ) (١٥) وقوله تعالى : (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله) (١٦) .

وبهذه الدلالة جاء الفعل (قضى) في بيت أبي ذُؤَيب الهُذَليّ :

وعليهمـــا مسرودتانِ ، قضـــاهمـــا
(داودُ) ، أو صَنَعُ السَّوابغِ (تُبَعُ)

(٦) وقضى فلانٌ عبرته : بكى حتى شفى .

وعلى هذا جاء بيت أوسِ بن حجر (١٧) .

أم هل كثيرُ بُكىً لم يقضِ عَبْرَتَهُ
إثرَ الأحبّةِ ، يوم البَيْنِ معـــذور

ويبدو أنّ هذه الرؤية ، وهذا التصور ، لابُدّ منهما ، لأننا لانستطيع أن نفترض معرفة الإنسان « بظاهرة المشترك اللفظي » قبل معرفته وضع اسم لكل مُسَمّى ، بشكل منفصل ؛ لأن معرفة المشترك اللفظيّ يقتضي معرفة لون من ألوان الرابطة الفكرية التي تفرضها هذه الظاهرة على الفكر الانسانيّ . كما تقتضي معرفة ظاهرة المشترك اللفظيّ معرفة الرابطة الاشتقاقية بين الالفاظ ، وهي مرحلة تقتضي معرفة أوسع من معرفة التسمية المجردة ، او وضع الرموز للاشياء مادية ومعنوية .

(١٤) سورة مريم ، الآية : ٣٩ .
(١٥) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .
(١٦) سورة (البقرة) الآية : ١٠٠ .
(١٧) اللسان (قضى) ٢٠ /٤٧ .

وقد أدلى فريق من أساتذة اللغة في القرن العشرين بشهادات تدلّ دلالة قوية على صحة هذا التصور وتعضده . فهذا (سابير) يقول في كتابه « اللغة » (١٩٢١ م) : « كلما رجعنا الى الوراء في تاريخ اللغات وجدنا مظاهرَ تعقيدٍ ، وعدم منطق . وكلما تقدمنا نحو الأعصر الاخيرة من تاريخ اللغة وجدنا شبه اتجاه نحو التبسيط والقياس والمنطق » . ويقول أيضا : « إن في لغة قبيلة يانا Yana ، في كاليفورنيا ، نوعين من التراكيب : واحداً للنساء ، وواحداً للرجال ، أيْ : أن لفظة بيت في لغة النساء كلمة مغايرة للفظة بيت في لغة الرجال) .

فإذا أضفنا الى ذلك شهادة « س . أولمان » في كتابه دور الكلمة في اللغة (١٩٥٤ م) ، وقد مضت ؛ ظهر لنا أن اللغات البدائية تتّسم بكونها :

أ . تفتقر الى المنطق .

ب . تفتقر الى القياس .

ج . تفتقر الى المشترك اللفظيّ .

وهذا يدلّ على أنّ أول ما نشأ في ذهن الإنسان هو وضع اسم لكل مسمى ، وأنّ (آدم) أصل الإنسان ، لم يكن يعرف من العلاقات بين الفكر والأشياء إلاّ هذه العلاقة القريبة : علاقة تسمية بسيطة بساطة الحياة الإنسانية في أول مراحلها .

وكُلّ الوجوه التي يدلّ عليها الفعل (قضى) ترجع الى أصل واحد ، هو التمام والانقطاع « وكل ما أحكم عمله وأتمّ أو أُدّيَ أداة واجباً ، أو أعلم او أُنفذ فقد قضى » (١٨) .

(٧) ومنه : القضاء والقَدَر

والمرادُ بالقَدَر : التقدير . وبالقضاء : الخَلْقُ .

---

(١٨) اللسان (قضى) .

وعليه جاءت الآية الكريمة : (فقضاهُنَّ سبعَ سَموات) (١٩) ، أي : فخلقهُنّ وعملهنّ وصنعهنّ وأحكم خلقهُنّ .

وعليه جاء قول عمرو بن ضُبيعة الرّقاشيّ : (٢٠)

ألا ايقُلْ من شاء ما شاء ، إنما
يُلامُ الفتى فيما استطاع من الأمر

قضى اللهُ حُبَّ المالكيّة فاصْطَبِر
عليه ، فقد تجري الأمورُ على قَدْر

فالقضاء والقدر ، أمران متلازمان ، لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ؛ لأنّ أحدهما بمنزلة الأساس (وهو القدر) ، والآخر بمنزلة البناء (وهو القضاء) .

(٨) ويأتي الفعل (قضى) بمعنى (مات وأمات) ، لازماً ومتعدياً .

ويبدو أن الفعل (قضى) بهذه الدلالة الأخيرة قد تطور ، من حيث التركيب النّحوي (٢١) ، الى أربع صيغ :

• الصيغة الأولى ، وتتكوّن من :

الفعل + الفاعل + حرف الجرّ + الاسم المجرور .

والاسم المجرور ، هو المفعول به في المعنى .

ومن أمثلته الآية الكريمة : (فلما قَضَيْنا عليه الموتَ ما دلَّهُمْ على موته إلاّ دابّةُ الأرض تأكُلُ مِنْسَأتَهُ) (٢٢) .

وهذه الصيغة هي الأصل في هذا التركيب النحويّ .

(١٩) سورة فصلت ، الآية : ١٢ .
(٢٠) ديوان الحماسة /٤٣٩ (ق ٥٨٦)
(٢١) Syntactic Structure
(٢٢) سورة سبأ ، الآية : ١٤ .

• الصيغة الثانية ، وتتكون من :

الفعل + الفاعل : اسم ظاهر او ضمير + الجار والمجرور .

ومن أمثلتها قوله تعالى : (يا مالكُ ليَقْضِ علينا ربُّكَ) (٢٣) ، أي : بالموت .

وقد تطورت الصيغة الثانية إلى :

• الصيغة الثالثة ، وتتكون من :

الفعل + الجار والمجرور .

ومن أمثلة هذه الدلالة قولهم : « قضى عليه » ، أي : أهلكه او أنهى دوره .
وعلى هذه الصيغة جاءت دلالة العبارة : « الضربة القاضية » في الملاكمة .

• الصيغة الرابعة ، وتتكون من :

الفعل + المفعول به (ضمير متّصل) + الفاعل (ضمير مستتر)

ومن أمثلة هذه الصيغة قول : عروة بن حزام يصف ناقته ، في نونيته المشهورة :

تَحِنُّ فَتُبْدِي مابها من صَبابة

وأُخفِي الّذي لولا الأَسَى (لقضاني)

وهنا يصدق قول العالم اللغويّ (جسبرسن) ، في كتابه — الجدير بالترجمة — (٢٤) « اللغة : طبيعتها ، وتطورها ، واصولها » : « ليس هناك أدنى ريب في أنّ جميع اللغات تتجه — في تطورها — نحو تقصير صيغ الكلمات » (٢٥) .

---

(٢٣) سورة الزخرف ، الآية : ٧٧ .
(٢٤) طبع بالانجليزية — حتى سنة ١٩٦٨ م — ثلاث عشرة طبعة .
(25) O. Jespersen : Language, P. 330

وقد سمّى العربُ « الموت » : « القَضيّ » ، بزنة « الوليّ والوصيّ » .

وهنا حدث تطوران :

الأول : استحداث كلمة جديدة دالّة على الموت ، للتخلص منه لغوياً ، في الأقل .

الآخر : التخلص — من الناحية النفسية — من أذى الموت ، والابتعاد عن شبحه ، فكرياً ونفسيا ...

وقد استعاضت العربيّة عن كلمة الموت بكلمات اخرى ، أو بعبارات ، مثل : مضى ، قضى نحبه ، خلّى مكانه ، صار في ذمة الخلود ، وغيرها .

ويبدو أن الاتجاه نحو التخلص من الموت بالمعنيين السابقين ، قد فعل فعله في اللغات الحية الاخرى .

ففي الفرنسية يقولون (بدلا من : يموت morir) :

Perir يفنى

Passer يمرّ

Trepasser يعبر

وغيرها من الألفاظ ، التي تسير في هذا الاتجاه . (٢٦)

وكذلك تستعيض اللغة الألمانية عن الفعل « مات » بمثل :

Vergehen : اختفى ، أو : زال .

Verbleichen : استحال اللون ، او : بهت .

erblassen : امتقع لونه .

وهكذا تفعل كل لغة حية ، ما دام شبحُ الموت يطارد الأحياء .

ومن أمثلة الأسماء في باب المشترك اللفظي (الهُدَى) .

(١) أصل معنى (الهدى) : الايصال .

وعليه جاء الحديث الصحيح الذي رواه الامام البخاري في صحيحه عن

(٢٦) اللغة ، لفندريس /٢٨٠ .

عبدالله بن مسعود ، قال : قال النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصّدق ، فان الصدق يهدي الى البرّ ، وإن البرّ يهدي الى الجنة ... وإياكم والكذب ، فإنّ الكذب يهدي الى الفُجور ، وإنّ الفجورَ يهدي الى النار ... » .

(٢) ومن هنا دلّتْ لفظة (الهُدَى) على (الطريق) .

ومن أمثلة هذه الدلالة الآية الكريمة : (او أجِدُ على النّارِ هُدَى »(٢٧) ، أي : طريقاً .

والشاهد الشعري هو قول الشّمّاخ : (٢٨)

قد وَكّلتْ بالهُدَى إنسانَ ساهمة

كأنّه مِنْ تمامِ الظِّمْءِ مسمولُ

وبهذه الدّلالة نفسها جاءت لفظة الهدى في سياق الآية : (وإنّكَ لَعَلَى هُدىً مستقيم) (٢٩) ، والآية الأخرى : (قل : إنّ هُدَى اللهِ هو الهُدَى).

ثم اكتسب لفظ « الهدى » معنى مجازياً ودلالةً جديدة بالاستعمالات القرآنية والمجازات النبوية ، فجاء بمعنى التسديد والدلالة على الخاتمة المحمودة وغير المحمودة ، والنهاية السعيدة وغير السعيدة .

أما في النهاية السعيدة ، فقد جاءت الآية الكريمة : (إنّ هذا القرآنَ يَهْدِي للّتي هي أقومُ ، ويُبَشِّرُ المؤمنينَ الذين يعملُون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً) (٣١) .

---

(٢٧) سورة طه ، الآية ١٠ .
(٢٨) اللسان (هدى) ٢٢٩/٢٠ .
(٢٩) سورة الحج ، الآية ٦٧ .
(٣٠) سورة الانعام ، الاية : ٩ .
(٣٠) سورة الانعام ، الآية ٧١ .
(٣١) سورة الاسراء ، الآية ٩ .

وفي هذه الدلالة جاء لفظ الهدى في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، في خطاب النّبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، له : « لأنْ يَهْدِيَ الله بك رجلاً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ) .

أما في النهاية السيئة ، فقد جاءت كلمة « الهدى » دالة عليها في الآية الكريمة : (فاهْدُوهم الى صِراطِ الجحيم) (٣٢) .

ولذلك أطلق العرب لفظة « الهدى » على « النهار » ؛ لأن الأشياء تظهر فيه ؛ فيستدل الإنسان بالضياء ، فيصل الى الأشياء ، ويهتدي اليها بوضوح وجلاء .

ومن هذا الباب اشتُقَّتْ الألفاظ الاصطلاحية الإسلامية في القرآن الكريم ، مع إعطائها دلالات جديدة .

فقد سمّى الله سبحانه وتعالى القرآن « نوراً وهدى » ؛ لأنّ هذا الكتاب العزيز نزل بلسان عربيّ واضح مبين ؛ ليفهمه الناس حقّ الفهم ؛ فيهتدي به من يهتدي على بيِّنة ، ويضلَّ مَنْ يضل عن بينة . قال تعالى : (يا أيّها النّاسُ قد جاء كم بُرْهانٌ من ربّكم ، وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) (٣٣) . وقال عزّ من قائل : (هو الذي ارسلَ رسُولَهُ بالهُدَى ودينِ الحَقّ) (٣٤) .

(٣) والهُدَى يقابل الضَّلال (في الايمان) .

وهذا المعنى كثير الدَّوَران في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهو المراد بالهدى عند إطلاقه .

ومن الأمثلة عليه قوله تعالى : (قُلْ : إنّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى)(٣٥) ،

(٣٢) سورة الصافات ، الآية : ٢٣ .
(٣٣) سورة النساء ، الآية : ١٧٤ .
(٣٤) سورة التوبة ، الآية: ٣٣ .
(٣٥) سورة الانعام ، الآية : ٧١ .

وقوله عزّ عنْ قائل: (ذلكَ هُدَىَ الله يَهْدِي به من يشاءُ مِنْ عباده) (٣٦)، وقوله سبحانه : (وإنّه لَهُدًىً ورحمةٌ للمؤمنين) (٣٧) ، وقوله تعالى : (وأمّا ثمودُ فهديناهُمْ فاستَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى) (٣٨) .

وغير هذا كثير .

(٤) والهدى الكتاب المُنَزَّل .

أما دلالة لفظة الهدى على القرآن الكريم ، فقد مضت .

أما دلالتها على التوراة الحقيقية ، فقوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الهُدَى) (٣٩) . ويشفع لهذا التفسير قوله تعالى في آية أخرى : (ولقد آتينا موسى الكتاب) (٤٠) .

أما دلالتها على الانجيل الحقيقي المنزل على عيسى ، عليه السلام ، فقد وردت الآية الكريمة : (وأنزلنا التوراةَ والإنجيلَ من قَبْلُ هُدىً للنّاسِ) (٤١) ، مشيرةً اليه .

(٥) ويأتي الهدى بمعنى الوضوح والبيان .

وفي هذه الحال يكون فعله لازماً ، لا متعدياً .

وعلى هذا دلت الآية الكريمة : (أفلم يَهْدِ لهم كم أهلكنا قَبْلَهُمْ من القرون يَمْشُون في مساكنهم) (٤٢) . ومثلها الآية الكريمة : (أو لم يَهْدِ لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون) (٤٣) .

---

(٣٦) سورة الانعام ، الآية : ٨٨ .
(٣٧) سورة النمل ، الآية : ٧٧ .
(٣٨) سورة فصلت ، الآية : ١٧ .
(٣٩) سورة غافر ، الآية : ٥٣ .
(٤٠) سورة السجدة ، الآية : ٢٣ .
(٤١) سورة آل عمران ، الآية : ٤ .
(٤٢) سورة طه ، الآية ٤ .
(٤٢) سورة طه ، الآية : ١٢٨ .
(٤٣) سورة السجدة ، الآية : ٢٦ .

(٦) والهادي : الداعي :

ومن أمثلته القرآنية قوله تعالى : (إنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يهدي الى الرُّشْد ، فآمنّا به) (٤٤) ، أي : يدعو الى الرُّشد . وقوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمّةً يَهْدُون بأمرنا » (٤٥) ، وقوله تعالى : (إنّا سَمِعنا كتاباً أُنزل من بعدِ موسى مُصدِّقاً لما بينَ يَدَيْهِ ، يَهْدي الى الحقّ) (٤٦) .

(٧) والهدى : معرفة السرّ أو الأمر الخفيّ .

قال تعالى في شأن سليمان وبلقيس : (قال : نَكِّرُوا لها عَرْشَها ننظر أتَهْتَدي أم تكونُ من الّذين لا يهتدون) (٤٧) ، أي : أتعرفُ السِّرّ أم تكونُ من الذين لا يعرفون (٤٨) .

(٨) والهُدَى : الإلهام .

ومن ذلك الآية الكريمة : (الّذي أعطى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (٤٩) ، والآية الكريمة : (والّذي قدّر فَهَدَى . والذي أخرج المرْعى ، فجَعَلَه غُثاءً أحْوَى) (٥٠) .

وقد اوردت كتب اللغة وكتب المشترك اللفظي دلالات أخرى للفظة «الهدى»(٥١)،غير أنني وجدتها متداخلة مع الدلالات التي اوردتُها ، ولذلك اعرضت عن ذكرها .

---

(٤٤) سورة الجن ، الآية : ٢ .
(٤٥) سورة السجدة ، الآية : ٢٤ .
(٤٦) سورة الاحقاف ، الآية : ٣ .
(٤٧) سورة النمل ، الآية ٤١ .
(٤٨) الأشباه والنظائر ، لمقاتل بن سليمان /٩٢ .
(٥٠) سورة الأعلى ، الاية : ٣
(٤٩) سورة طه ، الآية : ٥٠ .
(٥٠) سورة الأعلى ، الآية : ٣ .
(٥١) الأشباه والنظائر ٨٩ — ٩٣ ، وتهذيب اللغة (هدى) ٣٧٨/٦ ، واللسان (هدى) ٢٢٩/٢٠ — ٢٣١ .

الدكتور احمد نصيف الجنابي

المبحث الثاني

منابعُ ظاهرة المشتركِ اللفظيّ

إن منابع المشترك اللفظيّ الأساسية هي :

(١) التوليد الدلالي

توليدُ الدلالة الجديدة سِمَة من سِمات الحياة اللغوية النامية المتجددة أبداً . وهو علامة من علامات الصحة ، وإشارة الى أن الحياة طبيعية بشرط أن يكون في نطاق الحياة وفي حدود متطلباتها الفكرية والثقافية والعلمية ، لا أنّ يكون سِمَة من سمات الفتنة بكل جديد — مهما كان — ولا الركض وراء كُلّ مدّعٍ مدخول السريرة يحاول باسم الجديد أن يمسخ لغة الأُمّة وتراثها وشخصيتها . واذا كان الركض وراء كل جديد منهجاً لأُمّة ، فهذا يعني أن هذه الأمّة قد فقدتْ مقوّماتها وروحها وشخصيتها .

إنّ الحياة الإنسانية والحياة الكونية ، لهما جانبان :

جانب الثبات ، وجانب التغير . ويحدث التغير بحسب القوانين والسنن الكونية الثابتة التي وضعها خالق الكون .

وما اللغة إلا مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ، فالدلالات تتطوّر فيها أو تتولد (أو تُوَلّد) ، بحسب ضوابط وقوانين وأنظمة . ولكل لغة قواعد وأنظمة يجب أنْ تُراعى ؛ لأنّ عدم مراعاتها يُخرج الإنسان عن طبيعة تلك اللغة ، فلا يفهمه أهلها . فكيف بغيرهم ؟ !

فاللغة ودلالتها في تجدد دائم وفي ميلاد مستمرّ . وتجددها سِمَةٌ من سِمات الحياة ، مثل تجدد الحجيرات في جسم الإنسان .

وفي اللغة العربية — قبل ظهور نور الاسلام — معجم كبير من الدلالات .

ثم جاء الإسلام فدخلت اللغة العربية بالقرآن الكريم ، في طور جديد ،

وحياة جديدة . وجاء القرآن العظيم باستعمالات جديدة ودلالات جديدة ... إنه سفْرٌ جديد للحياة الإنسانية ، وللحياة اللغوية .

وقد سَمَّى اللغويون هذا الجديد اللغويّ « المصطلح الإسلامي » ، أو « الكلمات الاسلامية » . والتعبير الأول أدقّ .

ولأبي حاتِم الرّازيّ : أحمد بن حمدان (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) كتاب : « الزينة في الكلمات الإسلامية » .

وللشريف الجُرْجانيّ (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) كتاب : «التعريفات » ، وهو في مصطلحات العلوم والآداب العربية والإسلامية .

وبعدهما يأتي التهانَويّ (المتوفى سنة ١١٥٩ هـ) ، بكتابه القيم : « كشّاف اصطلاحات الفنون » ، وهو أوسع كتب المصطلح الإسلامي .

وفي قسم من كتب اللغة «كالصاحبي » (لأحمد بن فارس ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ، و « المزهر » للسُّيُوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) مباحث في المصطلحات الإسلامية .

وللأدباء والكتاب والشعراء المبدعين أثر كبير في توليد الدلالة الجديدة . فقد أتى هؤلاء باستعمالات مستحدثة ، ودلالات جديدة لم تكن معروفة عند العرب من حيث الاستعمال ، فوسّعوا بذلك من دائرة المشترك اللفظيّ .

وقد لاحظ (ابن فارس) الأسباب الإسلامية لتطور اللغة العربية ، فقال : « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ... فلما جاء الاسلام ، حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلتْ أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضعَ أُخَرَ ، بزيادات زيدتْ ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت » (٥٢) .

(٥٢) الصاحبي في فقه اللغة /٧٨ .

وهذه نظرة دقيقة ووقفة سليمة ، تمثل واقع اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم .

وهي ليست بغريبة على الرجل الذي ألّف « مقاييس اللغة » ، الكتاب المعبرّ عن نظرة أصيلة الى اللغة ، سواء أوافقنا وجهة نظره أم خالفناها .

وأول كتاب يتّصل بالدراسات القرآنية في علم الدلالة له علاقة بظاهرة المشترك اللفظيّ ، هو كتاب « الأشباه والنظائر في القرآن الكريم » لمقاتل بن سليمان : اللغوي المفسّر ، (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) . وقد جمع فيه (١٨٥) لفظة من ألفاظ المشترك اللفظيّ ، في القرآن الكريم ، منها الاسماء ، ومنها الأفعال ، ومنها الحروف ؛ وهي أقلها عدداً .

والسّمَةُ البارزة في الكتاب أنه يبيّن أثر السّياق في تحديد الدلالة وتوضيحها ، مع بيان أثر اختلاف الموقع في اختلاف المعنى .

غير أنه لم يستوعب كل ألفاظ المشترك اللفظيّ في القرآنَ الكريم ، ولا معاني كل لفظ أورده (٥٣) .

وهو بهذا أول معجم دلالي (خاص ومحدود) ، من معاجم المشترك اللفظيّ ، يصل إلينا .

أمّا إذا أردنا المعجم بمعناه العام ، فيكون « كتاب العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ — ١٧٥ هـ) اول معجم شامل من معاجم المشترك اللفظيّ (٥٤) .

---

(٥٣) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م بتحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاتة .

(٥٤) بإزاء هذه الحقيقة التاريخية يكون قول الدكتور أحمد مختار عمر : (إن كتاب المنجد في اللغة ، لكراع النمل، أتم كتاب شامل يصل الينا في موضوع المشترك اللفظي) قولا يحتاج الى مراجعة لأن كراع النمل توفي سنة ٣١٠ هـ ، وبينه وبين الخليل أمد بعيد . تنظر : مقدمة المنجد في اللغة /١٧ بتحقيق الدكتور أحمد مختار عمر .

ومن الألفاظ التي توسع القرآن في استعمالها وولّد فيها دلالات جديدة ، لفظة « السجود » . وهي من الألفاظ التي لم يذكرها « مقاتل » في «أشباهه».

والأصل في استعمال الفعل « سَجَدَ » عند العرب أنْ يدلّ على الخضوع والتعظيم . وقد اتخذ التعظيم صوراً عديدة فإما أنْ يحني الإنسان رأسه للملك تعظيماً له ، وإمّا أن يضع جبهته على الارض . قال ابن سِيدَهْ : « وكل من ذلّ وخضع ، فقد سجد » (٥٥) .

وبهذه الدلالة جاءت مجموعة من الآيات الكريمة ، منها : (وإذْ قال رَبُّك للملائكة : اسْجُدُوا لآدَمَ) (٥٦) .

قال ابن عباس — رضي الله عنه — في تفسير دلالة السجود هنا : « كان سجود الملائكة لآدم سجود تحية كسجود أبَوَيْ يُوسُفَ عليه السلام ، لا سجود عبادة » (٥٧) ، وسجود أبَوَيْ يُوسُفَ هو المذكور في الآية الكريمة : (ورَفَعَ أبَوَيْهِ على العَرْشِ وخَرُّوا له سُجَّداً) (٥٨) .

قال الزّجاج في تفسير هذه الآية : « كان من سُنّة التعظيم في ذلك الوقت أنه يُسْجَد للمعظّم » .

وعقّب الأزهريّ على هذا القول ، بقوله : « هذا قول الحسن البصريّ . والأشبه بظاهر الكتاب أنهم سجدوا ليوسف ، دلّ عليه رؤياه الأولى : (إنّي رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمسَ والقمَرَ رَأيْتُهُمْ لي ساجِدِينَ)(٥٩) فظاهر التلاوة أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له من غير أنْ أشركوا بالله شيئاً ، وكأنهم لم يكونوا نُهُوا عن السّجود » (٦٠) .

(٥٥) اللسان (سجد) ٤/١٩٠ .
(٥٦) سورة البقرة ، الآية ٣٤ .
(٥٧) المحرر الوجيز ، لابن عطية ١/٢٣١ .
(٥٨) سورة يوسف ، الآية ١٠٠ .
(٥٩) سورة يوسف ، الآية ٤ .
(٦٠) تهذيب اللغة (سجد) ١٠/ ٥٦٩ .

أما السجود بمعنى الخضوع : فقد جاءت فيه الآية الكريمة : (واذا قيل لهم : اسجُدُوا للرَّحْمن ، قالوا : وما الرَّحْمنُ ؟) (٦١) . ومنه قول بعضهم.

« مَلِكٌ تَدِينُ له المُلُوكُ وتسجُدُ »

أي : تَدِينَ له الملوك بالخضوع والطّاعة (٦٢) .

ويأتي السجود بمعنى طأطأة الرّأس والانحناء .

ومنه قوله تعالى : (فكُلُوا من حيثُ شِئْتُمْ رَغَداً ، وادخلوا البابَ سُجّداً) (٦٣) .

وأضاف القرآن الكريم دلالات جديدة للسجود ، فجاء بمعنى السجود في الصّلاة بهيئته المعروفة في الصلاة الإسلامية . قال تعالى : (سيماهم في وُجُوهِهِم من أثر السُّجُودِ) (٦٤) . قال عزّ مِنْ قائل : (والّذين يَبِيتُونَ لِربّهم سُجّداً وقياماً) (٦٥) . وقوله سبحانه : (تَراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغونَ فضلاً من اللهِ ورِضْواناً) (٦٦) .

وهذا هو المعنى الشائع في القرآن الكريم والفقه الإسلامي .

ويطلق « السجود » على الصّلاة نفسها ، من باب إطلاق الجزء ويراد به الكل . قال تعالى : (يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللّيْلِ وهم يسجُدُونَ) (٦٧) .

أيْ : يقرؤون القرآن في الصلاة ، وليس في أثناء السجود ، لأنّ القرآن الكريم يُقرأ في أول كل ركعة ، ولا يقرأ في السجود البتّة .

---

(٦١) سورة الفرقان ، الآية ٦٠ .
(٦٢) اللسان (سجد) ١٩٠/٤ .
(٦٣) سورة البقرة ، الآية ٥٨ .
(٦٤) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .
(٦٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٤ .
(٦٦) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .
(٦٧) سورة آل عمران ، الآية ١١٣ .

فدلّت هذه الآية الكريمة على أن السجود هنا جاء بمعنى الصلاة .

وجاء في القرآن العظيم بمعنى الخضوع لسُنَن الله في الكون . قال تعالى : (ولله يسجُدُ مَنْ في السّموات والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً) ، أي : منهم من يخضع طائعاً ، وهو الذي يملك الإرادة ، ومنهم من يخضع مكرهاً وهو الذي لا يملك الإرادة ، كالسّموات والأرض والنجوم والكواكب والحيوانات التي لا تعقل .

وبهذه الدلالة وردت الآية الكريمة : (والنّجْم والشّجَرُ يسْجدانِ) (٦٨) .

قال الفرّاء : « النّجْمُ : ما نجم مثل العُشْب والبَقْل . والشّجَرُ : ما قام على ساق » (٦٩) .

(٢) تداخل اللهجات .

اللغة العربية المشتركة مركز تجمعت فيه لهجات كثيرة وظواهر لغوية متعددة .

ولعل أقدم من أشار الى ذلك من اللغويين العرب ، الخليل بن أحمد الفَراهيديّ (ت ١٧٥ هـ) ، فقال في كتابه : (العين) :

« رَكِنَ الى الدُّنْيا : مال اليها واطمأنّ ، يركَنُ ركناً .

ورَكَنَ يركُنُ رُكوناً ، لغة سُفْلى مُضر ....

وناسٌ أخذوا من اللغتين فقال : ركَن يركَن .. » (٧٠) .

فالاصل في (فعل يفعل) المخالفة في حركة عين الفعل في الماضي والمضارع .

(٦٨) سورة النحل ، الآية : ٤٩ .
(٦٩) معاني القرآن ١١٢/٣ .
(٧٠) العين (ركن) ٣٥٤/٥ .

ويرى الصرفيّون العرب أن الاصل في مضارع (فَعَل) هو المخالفة بالكسر (يفعِل) ، أو بالضمّ (يفعُل) . أما المماثلة (أي : الفتح في الماضي والمضارع) ، فأمر طارئ ، أو من تداخل اللهجات كما لاحظ « الخليل » ، رحمه الله .

وقد قال الرّضيّ : « إعلم أنّ أهل التصريف قالوا : إنّ فَعَل يفعل — بفتح العين فيهما — فرع على فعل يفعُل أو يفعِل » (٧١) .

ولاحظوا أنّ التماثل يحدُثُ باطّراد إذا كانت عين الفعل ولامه أحد أحرف الحلق : « الهمزة والعين والغين والحاء والخاء والهاء » (٧٢) .

أمّا اذا لم يكن عينه ولا لامه أحد أحرف الحلق ، فيكون شاذاً عند بعض اللغويين (٧٣) ، ومن تداخل اللغات عند بعضهم (٧٤) .

وما رآه (الخليل) يتعدى فعَل يفعَل ، الى فعِل (بكسر العين في الماضي) .

هذا في باب أوزان الأفعال .

أمّا في باب المصادر ، فقد لاحظ سيبويه أنّ العرب جاءت بالمصادر حين أرادت انتهاء الزمان على وزن (فِعال) ، فقالوا : الصّرام والقِطاع ، وربّما دخلت اللهجة في أخرى فكان فِعَال وفعَال — بفتح الفاء وكسرها — مثل الحِصاد والحَصاد (٧٥) .

أمّا في باب الدلالة فان تداخل اللهجات أدى الى نشوء دلالات جديدة ، وإثراء المشترك اللفظيّ .

---

(٧١) شرح الشافية ١/١١٧ .
(٧٢) المقتضب (للمبرد) ٢/١١١ وشرح المفصل (لابن يعيش) ٧/١٥٣ .
(٧٣) الكتاب ٢/٢٥٤ .
(٧٤) الخصائص ١/٣٧٤ ، ٣٧٥ .
(٧٥) الكتاب ٢/٢١٧ .

أمّا من حيث توليد الدلالة الجديدة ، فأنْ تدل اللفظة في لهجة معينة على شيء معين ، وتدل اللفظة نفسها على شيء آخر في لهجة أخرى .

(فالطّالع) : الشخص الذي يطلع عليك .

ويدلّ ـ عند أهل اليمن ـ على « الهلال » . (٧٦) .

(والسّرحان) : الذّئب . ويطلق في لهجة هُذَيْل على «الأسد» (٧٧) .

و(الضّنا) : السقم . ويطلق في لهجة طيّءْ على (الولد) (٧٨) .

ومازال أهل مصر يستعملون اللفظة بهذه الدلالة الأخيرة ، فتقول الأم لابنها وابنتها : يا ضنّاي ، تريد : يا ولدي . وهي بهذه الدلالة توافق الدلالة الفصحى للفظة وبها جاء القرآن الكريم . قال تعالى : (يُوصيكُم اللهُ في أولادِكم ، للذّكَرِ مثلُ حَظّ الأُنْثيَيْنِ) (٧٩) .

و(السّمَدُ) في الناس : السهو والغفلة ، ويطلق على الغناء في اللهجة الحميرية (٨٠) .

و(الحِجْرُ) : الفرس الأُنثى . لم يُدْخِلوا فيه الهاء ؛ لانه اسم لا يشركها فيه المذكر (٨١) .

والحجـر : يأتي في بعض لهجـات العرب ليدل على اللُّبّ والعقل . ومنه قوله تعالى : (هل في ذلك قَسَمٌ لِذي حِجْرٍ) . وعليه جاء بيت ذي الرُّمّة : (٨٢)

(٧٦) المنجد (لكراع) : ٢٥٠ .
(٧٧) اللسان (سرح) ٣١١/٣ .
(٧٨) المنجد /٢٤٨ .
(٧٩) سورة النساء ، الاية ١١ .
(٨٠) اللسان (سمد) ٢٠٤/٤ .
(٨١) اللسان (حجر) ٥/ ٢٤٢ .
(٨٢) إيضاح الوقف والابتداء (لابن الأنباري) ٧٥/١ .

فأخضيتُ ما بي مِنْ صديقي وإنّهُ
لَذُو نَسَبٍ دانٍ إليّ وذو حِجْرِ

وتعد المثلثات اللغوية من الوسائل التي تثري المشترك اللفظي .

ويعرفه ابن السِّيد البطليوسيّ بقوله : « ما اتفقت أوزانه ، وتعادلت أقسامه ، ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط ، كالغَمْر والغِمْر والغُمْر ، أو بحركة عينه كالرَّجل والرجِل والرجُل ، أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين ، كالسَّمَنَّم والسِّمِسِم والسُّمُسُم ... » (٨٣) .

هذا هو المفهوم العام الشائع للمثلث اللغوي (٨٤) .

والمثلث اللغوي نوعان — من حيث الدلالة :

نوع اتفقت فيه الدلالة ، ونوع اختلفت فيه الدلالة .

فإذا جاءت اللفظة الواحدة بثلاث صور : بالفتح والضم والكسر ، وكانت دلالتها واحدة ، فهي من باب تداخل اللغات ؛ لأنه ليس من المقبول عقلاً أن تحرك القبيلة الواحدة الكلمة الواحدة بثلاث حركات لتدل على معنى واحد ؛ لأنّ هذا يُحدِث التباساً في الفهم . ومن أمثلة ذلك (الحضرة) بفتح الحاء وكسرها وضمها ؛ بدلالة واحدة . يقال : كلمته بَحضْرة فلان وحِضْرته وحُضرته ؛ أي : بحضوره (٨٥) . ويقال : خثر اللبن وخَثَرَ

---

(٨٣) المثلث لابن السيد ١/٩٨ ٢ (بتحقيق : الدكتور صلاح الفرطوسي) .

(٨٤) وألف ابن فارس كتاباً اسمه (كتاب الثلاثة) : عالج فيه تقاليب ثلاثة من مادة واحدة على وزن واحد ، مثل : الحليم والجليل والمحيم — ينظر : كتاب الثلاثة /٢٧ بتحقيق أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب (ط . القاهرة ١٩٧٠) .
وعده الدكتور الفرطوسي من كتب المثلثات ، ولا أراه كذلك ؛ لأنه كتاب في الجناس الناقص ، وليس في المثلثات ....

(٨٥) المثلث ، لابن السيد ١/٤٣١ .

وخَشُر ، بمعنى (٨٦) . ويقال : بَغاث وبِغاث وبُغاث لما يُصاد من الطير ، ولا يصيد (٨٧) .

أما في حالة اختلاف الدلالة ، فمن المقبول عقلاً أن تكون القبيلة الواحدة أطلقت ثلاث صور ، على ثلاث دلالات ؛ لأن اختلاف الحركة في العربية له أثر كبير في اختلاف الدلالة واختلاف المعنى .

ومن المحتمل أن تكون كل صورة من الصور اللفظية أطلقت على دلالة واحدة في قبيلة واحدة ، ثم اجتمعت الصور الثلاث في اللغة المشتركة ، او في المعاجم اللغوية في أقل تقدير .

★ ★ ★

(٣) الاستعارة

إن اللغويين العرب — وغيرهم — من الذين يعتقدون بوجود المجاز في اللغة ، يرون أن الكلمة وضعت في الأصل لاستعمال معيّن . فاذا ما استعملت الكلمة استعمالاً آخر ، وكانت العلاقة بين الكلمتين علاقة مشابهة ، فهذا الاستعمال الجديد هو الاستعارة .

ومن اللغويين المحدثين من يرى ما يراه اللغويون العرب . كاللغوي المعاصر : (س . أولمان ، S. Ullmann و(ف . ر . بالمر) F. R. Palmer. الى معنى جديد عن طريق الاستعمال المجازي . فالأول يقول : « إنّ وظيفة الاستعارة هي إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم عن طريق العلاقة المباشرة

(٨٦) المثلث ٤٨١/١ .
(٨٧) نفسه ٣٥١/١ .
(٥) أي أن كل حركة تمثل صورة لفظية للكلمة تختلف عن الأخرى مثل بر ، وبر ، وبر ، بضم الباء وفتحها وكسرها فالصورة الأولى تعني : الحنطة ، والثانية : تعني ما يقابل البحر . والثالثة : تعني الخير ، أو جماع الخير كله .

بين المدلولين ، غير أنّ السّمات المشتركة فقط هي التي يدركها المتكلم حين يتمّ الانتقال من المعنى القديم الى المعنى الجديد » (٨٨) .

في حين يرى الآخر (٨٩) : « أنّ اكثر أنواع الصلات بين المعاني شهرة طريق الاستعارة ، حيث تظهر الكلمة وهي تحمل معنى يتصل بها اتصالاً حرفياً (٩٠) ، والمعنى الآخر – أو المعاني الأخرى – منقولة عن المعنى الأول » (٩١) .

ولاتختلف هذه النظرة أيّ اختلاف عن نظرة اللغويين والدلاليين العرب ، بل تتفق معها اتفاقا جوهرياً .

وفي هذا المقام يَرِدُ قول عبدالقاهر الجُرْجانيّ (ت ٤٧١ هـ) في تعريف الاستعارة : « إعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغويّ معروفا تدل الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الاصل ، وينقله اليه نقلاً غير لازم » (٩٢).

وقد حفلت لغتنا الجميلة باستعارات بديعة صارت من باب المشترك اللفظيّ ، واستُعملت في الشعر والنثر ، وفي المؤلفات الفنية والمخاطبات الأدبية ، وأثارت الاهتمام ، فدعت الناس الى الاستشهاد بها والتمثيل ، في المواطن المناسبة والسياقات الملائمة .

وما في لغتنا الجميلة من هذه الاستعمالات الباهرة لا يدانيه روعة ما هو موجود في كثير من اللغات الحية المعروفة الآن بأدبها وشعرها وفنّها القوليّ .

---

(٨٨) س . أولمان : دور الكلمة في اللغة /١١٦ .

(٨٩) Palmer : Semantics, P. 66

(٩٠) Literal Meaning

(٩١) Sramsferrdc Meanidg

(٩٢) أسرار البلاغة /٣٥ – ٣٦ .

فكلمة (اليد) العضو المعروف ، قد استعملت استعمالات مجازية عن طريق الاستعارة ، فكانت بحق من صور البيان العالية .

ومن هذه الاستعارات الجميلة (يَدُ الله) ، أي : قدرته . قال تعالى : (يدُ الله فوقَ أيديهم) (٩٣) .

وقد استشهد بهذا الآية — في سياق المقام — أحد الفلاسفة الإسلاميين في العصر العباسيّ ، خيرَ استشهاد . قال أبو العيناء الشاعر : كان لي خصومٌ ظلمة ، فشكوتهم الى (أحمد بن أبي دؤاد) وقلت له : إن القوم قد تضافروا عليّ ، وصاروا يداً واحدةً عليّ . فقال (أحمد) : يد الله فوق أيديهم .

ومن الاستعمالات الاستعارية لليد أنها تأتي للدلالة على العطاء الغامر والكرم الثرّ ، وعليه جاء قول (المتنبي) :

لـه أيادٍ عليّ سـابغـةٌ ... أعُدُّ منهـا ، ولا أعَدِّدُها

ويبدو — والله أعلم — أن أعضاء الإنسان كانت ميداناً واسعاً للاستعمالات الاستعارية ، أكثر من غيرها من المُسَمّيات المادية والحسية ؛ لأنها أقرب الأشياء الى الإنسان .

فالرأس والعين والحاجب والقلب ، كلها قد استعملت استعمالات مجازية واستعارية ، فأغنت بذلك المشترك اللفظي ، وكانت مورداً عذبا من موارده .

فقد استعمل العرب الرأس استعمالاً استعارياً ، فقالوا :

رأسَ فلانٌ القوم رئاسة : صار رئيساً عليهم .

وعليه جاء قول النمر بن تولب : (٩٤)

---

(٩٣) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

(٩٤) أساس البلاغة ، الزمخشري ٢١٠/ .

ويومَ الكُلابِ رأسْنا الجمُوعَ
ضراراً وجَمْعَ بني المِنْقَـــرِ

وقالوا : هم رأس عظيم ، أي : جيش على حياله ، لا يحتاجون الى إحلاب (٩٥) .

وفي الحديث الصحيح : « رأسُ الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنّامه الجهادُ في سبيل الله » .

أما (العين) فقد أطلقوها مجازاً على نفائس الأشياء ، فقالوا : « فلان عين » ، أيْ : من خيار قومه . ومن ذلك : « مجلس الأعيان » ، لأنه ينتخب من أعيان البلد وخيارهم . وسمّوا الذّهب عيناً ، لأنه أنفس المعادن وأجلاها .

وقالوا لمن يصادقك ويواليك رياءً : صديق عين ، (٩٦) ومولى عين . وأنشد الجاحظ :

ومولى كعبد العين : أمّا لقاؤه
فيُرضي ، وأمّا غيبه فظُنُونُ

أما (الحاجب) ، فقد أطلقوه على حاجب الشمس ، وأرادوا طرَفَها . وشاهده المشهور قول قيس بن الخطيم :

تبَدّتْ لنا كالشمس تحتَ غمامة
بدا حاجبٌ منها وضَنّتْ بحاجبِ

وحواجب الصبح : أوائله . قال عبدالرحمن بن سيحانَ المُحاربيّ : (٩٧)

حتى اذا الصبحُ لاحتْ لي حَواجِبُهُ
أدبرتُ أسْحَبُ نحوَ القوم أثوابي

(٩٥) اساس البلاغة /٣١٠ : والاحلاب : الإعانة .
(٩٦) أساس البلاغة /٦٦٧ .
(٩٧) نفسه /١٥٣ .

أما (القَلْبُ) ، فقد أطلقوه مجازاً على (العقيدة) . قال تعالى : (ما جَعَلَ اللهُ لرجلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفه) (٩٨) .

وقالوا : فلان سليم القلب ، يريدون من كان قلبه خالياً من الغِلِّ والحقد والحسد . قال تعالى : (وإنَّ مِنْ شيعته لإبراهيم إذْ جاء ربَّهُ بقلبٍ سليم) (٩٩) . وقال عزَّ من قائل : (يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ) (١٠٠) .

وقالوا : فلان غليظ القلب : للجافي القاسي .

قال تعالى : (ولو كنتَ فَظّاً غليظَ القلبِ لانْفَضُّوا من حولك) (١٠١) .

وقالوا : رجل قَلْبٌ ، إذا كان خالصاً في قومه .

وامرأة قلبٌ وقلبة ، عقيلة في قومها (١٠٢) .

قال أبو وَجْزَةَ السَّعْديّ :

قَلْبٌ عقيلةُ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ
تَرْمِي المقانبُ عنها والأَراجيلُ(١٠٣)

وهكذا حفلت اللغة العربية بهذه الاستعمالات الجميلة في ميدان اعضاء الإنسان . ولو أردنا استقصاءها لطال بنا الحديث ، فأقصرنا .

وللشعراء « إسهام » كبير في اغناء المشترك اللفظيّ بالاستعمالات الاستعارية والمجازية .

---

(٩٨) سورة الاحزاب . الآية : ٤ .
(٩٩) سورة الصافات . الآية : ٨٤ .
(١٠٠) سورة الشعراء . الآية ٨٩ .
(١٠١) سورة آل عمران . الآية : ١٥٩ .
(١٠٢) أساس البلاغة /٧٨٤ .
(١٠٣) ترمي المقانب عنها : أي تذب عنها وتدافع لعزة قومها .

فالقمرُ الكوكب المعروف . وعندما استعمله البُحتُري في وصف المتوكل فقال :

يؤدّون التحية من بعيد الى قمرٍ من الإيوان بادي

فقد استعمله استعمالاً استعارياً ، لجامع الرفعة والبهاء بينهما .

و(الجنّة) بمعناها الشائع في الكتاب الكريم ، معروفة ، وقد أطلقها الشعراء على الزوجة استعارياً لجامع الراحة والأنس بينهما . قال قتادة اليشكري (١٠٤) :

ما أنت بالجنّة الودود ولا عندك خيرٌ يرُجى لِمُلتَمِسِ

ولعل (الفرزدق)قد قصد هذا المعنى حين وصف حالته ، بعد طلاق زوجه :

نَدِمْتُ نَدامةَ الكُسَعيِّ لمّا

غَدَتْ مِنّي مطلّقةً (نوارُ)

وكانت جنّتي فخرجتُ منها

كآدمَ حينَ أخرجَهُ الضِّرارُ

وعلى سبيل الاستعارة جعل (المتنبي) سيف الدولة شمسَ الزمان وبدرَهُ ، فقال :

أُحبّكَ يا شمسَ الزّمانِ وبدرَهُ

وإنْ لامَني فيك السُّهى والفَراقدُ

وكذلك فعل (التهامي) حين رثى ابنه في رائيته المعروفة :

يا كوكباً ما كان أقصرَ عُمْرَهُ

وكذاك عُمْرُ كواكبِ الأسحارِ

(١٠٤) الزاهر . لابن الانباري ٢/٦٤ (تحقيق الدكتور حاتم الضامن) .

إن قابلية الشاعر على تنظيم تجربته في استعارات موحية بالصور الفنية ليس إلاّ جزءاً من قابلية أكثر قدرة على تنسيق تجربته (١٠٥) .

وتأثير القصيدة ناتج عن نجاح الشاعر في تنظيم تلك التجربة .

والشاعر — والحالةُ هذه — مضطرّ لأنْ يكون استعارياً عندما يريد أن يحدّد انفعالاته وينظم تجربته الفنية ، ثم يجد نفسه تفتّشُ في مظاهر العالم الخارجي عن المماثل لانفعالاته ، أو عن البديل الموضوعيّ (١٠٦) لها . ولن يهدأ حتى يعثر عليه .

وإذا كان الشاعر يلجأ الى البحث عن البديل الموضوعي لانفعالاته ليحددها ، فاننا نطالب منه أن يكون ذلك البديل صائباً ، ولم يدُرك مِنْ قبلُ ، أو نادراً ما أُدرك حتّى يأتينا بكشف جديد صادق .

والاستعارة نفسها قائمة على علاقات لغوية ليست بدورها إلاّ بديلاً موضوعياً للعلاقات بين الأشياء وعلاقة هذه الأشياء بنفس الشاعر .

إن الواقع نفسه يتكون من علاقات متداخلة معقدة كُلّ التعقيد ، وعندما يكون الشاعر على علاقة بالأشياء أو بالكائنات ، فانه يتولد عنده انفعال بازائها . والشاعر لا يستطيع رؤية الأشياء كما هي حقيقة ؛ ولا أن يكون محدداً بازائها مالم يحدد المشاعر التي تربطه بها ، ومعنى ذلك أنه يحدد وجهة نظره تجاهها .

---

(١٠٥) سي . داي — لويس : الصورة الشعرية /٨٤ (الترجمة العربية ترجمتي وآخرين — بغداد : دار الرشيد ١٩٨٢) .

(١٠٦) البديل الموضوعي : اصطلاح أوجده الناقد الشاعر (ت . س . اليوت) ، وحدده بقوله : (انه سلسلة من الاهداف ، وموقف معين ، وسلسلة من الاحداث التي تكون منها جميعاً معادلة تلك العاطفة المعينة بحيث يتم تحريك هذه العاطفة حالما يقدم الشاعر الحقائق الخارجية التي ينبغي أن تنتهي بها التجربة الحسية) .
ينظر : م . ل . روز تتال : شعراء المدرسة الحديثة /١٢٢ (ترجمة جميل الحسني ، ط . بيروت ١٩٦٣) .

ونحن نوافق (هيوم) حين يقرر : « أن مهمة الشاعر هي رؤية الأشياء كما هي عليه ، وأنْ يمرّنَ نفسه على تفكير مركز وسيطرة على النفس » (١٠٧) . ليقبض على ما يراه ضرورياً للتعبير الحقيقي عن رؤيته .



(١٠٧) الصورة الشعرية الشاعر الناقد . : سي . داي – لويس ، ترجمة د . أحمد نصيف الجنابي وزميليه . نشر دار الرشيد ببغداد ١٩٨٢ .

المبحث الثالث

ظاهرة المُشترك اللفظيّ بين وضوح الدلالة وغموضها

(١)

إن وجود « ظاهرة المشترك اللفظي » بهذا الوضوح ، في لغتنا الجميلة ، لفت نظر علمائنا إليها ، وحفزهم على التأليف فيها ، منذ عهد مبكر نسبياً .

وأول من ألّف في «الظاهرة» مقاتل بن سليمان ، اللغويّ المفسر (ت ١٥٠هـ) ويعد كتابه : « الأشباه والنظائر في القرآن الكريم » باكورة المصنفات في ظاهرة المشترك اللفظيّ .

وألف بعده الأصمعيّ (ت٢١٦ هـ) كتاباً في الظاهرة سمّاه (الأجناس) نقل منه السيوطي في المزهر (١٠٨) .

ثم تلاهما « ابراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيديّ (ت ٢٢٥ هـ) ، فألف كتابه : (ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه) (١٠٩) .

وللامام المقرئ اللغوي : أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) كتاب في الظاهرة نفسها عنوانه (الأجناس) (١١٠) .

وللمبرد (ت ٢٨٦ هـ) كتاب في الظاهرة عنوانه : (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) (١١١) .

وتوالت بعد هذا المؤلفات في الظاهرة ، غير أنها لا تعدو جمع الألفاظ ، ووضع المعاني التي تندرج تحت كل لفظة ، كما يظهر من المؤلفات الباقية في الموضوع (١١٢) .

---

(١٠٨) المزهر ٣٧٢/١ . (١٠٩) الفهرست : ٥١ .

(١١٠) حققه الأستاذ : امتياز عرشي الرامفوري ، ونشره في بامباي — بالهند ، سنة ١٩٣٨م.

(١١١) نشر في مصر سنة ١٣٥٠ هـ

(١١٢) تعد معجمات الألفاظ كالعين وما سار على منهجه ، والصحاح وما تبعه من كتب المشترك اللفظي ، أيضاً .

غير أنّ أهمّ المؤلفات في هذه الظاهرة هو كتاب (نُزهةُ العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر) ، لابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) . وقد جمع فيه (٣٢٤) لفظة من ألفاظ المشترك اللفظي ، أيْ بزيادة (١٣٩) لفظة على كتاب « مقاتل » .

وقد حقق الكتاب (محمد عبد الكريم كاظم الراضي) ، ونشرته مؤسسة الرسالة ، ببيرت سنة ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .

(٢)

وعلى الرغم من وجود ظاهرة المشترك اللفظي بهذا الوضوح فقد وقف العلماء اللغويون والدلاليون : القدامى والمحدثون منها مواقف مختلفة . ولذلك يمكن تقسيم مواقفهم من هذه الظاهرة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أقرّوا بوجود هذه الظاهرة في أصل الوضع ، ولم يلاحظوا أيّ سلبية في هذا الوجود، في اللغة . وهم أمثال : مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، والخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وإبراهيم بن يحيى بن المبارك البزيديّ (ت ٢٢٥ هـ) ، والأصمعي (ت٢١٦هـ)، والمبّرد (ت ٢٨٦ هـ) ، والأزهري (٣٧١ هـ)، وأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، والجوهريّ (نحو ٤٠٠ هـ) ، وابن الجوزي (٥٩٧ هـ) ، وغير هؤلاء كثير .

وهذا هو القسم الغالب ، وغيره قليل ونادر .

القسم الثاني : وهم نفر قليل ، قالوا : « إن اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، ينبغي ألاّ يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت . أو تكون كل لفظة تُستعمل بمعنى ، ثم تُستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل » (١١٣) .

وهذا رأي ابن سِيدَه ومن تابعه .

ولو نظر ابن سِيدَه الى كتابه (المحكم) ، وهو من معجمات الألفاظ ، لتبين له وجود هذه الظاهرة في اللغة بأجلى مظاهرها .

ففي العربية — مثلا — مئات من الكلمات تطلق على معانٍ متعددة في آن واحد ، عند جماعة واحدة .

(١١٣) المخصص ١٣/٢٥٩ .

فنحن نطلق لفظة (الرسالة) على (المكتوب) الذي نرسله الى من نعرفهم سواء أكانوا أصدقاء أم أهلاً .

ونطلقها على الكتاب الذي يؤلف في موضوع واحد لا يتجاوزه ، مثل رسالة التربيع والتدوير ، للجاحظ . ورسالة الصحابة ، لابن المقفع ، ورسالة الصداقة والصديق ، لأبي حيّان التوحيديّ .

وفي العصر الحديث نطلق لفظة (عملية) على العملية الجراحية ، فنقول : تُجرى العمليات الدقيقة في مستشفى مدينة الطبّ ، وأُجريت لصديقي عمليــة اللوزتين .

ونطلق لفظة (العملية) على النشاط العسكري ، فنقول : قام المقاتلُ بعمليات جريئة في الميدان .

ونطلق اللفظة نفسها على العمليات الأربع في الرياضيات .

ونستعمل الفعل (يقوم) للدلالة على القيام . ويُستعمل ليدل على السلوك الإنساني صالحاً كان أو غير صالح . كما يستعمل ليدل على معان أخرى لسنا بصدد تفصيلها ؛ لأننا لم نرد إلاّ التمثيل لإبطال وجهة نظر ابن سيدة .

القسم الثالث : قالوا : إن وجود المشترك اللفظيّ يولد الإبهام ، أو الغموض ، او التعمية .

وقد قال بهذا الرأي من علمائنا (ابن درستويه) « ت ٣٤٧ هـ » ومن علماء الدلالة(١١٥)المحدثين (بالمر) Palmer ،و(أولمان) (١١٧) Ullmann .

(١١٤) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه . من النحويين والدلاليين المعروفين . ألف شرح الفصيح ، وفعل وافعل ، وكتباً في القراءات . وتوفي ببغداد (تاريخ بغداد ٤٢٨/٩ والبغية ٣٦/٢)

(١١٥) أستاذ علم اللغة بجامعة ريدنك . (١١٦) University of Reading

(١١٧) أستاذ علم اللغة ، بجامعة ليدز Leads بالمملكة المتحدة .

أما ابن درستويه فيرى « أن اللغة موضوعة للابانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد الآخر ، لما كان ذلك إبانة ، بل تعمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا ، لعلل ، كما يجيء فعل وأفعل فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين ، وإن اتفق اللفظان والسماع في ذلك صحيح من العرب ، فالتأويل عليه خطأ .. » (١١٨) .

أما (بالمر) فيرى « أن دلالة اللفظة الواحدة على أكثر من معنى يخلق صعوبة في الفهم .. » ؛ ويسمي تلك الصعوبة التي تنشأ من عدم التمييز بين المعنيين « مشكلة » (١١٩) Problem .

وقد اختار (بالمر) كلمة (الطيران) التي تدل في الانكليزية على رحلة جوية ، وعلى القدرة على الطيران ، وتعني أيضاً اتحاد القوة الجوية .

فمن الصعوبة — عنده — التمييز بين معاني كلمة (الطيران) إذ « ليس من السهل التمييز بين معاني هذه الكلمة » . هكذا يقول بالمر .

ولا يكتفي بذلك ، بل يعطي مثالاً آخر على ماسماه (مشكلة) .

وهو الفعل (نأكل) ؛ ويقول : « من الواضح أننا نأكل أنواعاً مختلفة من الأطعمة بطرق متباينة ... واذا لم نُعِرْ هذه المسألة اهتمامنا ، فاننا نقرّ بأنّ الفعل له معانٍ مختلفة تبعاً لأنواع الطعام التي نأكلها » (١٢٠) .

ولو نوقشت وجهة نظر (بالمر) ،في ضوء الأساليب العربية لبدتْ بعيدة عن الصواب ، سواء أكان استعمال الفعل (نأكل) حقيقياً أم مجازياً .

ونناقش الفعل (يأكل) فنراه يعني أكل الطعام حقيقة :

---

(١١٨) المزهر ٣٨٥/١

(١١٩) F. R. Palmer : Semantics, P. 65

(١٢٠) Palmer : Ibid ., P. 65

(١) قال تعالى : (ما هذا إلاّ بَشَرٌ مثلُكُمْ يأكُلُ ممّا تأكلون منه ويشرَبُ ممّا تَشرَبُونَ) (١٢١) .

(٢) وقال تعالى : (وقالوا : ما لِهذا الرسولِ يأكُلُ الطّعامَ ويمشي في الأسواق) (١٢٢) .

(٣) وقال تعالى : (كُلُوا واشْرَبُوا هَنيئاً بما أسْلَفْتُمْ في الأيّام الخاليةِ) (١٢٣) .

وهنا نرى أن الاستعمالات الثلاثة واضحة الدلالة ، وليس فيها أي غموض ، ولا إيهام ولا مشكلة في فهم الدلالة . .

ثم نلاحظ استعمال الفعل المجازي ، فنقرأ الآيات الكريمة الآتية :

(١) قال تعالى : (ومَنْ كان فقيراً فليأكُلْ بالمعروف) (١٢٤) .

أي : من كان قيّماً على أموال القاصرين ، فليأخذ منها بالإنصاف والعدل ، بعيداً عن التعسف والظلم .

(٢) وقال تعالى ــ حكاية عن عيسى : (وأمه صِدّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطّعامَ) (١٢٥) .

وهذا الاستعمال للفعل (يأكل) كناية عن بشرية عيسى بن مريم عليهما السلام .

(٣) وقال تعالى : في شأن تأويل يوسُفَ لرؤيا الملك : (ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ (١٢٦) يأكُلْنَ ما قدّمْتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون) (١٢٧)

(١٢١) سورة المؤمنون . الآية : ٣٣ .
(١٢٢) سورة الفرقان . الآية : ٧
(١٢٣) سورة الحاقة . الآية : ٢٤ .
(١٢٤) سورة النساء . الآية : ٦ .
(١٢٥) سورة المائدة . الآية : ٧٥ .
(١٢٦) أي : سنوات سبع شداد بقحطهن وعلهن .
(١٢٧) سورة يوسف . الآية : ٤٨ .

وهنا استعمل الفعل استعمالاً مجازياً كناية عن القحط والمحْل .

فماذا نجد ؟ هل نجد غموضاً ؟ وهل نجد إبهاماً ؟

إننا لا نجد سوى الوضوح في الدلالة ، بحيث لا تخفى على أحد يعرف هذه اللغة .

ونأخذ الفعل مسنداً الى الطير والأنعام ، فتكون النتيجة كأختها .

(١) قال تعالى : (وأمّا الآخرُ فيُصْلَبُ فتأكُلُ الطّيْرُ من رأسه) (١٢٨) .

(٢) وقال تعالى : (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تأكُلُ منه أنعامُهُم) (١٢٩) .

فأيُّ وضوح بعد هذا ، وأيّ بيان ؟ !

وأين المشكلة الدلالية التي تصورها (بالمر) ؟ !

لكن الأستاذ (س . اولمان) يرى أن ظاهرة المشترك اللفظيّ كثيرة الوورود في اللغة الانكليزية ، ويرى أن هذه الظاهرة سمة من سمات الكلام والعقل البشريين يتميز بهما عن بقية المخلوقات . ولولا وجود هذه الظاهرة لأصبح وضع كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء — وهو ما أراده بالمر — عبئاً ثقيلاً على الذاكرة الانسانية ، فان « اللغة في استطاعتها أنْ تعبر عن الفكر المتعددة بوساطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التي تتمثل في تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة ؛ وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعاً من المرونة والطواعية » (١٣٠) .

ولا يقف (أولمان) عند هذا الحد ، بل يرى أن هذه الظاهرة تولّد نوعاً من الغموض ، فيقول : « أما الثمن الذي تقدمه الكلمات في مقابل هذه

---

(١٢٨) سورة يوسف الآية : ٤١ .

(١٢٩) سورة السجدة . الآية ٢٧ .

(١٣٠) — (١٣١) س . أولمان : دور الكلمة في اللغة/١١٥ (ترجمة الدكتور كمال محمد =

المزايا كلها ، فيتمثل في ذلك الخطر الجسيم : خطر الغموض . على أن تعدد المعنى ليس هو المصدر الوحيد للغموض ، وان كان ـ بدون شك ـ أساسا من أسس توليد هذا الغموض » (١٣١) .

إنّ اللغويين والدلاليين الذين يقولون : إنّ المشترك اللفظيّ يُحدث « تعمية وتغطية » ـ كما يقول : ابن درستويه ـ او يحدث التباساً في التفهم يولد مشكلة دلالية ـ كما يقول : بالمر ـ أو يُحدث غموضاً ـ كما يقول : أولمان ـ إن جميع هؤلاء ومن تابعهم ـ فاتتهم ثلاثة أمور تدخل في تحديد دلالة اللفظة ، ولو راعوا هذه القضايا الثلاث لما قالوا بهذا الذي عرفناه . كما سيتضح . وهذه القضايا هي :

أولا : السياقُ .

ثانياً : المعنى الحضوريّ للتركيب اللغويّ .

ثالثاً : التركيز الدلاليّ .

أما السِّياقُ فانه يحدد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددتْ معانيها ، وهو (صِمامُ الأمان ضدّ اللّبْس) ، كما سمّاه بعض المعاصرين (١٣٢) .

والسياق المعنيّ ـ هنا ـ هو موقع الكلمة في التركيب اللغوي (١٣٣) ؛ ويفترض المشترك اللفظي أن تكون للكلمة معان عديدة.وهو أمر يعد من البديهيات عند دارسي علم الدلالة ..

= بشر ، ط . مصر ١٩٧٢)

(١٣٢) اللغة . لفندريس /٢٧٣ .

(١٣٣) تختلف تقسيمات اللغويين المحدثين للسياق . وقد اقتصرت على المعنى التقليدي المشهور له ... تنظر التفصيلات في : دور الكلمة في اللغة /٥٤ ــ ٥٥ . واللغة العربية معناها ومبناها / ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ، وكذلك :

Ogden and Richards: The Meaning of Meaning P. 58.
Palmer : Semantics, pp. 52 - 53.

(فالعين) تطلق في العربية ويراد بها :
(١) ما يرجع الى العين الناظرة ، وهو قسمان :
أ — ما يرجع اليها بالاشتقاق .
ب — ما يرجع اليها بالتشبيه .
فأما الذي يوجبه الاشتقاق ، فعلى قسمين :
مصدر ، وغير مصدر .
والمصدر ثلاثة ألفاظ :
العين : الإصابة بالعين .
والعين : أن تضرب الرجل في عينه .
والعين : المعاينة .
وغير المصدر ثلاثة ألفاظ ، هي :
العين : أهل الدار .
والعين : المال الحاضر .
والعين : الشيء الحاضر .
أما الذي يرجع الى التشبيه فستة معان :
العين : الجاسوس ؛ لأنه يطلع على الأمور الخفية .
وعين الشيء : خياره .
والعين : الربيئة ، وهو الذي يرقب القوم .
وعين القوم : سيّدهم .
والعين : واحد الأعيان وهم الأخوة الأشقاء .
والعين : الحُرُّ .
كل هذه مشبهة بالعين لشرفها (١٣٤) .

(١٣٤) انزهة الاعين النواظر، صفحات : ٤٤٣ وما بعدها. و المزهر ٣٧٤ : ، واللسان (عين) .

(٢) أما ما لا يرجع الى العين الناظرة ، فعشرة معان (١٣٥) :

العين : الدينار ..

والعين : اعوجاج في الميزان ، أي : اذا رجحت احدى كفتيه .

والعين : سحابة تأتي من ناحية القبلة .

والعين : مطر يدوم أياماً كثيرة لا يقلع .

والعين : طائر .

والعين : عين الماء .

والعين : عينَ الرُّكْبَة ، وهي نقرة في مقدّمتها .

والعين : عين الشمس .

والعين : عينُ القبلة .

وعين كل شيء : ذاته . تقول : جاء الرجل عينُه ، أي : ذاته .

فاذا أضفنا الى هذا المعاني التي وُلّدتْ ، وأضيفت الى ما تدل عليه كلمة (العين) ، ادركنا غنى اللغة العربية وسعتها ...

ولكنْ كيف نميز بين معنى وآخر ...

إن الاستعمال هو المميز بين معنى ومعنى « إن الكلمة لها على وجه العموم من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات ولكنّ كلّ معنى منها مستقل عن عن المعاني الاخرى ، اذ انه لا يكون في ذهننا عند استعمال الكلمة إلاّ معنى واحد » (١٣٦) .

هذا من جهة التمييز بين المعاني المختلفة .

أما تحديد الدلالة تحديداً دقيقاً ، فيرجع الى السياق . وفي هذا يقول العالم اللغوي « فندريس » : « الذي يعيّنُ قيمة الكلمات في كل الحالات إنما هو

(١٣٥) المزهر ١ : ٣٧٥ واللسان (عين) .

(١٣٦) اللغة /٢٤٢ .

السياق ، اذْ إنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوّ يحدد معناها تحديداً دقيقاً . والسياق هو الذي يفرضُ قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أنْ تدلّ عليها » (١٣٧) .

ومن الأمثلة على تحديد السياق الدلالة تحديداً دقيقاً ، استعمال لفظة (السماء) التي تدل على معان عدة ، يميزها الاستعمال ، ويحددها السياق .

— فهي تدل على ما يقابل الأرض ، وهو المعنى العام المشهور لها .

وقد جاءت بهذه الدلالة في هذا السياق القرآني :

(إنّ في خلق السّموات والأرض واختلافِ الليلِ والنّهارِ لآياتٍ لأُولى الألْباب) (١٣٨) .

— ودلت على السقف — في هذا السياق القرآني :

(مَنْ كان يَظُنُّ أنْ لن ينصُرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ فليمدد بسبب الى السّماء ، ثم ليَقطَعْ) (١٣٩) .

— ودلت على المطر ، في هذا السياق ، الذي جاء في بيت معود الحكماء (١٤٠) :

إذا نزَلَ السّماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانُوا غضابا ..

أما النقطة الثانية التي أهملها اللغويون القدامى والمحدَثون — الذين قالوا : إنّ المشترك اللفظيّ يسبب التباساً او غموضاً — فهي أنّهم لم يُراعُوا المعنى الحضوري للكلمة المفردة ، ولا العبارة ، ولا الجملة ، ولا البيت الشعريّ ، ولا المقطوعة ، ولا القصيدة . إنهم أهملوا المعنى الحضوري للتركيب اللغوي .

---

(١٣٧) اللغة /٢٣١ .
(١٣٨) سورة آل عمران . الآية : ١٩٠ .
(١٣٩) سورة الحج . الآية : ١٥ .
(١٤٠) المنجد في اللغة . لكراع /١٠٢ .

إنّ للغة معنى حضورياً ، وإنّ الكلمات ليست أحجاراً مرصوصة ، ولا كائنات جامدة . إنها أحداث حيّة ما دامت تصدر عن حيّ عاقل ، ويخاطب بها العقلاء الذين يملكون مشاعرَ وأحاسيس دقيقة . وهذا يعني أنّ دلالتها تتأثر بما يحيط بها ، سواء أكان ذلك من جانب المتكلم أم من جانب المخاطب . أو من جانب المحيط الإنساني والماديّ الجامد على حدّ سواء .

إنّ الجملة الواحدة قد يكونُ لهـا أكثر من مدلول واحد حين تصدر في حالات مختلفة عن شخص واحد .

فأنت تسأل إنساناً — كان مريضاً — فتزوره بعد شفائه ، فتقول : كيف حالك ؟ فيقول : « الحمدُ لله » .

وهذا يعني أنه قد شُفي من مرضه ، وشعر بالعافية ، وأحسّ بحلاوتها بعد المرض . وما أحلى العافيةَ بعد السقم !

وتسأل هذا الإنسان — وهو مظلوم أو محزون لسبب من الأسباب — كيف حالك ؟ فيجيب : « الحمدُ لله » .

وهذه العبارة تعني : الحمدُ لله الذي لا يُحمدُ على مكروه سواه .

ويقف هذا الإنسان أمام ربّه خمس مرّات في اليوم والليلة ، فيقرأ سورة الفاتحة في الصّلوات الخمس سبع عشرة مرة (إن اكتفى بالفرائض) ، وفي كل مرة يفتتح القراءة قائلاً : (الحمد لله ربِّ العالمين) . وكيف لا يحمده وقد هداه الى أقوم السُّبُلِ ، واكرمه بهذا النبيّ الكريم ، وبهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟

أمّا تأثرُ مداول الكلمة أو الحدث اللغوي بالمتلقّي أو السامع ، فيُحدث أرجاعاً قد تكون بعيدة المدى .

ومن أمثلته الجديرة بالذكر — هنا — ما أورده مؤرخو الأدب عن الشاعر المعروف (ذي الرُّمّة) .

فقد نظم قصيدته البائية التي عُدت من غرر القصائد في عصرها :

ما بالُ عينكَ منها الماءُ ينسكبُ
كأنّهُ مِنْ كُلىً مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

وأنشدها أمام (عبدالملك بن مروان) ، وكانت عيناه تسيلان دمعاً دائماً (لمرض مزمن) ، فظنّ عبدالملك أنّ ذا الرُّمّة عرّض به ! فغضب عليه ، وقطع إنشاده ، وأمر بإخراجه من حضيرته (١٤١) .

إن هذه البائية عُدّت عند النقاد العرب المعاصرين للشاعر أو القريبين من عصره ، من أحسن قصائد ذي الرمة .

وان عبدالملك لما سمعها – بعد أن غيّر الشاعر لفظة عينك بلفظة عيني – قال للشاعر : لو أنّ قصيدتك قيلت في الجاهلية لسجدت العرب لها !

وان عبدالملك هو الذي أرسل الى الشاعر – قبل أن ينشده – من أحضره ؛ لأنه ذكر له جودة شعره ، فأحبّ أن يراه ويسمع شعره !

فما الخبر ؟ وما الخطب الذي جعل عبدالملك يغضب على الشاعر ، ويخرجه من حضرته ؟

إنه : « مابال عينك منها الماءُ ينسكبُ » .....

إنه اقتران غير سعيد ... ولّد كلّ هذا .

ولما غيّر الشاعر ضمير المخاطب الى ضمير المتكلم ، فقال :

« ما بالُ عينيّ منها الماءُ ينسكبُ »

تغيّر كل شيء ، وصارت القصيدة مثلاً أعلى في الشعر العربيّ !

أرأيتَ كيف حدث كل هذا من أجل اقتران لفظة بحالة من حالات المخاطب ، لا يحبُ أن يخاطبه الناس بها ؟!

أما ما يُحدثه اقتران الحدث اللغويّ بشيء مادّيّ يعطي الدلالة معنى حضورياً ، فمن أمثلته ما ذكره صاحب (الهفوات النادرة) ، إذ قال :

(١٤١) الهفوات النادرة ، لغرس النعمة صفحات : ٤٢ – ٤٣ .

« لما فرغ (المعتصم) من بناء قصره الذي شيّده ببغداد لعمته (العبّاسة) ، جلس فيه ، وجمع أهل بيته وقومه وأصحابه ، وأمر الناس أنْ يلبسوا الديباج ، ويدخلوا عليه ... وجلس هو على سرير مُرَصَّع بأنواع الجواهر ، ووضع على رأسه التاج الذي فيه الدُّرّة اليتيمة ، فما رأى الناس أحسنَ من ذلكَ اليوم » .

كل هذا جميل وطبيعي حين يصدر عن ملك ...

لكنّ الذي جعل هذا الوضع ينقلب رأساً على عقب هو استئذان (اسحاق الموصلي) الشاعر المغني ، على (المعتصم) لينشده شعراً ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التي مطلعها :

يا دارُ غَيّرَكِ البِلى فمحــــاكِ
يا ليتَ شِعري ما الذي أبلاكِ ؟

فلما سمع (المعتصم) هذا المطلع المفاجئْ ، تطيّر منه !!

أما الحاضرون فقد تغامزوا على (اسحاق الموصليّ) ، وقالوا : كيف فاته هذا المقام ، وهو الخبير بمجالسة الملوك ؟ !

ثم خرج (المعتصم) الى (سامراء) ، وخرّب القصر..!!

أرأيت كيف يفعل الاقتران الحضوري للتركيب اللغوي بشيء ماديّ ؟ وكيف يحدد الدلالة تحديداً دقيقاً ، واسع الأثر ، بعيد المدى ؟

أما النقطة الثالثة التي أهملوها ، فهي قضية « التركيز الدلالي » ، وأعني به : « تكثيف أكثر من معنى في اللفظة الواحدة ، في جملة واحدة ، في سياق واحد ، لغاية وهدف مقصودَين ، بحيث تكون كل تلك المعاني مطاوبة في التركيب اللغوي مقصودة من إيراده » .

ففي اللغة العربية الفصحى ، ولاسيما لغة القرآن الكريم ، مواطن كثيرة تأتي فيها لفظة واحدة ، لتؤدي أكثر من معنى واحد ، في آن واحد .

وأرى أن هذه السمة ، من خصائص اللغة العربية التي لا نجدها في لغة من اللغات الحية الاخرى .

ومن أمثلة ذلك لفظة (سامدون) في الآية الكريمة : (أفمِنْ هذا الحديثِ تعجَبُون ، وتضحكُونَ ولا تبكُونَ ، وأنتم سامدون . فاسْجُدُوا للهِ واعبُدُوا) (١٤٢) .

فما دلالة « السُّمُود » في الآية الكريمة ؟

لقد فسّرها عبدالله بن عباس (ت ٦٨ هـ) بالغناء ، وقال : هي لهجة يمانية . وتابعه على ذلك تلميذه عِكْرِمة بن عبدالله (ت ١٠٤ هـ) .

وفسّرها المقرئ المفسر مجاهد بن جَبْر (ت ١٠٣ هـ) بالبرطمة (تقطيب الشفتين) ، وهي دلالة على عدم الرضا .

وفسّرها عبدالرحمن بن زيد (ت ١٨٢ هـ) ، فقال : السامد : الغافل . (١٤٣) .

وقال الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت بعد سنة ١٠٠ هـ) : « السمود : اللهو واللعب » .

وقال الليث بن المظفر (وهو لغوي معروف) : « سامدون : ساهون . والسمود في الناس الغفلة والسهو عن الشيء » .

وقال المبرد : « السامد : القائم في تحيُّر » (١٤٤) .

فأي المعاني صحيحة ؟

أرى أنّ كل هذه الأقوال صحيحة .

(١٤٢) سورة النجم . الآيتان : ٦٠ — ٦١ .
(١٤٣) تفسير الطبري ٢٧ : ٤٨ ، ٤٩ .
(١٤٤) تهذيب اللغة (سمد) ٣٧٧/١٢ ، واللسان (سمد) ٢٠٤ .

غير أنّ الذي ينقصها هو أن كل واحد من أهل العلم نظر الى اللفظة نظرة جزئية ، ولم يفطن الى هذا التركيز الدلالي في اللفظة : (سامدون) .

إنّ المقصود بالكلمة في هذا السياق ، هو كل هذه المعاني وإنّ دلالتها تتسع لكل هذه المعاني .

فهؤلاء الذين اعرضوا عن القرآن الكريم وعن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، هم اللاهون عن ذكر الله ورسالة نبيه الكريم ، بالغناء . وهم الساهون عنه . وهم المتجبرون بَطَراً وأشَراً وطغياناً . وهم المتكبرون عن الخضوع لحكم الله وشريعته .

واتّساقاً مع هذا التركيز الدلالي ، فالسجود في الآية الكريمة التي جاءت في السياق نفسه : (فاسجُدُوا لله واعبُدُوا) ، لا يراد به السجود في الصلاة ، لأنّ المخاطبين ليسوا من المسلمين حتى يُصَلّوا . بل المراد به الخضوع والتسليم لأمر الله . وهو المعنى العام للسجود المعروف عند العرب قبل الإسلام (وقد مضى شرحه) .

والخلاصة أنّ هذه العوامل الثلاثة : السياق ، والمعنى الحضوري للتركيب اللغوي ، والتركيز الدلالي تؤثر في تحديد الدلالة تأثيراً واضحاً ، وتحديد المقصود بالحدث اللغوي تحديداً دقيقاً ، فتزيل اللبْس ، والإبهام ، والغموض ، إنْ وُجدتْ .



الكتب المهداة الى مكتبة المجمع العلمي العراقي خلال عــام ١٩٨٤

صباح ياســين الاعظمي
مدير المكتبــة

علوم الدين الاسلامي

× مفهوم الفقه الاسلامي : تاليف ، نظام الدين عبدالحميد ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢٦٠ ص •

× تيسير التفسير ج ١ ــ ٢ ، تاليف الشيخ ابراهيم القطان ، عمان ١٩٨٣ ، ٧٣٤ ص •

× شرح الكوكب المنير ج ١ ــ ٢ ، تاليف الشيخ محمد بن احمد الحنبلي ، دمشق ١٩٨٠ ، ٦٣٥ + ٧٦٧ ص •

× الاخلاق والسير ، تاليف ابن حزم الاندلسي ، أبسالا ١٩٨٠ ، ١٦٥ ص •

× تلخيص السماء والعالم ، تاليف ابن رشد ، فاس ١٩٨٤ ، ٣٩٩ ص •

× الاسلام والتربية الصحية ، تاليف الدكتورة عائدة عبدالكريم ، الرياض ١٩٨٤ ، ١٧٨ ص ، ن ٣ •

× نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ، بيروت ١٩٨٤ ، ٦٧٥ ص •

كتب اللغـة والادب

× اللغة العربية والوعي القومي (بحوث ومناقشات) مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ ، ٤٨٤ ص •

× اللمع في النحو ، ابو الفتح عثمان بن جني ، أبسالا ١٩٧٦ ، ١٢٨ ص •

× المساعد على تسهيل الفوائد (او شرح التسهيل لابن عقيل) تاليف : بهاءالدين ابن عقيل ، دمشق ١٩٨٠ ، ٦٩٢ ص •

× الجمل في النحو ، صنعة ابي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ، تحقيق د• علي توفيق الحمد ، عمان ١٩٨٤ •

× المدخل الى الترجمة (الترجمة من اللغة العربية) ، تأليف : د• سلمان الواسطي وآخرين ، الموصل ١٩٧٩ ، ١١٨ ص •

× المدخل الى الترجمة (الترجمة الى اللغة الانكليزية) تأليف : د• سلمان الواسطي وآخرين ، الموصل ١٩٧٩ ، ١٨٢ ص •

× التجديد في لغة الشعراء الاحيائيين ، تأليف الدكتور عادل جاسم البياتي ، الكويت ١٩٨٤ ، ١٢٠ ص •

× دراسات في المثل العربي المقارن ، تأليف العميد عبدالرحمن التكريتي ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٩٨ ص •

× الخيال الشعري عند العرب ، تأليف ابي القاسم الشابي ، تونس ١٩٨٣ ، ١٣٩ ص •

× شرح الصولي لديوان ابي تمام ج ٢ ، تحقيق الدكتور خلف نعمان رشيد ، بيروت ١٩٧٨ ، ٤٩٥ ص •

× صدام والتنين ، تاليف ذو النون أيوب ، فينا ١٩٨٤ ، ١٥٦ ص •

× ديوان أبزون العماني ، تحقيق هلال ناجي ، قطر ١٩٨٤ ، فرزة من حوليات كلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية •

× شعر الببغاء ق ١ ــ ق ٢ ، تحقيق هلال ناجي ، بغداد ١٩٨٣ ، فــرزة من مجلة المجمع •

× رسائل ابن الاثير ، دراسة وتحقيق ، الدكتور نوري القيسي ، وهلال ناجي ، مط الموصل ١٩٨٢ ، ١٧٩ ص •

× رسالة الازهار ، تاليف ابن الاثير ، تحقيق هلال ناجي ، الموصل ١٩٨٣ ، ٢٢ ص •

× ديوان رسائل ابن الاثير ج ٢ ، تحقيق هلال ناجي ، الموصل ١٩٨٢ ، ٢١٣ ص •

× كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، تحقيق الدكتور نوري القيسي ، و د• حاتم الضامن ، وهلال ناجي ، الموصل ١٩٨٢ ، ٢٨٨ ص •

× ندوة ابناء الاثير المنعقدة في الموصل من ٧ ــ ٣ ــ ١ ــ ٤ / ١٩٨٢ ، ٥٠٩ ص •

× ديوان عمادالدين الاصبهاني ، تحقيق د• ناظم رشيد ، مط ، الموصل ١٩٨٣ ، ٥١١ ص •

× مقالات في اثر الشعوبية في الادب العربي وتاريخه ، د• نعمة رحيم العزاوي ، بغداد ١٩٨٣ ، ١١٨ ص •

× مقالات في طه حسين ، عبدالغني الملاح ، بيروت ١٩٨٤ ، ١٣٥ ص •

× أدب الفكاهة الاندلسي (دراسة نقدية تطبيقية ، تأليف د. حسين خربوش ، عمان ١٩٨٢ ، ١٤٠ ص .

كتب التاريخ والسير

× تاريخ أفريقيا الشمالية ج ١ ـ ٢ ، تأليف شارل اندري جوليان ، تونس ١٩٨٣ ، ٤١٣ + ٤٧٠ ص .

× سيف الدولة خالد بن الوليد ، تأليف محمد العروسي المطوي ، تونس ، ١٩٨٣ ، ١٣٣ ص .

× نثر الدرر ، تأليف منصور بن حسين الابي ، تونس ١٩٨٣ ، ٣٠٧ ص .

× مدخل الى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم ، تأليف أ. بنزي ، الموصل ١٩٧٧ ، ١١٨ ص .

× حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية ، تأليف د. سامي سعيد الاحمد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ٩٣ ص .

× دراسات في النظم العربية والاسلامية ، تأليف د. توفيق اليوزبكي ، الموصل ، ١٩٧٩ ، ٢٧٢ ص .

× مسجد ابي دلف ، تأليف د. كاظم الجنابي ، بغداد ١٩٧٠ ، ٢٣ ص ، مع صور .

× الاختام الاسلامية في المتحف العراقي ، تأليف اسامة ناصر النقشبندي ، بغداد ١٩٧٤ ، ٨٨ ص .

× عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، تأليف فاضل عبدالواحد وعامر سليمان بغداد ١٩٧٩ ، ٢٦٢ ص .

صباح ياسين الاعظمي

× ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، تأليف د. احمد سوسة ، بغداد ١٩٧٨ ، ٣٢٦ ص .

× المحاريب العراقية منذ العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي ، تأليف نجاة يونس الحاج محمد ، بغداد ١٩٧٦ ، ٢٤٠ ص .

× سقوط الحضارة ، تأليف كولن ولسون ، بيروت ١٩٧١ ، ٤١٤ ص .

× بغية الطالب في شرح منية الحساب ، تأليف ابن غازي المكناسي الفاسي ، حلب ١٩٨٣ ، ٣٢٦ ص .

× أمة معرضة للخطر ، تأليف د. يوسف عبدالمعطي ، الرياض ١٩٨٤ ، ٧٠ص.

× كنوز القدس ، تأليف يوسف نجم ، روما ، ٤٩٥ ص .

× دراسات آثارية اسلامية م١ ــ م٢ ، اصدار هيئة الآثار المصرية ، القاهرة، ١٩٧٨ ، ٣٩٩ ص .

× خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ، تأليف عبدالرحمن الفاسي ، فاس ١٩٨٤ ، ١٧٥ ص .

× مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين ، تأليف ، د. بشير النافس ، بغداد ١٩٨١ ، ١٠٩ ص .

× الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ق١ ــ ق٢ ، تأليف ابي عبدالله محمد بن محمد المراكشي ، مط أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٤ ، ٣٦٧ ص .

× المتنبي بعد ألف عام ، تأليف محمد جواد الغبان ، بغداد ١٩٨٤ ، ٤٦ ص.

× الثورة البائسة ، تأليف الدكتور موسى الموسوي ، واشنطن ١٩٨٣ ، ٢٢٣ ص •

× الحسن الثاني ملك المغرب (التحدي) المطبعة الملكية ، المغرب ١٩٨٣ ، ٤٥٦ ص •

× التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية ، عهد دولة الطوائف ، تأليف محمد بن عبود ، تطوان ، ١٩٨٣ ، ٣٣٢ ص •

× الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين العرب البائدة ، تأليف عبدالفتاح الزهيري ، بغداد ١٩٨٣ ، ٢٥٦ ص •

× زايد بن سلطان آل نهيان (القائد والمسيرة) تأليف حمدي تمام محمد ، طوكيو ، ١٩٨١ ، ٣٢٨ ص •

× الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ج ١٠ ، تأليف العباس بن ابراهيم ، المغرب ١٩٨٣ ، ٤٥٤ ص •

× مدرسة الامام البخاري في المغرب ج ١ ــ ٢ ، تأليف الدكتور الكتاني ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ٤١٥ ص •

× من نوابغ الفكر العربي الاسلامي في علوم الحياة والزراعة ، تأليف عادل حسين ، بغداد ١٩٨٤ ، ٧٨ ص •

× تاريخ الحروب والمنازعات بين العراق وايران ، تأليف شاكر صابر الضابط ، بغداد ١٩٨٤ ، ٤٥١ ص •

× الأعظمية والأعظميون ، دراسة تاريخية تراثية ، اجتماعية ، تأليف د. هاشم الدباغ ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٦٨ ص •

× بغداد خلفاؤها ، ولاتها ، ملوكها ، رؤساؤها ، تأليف باقر أمين الورد ، بغداد ١٩٨٤ ، ٢٩٢ ص •

× تاريخ العلم اليوناني ، تأليف الدكتور جابر الشكري ، بغداد ١٩٨٤ ، ١٥٩ ص •

× العرب مادة الاسلام ، تأليف شبلي العيسمي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٨٠ ص •

× الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تأليف ابن رضوان المالقي ، الرباط ، ١٩٨٤ ، ٤٦٣ ص •

× النوازل ج ١ ، تأليف الشيخ عيسى بن علي الحسني ، الرباط ١٩٨٣ ، ٤٥٠ ص •

كتب العلوم

× اقراباذين القلانسي ، تأليف بدرالدين بن محمد القلانسي ، حلب ١٩٨٣ ، ٣٤١ ص •

× كتاب القولنج مع دراسة مقابلة لرسالة ابن سينا في القولنج ، تأليف : الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، حلب ١٩٨٣ ، ٢٧٣ ص •

× كشف الاسرار الخفية في علم الاجرام السماوية والرقوم الحرفية ج ١ — ٤ ، تأليف عمر بن مسعود بن ساعد المنذري ، عمان ، ١٩٨٣ ، غير مرقوم •

× المؤتمر الدولي الخامس والعشرون للطب والصيدلة العسكري ، اعداد اللواء الطبيب سالم مجيد الشماع ، بغداد ١٩٨٤ •

× ابحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد احياء

التراث العلمي في حلب ، ١٩٨٣ ، ٣٥٢ ص •

× الكيمياء التحليلية ، تأليف : دونالد ج• بيتر زيك ، عمان ١٩٨٤ ، ٧٩٠ ص •

× الكيمياء غير العضوية ، تأليف ج• أي• هيومي ، عمان ١٩٨٣ ، ٧٨١ ص•

× مبادىء التعادلات التفاضلية وتطبيقاتها ، تأليف : وليم ردريك ، وستانلي غروسمان ، عمان ١٩٨٢ ، ٧٢٥ ص •

× الرطوبة في المباني التاريخية ، تأليف جيوفاني مزاري ، بغداد ١٩٨٤ ، ٥٩ ص •

× ميكانيك الموائع ، تأليف الدكتور نعمة حمد عمارة ، بغداد ١٩٨٣ ، ٥٤٣ ص •

× العمائر الخدمية في مدينة الموصل ج ٢ ، اعداد مكتب الانشاء الهندسي ، الموصل ١٩٨٢ ، ٨٦ ص •

كتب السياسة والاقتصاد

× الاوضاع الاقطاعية في فلسطين في العصر الحديث ، تأليف د• عماد احمد الجواهري ، بغداد ١٩٨٣ ، ٢٢٣ ص •

× الكيان الصهيوني ، دراسة في القطاع العام ورأسمالية الدولة ، تأليف د• السيد عليوه ، بغداد ١٩٧٧ ، ١٠٤ ص •

× اليهود السوفييت ، دراسة في الواقع الاجتماعي ، تأليف : سلافة حجازي ، بغداد ١٩٨٠ ، ٢٢٧ ص •

صباح ياسين الاعظمي

× جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية وكيف يعمل ، نجدة فتحي صفوت ، بغداد، ١٩٨٢ ، ٨١ ص •

× أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، د• أحمد النعيمي بغداد ، ١٩٨٢ ، ١٩٢ ص •

× الأزمة الاقتصادية في اسرائيل ، مراحلها ، وانعكاساتها ، تأليف سمير جبور ، بيروت ١٩٨٤ ، ١١٣ ص •

× تطور العقيدة الاسرائيلية خلال ٣٠ عاما ، اعداد ، سمير جبور ، قبرص، ١٩٨٣ ، ١٦٠ ص •

× الامكانات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية ، اعداد اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٩٨٣ ، ٢٣٨ ص •

× المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا ، الخرطوم ، ١٩٨٣ ، ٨٧ ص•

× انماط البناء في الوطن العربي وصناعة الطابوق الطيني ، اعداد اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٩٣ ص •

× معامل ومعدات البنائين ، تأليف : جي ، باير ، ترجمة ، د• محمد ايوب صبري ، بغداد ١٩٨٤ ، ٢٨٨ ص •

× الماء والتغذية وتزايد السكان (عدد من البحوث) من منشورات أكاديمية المملكة المغربية ، ق ١ ، الرباط ١٩٨٢ ، ١٦٣ ص •

× موسوعة التشريعات البترولية للدول العربية (منطقة الخليج) ، اعداد : د• سعد علام ، قطر ، ٧٠١ ص •

× نظرية الانشاءات ، تأليف : د• وائل نورالدين الرفاعي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٤٨٩ ص •

× صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية ، اعداد : روفائيل سالاس ، نيويورك ١٩٨٤ ، ٢٣٢ ص .

× برمجة الحاسبات الالكترونية بلغة الفورتران ، تأليف : د. عبدالمطلب ابراهيم الشيخ احمد ، بغداد ١٩٨٣ ، ٢٥٠ ص .

× الزراعة والاصلاح الزراعي في عهد صدر الاسلام والخلافة الاموية ، تأليف د. عواد مجيد الاعظمي ، بغداد ١٩٧٨ ، ١٩٧ ص .

× النشاطات المنجزة في الجمهورية العراقية ، بغداد ١٩٨٣ ، ٨ ص .

× العلاقات العامة والاعلان في الاردن ، تأليف د. بازن العرموطي ، عمان ١٩٨١ ، ١٦٤ ص .

× مسيرة الخير والرخاء ، تأليف د. علي باحسين ، البحرين ١٩٨٣ ، ٥٠ + ٣٧ ص .

× الروح المعنوية ، تأليف قيس مغنش السعدي ، بغداد ١٩٨٤ ، ١٢٧ ص .

كتب التربية والاجتماع

× ماذا يريد التربويون من الاعلاميين ، من منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، ج ١ ـ ٣ ، الرياض ١٩٨٤ ، ن ٢ .

× التربية والتنمية الاقليمية ، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض ١٩٨٤ ، ١٣٠ ص ، ن ٢ .

× استراتيجية تطور التربية العربية (كشاف تحليلي) اعداد محمد الرابحي، تونس ، ١٩٨٤ ، ١٣٤ ص .

× الأهداف التربوية والاسس الهامة للمناهج بدول الخليج العربي ، من منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ١٩٨٤ ، ٣٢ ص، ن ٢ •

× الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الاردني ، منشورات المجمع الاردني ، الاردن ، ١٩٨٣ ، ٢٨٠ ص •

× التعليم غير النظامي للكبار ، تاليف لبرا مريفيناس ، الكويت ١٩٨٤ ، ١٤٨ ص •

× التخطيط التربوي والتغيير الاجتماعي ، من منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ٧٧ ص •

× ندوة الاعلام والتنمية الحضارية في الوطن العربي ، اعداد : د• ابراهيم الداقوقي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٤٠ ص •

× التقرير السنوي السابع حول منجزات المجمع ١٩٨٣ اعداد مجمع اللغة العربية في الاردن ، عمان ١٩٨٣ ، ٢٨ ص •

× الاصلاحات التربوية ، اعداد مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ١٥٩ ص •

× الاتجاهات العلمية في القيادة التربوية ، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ٢١٥ ص ، ن ٢ •

× الشخصية العراقية الجديدة في ضوء معطيات قادسية صدام المجيدة ، اعداد نقابة المعلمين بغداد ، ١٩٨٤ ، ٦٠ ص ، ن ٢ •

× أهداف واستراتيجيات الاتحاد العام لنساء العراق للثلاث سنوات المقبلة منشورات الاتحاد العام لنساء العراق ، ١٩٨٣ بغداد ، ١٧ ص •

× دراسات في المجتمع العربي ، اعداد مجموعة من اساتذة جامعة الامارات العربية المتحدة ، الشارقة ١٩٨٣ ، ٣٣٥ ص •

× تنمية مساهمة المرأة العربية في النشاط المجتمعي ، تأليف د• سعاد نامق برنوطي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٢٢٩ ص •

المعاجم

× معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم ج ٢ ، تأليف الاستاذ حسن النجفي ، بغداد ١٩٨٣ ، ١٧٥ ص •

× المعجم التركي العربي ج ١ ـ ٤ ، تأليف د• ابراهيم الداقوقي ، بغداد ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ، ٦٠٩ + ٢٣٤ + ٦١٤ + ٥٩٢ ص •

× المعجم الطبي الموحد ، شارك في وضعه عدد من الاساتذة ، سويسرا ، ١٩٨٣ ، ٧٦٠ ص •

× اضاءة الراموس واضافة الناموس على اضاءة القاموس ، لابي عبدالله محمد بن الطيب ج ٢ ، مط فضالة ١٩٨٣ ، ٣٠٧ ص •

× قاموس المصطلحات الجنائية ، ترجمة مجيد رشيد الاوسي ، بغداد ١٩٨٣، ١٩٣ ص •

ببليوغرافيا

× دليل مترجم المؤتمرات ، ترجمة سمير عبدالرحيم ، بغداد ١٩٨١ ، ١١٩ص•

× كشاف موضوعات المرأة في جريدة الثورة ١٩٥٨ ـ ١٩٨٢ ، الاتحاد العام لنساء العراق ١٩٨٣ ، ١٢١ ص •

× أقدم المطبوعات العربية في الخافقين منذ فجر الطباعة العربية ، تـأليف كوركيس عواد ، بغداد ١٩٨٣ ، ٦٦ ص •

× فهرس مخطوطات جامعة أم القرى ، حـ ١ ، اصـدار عمادة شؤون المكتبات المكية المركزية ، مكة المكرمة ١٩٨٣ ، ٤٤٣ ص •

× فهرس مخطوطات جامعة أم القرى ، ج ١ ، اصـدار عمادة شؤون المكتبات علي عطا الله • عمان ١٩٨٣ ، ١٥٤ ص •

× نشرة المستخلصات بالبحوث والدراسات التربوية والنفسية ، اعـداد أمل عبدالرحمن ، العدد ١٩١ ، بغداد ١٩٨٤ ، ٥٣ ص •

× قائمة بيبليوغرافية بالكتب والمصادر الخاصة بالعلوم البحتة والتطبيقية ، اعداد ، ميامي احمد ابراهيم ، العدد ١٨٩ ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٠ ص •

× التعليم المستمر (قائمة بيبليوغرافية بمقتنيات مكتبة الجهاز) ــ منشـورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣ ، بغداد ، ٣٤ ص •

× اعلامات بيبليوغرافية ، دار الكتب الوطنية ، تونس ، العدد ٢ ــ ١٩٨٣ ، ٣٨ ص •

× البيبليوغرافيا القومية التونسية ، اعداد : دار الكتب الوطنية ، تونـس ١٩٨٣ ، ٧٣ ص •

× البيبليوغرافيا الجزائرية العدد ٣٩ ، ٣٨ ص ، ١٩٨٣ والعدد ٤٠ ، ٥٥ ص ، ١٩٨٤ ، اصدار وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر •

× دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي ، منشـورات مكتب التربية لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٣ •